الدكتور أحمد سوسة

ري سامراء
في عهد الخلافة العباسية

يبحث هذا الكتاب في تاريخ سامراء وفي أنهر «الإسحاقي» و«الجعفري» وفي «قناة سامراء» و«حير المتوكل للوحوش» و«بركة البحتري» وفي كل ما يتعلق بمشاريع الري القديمة في منطقة سامراء في عهد الخلافة العباسية

الجزء الثاني

— الطبعة الأولى —

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٩٤٩

ري سامراء

آثار المؤلف المطبوعة في الري

المطبوعات العربية

١ ـ « ري أراضي الخرج في نجد » تقرير فني حول مشاريع الري في نجد نشر في مكة المكرمة سنة ١٩٣٩ .

٢ ـ « الري في العراق » طبع في مطبعة التفيض الاهلية ببغداد سنة ١٩٤٢ (نفد) .

٣ ـ « المصادر عن ري العراق » ـ كتاب جمع فيه المؤلف المصادر التي تبحث في شؤون الري في العراق ، ولخص محتوياتها ، وعلق عليها ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٢ (نفد) .

٤ ـ « بين عدن والاردن » ترجمة لكتاب سير وليم ويلكوكس ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٣ .

٥ ـ « وادي الفرات ومشروع الحبانية » ، الجزء الاول ، ومعه ٩٨ خارطة و ١٥ تصويراً ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٤ (نفد) .

٦ ـ « وادي الفرات ومشروع سدة الهندية » ، الجزء الثاني ، ومعه ٢٢ خارطة و ٣٦ تصويراً ، طبع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٥ .

٧ ـ « في ري العراق » ، الجزء الاول ، ومعه أطلس يضم ١٦ لوحة خارطة ، طبع في مطبعة الحكومة ببغداد سنة ١٩٤٥ .

٨ ـ « تطور الري في العراق » ، ومعه ٢٨ لوحة بين تصوير وخارطة ، طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٦ .

٩ ـ « مشروعات الري الكبرى ـ خزان هور الهويجة » طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .

١٠ـ « مشروعات الري الكبرى ـ خزان بحيرة الشارع » طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .

١١ ـ « مأساة هندسية أو النهر المجهول » يبحث هـذا الكتاب في منشأ النهر الذي حفره المتوكل في سامراء لأيصال الميـــاه الى المتوكلية وفي تطوره وتطور الامور الغامضة التي لابست هذا المشروع ولا سيما أسباب فشله ونتائج الفشل الخطيرة بالنسبة الى خطط انشاء العاصمة العباسية في سامراء ، طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٧ .

١٢ ـ « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » ، الجزء الاول ، طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٨ .

١٣ ـ « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » الجزء الثاني ، وهو هذا الـكتاب

١٤ ـ « معجم المصطلحات الهندسية » وهو معجم للمصطلحات الهندسية عنى المؤلف بجمعها وترجمتها من الانكليزية الى العربية والتعليق عليها (معد للطبع) .

المطبوعات الانكليزية

1. « Handbook of Instructions for Discharge Observers in Iraq, » Compiled by the author and Mr. F. S. Bloomfield. Printed at the Government Press, Baghdad, 1932.
2. « The Capitulatory Régime of Turkey - Its History, Origin and Nature» 401 pages. The Johns Hopkins Press, Baltimore, U.S.A., 1933.
3. « Iraqi Irrigation Handbook », Part I, Iraqi State Railway Press, Baghdad, 1944 (with 16 plates in Portfolio).
4. « Iraqi Irrigation Handbook, » Part II (in Preparation).
5. « Irrigation in Iraq - its History and Development, » Facts and Prospects in Iraq Series (English Edition). The Commercial Press, Jerusalem, 1945.
9. « The Hindiyah Barrage-its History, Design and Function» (With 17maps and 22 illustrations). The Government Press, Baghdad. 1945.

الدكتور أحمد سوسة

ري سامراء
في عهد الخلافة العباسية

يبحث هذا الكتاب في تاريخ سامراء وفي نهر «النهروان» و«الجعفري» وفي «قناة سامراء» و«حير المتوكل للجوسق» و«بركة البحتري» وفي كل ما يتعلق بمشاريع الري القديمة في منطقة سامراء في عهد الخلافة العباسية

الجزء الثاني

— الطبعة الأولى —

مطبعة المعارف . بغداد

١٩٤٩

الإهداء

إلى أول من دفن البذار في أرض هذا الوطن
المقدس لتنبت نباتاً حسناً وإلى كل من حفر جدولاً
أو ساقية لري هذا النبت أو سعى لتوسيع ريه
وحقوله أهدي هذا الكتاب

المؤلف

فاتحة الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝

(صدق الله العلي العظيم)

يقع كتاب « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » في اثني عشر فصلاً كنا نود أن نحصر موادها كلها في مجلد واحد ، ولكن التبسط الذي اضطرتنا اليه مستلزمات البحث أوجبت فصله الى مجلدين مع الاحتفاظ بأرقام الصحائف متسلسلة ، وقد انتهينا بالمجلد الأول الى نهاية الفصل الخامس وها نحن أولاء نفتتح المجلد الثاني بالفصل السادس ، وهو الفصل الذي يبحث في « حير المتوكل للوحوش ونهر نيزك » . ولما كان وصف هذا الحير يتطلب تخطيطاً يجمع بين أهداف الحير ومنشآته فقد وضعنا صورة خيالية للحير نفسه ، فجاءت هذه الصورة الملحقة بالصفحة ٣٠٠ نسخة صحيحة لتلك الدراسة . ففي هذه الصورة تشاهد مياه نهر نيزك تنساب الى بركة البحتري وقد قامت على ضفتيه مآوي الحيوانات والوحوش التي كان المتوكل على الله يمتع بها نظره كلما أدلهم به خطب أو أراد ترويح نفسه .

أما الفصل السابع من الكتاب الباحث عن « البركة الجعفرية » (بركة البحتري) فقد اقتصر على وصف البركة ذاتها والعهود التي مرت بها والقصائد التي قيلت في وصفها ومدح الشعراء لها ولمؤسسها ، ذلك الوصف الذي يعطينا فكرة صحيحة عن لهو الخليفة وبعد نظره في توفير أسباب لهوه . وكان من حسن حظ علم

المخطط أن وصف الشعراء لهذه البركة كان من الدقة بحيث مكننا من تتبع مواضع البركة ومنعطفاتها ومشتملاتها وما تفرع منها . وكانت هذه الدراسة موضعية اضطرتنا الى الاقامة الى جانب البركة عدة أيام اتفقد معالمهـــا ومعرفة اتجاهاتها ودراسة أساليب انسياب مياه نهر نيزك اليها في أرض تفترشها الحلل السندسية وبين تلول اصطناعية ودكات متناسقة .

وبحثنا في الفصل الثامن عن « النهر الجعفري » الذي شرع المتوكل على الله في حفره في أواخر أيام خلافته لأيصال الماء الى مدينته الجديدة « المتوكلية » ، فتطلبت كتابة هـــذا الفصل دراسة موضعية أيضاً استغرقت بضعة أسابيع . والواقع أن المتوكل كان يعتمد على هذا النهر اعتماداً كلياً في ايصال المياه الى مدينته سيحاً وإلى ري الحدائق والمنتزهات التي أقامها فيها .

والظاهر أن بناء مدينة المتوكلية في شمال سامراء الحالية من أهم المنشآت التي حاول المتوكل على الله أن يخلدها في هذه البقعة المنبسطة ، فقد أقامها في أرض بكر لا نبت فيها ولا عوارض طبيعية فتمكن مهندسوه من تخطيطها تخطيطاً أنيقاً تعجز عنه الهندسة الحالية ، فالشارع الأعظم الذي يخترقها من الجنوب الى الشمال يتجاوز عرضه المائة متر ، ولا يوجد في شوارع العواصم والمدن اليوم شارع بهذا العرض إلا ما ندر . وهذا ما حدا بنـــا الى أن نضع خارطة حقيقية عن مدينة المتوكل رسمنا فيها شوارع المدينة كما نشاهد بقاياها اليوم وآثار معالمها وقصورها وأنهارها ليكون في وسع القارىء أن يتخيل المدينة أيام عظمتها . وقد عرضنا هذه الخارطة على الدكتور محمد صالح مكية الاخصائي في هندسة تخطيط المدن فأعجب بهندسة المدينة اعجاباً كثيراً ووضع مذكرة عرج فيها على ذكر النواحي الفنية والهندسية وما رآه فيها من أمور تتعلق بتطور فن تخطيط المدن ، فرأينا إتماماً للفائدة أن نثبت هذه المذكرة في ملاحق الكتاب ، كما أننا كتبنا كلمة حول شرح الخارطة موضوعة البحث نشرناها في الملاحق أيضاً .

أما الفصلان التاسع والعاشر فقد اقتصرا على بحث « النهروان في العهد العباسي الزاهر » ، والواقع أن النهروان يتطلب دراسة قائمة بنفسها لما له من أهمية وخطورة في توجيه مياه دجلة . ومتى قلنا (النهروان) تجلى أمامنا ذلك المشروع الجبار الذي قامت عليه المزارع والحقول والدساكر والطساسيج التي كان تحاشكها بدرجة أن الديكة فيها كانت تتجاوب أصواتها على طول الخط . وقد تطلب هذا البحث وصف القرى والقصبات التي قامت على النهروان والترع والنهيرات التي تفرعت منه والنواظم والقناطر التي بنيت عليه وتعيين مواقعها وبحث تواريخها والعهود التي مرت فيها والطرق التي اخترقتها ونحو ذلك من المعلومات الجغرافية والتأريخية، وقد وضعنا لكل ماتقدم الخرائط والمخططات والمصورات ونحوها . وكان من حسن الصدف ، اننا في أثناء تحرينا هذا النهروان ، عثرنا على مادة غريبة في بناء أحد النواظم القديمة ، فرغبنا في تحليل هذه المادة ، فاذا بها نوعاً من السمنت الأمر الذي دلّ على أن الأقدمين لم يتأخروا في اكتشاف المواد الانشائية القوية قبل أن يتوصل الفنيون المعماريون الى اكتشاف السمنت الحالي بنحو ألف عام . وقد رأينا أن ننشر التقرير الخاص بهذا التحليل في أواخر هذا الكتاب شاكرين للاستاذ السيد شيت نعمان المدير العام للمباحث الصناعية تفضله باجراء هذا التحليل . ولما كان النهروان موازياً لنهر دجلة في مواضع طويلة وكان ينتهي اليه قرب واسط ، مدينة الحجاج بن يوسف الثقفي الخالدة ، فقد ساقنا ذلك الى البحث عن مجرى دجلة وتطوره في هذا القسم وكيفية قيام مدينة واسط والانهر التي حفرت لها والقرى التي قامت عليها[1] . وعززنا كل ذلك بخارطة مفصلة تناولت المجاري القديمة والحديثة والمدن والدساكر العتيقة ونحو ذلك من متممات البحث ومستلزماته .

ولقد دلت تحرياتنا على أن الأقدمين كانوا قد أقاموا قناطر من الآجر والصاروج في جوار قناطر الكوت الحالية لتنظيم المياه بين مجرى واسط الذي

(١) راجع البحث الخاص بهذه التطورات في ص ٤٢٢ وما يليها .

كان يجري بموازاة شط الغراف الحالي وبين مجرى العمارة ، وكانت تعرف هذه القناطر باسم « قناطر الخيزران » ، وكانت قد انشئت لاول مرة على عهد الساسانيين ثم جددت على عهـــد العرب في زمن خالد بن عبدالله القسري [١] ، ويتضح من ذلك أن قناطر الكوت الحديثة تحقق اليوم الغرض الذي كانت قناطر الخيزران تحققه قبل اكثر من ألف وثلثمائة سنة .

أما الفصل الحادي عشر فقد خصصناه لبحث « النهروان في عهده الأخير » وما نابه من انحطاط واهمال واندثار وما اتخذت من محاولات قديمـة وحديثة لاحيائه أو استغلاله في بعض اقسامه ، فشمل هذا الفصل دراسة الاسباب التي أدت الى انهيار سد العظيم وسد ديالى وتحويل مجرى دجلة ونحو ذلك من العوامل التي أدت في النتيجة الى اضمحلال النهروان ، وكيف أن العرب حاولوا إحياء قسم منه فأنشأوا « سد السهلية » في موضع يقرب من مدينة النهروان القديمة . ويجد القاري ، الى ما تقـــدم ، بحثاً عن المعركة الحاسمة التي جرت في عام ٦٥٦ هـ وأدت الى اضمحلال الخلافة العباسية وقيـــام الدولة المغولية برآسة هولاكو خان وانتقال الحكم من العرب الى المغول والدور الذي لعبه نهر دجيل في ذلك .

ويختم هذا الجزء الثاني بالفصل الثاني عشر ، وهو الفصل الذي يتناول المشاريع الواجب القيام بها والدوارس التي ينبغي احياءها لتعيد الى هذه البلاد زهوها ورخاءها ، وقد دفعنا واقع الحال الى استعراض العهود المؤسفة التي مرت بها دراسة هذه المشاريع والاتجاهات التي سببت تشتيت أفـكار الناس وتبلبل آرائهم ، وإنه لبحث يفطر أكباد المخلصين ويثير حفائظ الغيورين ، فما استطاع العراق أن يستفيد طوال المدة التي قضاها في ربع القرن الاخير من حياته الفائدة التي تؤمن له الاستثمار الذي هو في أشد الحاجة اليه لبناء مستقبله الاقتصادي ، فلو انجز

---

(١) راجع البحث الخاص بقناطر الخيزران هذه في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ و ٤٤٥ و ٤٥٢ و ٤٦٢

خلال هذه المدة عشر ما قام به السير ويليم ويلكوكس الذي استقدمته الحكومة العثمانية في يوم لم تكن فيه الطائرات ولم تتوفر السيارات ولا كانت وسائل الحفر والتشييد الحديثة ولا الخرائط الدقيقة ، أقول انه لو انجز عشر ما قام به الخبير البريطاني المذكور ، لكان له اليوم شأن غير شأنه وري غير ريّه ومشاريع غير مشاريعه ، ولكن مشاريعه اهملت وكان من جراء ذلك ان بقي يشكو الفقر والفاقة ويعتمد على موارد غير ثابتة الأمر الذي ادى الى مشكلات مالية كلما نضب معين من هذه الموارد .

وفي اعتقادنا أن مشاريع الري في العراق درست درساً صحيحاً كافياً منذ تعهد دراستها السير ويليم ويلكوكس عام ١٩٠٩ ، لذلك يجب الشروع فوراً في تنفيذ المشاريع المهمة مستفيدين من عبر الماضي ومن نهضات البلاد المجاورة ومن مآسي الزمن . اما الاستمرار في الدراسات وتحبير التقارير وتنظيم الدعايات وترتيب الميزانيات ونحو ذلك فان البلاد لا تستفيد شيئاً من هذا لان عهدها قد مضى وانقضى ، فالعالم اليوم يسابق الريح في سيره ويذلل مختلف الصعوبات في تقدمه ويقاوم المستحيلات لفرض إرادته ، وما علينا إلا الاستعانة بنهضات الأمم لتنظيم ريّنا ومشروعاتنا الاقتصادية تنظيماً علمياً اقتصادياً يستهدف احياء الموات من الأراضي وإنعاش المضمحل من القرى والدساكر ومكافحة البطالة والعطالة للقضاء على النزعات والميول التي لا تنسجم مع عنعنات الشرق ولا تأتلف مع تاريخه المجيد .

ولعل القيام بمشروع سريع لانقاذ بغداد والمزارع الجنوبية القائمة على ضفتي دجلة من خطر الفيضان من أهم العوامل التي ستؤدي حتماً الى الاستقرار السياسي وإلى تخليص التجارة العراقية من الاضرار السنوية التي اعتادت أن تمنى بها بين حين وحين ، على ان يكون هذا المشروع سريع التأثير . ومن

رأينا أن اقامة قناطر على دجلة بالقرب من سامراء وفتح جدول من عمود دجلة الى منخفض الثرثار بكلفة ثلاثة أو أربعة ملايين دينار سيؤدي الى انسياب الكميات الفائضة من دجلة الى المنخفض المذكور فيخلص بغداد والمزارع القائمة على ضفتي النهر في جنوبها من الغرق الذي اعتادت أن تنكب به في كل عام تقريباً دون التفكير في الاستفادة من المياه المنسابة الى المنخفض المذكور مرة اخرى لأغراض الري .

نعم ، ينبغي أن يعد هذا المشروع من المشاريع الوطنية الأساسية التي تستوجبها الضرورة المستعجلة (Emergency Schemes) للقضاء على أخطار الفيضان التي تهدد بغداد ومزارعها في كل عام ، فيحل الاستقرار والاطمئنان محل الخوف والهلع في نفوس الاهلين . ولا شك في أن فوائد هذا المشروع لا يمكن أن تقدر لأنه سيكون أشبه شيء بالاستحكام الذي تستوجبه مستلزمات الدفاع وعلينا ان نقوم به مهما كلف الأمر .

ونود قبل ان نختم هذه المقدمة ان نوجه انظار المسؤولين الى ضرورة تأليف مجلس تنفيذي دائمي يرتبط بمجلس الوزراء ويكون له ميزانية مستقلة تنقل بقايا اعتماداته السنوية المصدقة من سنة مالية الى سنة مالية اخرى بموجب قانون خاص ، فيقوم بتنفيذ المشروعات التي درست حتى الآن مقدماً الاهم على المهم ، ولا شك في ان مجلس مثل هذا المجلس لا بد من ان ينفذ فوراً كل مشروع ثبت — بعد درسه وتدقيق امكانياته — انه اجدر المشروعات بالتنفيذ ، فتكون كلف الهيئات الاستشارية الفنية قد انفقت على إدارة شؤون هذا المجلس التنفيذي المربوط بمجلس الوزراء من جهة ، وتكون مشروعات الري قد نفذت تنفيذاً كاملاً تحت اشراف مجلس الوزراء وارشاداته من جهة اخرى ، دون ان يكون هناك مجال لاي تبديل او تحوير في سياسة التنفيذ بعد ان تكون هذه المشروعات قد ادخلت ضمن منهاج لأعمال رئيسية يمتد امده من ثلاث الى خمس

سنوات ، ولا شك ان ايراد هذه المشروعات ، سواء أكان ذلك بنتيجة صيانة المزارع من الغرق أو نتيجة للتوسع الزراعي ، سيدر ربحاً يغطي النفقات في أقصر مده .

وقد ارتأينا أن نكرر هنا خلاصة المشاريع التي نرى ضرورة انجازها على نهر دجلة وروافده ومعظم هذه المشاريع قديم يمكن احياؤه بيسر وسهولة حسب الأهمية مبينين مجموع كلفتها مقدمين الاهم على المهم ، ونرى أن توزع هذه الكلفة على عدد السنين التي يشملها تنفيذ هذه المشاريع . وفي رأينا ان هذه المشاريع تتناسب كلفها مع وضع البلاد الاقتصادي من جهة وما تدره من أرباح طائلة على خزانة الدولة من جهة اخرى دون الالتجاء الى سياسة القروض . وقد نظمنا خارطة شاملة بمواقع المشاريع التي تناولها البحث في هذا الكتاب تسهيلاً للمراجعة والتتبع .

وأول هذه المشاريع التي اقترحناها للاعمار ، عدا مشروع الثرثار الخاص بالوقاية من اخطار الفيضان المتقدم ذكره ، مشروع سد ديالى وخزان هور الشويجة الذي يرمي إلى تحويل بعض مياه فيضان نهر ديالى أو كلها عند جبل حمرين وكذلك تحويل بعض مياه فيضان دجلة من جنوب بغداد الى هور الشويجة الواقع في جوار الكوت ، على ان يستخدم هذا الهور كخزان تخزن فيه المياه لا رجاعها الى نهر دجلة جنوب قناطر الكوت في موسم شحة المياه . ويستوعب خزان هور الشويجة خمسة مليارات من الامتار المكعبة ، أي أكثر من ضعف ما يمكن خزنه في خزان الحبانية .

وأهم فوائد هذا المشروع انقاذ مدينة بغداد من خطر الفيضان في نهر ديالى الذي كان ولا يزال يهدد بغداد من جهة الشرق ، كما حدث فعلاً في حادث غرق معسكر المنيدي مرتين في السنتين ١٩٤٢ و ١٩٤٧ ، ثم المحافظة على قناطر الكوت والمزارع التي بين المدينتين بغداد والكوت من خطر

فيضان دجلة الى حد كبير ، والاستفادة في الوقت نفسه من مياه الخزن لتموين منطقة العمارة بالمياه في موسم شحة المياه وتأمين الملاحة في نهر دجلة بين الكوت والبصرة في ذلك الموسم . وينبغي بعد توفير المياه الاضافية في جنوب الكوت أثناء موسم الصيهود تحويل القسم الاعظم من مياه دجلة الطبيعية الى شط الغراف من مقدمة قناطر الكوت ، وهذا يستوجب انجاز مشروع شق اقنية الغراف وتنظيم جداوله مع انشاء ناظم الحي وغيره من الاعمال المطلوبة للاستفادة من مياه الخزن في ارواء اكبر مساحة ممكنة من الأراضي على هذا النهر، وكذلك ينبغي النظر في أمر انشاء قناطر على نهر دجلة في جوار العمارة ليتسنى توزيع المياه على الجداول المتفرعة من النهر في منطقة العمارة بالمناسيب اللازمة . وتبلغ كلفة هذا المشروع بما فيه كلفة تنظيم مياه الغراف وانشاء قناطر العمارة زهاء مليوني دينار .

أما المشروع الثاني فيشتمل على انشاء خزان صغير في وادي « نهر نارين » فوق مصبه في ديالى بقليل بغية الحصول على مياه اضافية الى مزروعات ديالى في الموسم الصيفي . ويتضمن هذا المشروع انشاء سد ترابي على عرض وادي مجرى نارين طوله زهاء سبعة كيلومترات وارتفاعه تسعة أمتار تقريباً لحجز المياه في مقدم السد واقامة خزان في حوض نهر نارين نفسه يستوعب زهاء ربع مليار متر مكعب من الماء ، على ان يملأ هذا الخزان من نهر ديالى بواسطة ترعة تستمد مياهها من الضفة اليمنى لنهر ديالى . أما كلفة هذا المشروع فتبلغ حوالي مليون ونصف المليون من الدنانير .

ويتضمن المشروع الثالث انشاء سد على نهر العظيم في موضع سد العظيم القديم نفسه وتحويل مياه فيضان نهر العظيم من أمام هذا السد الى بحيرة الشارع ، كما يتضمن انشاء سد على نهر الزاب الصغير وتحويل قسم من مياه فيضان نهر الزاب الصغير من أمام هذا السد الى نهر العظيم ومن ثم الى بحيرة الشارع أيضاً ،

على ان تخزن هذه المياه في البحيرة لاستغلالها في تموين جدول النهروان بتحويلها اليه مباشرة . ويرمي هذا المشروع أيضاً إلى ارواء الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي نهر العظيم بين جبل حمرين والنهروان ، وهي أراضي جسيمة تبلغ مساحتها حوالي ٦٥٠٫٠٠٠ دونم ، ارواءً سيحياً من مياه النهرين «العظيم» و «الزاب الصغير» . وتبلغ كلفة هذا المشروع زهاء مليون وربع المليون من الدنانير .

ويرمي المشروع الرابع الى احياء جدول النهروان وتموينه بالمياه من خزان بحيرة الشارع المتقدم ذكره ، ولا يكلف احياء هذا الجدول إذا تم على هذه الصورة اكثر من مليون دينار كحد اعظم ، لان الجدول الجديد المقترح يسير في نفس المجرى القديم في معظم اقسامه . وتقدر مساحة الاراضي التي تستفيد من هذا المشروع بمليوني دونم عراقي على أقل تقدير .

ويعد المشروع الخامس من أهم مشروعات الري التي ينبغي تحقيقها نظراً لضئالة كلفته وسهولة انجازه من جهة وكثرة الفوائد المتوقعة منه باحياء أراضي زراعية جديدة واسعة من الجهة الأخرى . ويشتمل هذا المشروع على اعادة احياء النهر الجعفري القديم الذي انشأه المتوكل، والذي يمتد بين الفتحة والدور، وهو المعروف اليوم بنهر تايفة ، فيروي الاراضي المعروفة بحويجة سامراء والواقعة بين نهر دجلة وبحيرة الشارع سيحاً ، وهذه تبدأ من جنوب تكريت وتنتهي الى قرب نهر العظيم فتبلغ حوالي نصف مليون دونم عراقي . وتقدر كلفة احياء هذه الاراضي على أساس اروائها رياً سيحياً مستديماً بربع مليون دينار فقط .

وهناك مشاريع خزن اخرى يمكن انشاؤها على النهرين ، الزاب الكبير والزاب الصغير ، بغية خزن مياه فيضانها للاستفادة منها في موسم الصيهود لأغراض الري على نهر دجلة ، إلا اننا نرى ان في الامكان ارجاء مثل هذه

المشاريع الضخمة التي تتطلب انشاء سدود عالية ودراسة دقيقة ومبالغ كبيرة الى ما بعد انجاز المشروعات المتقدمة الذكر .

وقد دلت نتائج التحريات التي اجريت على نهر الزاب الكبير على امكان انشاء سد في مضيق بيخمة لتحقيق الغايتين، تخفيف وطأة الفيضان على نهر دجلة وخزن المياه لاغراض الري في وقت واحد . وقد اقترح انشاء سد بارتفاع ١٠٠ أو ١٢٠ متراً وخزن المياه امامه للاستفادة منها في موسم قلتها على نهر دجلة . ويمتد الخزان الذي يتكون على هذه الصورة الى مسافة ٥٠ كيلومتراً في حوض النهر نفسه شمالا والى مسافة ١٥ كيلومتراً في حوض نهر راوندوز شرقاً . وتبلغ سعة الخزن في حالة انشاء السد الواطيء ٩ر١ من المليار من الامتار المكعبة في حين انها تبلغ ٦ر٣ من المليار من الامتار المكعبة فيما اذا انشيء السد العالي بارتفاع (١٢٠) متراً .

وقد دلت الدراسات الاخيرة على نهر الزاب الصغير أيضاً على امكان اقامة سد في مضيق دوكان[1] وانشاء خزان امامه على نفس الطريقة المقترحة على نهر الزاب الكبير. وقد اقترح انشاء سد بارتفاع ٧٤ متراً (بين منسوب ٤٢٩ متراً و ٥٠٣ امتار فوق سطح البحر) وخزن المياه أمامه للاستفادة منها لاغراض الري على نهر دجلة . ويمتد الخزان في داخل حوض النهر نفسه الى مسافة زهاء أربعين كيلومتراً من امام موضع السد، أي الى موضع الدربند شمالاً ، كما انه يمتد الى مسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً داخل حوض نهر باسلم غرباً ، وتكون مساحة الخزان السطحية بعد ان يمتليء الى ارتفاع ٥٠١ متر فوق سطح البحر حوالي ٧٥كيلومتراً مربعاً . وقد قدرت كية استيعاب الخزان بين منسوب ٤٢٩ متراً(وهومنسوب قعرالنهر)ومنسوب ٥٠١ متر(وهو حد الخزن المقترح)،بحوالي

---

(١) ان معنى « دوكان » باللغة الكردية « دكة » ، ولعل المضيق سمي باسم « دوكان » لتكوين المضيق شبه دكة على كل من جانبي النهر حيث يشكل جداراً عمودياً فيهما .

٥ر١ من المليار من الامتار المكعبة من المياه[1] .

يستخلص مما تقدم ان المشاريع التي اقترحناها تبلغ كلفتها حوالي تسعة ملايين دينار، بضمن ذلك مشروع الثرثار الخاص بوقاية العاصمة ومزارع دجلة من اخطار الفيضان ، اما مساحة الأراضي المتوقع احياؤها بنتيجة انشاء هذه المشاريع فتقدر بأربعة ملايين دونم عراقي ، وبذلك تصبح كلفة احياء الدونم الواحد حوالي دينارين فيما اذا انشيء مشروع الثرثار لحماية المزارع من خطر الفيضان وتصبح ديناراً واحداً بدون هذه الوقاية . وينتظر ان ترتفع قيمة الدونم من هذه الاراضي الى خمسة دنانير على أقل تقدير بعد ايصال مياه الري اليها ، وبذلك تكون قد زيّدت ثروة البلاد زيادة محسوسة ويكون قد عم الرفاه والاستقرار في انحاء القطر. واذا وزّع هذا المبلغ على أربع سنوات أو خمس فيكون

---

(١) وضع على هذا الاساس تصميمان التصميم الاول يشتمل على انشاء سد من الخرسانة بارتفاع ٧٤ متراً (بين منسوب ٤٢٩ و ٥٠٣ أمتار فوق سطح البحر) على ان تسال مياه الفيضان الزائدة فوق السد على سطح التصريح الخلفي بعد بلوغ منسوب المياه ٥ر٤٩٥ متراً فوق سطح البحر . وقد جعل لمسيل المياه فوق السد اربع فتحات ذات ابواب دائرية بعرض ١٥ متراً لكل فتحة . وقد صمم السد على أساس انشاء ستة منافذ في اسفله لتفريغ الخزان في موسم الصيهود . ويبلغ سمك بناء السد من الاسفل ٣٧ متراً ويتقلص هذا السمك الى سبعة امتار في القمة . واقترح انشاء نفق في الجانب الايسر من النهر قطره ١٠ امتار وطوله ٤٠٠ متر لتحويل مياه النهر اليه أثناء الانشاء .

اما التصميم الثاني فيشتمل على انشاء سد من الصخور بارتفاع ٧٤ متراً أيضاً يبلغ سمكه من الاسفل ٢٠٠ متر ويتقلص حتى يصل الى سبعة امتار في القمة ، واقترح استخدام النفق المقترح في التصميم الاول لتفريغ الخزان في موسم الصيهود ، كما اقترح انشاء مسيل باربع فتحات غربي النفق لتحويل مياه الفيضان الزائدة من أمام السد الى مؤخره ، على ان تجري المياه فوق المسيل المذكور بعد ان تصل الى منسوب ٥ر٤٩٥ متراً فوق سطح البحر .

المبلغ السنوي المطلوب لهذه المشاريع أقل من مليوني دينار ، ويمكن ايجاد هذا المبلغ بيسر إذا قامت الحكومة ببيع قسم من الاراضي الأميرية التي تشملها هذه المشاريع أو بسد نفقات هذه المشاريع من الايراد الذي سيدخل خزينة الدولة بعد مضي سنتين أو ثلاث سنوات على الشروع في المشاريع المذكورة .

ولا يسعني - وقد أدركني الختام - إلا أن انهي هذه المقدمة بقول النبي العربي الكريم ﷺ في حجة الوداع « اللهم هل بلغت . اللهم اشهد » .

بغداد — ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩

احمد سوسة

الفصل الرابع

حير المتوكل للوحوش ونهر نيزك

١ – تمهيد

ما كاد المتوكل يفرغ من مشروع « قناة سامراء » ويتم المنشئات الملحقة به حتى وجّه نشاط عمله الى السهل الجميل، الذي يقع بين القاطول الأعلى الكسروي وبين نهر القائم شرقي سامراء ، وهو السهل الذي كان قد انشأ الرشيد فيه قصره في موضع المشرحات[1]. وقد ارتأى المتوكل أن يستغل هذا السهل الواسع فينشيء فيه حديقة شاسعة للحيوانات لتكون من جملة منتزهات عاصمته ، ولما كان تحقيق مثل هذا المشروع يتوقف على توفر المياه السيحية حيث تساعد على نمو الاشجار والازهار ، حاول في بادىء الأمر أن يستغل « قناة سامراء » لايصال المياه الى الحير الذي اعتزم انشاءه في منطقة القاطول، فمد قناته هذه الى « المطيرة » ومنها الى الجنوب باتجاه موضع الحير ، وسار بها الى مسافة بضعة كيلومترات بموازاة الضفة اليسرى لنهر القائم ، إلا أنه عدل عن ذلك بعد ان تبينت له صعوبة ايصال المياه الى هذا الموضع بواسطة القناة فاوقف العمل فيها . ويمكن تتبع آثار القناة بكهريزها ، وهي تمتد في الجانب الشرقي من نهر القائم الى قرب القادسية ، حيث يشاهد الحد الذي توقفت فيه القناة هناك . ونميل الى الاعتقاد بأن الذي حمل المتوكل على توقفه عن اتمام هذا العمل هو أن موقع الحير فضلاً عن وقوعه في مكان بعيد جداً عن صدر القناة الرئيسية ، الذي يستمد المياه من دجلة من فوق « الدور » مما يجعل تموين المياه الدائمة الى الحير مشكوكاً فيه ،

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذا القصر في ص ٢٣٩ – ٢٤١ .

ان مياه القناة لا تحقق ارواء كل أراضي الحير بل تقتصر على قسم قليل جداً منه ، وهو القسم الواقع في أقصى الجنوب قرب « المشرحات » . لذلك عمد الى اعادة احياء نهر القادسية القديم ، الذي يتفرع من الضفة اليمنى للقاطول الأعلى الكسروي ، عند الكيلومتر (٣٠) منه وينتهي الى «حصن القادسية» ، وهو النهر الذي يخترق السهل الذي اعتزم المتوكل انشاء الحير فيه[١] ، الا انه وجد صدر هذا النهر مندرساً كما ارتأى الخبراء بان النهر لا يؤمن ارواء أراضي الحير كلها في موسم الصيهود ما لم يقام ناظم قاطعي على القاطول الاعلى الكسروي ، ليتسنى حجز المياه أمام الناظم ورفع مناسيبها لتسليطها على اكبر مساحة ممكنة من السهل موضوع البحث. ولا يخفى ان نهر القادسية الاصلي الذي كانت تقتصر مهمته على ايصال المياه الى « حصن القادسية » لم يكن ليحتاج الى هذا الناظم لأن أراضي القادسية التي يقع فيها الحصن واطئة بالنسبة الى السهل الشمالي الذي على الجانب الشرقي من نهر القائم . ونستدل من تتبعاتنا ودراساتنا لهذه المنطقة أن المتوكل نفّذ ما اقترحه عليه الخبراء في هذا الشأن وبذلك حقق مشروع الحير الذي كان يصبوا اليه .

اما المشروع الذي انشأه المتوكل لتحقيق ما تقدم فيشتمل أولاً على نهر يبدأ من القاطول الاعلى الكسروي فيسير جنوباً مخترقاً السهل الذي يمتد بين القاطول الاعلى الكسروي وبين نهر القائم، وهو السهل الذي انشيء فيه حير الوحوش ، ثم ينتهي بـ « المشرحات » (موضع قصر الرشيد القديم) في بركة جميلة تعدّ من ابدع اعمال المتوكل في سامراء لما تخللته من تنسيق فني ، وتنظيم هندسي ؛ فكانت آية في الابداع والابتكار . هذه هي البركة المشهورة التي وصفها البحتري في قصيدته الغناء ومطلعها « يا من رأى البركة الحسناء رويتها » وسيأتي البحث عنها فيما بعد . وقد انشيء أمام البركة من الجنوب قصر ضخم

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن هذا النهر في ص ١٥٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ ـ ٢٥٠

يستدل من أنقاضه وبقايا سوره على انه كان من جملة قصور المتوكل المهمة . وقد اشتمل المشروع أيضاً على انشاء ناظم على مجرى القاطول الكسروي لتأمين رفع مناسيب المياه عند مدخل النهر ، الذي يتفرع من أمام الناظم ويخترق أرض الحديقة .

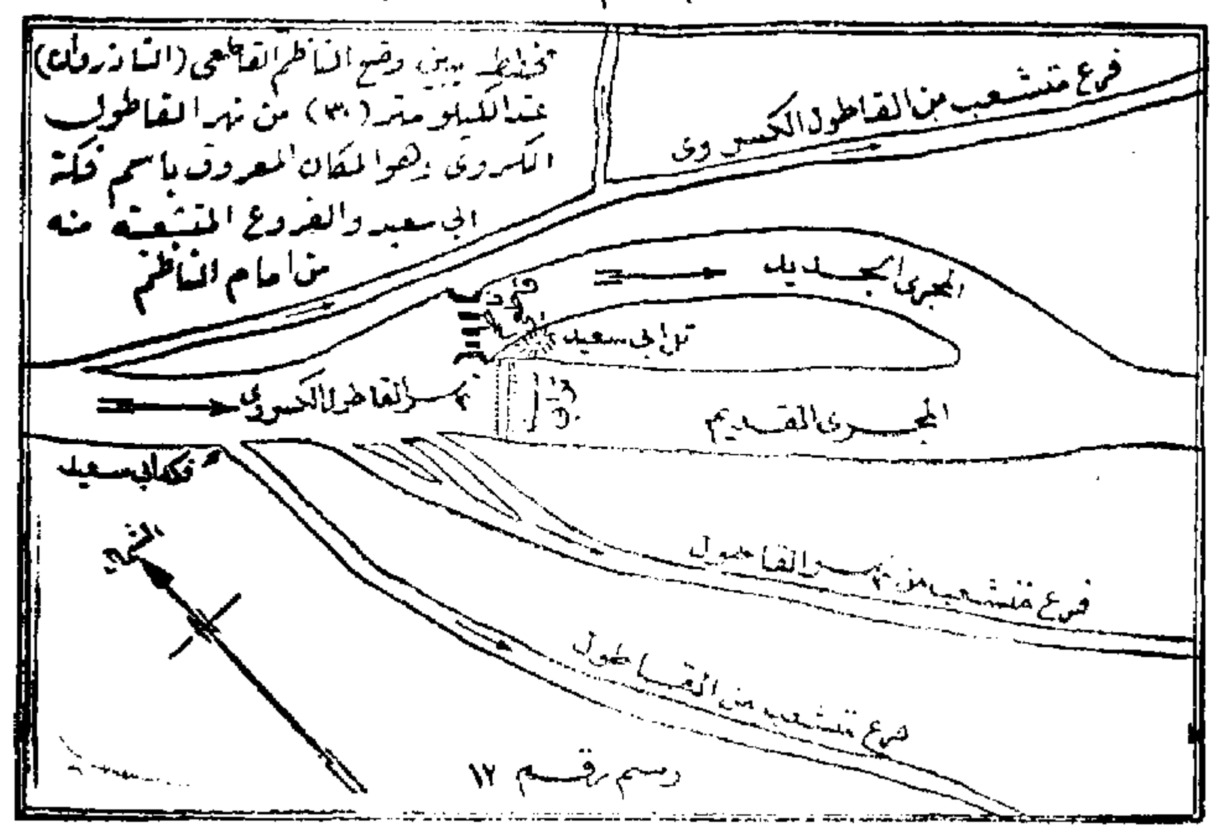
٢ ـ مشروع الناظم على القاطول الاعلى الكسروي

أما الناظم الذي انشيء على مجرى القاطول الاعلى الكسروي فيقع عند الكيلومتر (٣٠) من المجرى المذكور وهو يتألف من أربع فتحات ولا تزال آثار بنائه ماثلة للعيان يمكن مشاهدتها في الموضع المسمى « فكة أبي سعيد » الذي يقع مقابل مدينة سامراء الحالية تماماً . ومما يدل على ان انشاء هذا الناظم يرجع الى العهد العربي ، هو ان نهر القاطول حوّل في هذا الموضع من مجراه الاصلي ليتسنى بناء الناظم على المجرى الجديد في اليابسة . وهكذا نشاهد آثاراً لمجريين في هذا الموضع يقع الواحد الى جانب الآخر ، المجرى الاصلي القديم ثم المجرى الجديد على الجانب الأيسر منه وهو المجرى الذي انشيء الناظم فيه في اليابسة ، وقد حوّلت المياه اليه بعد الانتهاء من انشاء الناظم عليه (راجع الرسم رقم ١٢). وهذه هي الطريقة المتبعة في اكثر الحالات في انشاء مثل هذه المشاريع ، وأحسن مثال لذلك مشروع قناطر الهندية ، الذي انشيء على الفرات على هذا الشكل أيضاً ، ويلاحظ ان ابن سرابيون اطلق على هذا الناظم اسم « الشاذروان » فذكر ان القاطول الكسروي بعد ان يجتاز القصر الجعفري وقنطرة الرصاصي[1] « يمر الى الايتاخية ثم يمر الى الشاذروان » ، ومعنى الشاذروان الناظم أو السد الغاطس الذي تحجز امامه المياه بغية رفع مناسيبها وتسليطها على الجداول الفرعية .

وتدل المستويات على ان منسوب قعر القاطول في الموضع الذي انشيء فيه

(١) راجع البحث الذي تقدم عن « القصر الجعفري » في صفحة ١٣٣ والبحث عن « قنطرة الرصاصي » في ص ١٥٥ و ٢٠٥ .

الناظم يبلغ ٦٠ر٦٣ متراً فوق سطح البحر ، فاذا فرضنا ان عمق الماء في القاطول كان يصل الى حد مترين، وان الناظم صمم على أساس رفع منسوب المياه الى متر



رسم رقم ١٢

واحد فوق ذلك ، فيصبح المنسوب الذي كان في القاطول في هذا الموضع اكثر من ٦٦ متراً . اما أراضي الحير التي بين القاطول الأعلى الكسروي ونهر القائم فتموّجة، إلا انها تنحدر بهبوط مستمر نحو الجنوب الشرقي، فتبدأ في منسوب حوالي ٦٥ متراً وتهبط الى حد ٥٦ متراً تقريباً في الحد الشرقي للحير ، ذلك مما كان يساعد على تسلط مياه القاطول على معظم هذه الاراضي وارواء الحير سيحاً. أما منسوب الاراضي التي يقع فيها القصر والبركة فيبلغ حوالي ٦٣ الى ٦٤ متراً.

٣ ـ مشروع « نهر نيزك »

وهناك ما يدل على أن النهر الذي حفره المتوكل أمام الناظم لارواء حديقة الحيوانات سمي باسم « نهر نيزك » ، وقد جاءت هذه التسمية في عدة مناسبات في قصائد البحتري ، كما جاء ذكر النهر بهذا الاسم أيضاً فيما رواه الطبري في

حادثة مقتل بغا الشرابي ، فقال انه لما بلغ بغا ان المعتز دبّر أمر قتله واتفق مع بايكباك وأهل الكرخ وأهل الدور خرج في غلمانه وهم زهاء خمسمائة ومثلهم من ولده واصحابه وقواده وصار الى « نهر نيزك » ثم تنقل الى مواضع حتى قتل[1] . ويتفرع نهر نيزك من ضفة مجرى القاطول الكسروي اليمنى في نقطة تقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من صدره ، فيسير أولاً مسافة حوالي كيلومترين موازياً الضفة اليمنى للقاطول الكسروي ثم ينحرف فيسير باتجاه الجنوب مسافة أحد عشر كيلومتراً تقريباً حتى يصل بئر العجم ، وبعد أن يترك بئر العجم على يساره يستمر في الاتجاه الجنوبي مسافة ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلومتر حتى ينتهي الى « البركة الجعفرية » الواقعة شمالي القصر الذي في « المشرّحات » . ويسمي الاهلون اليوم آثار هذا النهر باسم « خيط عبد الصالح » (راجع الرسم رقم ١٣ « خارطة حير المتوكل للوحوش ») .

٤ ـ « نهر نيزك » وقواطيل ابن سرابيون الثلاثة

ولنهر نيزك اهمية خاصة، فهو أول نهر يتفرع من القاطول الكسروي في قسمه الأعلى وبذلك فهو اقرب فروع القاطول الى مدينة «سرّ من رأى» ، وعلى هذا الأساس فهو يلقي ضوءً على بعض الامور الغامضة فيما يتعلق بالمنشئات التي تأسست في ضواحي «سرّ من رأى» من جهة الشرق والجنوب، حيث كان يتفرع من نهر نيزك عدة تفرعات من ضفته الغربية وهذه تتجه الى الجنوب الغربي نحو أراضي « المطيرة » و « بركوارا » فتموّن هذه المنطقة بالمياه . ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن ابن سرابيون توهم فذكر ان هناك ثلاثة قواطيل تأخذ المياه من نهر دجلة من أسفل «سرّ من رأى» بفرسخين بين «المطيرة» و «بركوارا» وهذه تنصب في القاطول الاعلى الكسروي ، وقد سمي الاول من الشمال « اليهودي »

---

(١) راجع الطبري ٣ : ١٦٩٥

وعليه « قنطرة وصيف » وسمّي الثاني وهو الاوسط « المأموني » ، اما الثالث فسماه « أبا الجند » ووصفه بأنه « اجلّها وأعمرها شاطياً يمر بين ضياع وقرى ويتفرع منه انهار تسقي الضياع التي على شاطيء دجلة الشرقي ويصب اكثرها الى دجلة». ولا شك في ان قاطول أبي الجند، الذي يشير اليه ابن سرابيون، ويصفه بأنه أكبر القواطيل الثلاثة هو القاطول الاسفل (قاطول الرشيد أو مجرى القائم) الذي ذكره المؤرخون العرب، والذي تقدم البحث عنه . أما القاطولان الآخران فلم يرد ذكر لها في أي مصدر آخر عدا « تقويم البلدان » لأبي الفداء ، ولا شك في ان رواية أبي الفداء مستقاة من كتاب ابن سرابيون إذ نلاحظ بأن النص الذي ورد في كتاب ابن سرابيون نقل حرفياً . وذلك لايتفق مع الواقع لأن طبيعة الأرض هناك لا تساعد على فتح مجرى من نهر دجلة في هذا المكان ثم صبه الى القاطول الكسروي الأعلى، بدليل ان الأراضي في هذه المنطقة تنحدر من القاطول الأعلى وهي تهبط في مستواها كلما اقتربت من نهر دجلة حتى تنتهي الى اخفض نقطة عند نهر دجلة . ولعل هذان القاطولان اللذان يشير اليهما ابن سرابيون ماهما إلا فرعان من « نهر نيزك » كانا يمتدان الى غربي حديقة المتوكل للحيوانات ثم يدخلان الى منطقة « المطيرة » و « بركوارا » وبعد ذلك يصبان في دجلة هناك . ومما يدل على أن أحد هذين الفرعين كان يمر بـ « المطيرة » ان القنطرة التي انشئت هناك سميت باسم « قنطرة وصيف » نسبة الى وصيف وهو الذي انتقل الى « المطيرة » في عهد الواثق[1] . وهذا دليل أيضاً على أن هذا الفرع فتح في زمن المتوكل عند انشاء مشروع « نهر نيزك » فسميت القنطرة التي عليه باسم وصيف الذي كان يسكن في المطيرة في ذلك الوقت . وقد أشار الشابشتي الى دير بأسم « دير مرمار » (سماه ياقوت مرماري) يقع عند قنطرة وصيف هذه فقال انه « دير عامر كثير الرهبان ، حوله كروم وشجر ، وهو من مواضع

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « المطيرة » في ص ٥٨ و ٥٩ — ٦١ و ٦٥ — ٦٦

النزهة والبقاع الطيبة الحسنة» . وفيه انشد الفضل بن العباس بن المأمون قائلاً :

انضيت في سر من را خيل لذاتي ... ونلت فيها هوى نفسي وحاجاتي
عمّرت فيها بقاع اللهو منغمساً ... في القصف ما بين انهار وجنات
بدير مرمار إذ نحيي الصبوح به ... ونعمل الكاس فيه بالعشيات
فكم به من غزال شادن لبق ... يصيدنا بالألحاظ البابليّات[1]

ولا شك في ان الانهار التي كانت تروي البساتين هناك كانت تستمد مياهها من القاطول الاعلى الكسروي آنذاك[2] .

٥ ـ حير الحيوانات

لنبحث الآن في كل من اعمال المتوكل المتصلة بمشروع « نهر نيزك » فنبدأ أولاً بـ « حير الحيوانات » : تقع هذه الحديقة، كما يتضح من الخارطة المرفقة ، (راجع الرسم رقم ٠٣) خارج مدينة «سرّ من رأى» ومشتملاتها من جهة الشرق بين القاطولين ، القاطول الأعلى الكسروي وبين القاطول الأسفل (نهر القائم) ، وهي مسوّرة بسور من الطين يحيط بها من جميع اطرافها . ويستدل من آثار هذا السور على ان الحديقة كانت مستطيلة الشكل تمتد ضلعاها الجانبيتان باتجاه الشمال ، أما الضلعان الاخريان فان الضلع الشمالية التي تمتد من الغرب الى الشرق تتصل بكل من الضلعين الجانبيتين في ركنيها بزاوية قائمة . اما الضلع الجنوبية فتنحرف قليلاً باتجاه الجنوب الشرقي فتسير على محاذاة نهر القاطول الاسفل (مجرى القائم) على مسافة ٦٥٠ متراً تقريباً من ضفته اليسرى ، وتتصل الضلع الاخيرة هذه بالقصر الذي بالمشرحات حيث يقع في منتصف هذه الضلع تماماً .

---

(١) انظر « مسالك الابصار في ممالك الامصار » الجزء الاول (طبعة مصر) ص٢٨٢ـ ٢٨٣ .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص برأي هرزفلد في قواطيل ابن سرابيون الثلاثة المذكورة في ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤

ويبلغ طول الضلع الغربية السور ستة كيلومترات ونصف كيلومتر تقريباً وطول الضلع الشرقية حوالي تسعة كيلومترات ونصف كيلومتر . أما طول الضلعين الاخريين فان طول الضلع الشمالية، التي تتصل بكل من الضلعين الجانبيتين بزاوية قائمة، يبلغ زهاء ستة كيلومترات ونصف كيلومتر وطول الضلع الجنوبية المنحرفة سبعة كيلومترات تقريباً ، وبذلك يبلغ مجموع طول محيط الحديقة حوالي ثلاثين كيلومتراً ، اما مساحتها فتبلغ حوالي ثلاث وخمسين كيلو متراً مربعاً ، أي واحد وعشرين الف دونم عراقي (مشارة) تقريباً .

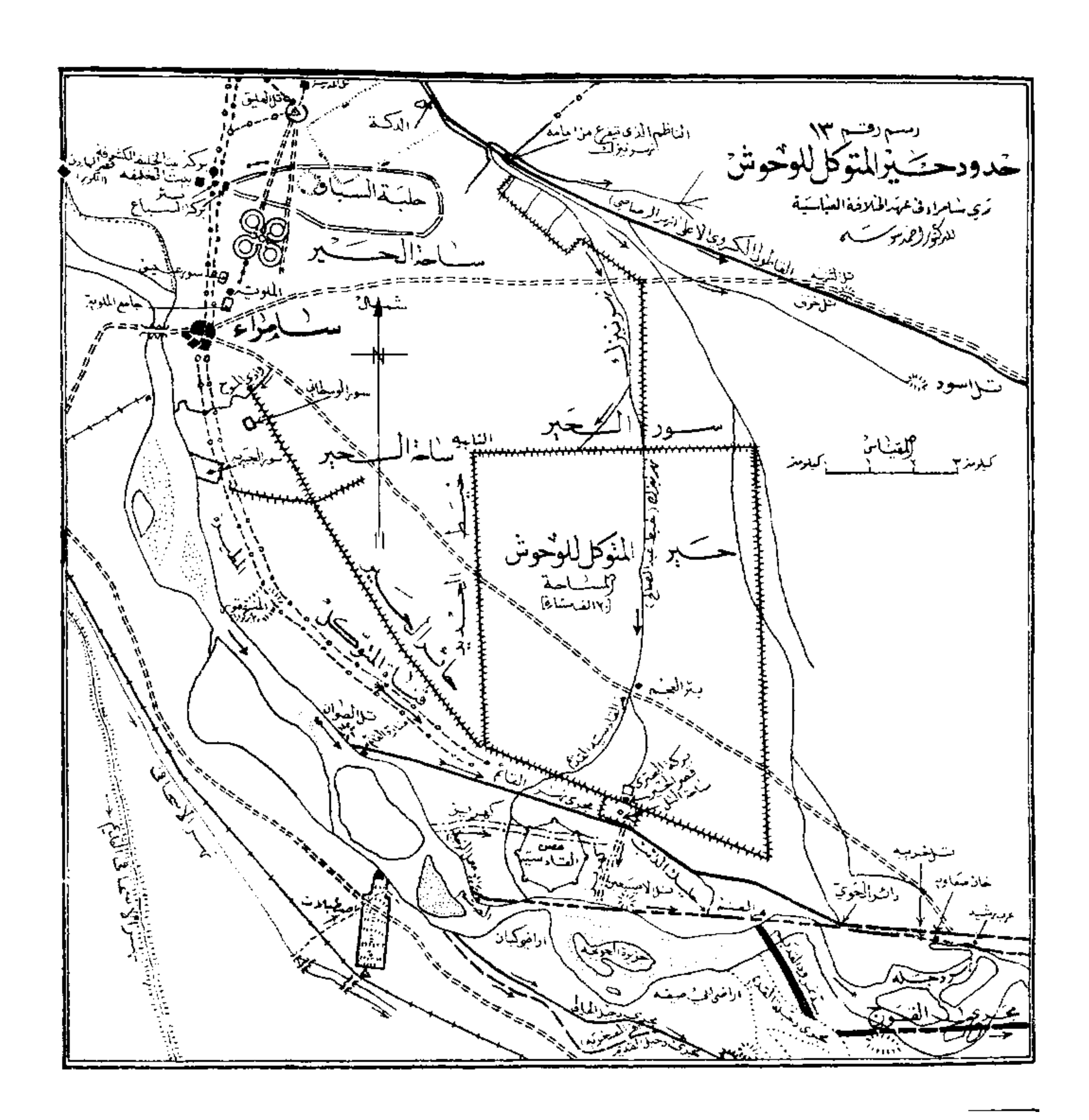
ويمكن تتبع آثار سور الحديقة على طول اضلاعه الاربع، عدا بعض اقسامه التي اخترقتها المزارع الحديثة والآبار التي حفرت في تلك المنطقة ومكائن الضخ التي نصبت هناك في السنوات الأخيرة ، أما زوايا السور الاربع فواضحة المعالم، جليلة الآثار، ويسمي الاهلون الزاوية باسم « الطابية » . وتتصل الضلع الغربية لسور الحديقة بسور مدينة « سرّ من رأى » الخارجي ، عند الركن الجنوبي الغربي لسور الحديقة، فيتكوّن بذلك مثلث قاعدته سور مدينة «سرّ من رأى» الخارجي الذي يمتد من الزاوية الجنوبية الغربية للحديقة الى « قصر بركوارا » ومن ثم الى « جامع الملوية » ، وهو على الارجح السور الذي اطلق عليه اليعقوبي اسم « حائر الحير »[1] ، وضلعه الشرقية السور الغربي لحديقة الحيوانات . اما ضلعه الغربية فتتكوّن من المسافة التي تمتد من جامع الملوية حتى الركن الشمالي الغربي لسور الحديقة، ويبلغ طول الخط الأخير حوالي ستة كيلو مترات ، وبضمن هـذه المسافة تقع ساحة الحير التي مرّ ذكرها فيما تقدم[2] . اما طول السور الخارجي لمدينة «سرّ من رأى» أي قاعدة المثلث فيبلغ حوالي أحد عشر كيلومتراً .

وقد أيد المؤرخون العرب وجود هذه الحديقة خارج مدينة «سر من رأى»

---

(١) راجع البحث الذي تقدم الخاص بـ « حائر الحير » في ص ١٠٦ ــ ١٠٨

(٢) راجع البحث الذي تقدم الخاص بـ « ساحة الحير » في صفحة ١١٦


رسم رقم ١٣
حدود حير المتوكل للوحوش
في سامراء في عهد الخلافة العباسية
للدكتور احمد سوسه
حلبة السباق
ساحة الحير
سامراء
سور الحير
حير المتوكل للوحوش
المساحة
تل اسود
القياس
حصن القادسية

خلف السور الخارجي للمدينة ، كما ايدوا في رواياتهم وجود بقعة فسيحة من الارض في شرقي المدينة ، بين الحديقة وحدود المدينة الخارجية ، وكانت تعرف هذه البقعة باسم « ساحة الحير » نسبة الى حير الحيوانات الواقع شرقي المدينة . ويظهر انه كلما توسع العمران الى جهة الشرق وامتد الى هذه البقعة ، قلع السور الخارجي القديم وبني سور آخر خلف العمران الجديد . أما الحائط الذي بني في زمن المعتصم فكان يسمى بـ « حائر الحير » ، وهذا على ما نعتقد تغيّر في زمن المتوكل فامتد الى الشرق حتى صار في الحد الذي تمتد اليه آثار السور الخارجي الحالي الذي يمتد من موقع الملوية متجها الى الجنوب الشرقي حتى يتصل بالركن الجنوبي لسور حديقة الحيوانات ، وهو السور المعروف اليوم باسم « سور البطاوي » ، وان اتصال هذا السور بالزاوية الغربية الجنوبية لسور حير الحيوانات أكبر دليل على ان حير الحيوانات كان يؤلف جزءاً من منشئات المتوكل التي امتدت الى خارج مدينة «سر من رأى» شرقاً .

وكانت الشوارع التي تقع على الحدود الشرقية من المدينة تسمى «شوارع الحير»، منها «شارع الحير الجديد» الذي فتحه المتوكل[1] . وقد جاء فيما ذكره اليعقوبي ما يؤيد أنه كان للحديقة سور يحيط بها من كل اطرافها ، وأن الحديقة تقع في ساحة واسعة خلف سور المدينة ، وإليك ما كتبه في هذا الصدد قال :ـ « وهذه الشوارع التي من الحير كلما اجتمعت الى اقطاعات لقوم هدم الحائط وبني خلفه حائط غيره وخلف الحائط الوحش من الضباء والحمير الوحش والايايل والارانب والنعام وعليها حائط يدور في صحراء حسنة واسعة . »

ويلاحظ أن هرزفلد قد اعتبر في خارطته التي رسمها لمدينة سامراء، وفيما كتبه عن سامراء أن حديقة الحيوانات موضوعة البحث تقع في شمال جامع الملوية قرب

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن شوارع مدينة سر من رأي والتوسع الذي اجري في زمن المتوكل على الحدود الشرقية للمدينة اي ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

تل العليق. وهذا لا يتفق، ليس مع الآثار الحالية التي أشرنا اليها حسب، ولكنه لا يتفق مع ما دوّنه المؤرخون في هذا الصدد ايضاً كما يتضح مما تقـــدم ذكره . ويظهر من مجرى الحوادث أنه كان هنالك حير في حدود مدينة «سر من رأى» الخارجية على عهد المعتصم وهذا كان سبب تسمية أحد شوارع المدينة في ذلك العهد بأسم « شارع الحير الاول » ، وقد أشار الى هذا الحير وإلى الخيل الذي فيه محمود بن الحسن الورّاق ، وهو شاعر مشهور كانت وفاته في خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠هـ ، قال : « كنت جالساً بطرف الحير حير سر مـن رأى ومعي جماعة ننظر الى الخيل فمر بنا ابو تمام فجلس الينا » [١].

وكان في قصر الحير في سورية ، وهو القصر التـأريخي المعروف ، حديقة حيوانات من نوع حير المتوكل للوحوش المبحوث عنه أعلاه ، ويبلغ طول هذه الحديقة حوالي تسعة كيلومترات وعرضها كيلومتراً ونصف كيلومتر ، محصنة بسور من كل اطرافهـا ، على نحو ما هو عليه حير المتوكل . ولعل القصر سمي بقصر الحير لوجود الحير الى جانب القصر [٢]. وقد ظن بعض المؤرخين أنـــ البقعة المسوّرة الى جانب قصر الحير المذكور كانت تشكل بحيرة اصطناعية تابعة للقصر إلا أن المستر كريسويل (K. A. C. Creswell) يؤيد بأن المكان كانـــ بدون شك حيراً للوحوش وانه كان قد أنشأه الخليفة هشام ليتصيد فيه وقد انشيء السور لحصر الوحوش داخله [٣].

ومما يدل على أن الساحة التي تقع فيها حديقة المتوكل للحيوانات كانت تسمى بالحير، وانها كانت الى جانب القاطول، وصف البحتري لحديقة الحيوانات في شعره،

---

(١) راجع كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر الصولي ص ١٤٧ .

(٢) حول قصر الحير هـذا وسوره المذكور ، راجع مجلة سوريا الفرنسية Syrie الجزء الثامن ص ٣٠٢ — ٣٢٩ .

(٣) راجع مجلة سوريا أيضاً الجزء الثامن عشر سنة ١٩٣٧ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

فقد سماها بالحير أي بمعنى الحديقة أو البستان،فقال وهو يخاطب المتوكل مشيراً الى حيوانات الحديقة :

يرعن منك الى وجه يرين له ... جلالة يكثر التسبيح رائيها

حتى قطعت بها القاطول وافترقت ... بالحير في عرصة فسح نواحيها

ومما يؤيد قول البحتري أن حديقة حيوانات المتوكل هـذه كانت تدعى بالحير انه جاء ذكر حديقة حيوانات في مدينة بغداد الشرقية بأسم الحير أيضاً ، إذ ذكر ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم » أن بعض جند المقتدر (٢٩٥— ٣٢٠هـ = ٩٠٨ — ٩٣٢م .) شق عصا الطاعة فنهب قصر الثريا وذبح الوحش الذي في الحير ، وإليك ما كتبه في هـذا الصدد قال : « وفي سنة ٣١٥ هـ . شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا الى المصلى فنهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا الوحش الذي في الحير وذبحوا البقر التي لأهل القرى التي حوله وخرج اليهم مونس وضمن لهم ارزاقهم فرجعوا الى منازلهم . » وقد جاء ذكر هذا الحير ايضاً لمناسبة وصف الاماكن التي ادخل اليهـا رسل صاحب الروم قبل وصولهم الى حضرة الخليفة المقتدر بالله ، إذ ورد في « مقدمة تاريخ بغداد » للخطيب (ص ٥٣) انه بعد أن ادخل الرسل الى الدار المعروفة بخان الخيل التي فيهـا خمسمائة فرس « ادخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من اصناف الوحش التي اخرجت اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتتشممهم وتأكل من ايديهم ثم اخرجوا الى دار فيهـا اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمنية نفر من السند والزراقين بالنار فهال الرسل أمرها ثم اخرجوا الى دار فيها مائة سبع خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد[1] . »

---

(١) يستدل مما ذكره المؤرخون أن حير الوحش هذا هو من أعمال المأمون (١٩٨ — ٢١٨هـ . = ٨١٣ — ٨٣٢م .) حيث جاء في معجم ياقوت أن الحير كان قد انشيء من قبل المأمون قبل توليه الخلافة ، وقد انشأ بجواره ميداناً لركض الخيل واللعب =

ولعلّ الوحش الذي في هذا الحير هو من جملة الوحش الذي نقل من حير «سرّ من رأى» الى حير بغداد، وذلك بعد أن تم ارجاع مقر العاصمة الى مدينة السلام في عهد المعتضد (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ = ٨٩٣ ـ ٩٠٢ م) .

٦ ـ حير الحيوانات حسب وصف البحتري

ويستفاد من أشعار البحتري الكثيرة ان عدد الحيوانات ، التي كانت في الحير الذي انشأه المتوكل ، يقدر بألفي وحش ، وفي ذلك قال وهو يخاطب المتوكل :

الفان وافت على قدر مسارعة ... الى قبول الذي حاولته فيها

كما يستدل من هذه الاشعار انه كان في الحير عدد من السباع ، ونحن ننقل هنا بعض ما أنشده في وصف مبارزة الفتح ابن خاقان للأسد ، وهو في اجمته ، وسط الاشجار المشتبكة على نهر نيزك قال :

وقد جرّبوا بالأمس منك عزيمة ... فضلت بها السيف الحسام المجرّبا

غداة لقيت الليثَ والليثُ مخدر ... يحدّد نابا للقـاء ومخلبـا

يحصنه من نهر نيزك معقل ... منيع تسامى روضـه وتأشّبـا

يرود مغاراً بالظواهر مكثباً ... ويختلّ روضاً بالاباطح معشبا

يلاعب فيـه أقحوانا مفضضـاً ... يبص وحوذانا على الماء مذهبا

= بالصوالجة وقد ألحق الميدان والحير بالقصر المعروف بالجعفري وهو القصر الذي بناه جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قبل أن أوقع الرشيد بالبرامكة ، ثم سمي هذا القصر بالمأموني ثم الحسيني عند ما وهبه المأمون الى عمه حسن بن سهل وذلك بعد أن تزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل ، واليك ما كتبه ياقوت في مادة «التاج» قال : « وكان قصر الجعفري أحب المواضع الى المأمون وأشهاها لديه واقتطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة وحيراً لجميع الوحوش وفتح له باباً شرقياً الى جانب البرية وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلى وابتنى مثله قريباً منه منازل برسم خاصته وأصحابه سميت المأمونية » .

اذا شاء غادى عانة أو غدا على عقائل سرب إن تنقّص ربربا
يجرّ الى أشباله كل شارقٍ عبيطاً مدمّى أو رميلاً مخضّبا

ومما يؤيد وجود السباع في حير المتوكل ، ما ذكره المسعودي عن قتلها على عهد المهتدي (٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ . = ٨٦٩ ـ ٨٧٠ م) ، وهذا نصه : « وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره الى القصد والدين فقرّب العلماء ورفع من منازل الفقهاء وعمّهم ببرّه وكان يقول يا بني هاشم دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبدالعزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبدالعزيز في بني أمية وقلل في اللباس والفرش وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيت وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين أيدي الخلفاء والديوك وقتل السباع المحبوسة ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة باباحته[1] » .

وأخيراً فاننا نكرر انشاد أبيات البحتري ، التي يصف بها حديقة الحيوانات ونهر نيزك ، وهو يخاطب المتوكل : ـ

وطاعة الوحش اذا جاءتك من خرق أحوى وأدمانة كحل مآقيها
كالكاعب الرّود يخفي في ترائبها ردع العبير ويبدو في تراقيها
ألفانِ وافت على قدر مسارعة الى قبول الذي حاولته فيها
ان سرت سارت وان وقفتها وقفت صوراً اليك بالحاظ تواليها
يرعين منك الى وجه يرين له جلالة يكثر التسبيح رائيها
حتى قطعت بها القاطول وافترقت بالخير في عرصة فسح نواحيها

فنهر نيزك ورد من مواردها وساحة التل مغنى من مغانيها
لولا الذي عرفته فيك يومئذ لما اطاعك وسط البيد عاصيها
فضلان حزتها دون الملوك ولم تظهر بنيلها كبراً ولا تيها

(١) راجع الجزء الثامن ص ١٩ ـ ٢٠

وقال البحتري وهو يرثي المتوكل بعد مقتله : ـ

محلّ على القاطول اخلق دائره ... وعادت صروف الدهر جيشاً تغاوره
كأن الصبا توفي نذوراً اذا انبرت ... تراوحه اذيالها وتباكره
وربّ زمان ناعم ثم عهده ... ترق حواشيه ويورق ناضره

....

ولم أنس وحش القصر[1] اذ ريع سربه ... وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
وإذ صيح فيه الرحيل فهتكت ... على عجل استاره وستائره
ووحشته حتى كأن لم يقم به ... أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة ... بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها ... وبهجتها والعيش غضّ مكاسره

فنستخلص من كل ما تقدم ان الحير المذكور كان يضم عدداً كبيراً من الحيوانات المفترسة والوحوش الضارية ، وكانت هذه الضواري في الاقفاص ، وضمن الجدران الداخلية، وكان قسم آخر منها، وهو القسم الاكبر، طليقاً وسط الحير الواسع، وكانت مساحة الحير من السعة بحيث يسهل معها الصيد والقنص .

٧ ـ قصر المتوكل في الحير

ومن أهم ما يلفت النظر ان الحير الذي تقدم وصفه لم يكن حديقة حيوانات، ولا كان مكاناً للصيد والقنص حسب ، وانما كان موضعاً لتنزهات الخليفة ولأنسه أيضاً ، لاننا نجد في الحد الجنوبي من الحديقة آثار قصر واسع مستطيل الشكل يقع في منتصف الضلع الجنوبية لسور الحديقة من الداخل ، ويبلغ عرضه الذي يمتد مع السور ١٢٥ متراً وطوله الذي يمتد الى الشمال في داخل السور ١٦٥ متراً ، أي بمساحة حوالي ٢٠٫٠٠٠ متر مربع ، ولعل القصر المذكور انشيء في حير

(١) يقصد بالقصر ، القصر الذي في حديقة الحيوانات ، وهو القصر الذي تقع أمامه البركة الجعفرية وسيأتي البحث عنه فيما يلي .

الحيوانات عملاً بعادة الفرس القدماء الذين كانوا يجعلون حير الوحوش متصلا بالقصر الملكي .

وواجهة هذا القصر مقابلة للشمال، وأمامها بهو مستطيل على شكل دكة بعرض خمسين متراً، يشرف على بركة مربعة واسعة يبلغ طول اضلاعها مئتي متر تقريباً ، أي بمساحة حوالي أربعين ألف متر مربع ، وهذه هي البركة الجعفرية التي وصفها البحتري بدون أي شك . وسنأتي على وصف تقسيماتها الداخلية من سواق ودكات ومقصورات في فصل تال . أما من الجنوب فيوجد خلف القصر ساحة كبيرة مستطيلة مسوّرة بسور من الطين واللبن فتمتد الى حد الضفة اليسرى للقاطول الاسفل (نهر القائم) . وتمتد هذه الساحة مسافة ٦٥٠ متراً في الطول نحو الجنوب حتى تتصل بالضفة اليسرى لنهر القائم ، أما عرضها باتجاه الضلع الجنوبية لسور الحديقة ، فيبلغ حوالي ٩٥٠ متراً ، وبذا تكون مساحتها حوالي ٦٢٠,٠٠٠ متر مربع . وفي وسط هذه الساحة الجميلة مصطبة اصطناعية تشرف على القاطول الاسفل من جهة، وعلى القصر وحديقة الحيوانات من جهة أخرى ، ولعل « ساحة التل » التي ذكرها البحتري في شعره هي نفس هذه الساحة، وقد سماها «ساحة التل» نسبة للتل الذي يقع في وسطها[1] . وتوجد على كل من جانبي هذه الساحة قطعة مستطيلة من الأرض مسوّرة بسور من الطين أيضاً تمتد على طول الساحة الى مسافة ٦٥٠ متراً ، أما من جهة العرض فتسير موازية الضفة اليسرى لنهر القائم مسافة ١٢٥ متراً تقريباً ، وبذلك تبلغ مساحة كل من هاتين القطعتين حوالي ٨٠,٠٠٠ متر مربع . وفي هاتين القطعتين آثار أبنية منتشرة على طولها لعلها كانت من جملة الأبنية التي أعدّت لرجال حاشية القصر وللقائمين بأعمال حديقة الحيوانات (راجع الرسم رقم ١٤) .

---

(١) راجع وصف البحتري لحديقة الحيوانات ونهر نيزك في صفحة ٢٩٦

وقد جاء ذكر القصر نفسه والحير والقاطول في الأبيات التي نظمها الصولي ، وهو يمدح « سرّ من رأى » فأنشد قائلاً : ـ

بسرّ من رأى بلاد الملك طاب لنا | معرّس عيشه بالانس منظوم
أرض متى اختلست الحاظها نظرا | اهتاج ذو طرب وارتاح مهموم
والحير والقصر والقاطول جنّتها | والجعفري بكف الدهر مزموم
منازل آنست دهراً فأوحشها | ظلم الزمان فمثلوم ومهدوم
عفت وغيّرها وصل الرياح لها | والوصل منها بحبل الهجر محتوم[1]

وذكر البحتري القصر فيما أنشده عن دكتي البركة التي أمام القصر قال :

وأرى الدكتين بينها اطواف روض كالوشي في الوانه
ذاك قصر مبارك تقصر الاعين دون الرفيع من بنيانه

ومما يدل على ان بناء الحير هو المكان الذي كان المتوكل يأوي اليه في أنسه وطربه انه لما احضر اسحق الموصلي من بغداد الى سامراء ليغنّي في حضرته ، قال أبو عبد الله وهو يعبّر عن تأثير غناء اسحاق في نفوس الحاضرين ، مشيراً في الوقت نفسه الى وجودهم في الحير ما نصه : « فوالله ما بقي غلام من الغلمان الوقوف على الحير إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل فأمر له المتوكل بمائة الف درهم » .

ويظهر ان القصر كان لا يزال موجوداً في أوائل القرن الرابع الهجري حيث ذكره جحظة البرمكي في شعره الذي نظمه في حوالي سنة ٣٢٦ ﻫ وقال في وصفه :

الأهل الى الغدران والشمس طالعة | سبيل ونور الخير مجتمع الشمل
ومستشرق للعين تغدو ضباؤه | صوائد البـاب الرجال بلا نبل
الى شاطيء القاطول بالجانب الذي | به القصر بين القادسية والنخل[2]

(١) راجع كتاب « الاوراق » للصولي ، الجزء الثاني (ص ١٨١) .
(٢) راجع ما تقدم في صفحة ٢٤٦

٨ ـ قصر المتوكل في الجبر وقصر الرشيد على القاطول

شرحنا فيما تقدم تفاصيل النتائج التي توصلنا اليها فيما يختص بموقع المشرحات، ونرجح للاسباب التي بسطناها آنفاً ان موقع المشرحات هذا هو نفس المكان الذي كان انشأ الرشيد قصره فيه . وقد كان من الطبيعي ان يختار المتوكل هذا المكان لينشيء فيه حديقته الواسعة وقصره الجميل وبركته الحسناء ، لان الوسائل المتوافرة في هذا المكان لم تتوافر في أي مكان آخر من منطقة سامراء لانشاء الحدائق والمتنزهات ، فهو يقع في سهل خصب جميل يحيط به القاطولان من الجانبين ثم يسهل سقيه سيحاً من القاطول الأعلى الكسروي وصرف مياهه الزائدة الى القاطول الاسفل (مجرى القائم) ، الأمر الذي يساعد على انشاء الحدائق والجنائن والبرك فيه بنجاح مضمون . وقد جاء في أقوال الشعراء ما يؤيد ان مكان المشرحات هو نفس المكان الذي كان فيه قصر الرشيد، ومن جملة هذه الاقوال وصف الحسين بن الضحاك القاطول والقصر الذي فيه وذلك حين كان الواثق يتصيد بالقاطول قال وهو يخاطب الواثق :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخصّ بسقياه مناكب قصركا

٩ ـ خرائب القصر والتنقيب فيها

ومن الغريب ان أحداً من الاخصائيين الأثريين والمتتبعين في شؤون سامراء لم يصل الى موضع المشرحات على ما وصل اليه عاملنا القليل ، واذا كان قد وصل اليه أحد فانه لم يلاحظ على ما ظهر أهميته بالنسبة الى خطط مدينة سامراء وعمرانها . ومن حسن الحظ ان خرائب القصر الذي تقدمنا بذكره لا يزال معظمها على وضعها الطبيعي لم تمسه يد انسان على ما يظهر خلافاً لما هي عليه الحال في كثير من الخرائب الاخرى التي اقتلع الاهلون معظم آجرها ان لم يكن كلها لاستعماله في بناياتهم وفي إنشاء الآبار المنتشرة في هذه المنطقة ، ولعل السبب

في ذلك يرجع الى بعد هذا الموضع عن مدينة سامراء ووقوعه في مكان بعيد عن طرق السير المطروقة .

وكيف كان فاننا نترك أمر التنقيب عن هذا القصر واستكناه بعض حقائقه الى دائرة الآثار وكل ما يهمنا قوله في هذا الصدد ان آثار هذا القصر معاصرة البركة الجعفري التي تقع امامه من دون أي شك ، أي انها تعود الى عهدالمتوكل . ويلاحظ ان دائرة الآثار العراقية التي علقت على النتائج التي توصلنا اليها في هذا الشأن ترى بأن القصر كان من عمل المعتصم ، اما سور حير الحيوانات الذي يتصل بالقصر في حدوده الجنوبية فلم تتطرق له ، على حين ان القصر متصل بسور حديقة الحيوانات وليس هناك أي شك في ان منشيء القصر هو الذي انشأ سور الحديقة ، وان البحث الذي تقدم يؤيد لنا بأن القصر والسور انشئا على عهد المتوكل (راجع ما تقدم في ص ٢٦٤ و ٢٦٧) .

١٠ - قصرا الصبيح والمليح وقصر المتوكل في الحير

وعلى الرغم من ان هناك بعض دلائل تحملنا على الاعتقاد بأن قصري «الصبيح» و«المليح» ، اللذين انشأهما المتوكل ، يقعان في هذا الموضع ، فاننا لا نود أن نجزم بذلك حتى تقوم دائرة الآثار بتنقيباتها فيهذا الموضع لتكشف الستار عن هذا البناء وتنورنا عن دخائله . اما الدلائل المذكورة فهي ان البحتري لما وصف قصري الصبيح والمليح في اشعاره اعتبر موقعهما في نفس الموضع الذي تقع فيه البركة الجعفرية وجدولها ، كما انه ذكر ان قصر الصبيح تم انشاؤه في وقت متأخر حتى صارت هناك دار للسكنى فضلاً عن دار اللهو والانس التي كانت موجودة قبل ذلك ، ذلك مما يدل على ان المليح كان يقتصر على بناء معد للأنس واللهو فقط وقد كان موجوداً قبل الصبيح . ويشير البحتري أيضاً الى ان المكان هو من امكنة الملوك الأوائل ، وعلى هذا فقد يصح أن نفسر ذلك ان قصر المليح هو قصر الرشيد القديم على القاطول ثم جاء المتوكل

فأعاد بناءه وانشأ البركة والخير امامه ثم أضاف اليه قصر الصبيح . ومما يؤيد انه كان قصر ملكي يعود الى ما قبل عهد المتوكل في هذا المكان ما ذكره المؤرخون من ان المهتدي ابن الواثق كان مولده في القاطول .

ومن جملة ما يذكره البحتري ان المتوكل أعد في هذين القصرين مكاناً خاصاً بالصلاة . واليك ما أنشده في قصيدة يمدح بها المتوكل ويصف بها الصبيح والمليح قال : —

واستتم الصبيح في خير وقت	فهو مغنى انس ودار مقام
ناظر وجهة المليح فلو يستطيع	حيّاه معلناً بالسلام
البسا بهجة وقابل ذا ذاك	فن ضاحك ومن بسّام
كالحبين لو أطاقا التقاء	أفرطا في العناق والالتزام

. . .

مستمد بجدول من عباب الماء	كالأبيض الصقيل الحسام
واذا ما توسط البركة الحسناء	ألقت عليه صبغ الرخام
فتراه كأنه ماء بحر	يخدع العين وهو ماء غمام

. . .

انّ خير القصور أصبح منزهواً	بكره الهدى لخير الأنام
حاور الجعفري وانحاز شبدار[1]	اليه كالراغب المعتام
حلل من منازل الملك كالأنجم	يلمعن في سواد الظلام

. . .

غرف من بناء دين ودنيا	يوجب الله فيه أجر الامام
شوّقتنا الى الجنان فزدنا	في اجتناب الذنوب والآثام
وبها تشرب الأوائل ملكا	وتباهي متكاثري الاسلام

---

(١) « شبداز قصر عظيم من ابنية المتوكل بسر من رأى » (ياقوت) .

ومما ذكره ياقوت في معجمه ان كلفة انشاء قصر المليح بلغت خمسة آلاف ألف درهم ومثل ذلك كانت كلفة انشاء قصر الصبيح .

١١ ـ رأي هرزفلد في قصر المشرحات وفي الحير

ان من جملة الأمور التي طلبت مديرية الآثار العراقية العامة الى الدكتور هرزفلد ، العلامة الالماني ، بيان رأيه فيها موضع المشرحات وكان ذلك على أثر نشرنا لأول مرة بعض المعلومات الجديدة عن ذلك المكان[١] ، فأجاب بكتابه الى المديرية المذكورة بتاريخ ٢٧ تموز سنة ١٩٤٧ بما يلي :—

« ان القصر الذي وصفتموه ومعه البحيرة المنسقة كان اسمه المألوف أثناء وجودي هناك (المشرحات) ، ففي جهته الغربية مباشرة يتصل به جدار ينزل من الشمال ــ أو الشمال الغربي قليلاً ــ وهذا الجدار ينتهي في البناية وفي ضفة الجدول العالية . وهناك في الجهة الشمالية الشرقية تقع ضفاف القاطول الكسروي أيضاً التي تكون مع الجدار والجدول حدود ساحات الصيد الواسعة التابعة لحائر الحير . لذلك اني اعتقد بأن بناء المشرحات انشيء خصوصاً لغرض الصيد[٢] » .

---

(١) راجع البحث الذي تقدم حول الموضوع في صفحة ١٦١ .

(٢) وهذا نص كلامه بالانكليزية :—

« The palace you describe as « with ornamental lake » had the popular name al - musharrahat when I was there. Just at its Western side a wall comes down from the north (or slightly northwest) , ending at the building and at the high dam of the canal. The wall & the canal, moreover in the northeast the dams of the Q. al - Kisrawi, form the limits of the enormous hunting grounds of the Hair al - Hair, therefore I believe the musharrahat were especially built for hunting . »

ويظهر مما تقدم انه لم يكن في وسع هرزفلد تتبع آثار سور الحير كلها لانه لم يشر الى غير ضلع واحدة منها وهي الضلع الغربية،ثم يشير الى نهر يسير بموازاة هذا الضلع ، وان هذا النهر هو نهر نيزك المتقدم ذكره والذى ينتهي عند البركة الجعفرية التي امام المشرحات . ويتضح مما تقدم أيضاً ان هرزفلد يؤيد بوجه عام ما ذهبنا اليه حول القصر والحديقة،أي أن القصر متصل بسور الحديقة،إلا انه لم يقتبع تفاصيل الموضوع ، والدليل على ذلك هو ان بعد أن زودناه بنسخة مما نشرناه حول الموضوع أيد لنا في كتابه المرسل الينا بتاريخ ٢٩ آب ١٩٤٧ بأنه يتفق وايانا في كل ما ذهبنا اليه ما عدا رأينا في حصن القادسية فانه كان متردداً في تأييده[١] .

---

(١) راجع البحث الذي تقدم حول الموضوع في صفحة ٢٦١ .

الفصل السابع

البركة الجعفرية

١ ـ البركة الجعفرية والبحتري

بحثنا في الفصل المتقدم عن قصر الخير ، الذي في المشرحات ، ونبحث في هذا الفصل عن البركة التي أمام القصر ، وهي البركة التي كان نهر نيزك ينتهي عندها والتي دلتنا تتبعاتنا على انها البركة الجعفرية التي وصفها البحتري في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها (يا من رأى البركة الحسناء) . ويحسن بنا قبل ان نبحث عن الآثار الحالية لهذه البركة ان ننقل بعض الابيات من قصيدة البحتري التي يصفها بها لنكوّن فكرة عن البركة كما صورها لنا البحتري في شعره . وقد يرى البعض ان استنادنا الى هذه الاوصاف الشعرية مما يبعدنا عن الروح العلمية الفنية التي يتطلبها مثل هذا البحث الخطير ، نظراً لما تتخلله أوصاف الشعراء عادة من مبالغات وخيالات يكون معظمها من مخيلاتهم ، ورداً على هذا أن افتقار المصادر لهذا الموضوع لا يمنعنا من الاستعانة ببعض ما جاء خلال هذه الاوصاف الخيالية من أمور واقعية ملموسة كوجود الحدائق والبساتين حول البركة مثلا وكوجود نهر باسم «نهر نيزك» يتوسط تلك الحدائق وينتهي الى البركة ، ثم وجود الدكات في البركة والصحن في اسفلها والبهو في أعاليها ، وكذلك وجود الدواليب على البركة ، وهي الدواليب التي كان يديرها النمام ، وغير ذلك من الاوصاف التي تعد حقائق ملموسة قد يبني عليها الشاعر تصوراته وخيلاته . ولا تختلف بنظرنا هذه المعلومات التي يزودنا اياها الشعراء في قصائدهم بذكرهم اسماء القصور والمواقع المهمة ووصفها وصفاً شعرياً عن الآثار المتبقية من تلك الأماكن وهي الآثار التي نسترشد بها لمعرفة الشيء الكثير عنها .

٢ قصيدة البحتري في البركة

وتعدّ قصيدة البحتري في صفة البركة الجعفرية من أشهر وأبلغ المنظوم في تاريخ الأدب العربي حتى قيل انه سمع عبد الله بن المعتز يقول : « لو لم يكن للبحتري من الشعر إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى وقصيدته في وصفه البركة لكان أشعر الناس في زمانه[1] » .

والندوّن الآن الابيات التي تتصل ببحثنا هذا تحت ارقام متسلسلة لكي نشير الى كل منها بحسب ارقامها، على أن نوضح بعد ذلك كيف ينطبق ما جاء فيها من أوصاف على آثار البركة الحالية . وفيما يلي ما أنشده البحتري في صفة البركة قال : —

١ —	يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها	والآنسات اذا لاحت مغانيها
٢ —	يحسبها انها في فضل رتبتها	تعدّ واحدة والبحر ثانيها
٣ —	ما بال دجلة كالغيرى تنافسها	في الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
٤ —	أما رأت كالئ الاسلام يكلأها	من ان تعاب وباني المجد يبنيها
٥ —	كأن جن سليمان الذين ولوا	ابداعها فأدقوا في معانيها
٦ —	فلو تمرّ بها بلقيس عن عرض	قالت هي الصرح تمثيلاً وتشبيها
٧ —	تنصبّ فيها وفود الماء معجلة	كالخيل خارجة من حبل مجريها
٨ —	كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجري في مجاريها
٩ —	إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا	مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
١٠ —	فحاجب الشمس احياناً يضاحكها	وريّق الغيث أحياناً يباكيها
١١ —	إذا النجوم تراءت في جوانبها	ليلاً حسبت سماء ركّبت فيها
١٢ —	لا يبلغ السمك المحصور غايتها	لبعد ما بين قاصيها ودانيها
١٣ —	يعمن فيها بأوساط مجنّحة	كالطير تنقضّ في جو خوافيها

(١) « مقدمة تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (الطبعة الفرنسية ١٩٠٤) ص ٩١

١٤ـ	لهن صحن رحيب في اسافلها	إذا انحططن وبهو في أعاليها
١٥ـ	صور الى صورة الدلفين يؤنسها	منه انزواء بعينيه يوازيها
١٦ـ	تغنى بساتينها القصوى برؤيتها	عن السحائب منحلا عزاليها
١٧ـ	كأنها حين لجت في تدفقها	يد الخليفة لما سال واديها
١٨ـ	وزادها رتبة من بعد رتبتها	ان اسمه يوم يدعى من اساميها
١٩ـ	محفوفة برياض لا تزال ترى	ريش الطواويس تحكيه وتحكيها
٢٠ـ	ودكتين كمثل الشعرتين غدت	احداها بازاء الأخرى تساميها
٢١ـ	إذا مساعي أمير المؤمنين بدت	للواصفين فلا وصف يدانيها

وقد وصف لنا البحتري أيضاً في مكان آخر من قصائده الدواليب التي كانت على البركة فيديرها النعام ، فقال وهو يشير الى الجدول الذي ينتهي عند البركة :

٢٢ـ	وإذا ما توسط البركة الحسناء	ألقت عليه صبغ الرخام
٢٣ـ	فتراه كأنه ماء بحر	يخدع العين وهو ماء غمام
٢٤ـ	والدواليب ان يدرن ولا ناضح	يمشي بهن غير النعام
٢٥ـ	بدع انشئت لأولى عباد الله	بالركن والصفا والمقام

وقد تطرق البحتري الى دكتي البركة والقصر الذي خلفها في قصيدة اخرى يمدح بها المتوكل ، قال :

وأرى الدكتين بينهما أطراف روض كالوشي في الوانه
في ضروب من حسن نرجسه الغض ومن آسه ومن زعفرانه
ذاك قصر مبارك تقصر الاعين دون الرفيع من بنيانه[1]
فيه نال الامام تكرمة الله وفضل العطاء من احسانه
نسأل الله ان يتم فينا حسن أيامه وطيب زمانه

---

(١) لا شك في ان القصر المذكور هو القصر الذي يقع أمام البركة .

٣ - خلاصة وصف البحتري

أستخلص من ذلك كله الحقائق الملموسة التالية :—

١ — ان البركة كانت تسمى « البركة الجعفرية » نسبة الى منشئها جعفر المتوكل (البيت رقم ١٨) وقد اطلق البحتري عليها اسم « البركة الحسناء » (البيتان رقم ١ ورقم ٢٧) .

٢ — ان البركة كانت على مسافة قريبة من دجلة ، وكانت محفوفة ببساتين ورياض تتناجى فيها الطواويس على اغصان الاشجار التي كانت في الحديقة (البيتان رقم ٣ ورقم ١٩) .

٣ — كان للبركة حوض واسع (صحن رحيب) في أسفلها وكان يطل على هذا الحوض بهو مرتفع (البيت رقم ١٤)

٤ — ان تمثالا للدلفين (دابة بحرية) كان منصوباً على أحد جوانبها والارجح انه كان أمام الصحن (البيت رقم ١٥).

٥ — كانت في البركة دكتان محاطتان بالاشجار تقع الواحدة إزاء الاخرى كما كان هناك مغان (مقصورات) تطل على البركة (البيتان رقم ١ ورقم ٢٠) .

٦ — كان على البركة دواليب تديرها النعام (البيتان رقم ٢٤ ورقم ٢٥) .

٧ — كان في البركة أسماك (الارجح انها اسماك زينة ملوّنة) (الأبيات المرقمة ١٢ و ١٣ و ١٤) .

٨ — كان هناك نهر يسمى « نهر نيزك » يدخل البركة من وسطها فيغذيها بالمياه، والمياه كانت تجري فيها بسرعة متناهية كالخيل التي في حلبة السباق (الأبيات المتقدمة في الفصل السابق حول وصف حديقة الحيوانات والبيتان رقم ٢٢ و ٧ من الأبيات اعلاه) ، وكذلك يدل على انه كان مخرج المياه يساعد على احداث هذا الجريان السريع واستمراره .

٩ — كان هناك قصر ملكي يطل على البركة .

٤ - بقايا البركة

واذا تتبعنا تفاصيل تصميم البركة من آثارها المتبقية ، نجد انها تتكوّن من منخفض اصطناعي مربع الشكل ، يبلغ طول كل من اضلاعه زهاء مائتي متر ، وعمقه عن مستوى الأرض المجاورة ثلاثة أمتــار على وجه التقريب . ويحد المنخفض من الغرب والشرق تلان اصطناعيان مرتفعان يمتدان على طول الضلعين الجانبيتين بعرض يتراوح من ٣ الى ٥ امتار ، والظاهر ان أتربة هذين التلّين جلبت من حفريات البركة فتألف منها كتفان عاليان للمنخفض مما زاد في جمال منظر البركة وتنسيقها . ويحد المنخفض من الجنوب القصر الذي تقدم وصفه في الفصل السادس ، أما من جهة الشمال فيتوسطه نهر نيزك الذي ينحدر من الشمال وينتهي عنده بعد ان يخترق حديقة الحيوانات من وسطها (راجع الرسمين رقم ١٣ ورقم ١٤) . وفي داخل البركة تقسيمات تتكوّن من أحواض متناسقة تمتد على عرض البركة بصورة متوازية كانت على ضفافها الاشجار المظلّلة . كما نجد في داخل البركة أيضاً دكات للجلوس تمتد على عرض البركة من الجانبين (الجانب الغربي والجانب الشرقي)، عددها في الجانب الشرقي أربع وفي الجانب الغربي ست ، وأخيراً الصحن الواسع في أسفل البركة الى الجنوب . ويشاهد في مدخل البركة من جهة الشمال نهر نيزك يتوسط البركة فيجري في وسطها والاحواض تتفرع من جانبيه حتى تنتهي الى الصحن الاسفل ، كما تشــاهد الدكتان المتقابلتان اللتان ذكرهما البحتري فيبلغ عرضها ٣٥ متراً وطول كل منهما تسعين متراً . ويشاهد أيضاً الصحن الواسع الذي في أسفل البركة، وهو الصحن الذي أشار اليه البحتري ، متكوّناً من حفرة عميقة يبلغ عرضها ٧٥ متراً وطولها مئة متر تقريباً ، كما يشاهد البهو الذي ذكره البحتري في أعالي الصحن من الجنوب، وهو يقع أمام القصر بين البركة والقصر ، ويبلغ عرضه خمسين متراً وطوله ١٢٥ متراً على وجه التقريب ، وهنالك أيضاً آثار المقصورات التي نوّه عنهـا

البحتري ، وهي تقع على الحد الشمالي للبهو فتشرف على الصحن الاسفل للبركة .
ومن المهم ان نشير أخيراً الى التنظيمات الخاصة بصرف المياه من البركة ، وهي التنظيمات التي كانت تحقق جريان المياه بالسرعة التي نوّه عنها البحتري ، لأن مسيل المياه بمثل هذه السرعة لا يمكن ان يتم إلا اذا توفّر مخرج ذو انحدار كبير يصرف مياه البركة الى محل منخفض خارج حدود البركة . وهذه التنظيمات، كما نشاهد آثارها المتبقية ، تتكوّن من كهريزين يخرجان من قعر البركة من حدها الجنوبي فيسير أحدهما بموازاة الجانب الغربي لساحة التل جنوبي القصر (راجع البحث الذي تقدم عن هذه الساحة في ص٢٩٧و٢٩٩) مخترقاً قطيعة رجال حاشية القصر في تلك الجهة ثم ينصب في الضفة اليسرى من نهر القائم ، ويسير الثاني بموازاة الجانب الشرقي لساحة التل مخترقاً القطيعة التي في ذلك الجانب ثم ينصب في نهر القائم أيضاً (راجع الرسم رقم ١٤) . ويمكن تتبع المجرى الذي تحت الارض في الكهريز الاول لمسافة مائة متر تقريباً وذلك من جهة مصبه في نهر القائم حيث جرفت السيول بعض الأتربة من فوقه فانكشف معظمه في ذلك القسم وأخذت مياه السيول نفسها تجري فيه فتنصب في نهر القائم .

٥ ـ الفن الهندسي في تنسيق البركة

واذا تمعّن المرء في تقسيمات هذه البركة وتنسيقها ، وتصوّر في مخيلته موقعها الجميل في وسط تلك الحدائق الغنّاء والمشتملات الاخرى، كالدواليب التي يديرها الدمام ، والاسماك الملونة في وسط مياه البركة ، والدكات ذات الاشجار المظالة والطواويس تتناجى فوقها، والحديقة الواسعة ذات الاشجار المتشابكة بحيواناتها الوحشية على مختلف انواعها، بعضها سجين في الأقفاص والبعض الآخر حر طليق، ثم يتصور نهر نيزك وهو يتوسط هذه البقعة الجميلة المحاطة بسورها الطويل احاطة السوار بالمعصم ، تجلت له عظمة الفن الهندسي وانكشفت أمامه قابليه

الانسان في تذليل الصعاب واتضح له ما يستطيع ان ينتجه المرء من اعمال الابداع والابتكار في تحقيق التمنيات .

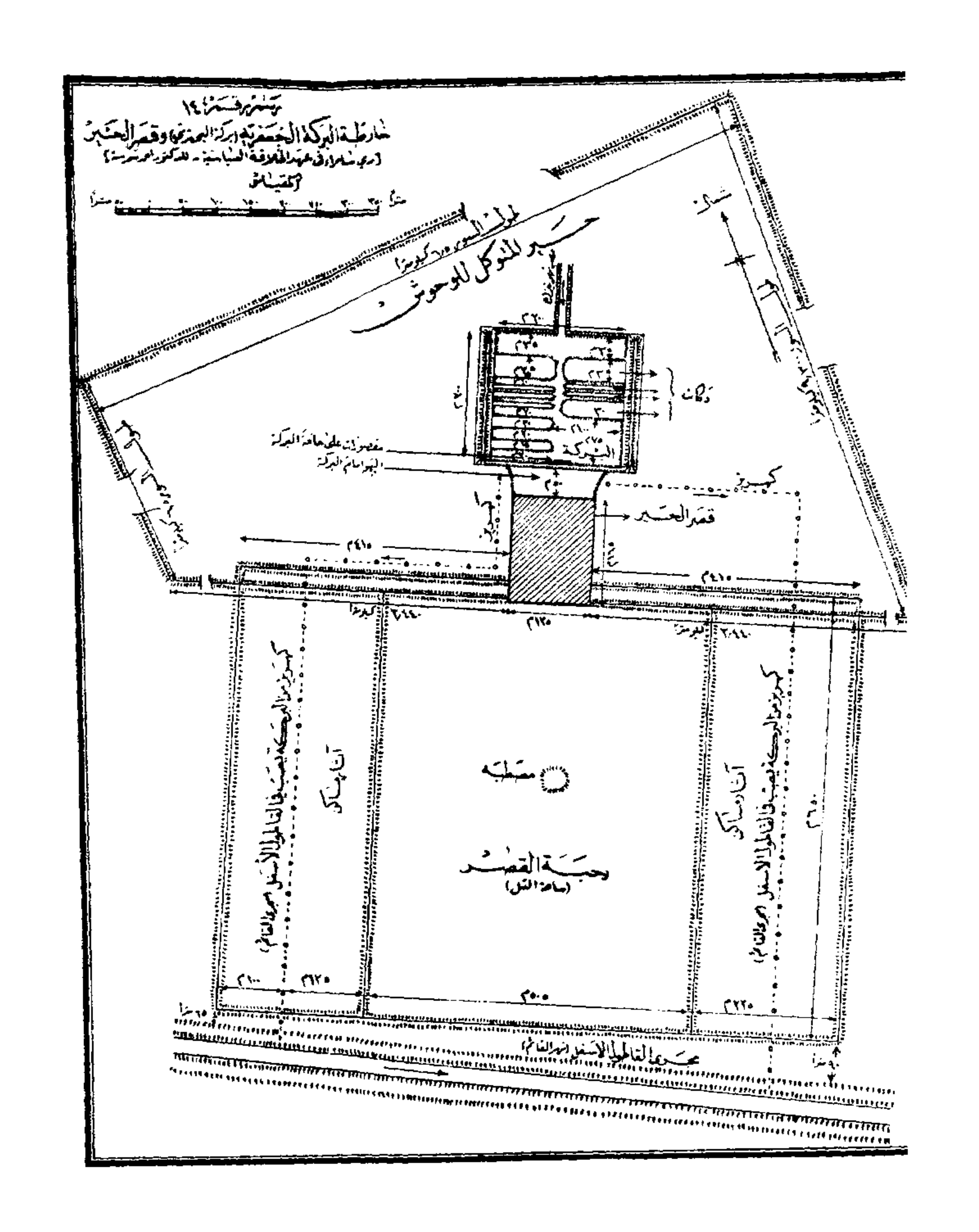
٦ـ موقع البركة حسب رأي دائرة الآثار

وقبل ان ننهي بحثنا عن « البركة الجعفرية » نود أن نشير الى ان دائرة الآثار كانت قد ذكرت في نشرتها عن سامراء (ص ٥٥) ان البركة الجعفرية التي وصفها البحتري في شعره تقع في السهل المنبسط أمام دار الخليفة من جهة نهر دجلة فتبدأ من أسفل الدرج العريض الذي كان يصل القصر بالسهل ، ثم ذكرت أن طول ضلع البركة يبلغ نحو ١٢٥ متراً وانها كانت متصلة من منتصف ضلعها الغربي بساقية منتظمة تمتد على طول ٤٠٠ متر حتى تصل شاطيء دجلة القديم الخ. ولا شك في ان الايضاحات التي تقدم شرحها تكفي لان تبرهن على ان دائرة الآثار كانت بعيدة كل البعد عن تعيين موقع هذه البركة .

ويستفاد من المقال الذي نشرته دائرة الآثار مؤخراً في مجلة سومر تحت عنوان «مدينة المعتصم على القاطول[1]» انها تعترف على لسان مديرها العام بأن ما سبق لها أن نشرته في نشرة سامراء لا يتفق مع الواقع ، ولكنها بعد ان اعترفت بذلك وقعت في ارتباك آخر لم تكن فيه أوفر حظاً في الاصابة ، إذ زعمت ان البركة التي وصفها البحتري في قصيدته تقع في مدينة المتوكلية ، وان البركة التي في الشرحات من عمل المعتصم . ولما كان لمصدر مياه مدينة المتوكلية صلة مباشرة بالنهر الجعفري الذي ثبت لنا بأنه لم يجر الماء فيه في غير الشهرين شعبان ورمضان من سنة ٢٤٧ هـ . وقد كان ذلك في موسم الشتاء ، فلم يبق لدينا أدنى شك في ان البركة بعيدة عن منطقة المتوكلية وسيأتي البحث عن ذلك في الفصل

---

(١) راجع البحث الذي تقدم في صفحة ٢٥١ وصفحة ٢٦٨



رسم رقم ١٤
خارطة البركة الجعفرية (بركة البحتري) وقصر العشيق
(مرسومة في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسة)
مقياس
حير المتوكل للوحوش
البركة
دكات
قصر العشيق
مصطبة
رحبة القصر
آثار مساكن

الثامن ، الذي يتناول مشروع النهر الجعفري ، لذلك لا يسعنا إلا ان نعتصم بما توصلنا اليه من استنتاجات فيما يختص بموقع بركة البحتري وحير الحيوانات إلا اذا كشف لنا المستقبل مكاناً غيره تنطبق عليه أوصاف البحتري مثل ما انطبقت على مكان المشرحات السالف الذكر .

الفصل الثامن

النهر الجعفري

١ - تمهيد

لايسع المرء ، وهو يستعرض ما قام به المتوكل من اعمال عمرانية في سامراء ، إلا ان ينتهي الى ان المتوكل كان اكثر الخلفاء الذين اقاموا في سامراء طموحاً، من حيث الرغبة في انجاز المشروعات الكبرى في العاصمة الجديدة ، ولا سيما مشروعات الري التي هي عماد كل توسع عمراني ؛ فما كان يكاد ينتهي من مشروع إلا ليبدأ بمشروع آخر ، وهكذا نجده مدة حكمه مجداً في طلب المزيد من هذه الناحية ، مواظباً في السعي على تحقيق فكرته الرامية الى انشاء أجمل وأعظم عاصمة في عالم ذلك الوقت مهما بلغت الكلفة أو تضخمت النفقات . لذلك فان المشاريع التي أقامها أسلافه في سرّ من رأى لم تحقق رغباته المرتسمة في مخيلته ، وهي انشاء مدينة جديدة يخترقها نهر واسع تنطلق منه المياه سيحاً فتروى الحدائق الواسعة والمتنزهات الفسيحة وسواقي الاشجار على طول الشوارع، وتمونّ برك قصوره بالمياه اللازمة،فيستطيع ان يوحد جهوده ويجمع كل عمرانه في مكان واحد فلا يحتاج الى ان يقطع المسافة الطويلة بين « سرّ من رأى » ومنطقة القاطول لقضاء أوقات انسه وطربه هناك ، وهي المنطقة الواقعة جنوبي سامراء حيث يتفرع مجرى النهروان الاسفل من نهر دجلة[1] .

وقد ارتأى المتوكل ان يتجه شمالاً ليحقق هناك خططه التي رسمها في مخيلته حيث تساعد مناسيب دجلة المرتفعة على مد النهر المطلوب الى المدينة الجديدة .

---

(١) حول منطقة القاطول المذكور راجع ما تقدم في صفحة ٢٤٢

ونستطيع ان نتصوّر مبلغ سرورة حين اكتشف آثار نهر قديم في تلك المنطقة يتفرع من نهر دجلة في نقطة تقع على مسافة حوالي تسعين كيلومتراً من شمالي سامراء وينتهي عند صدر القاطول الاعلى الكسروي جنوبي الدور[1]، فقرر في الحال اعادة احيائه وإنشاء مدينة جديدة في منطقة الماحوزة الكائنة على بعد حوالي عشرين كيلومتراً من شمالي سامراء الحالية، ولا سيما بعد أن اكد الخبراء ان النهر المذكور يضمن ايصال المياه الى هذا الموضع سيحاً . ويحدثنا التاريخ كيف استجمع المتوكل كل نشاطه وهمته لتحقيق انشاء هذه المدينة ونهرها في أقرب وقت ممكن حتى استطاع أن يتمها خلال مدة تقل عن السنتين وسمّاها باسمه «المتوكلية» كما سمّى النهر باسمه أيضاً أي « النهر الجعفري »، ولكن المدينة ومعها النهر كانتا نذير شؤم عليه حيث لم يمض على انتقاله اليها بضعة أشهر حتى قتل فيها فهجرت بعد مقتله[2] .

وفي الوقت الذي كان العمل على إنشاء المدينة جارياً على قدم وساق، كان العمل على حفر النهر الذي اعتزم المتوكل على حفره لايصال المياه به الى مدينته الجديدة جارياً أيضاً بنفس السرعة والاهتمام . فيروي لنا الطبري أن المتوكل عهد أمر « النفقة عليه الى دُليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا بعد ان شرع بالعمل في شهر ذي الحجة من سنة ٢٤٥ هـ . وألقى في حفر النهر اثنى عشر الف رجل يعملون فيه » . ويقول اليعقوبي ان كلفة المشروع قدرت بمليون ونصف مليون دينار ، وعلى الرغم من جسامة هذا المبلغ « طاب المتوكل نفساً بذلك ورضي به ، وابتدأ الحفر وأنفقت الأموال الجليلة على ذلك النهر » .

وقد لعب مشروع النهر دوراً خطيراً في هجران المدينة ، مثل دوره في نشوء فكرة الانتقال اليها ، وذلك بسبب فشل هذا المشروع وعجزه عن تأمين ايصال المياه اليها في موسم الصيف كما سنرى .

---

(١) حول نهر القاطول الكسروي راجع ما تقدم في ص ١٥١ و ٢٠٤

(٢) حول مدينة المتوكلية المذكورة راجع ما تقدم في صفحة ١٢٩

ونستدل مما كتبه بعض المؤرخين ان النهر سمّي باسم المتوكل ، أي « النهر الجعفري »[1] ، ويرجح ان فشل المشروع كان من جملة الاسباب التي لم تشجع على تخليد اسم النهر وترديد ذكره فظل مجهولا بين الناس . ومما يلفت النظر ان البحتري،الذي رافق المتوكل طيلة مدة حكمه، ووصف الكثير من مشروعاته، ومن جملتها مشروع انشاء مدينة المتوكلية نفسها،لم يتطرق الى ذكر النهر الجعفري،مع انه كان لهذا النهر علاقة مباشرة بالمتوكلية التي وصفها في اشعاره ، ولعله كان متقصداً في تحاشي ذكره للسبب الذي المعنا اليه نفسه .

وقد بقي أمر هذا النهر مجهولاً فلم يتوصل أحد الى تعيين آثاره حتى قادتني المصادفة ، أثناء قيامي ببعض التحريات عن مشاريع الري القديمة في سامراء ، فاكتشفت ان النهر المعروف اليوم باسم « نهر نايفة » الواقع في تلك المنطقة والذي يتفرع من نهر دجلة في نقطة تقع شمالي مدينة المتوكليه حوالي ستين كيلومتراً ، ذلك النهر الذي اجمع كل من كتب عن هذه المنطقة من أثريين ومهندسين ومؤرخين انه صدر من صدور النهروان العليا ، ما هو إلا جدول المتوكل نفسه دون أي شك . ولا مجال للشك أيضاً بأن هذا النهر مستقل وليست له أية علاقة بالنهروان إلا بشيء واحد وهو ان ذنائبه تعبر من فوق مجرى القاطول الاعلى الكسروي (راجع اللوحة رقم ١) .

٢ - منشأ النهر وتاريخه وأهدافه

وقد يكون من المفيد ، قبل أن نبحث في النهر الذي حفره المتوكل،ان نتتبع منشأ المشروع وتاريخه القديم الذي يرجع الى ما قبل عهد المتوكل ، ولكي

---

(١) راجع كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » تأليف ابن ابي صبيعة الجزء الأول ص (٢٠٧) وكتاب « المكافأة وحسن العقبى » لاحمد بن يوسف الكاتب المعروف بـ« ابن الداية » وقد جاء ذكر النهر فيهما باسم « النهر الجعفري » .

يتسنى لنا أن نقف على ذلك علينا أن نستند أولاً الى الروايات التاريخية، ثم الى الآثار والاطلال المتبقية والمناسيب وغير ذلك من المعلومات التي تهدينا الى حقيقة الوضع . ومن الروايات التاريخية التي تؤيد رجوع المشروع الى ما قبل عهد العرب ما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد حيث قال : « وعزم المتوكل أن يبني مدينة ينتقل اليهـا وتنسب اليه ويكون له بها الذكر فأمر محمد بن موسى المنجم ومن يحضر بابه من المهندسين أن يختاروا موضعاً فوقع اختيارهم على موضع يقال له الماحوزة وقيل له ان المعتصم قدكان على أن يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهراً قد كان في الدهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة خمس واربعين ومائتين ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة » . والذي يؤيد صحة وجود هذا النهر في الدهر القديم هو أن المتارب المكونة من الحفريات الأخيرة وضعت على بعد بضعة أمتار عن متارب الضفة الاصلية بحيث يمكن تمييز المتارب القديمة من تلك التي تكونت من الحفريات الجديدة . ويلاحظ أيضاً ان هناك عدة مجار في صدر النهر يستدل منها على ان بعضها يرجع الى عهود قديمة تعود الى ما قبل عهد العرب ، كما أن هناك في بعض أقسام النهر مجار قديمة موازية للنهر الرئيسي ، وبعض هـــذه المجاري يتقاطع مع المجرى الرئيسي بحيث يصبح قسم في الجانب الشرقي، والقسم الآخر في الجانب الغربي ، مما يدل على أن هذه المجاري ترجع الى عهد قديم يعود الى ما قبل زمن المتوكل . وعلى هذا نجد ان هناك تسميات مختلفة اطلقت على مختلف أقسام النهر ولا تزال تعرف هـــذه الاقسام بهذه التسميات ، كتسمية « النهر العتيق » للقسم الأعلى للنهر مثلاً وتسمية « الحفر » أي الحفر الجديد للقسم الآخر ، أما التسمية العامة التي يعرف بها النهر اليوم فهي « نهر نايفه » .

وبالنظر لما تقدم فاننا نميل الى الاعتقاد بأن منشأ النهر يرجع الى عهد الفرس أو الى ما قبل ذلك، أي الى زمن الكلدانيين أو الآشوريين، ثم جاء المتوكل فأعاد حفره .

والفرق الذي نلاحظه بين النهر القديم وبين جدول المتوكل ينحصر في الغاية التي انشىء كل منهما من أجلها ، فان الغاية الاساسية التي كان يستهدفها النهر القديم ارواء مساحة كبيرة من المزارع وهذه هي الأراضي السهلة الواقعة على ضفته اليسرى بين « بحيرة الشارع » ونهر دجلة ، أي المنطقة الواسعة المعروفة بـ « حويجة سامراء » والأراضي الزراعية الواقعة على ضفته اليمنى ، بينه وبين نهر دجلة ، على حين ان الغاية من إنشاء جدول المتوكل الذي اتبع نفس اتجاه النهر القديم هي ايصال المياه الى مدينة المتوكل سيحاً بأي ثمن كان وبغض النظر عن مساحة الأراضي الزراعية التي يمكن ارواءها من الجدول. هذا واذا اختلف الاثنان في المرمى الذي يحققانه فانهما يتفقان في طريقة تصميم الجدول وذلك من حيث سحب المياه من نهر دجلة الى صدر الجدول ، ففي كلا العهدين (العهد القديم وعهد المتوكل) كان الجدول قد صمم على أساس سحب المياه من النهر من دون قناطر أو سد على نهر دجلة لرفع مناسيب المياه في النهر في موسم الصيهود ، والذي كان يساعد على ذلك هو ان صدر الجدول يقع على مسافة بعيدة من شمالي حدود الدلتا ، وبذا كان يسحب المياه من أعالي النهر حيث تكون المناسيب مرتفعة، ويكون النهر في تلك الاقسام اكثر ثباتاً من حيث تطوّر المناسيب ومن حيث تحوّل المجرى .

ومن الروايات المتواترة ، أن أميرة تسمى باسم نايفة قامت بحفر النهر فسمي باسمها . وتذهب هذه الروايات الى أن الأميرة نايفة هذه كانت بنت الملك هطرون الذي كان له ابنتان: احداهما الأميرة نايفة والثانية تسمى الأميرة فاخرة . ولما قام الملك بتقسيم ملكه على ابنتيه وقعت حصة الأميرة نايفة في القسم الجنوبي الذي يبدأ في جبل حمرين ويمتد الى الجنوب ، أما الاميرة فاخرة فكانت حصتها في شمالي جبل حمرين . وتقول هذه الروايات أيضاً ان اطلال هطرة[1] كانت

(١) ان « تلول هطرة) المذكورة تقع على الحدود الشرقية لحاوي البوعجيل الكائن على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، على بعد حوالي اثني عشر كيلو متراً من شمالي الدور (دور =

مدينة الملك هطرون كما كان التل المعروف بـ « تل مهيجير » الذي يقع على الضفة اليمنى لنهر دجلة أمام قصر الجعفري مكان قصر أخيه محرون[1] . اما مبلغ الصحة في هذه الروايات فلا نستطيع الحكم عليه على أنه قد يصح لنا أن نستدل منها بأن النهر يرجع الى ما قبل العهد العربي .

٣ ـ تخطيط مشروع النهر

يتفرع النهر الجعفري من الضفة اليسرى لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد خمسة كيلومترات تقريباً من جنوبي قرية « بيجي » ، وحوالي ٣٨ كيلومتراً من شمالي تكريت و٦٣ كيلومتراً من شمالي صدر القاطول الكسروي الذي يتفرع من نهر دجلة عند الدور ، وذلك من منتهى سفوح سلسلة جبل حمرين التي تقطع مجرى دجلة بالقرب من بيجي فتؤلف هناك مضيق الفتحة المعروف . ويسير الجدول من الشمال الى الجنوب محاذياً الضفة اليسرى لنهر دجلة من جهة الغرب ، وموازياً المنطقة الجبلية المرتفعة من جهة الشرق ، وبعد ان يقطع مسافة عشرين كيلومتراً تقريباً في هذا الاتجاه ، ينحرف الى الشرق قليلاً فيحاذي سفوح المنطقة المرتفعة ، مبتعداً عن نهر دجلة الى مسافات تتراوح من خمسة كيلومترات الى ستة فيكون أمام تكريت عند الكيلومتر (٣٧) من الصدر ومقابل الدور (دور تكريت) عند الكيلومتر (٥٤٫٥) من الصدر ، وبعد ان يجتاز النهر الدور ويسير الى مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر في جنوبها يصل الى تل اصطناعي مرتفع

= تكريت) بحوالي ثمانية كيلو مترات من جنوبي مدينة تكريت . ولا شك في ان موقع هذه التلول موضع قرية « هاطري » القديمة التي ذكر ياقوت انها « قرية بينها وبين الجعفري الذي عند سامراء (اي القصر الجعفري الذي في المتوكلية) ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت واسفل منها الدور الأعلى المعروف بالخربة (أي دور تكريت) وكان اكثر اهلها اليهود » . وهذا يتفق مع المسافة الحالية بين تلول هطرة واطلال القصر الجعفري .

(٢) حول « تل مهيجير » المذكور راجع ما تقدم في صفحة ٩٠

يقع في وسط الجدول ويسمى « تل البنات » . وتل البنات هذا تل كبير يحوطه الجدول من كل أطرافه، حيث ينقسم الجدول في هذا المكان الى فرعين الفرع الغربي يحيط بالتل من جهة الغرب والفرع الشرقي يحيط به من جهة الشرق ثم يعود الجدول فيتحد من جديد بالتقاء الفرعين بعد تحويطهما لموقع التل وجعله بشكل جزيرة يحيط بها النهر من كل جانب .

ونميل الى الاعتقاد بأن التل المذكور من اعمال المتوكل وقد أنشيء في نفس الوقت الذي حفر فيه النهر . والارجح أن الغاية التي أنشيء من أجلها هي نفس الغاية التي كان يستهدفها « تل العليق » الذي انشأه المتوكل شمال شرقي سامراء لتأمين تفرجه ورجال حاشيته من محل مرتفع على حلبة السباق التي أنشأها هناك[1] ، حيث يظهر لنا بأن المتوكل كان ينوي نقل حلبة السباق التي كان قد أنشأها في سامراء الى هذا المكان ، أي الى الساحة الواسعة التي تمتد شرقي النهر الجعفري، وذلك بعد اتمام حفر النهر إلا أن الظروف لم تسمح له بتحقيق ذلك[2] . ويوجد فوق التل بناء اقتلع آجره مما يدل على أنه انشئت هناك مقصورات لجلوس الخليفة وحاشيته .

وبعد ان يجتاز الجدول « تل البنات » يقترب من نهر دجلة فيصبح على بعد أقل من كيلومترين منه حتى إذا ما سار مسافة ستة كيلومترات من « تل البنات » انتهى الى مجرى القاطول الكسروي عند « قنطرة الرصاصي » الواقعة عند الكيلومتر (٧٫٥٠٠) من صدر القاطول المذكور[3] . وهنا يتشعب النهر الى

---

(١) حول « تل العليق » المذكور راجع ما تقدم في ص ١١٦ـ١٢٢ و ص ٢٧١ و ٢٧٩ .

(٢) تذهب الروايات المتواترة الى ان « تل البنات » هذا كان مكان القصر الذي انشأته الأميرة نايفة لبناتها وقد حوطته بمجرى النهر من كل اطرافه ليكون منعزلا عن البر بحيث يتعذر الوصول اليه أو الخروج منه بدون واسطة عبور ، الا ان هذه الرواية هي أقرب الى الاسطورة منها الى الواقع

(٣) حول القنطرة المذكورة راجع ما تقدم في ص ١٥٥ و ٢٠٥

ثلاثة فروع ، فرعان يمران من فوق القاطول على عبارتين تقع احداها شمالي « قنطرة الرصاصي » بقليل وتمتد الاخرى فوق قنطرة الرصاصي نفسها ، اما الفرع الثالث فينصب في مجرى القاطول في أقصى الجنوب من جهة الشرق . وكان الفرع الاخير يأخذ المياه الزائدة التي تتجمع في النهر فيصبها في القاطول ، وعلى هذا فقد انشىء ناظم في صدره لتنظيم المياه التي تصرف الى القاطول ، ولا تزال آثار هذا الناظم ماثلة يمكن مشاهدتها في صدر هذا الفرع في المكان الذي يتشعب فيه النهر الى الفروع الثلاثة المذكورة . أما الفرعان اللذان يمران مجرى القاطول فكانا ينتهيان الى حوض انشىء في الضفة اليمنى للقاطول لجمع مياه نهر الجعفري فيه ثم تحويلها الى السواقي التي تنتهي الى مدينة المتوكلية . فهناك فرع يتشعب من الحوض فيمد السواقي التي على جانبي الشارع الاعظم بالمياه ، كما أن هناك فرعاً آخر يتفرع من الحوض أيضاً فيسير غرباً بين سور المتوكلية والقاطول الكسروي ، وبعد أن تتشعب عدة فروع منه تتجه نحو مدينة المتوكلية ينتهي الى بركة قصر الجعفري[1] . ويتضح مما تقدم أن طول النهر الجعفري بين صدره عند نهر دجلة ونهايته عند بركة قصر الجعفري يبلغ حوالي ٦٣ كيلومتراً (راجع اللوحة رقم ١) .

٤ ـ صدر النهر ومناسيبه

للنهر أربعة صدور قريبة من بعضها كلها تتفرع من نهر دجلة وليس في أي منها أثر لبناء أو ناظم ، إلا أن وضع مجرى النهر يدل على ان هذه الصدور كانت تمتد الى مسافة غير قليلة الى الشمال الغربي حين كان مجرى نهر دجلة يسير غربي اتجاهه الحالي ، ولما تحولت دجلة الى مجراها الحالي باتجاه الشرق أصبحت

---

(١) راجع الرسم رقم ٢ (خارطة حدود مدينة المتوكلية وذنائب النهر الجعفري) مقابل صفحة ١٣٠ والبحث المتقدم حول قصر الجعفري في صفحة ١٣٣ ، كذلك البحث التالي الخاص ببركة القصر الجعفري في هذا الفصل .

الصدور الأصلية للجدول في وسط مجرى دجلة فلم تترك لها أي أثر . هذا بدليل أن مجرى الصدر الأخير من الجنوب يسير مسافة خمسين متراً فقط ثم يتصل بمجرى الصدر الثالث الذي يتقدمه شمالاً ، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بأن المجرى هذا كان يمتد غرباً الى مسافة اخرى لا تقل عن مائتي متر ، وهذه المسافة أصبحت في وسط نهر دجلة بعد أن تحول مجراه من جهة الغرب الى الجهة الشرقية (راجع الرسم رقم ١٥) .

والظاهر أن أحدث هذه الصدور هو الصدر الثالث من الجنوب ، وهو صدر المجرى الذي حفره المتوكل ، ويبلغ عرض قعر هذا المجرى حوالي ٢٥ متراً ، ومعدل ارتفاع ضفافه زهاء أربعة أمتار . أما الصدران الآخران اللذان يتقدمان مجرى المتوكل هذا الى الشمال فيسير مجرياهما بموازاة مجرى المتوكل وأن أطولهما هو الأول الذي يبدأ قعره بمنسوب ١٠٧ر٣٣ متراً فوق سطح البحر فيمتد مسافة حوالي ٥ر٥٠٠ كيلومتراً بموازاة مجرى المتوكل ثم ينتهي عنده . ويمتد المجرى الثاني مسافة نصف كيلومتر تقريباً وذلك بين مجرى المتوكل (المجرى الثالث) والمجرى الاول من الشمال ثم ينتهي عند المجرى الأول ، ويبلغ منسوب قعر الصدر الثاني هذا ١٠٨ر٢٢ متراً ، وأما المجرى الرابع الأخير فقصير جداً والارجح انه كان صدراً ثانياً لمجرى المتوكل يستعمل في موسم الفيضان . ويبدأ هذا المجرى بمنسوب ١٠٦ر١٠ متراً وبعد أن يسير مسافة خمسين متراً بموازاة مجرى المتوكل من جهة الغرب ينتهي عنده[1] .

---

(١) ان تعدد الفوهات في صدور الانهر القديمة كان أمراً مألوفاً لدى الاقدمين حيث كانوا يصممون جداولهم على أساس عمل فوهتين للجدول احداهما تستعمل في الشتاء والآخر في الصيف ، كما كانوا يفتحون جداولهم دون ان ينشأوا نواظم وقتائية في فوهاتها ، ومع انهم كانوا يتكبدون مشقات كثيرة في ضبط فوهات جداولهم في الفيضان ، الا انه كان لديهم مجال لتبديل مواقع فوهات الجداول بين حين وآخر كلما اندرست احداها وتراكمت فيها الاتربة والاحجار مما يحول دون دخول المياه اليها (راجع ما تقدم في ص ١٤٥ـ١٤٧) .

ويبلغ منسوب قمر صدر جدول المتوكل (الصدر الثالث) ١٠٥ر٥٦ متراً فوق سطح البحر، وبذلك يكون أوطأ الصدور الأخرى، ولما كان معدل منسوب المياه في نهر دجلة أمام هذا الصدر يبلغ في الوقت الحاضر حوالي ١٠٤ر٥ متراً في موسم الفيضان وزهاء ١٠٠ متر في موسم الصيهود، فان قمر صدر الجدول يكون أعلى من معدل منسوب مياه فيضان النهر في موقع هذا الصدر حوالي نصف متر فقط وأعلى من معدل منسوب مياه الصيهود في نهر دجلة في ذلك المكان زهاء خمسة أمتار . وقد دلت نتائج تدقيقاتنا في المنطقة التي يقع فيها صدر الجدول ان مياه دجلة دخلت الى النهر وسارت فيه الى مسافة بضعة كيلومترات، وذلك عندما سجلت مياه دجلة أعلى منسوب في شهر شباط من سنة ١٩٤١ حيث ارتفع منسوب مياه الفيضان أمام صدر مجرى المتوكل الى حوالي ١٠٦ أمتار فوق سطح البحر .

اما ارتفاع قمر صدر الجدول عن منسوب مياه نهر دجلة الحالي، فترجع عوامله أولاً الى الهبوط القليل الذي حصل في مستوى مياه نهر دجلة في ذلك المكان وذلك بعد تحوّل مجرى دجلة في جنوبي سامراء حوالي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وهو التحول الذي أدى الى هبوط منسوب مياه النهر هنالك الى ما لا يقل عن تسعة امتار[1]، ثم الى انطمار الصدر بالاتربة بعد اندراس الجدول . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد هو ان جدول المتوكل يقع على بعد حوالي ١٤٠ كيلو متراً من شمالي الموقع الذي حصل فيه تحول مجرى دجلة، واذا كان قد هبط منسوب مياه دجلة في مكان التحول قرب «بلد» حوالي عشرة أمتار فنعتقد ان الهبوط الذي حصل أمام صدر جدول المتوكل بتأثير هذا التحول لم يتجاوز الثلاثة أمتار . وبذلك قد يصح لنا ان نقول إن منسوب

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بتحول مجرى دجلة في ص ١٧٠ و ١٨١ و ٢٢٩، والبحث التالي الخاص بالموضوع نفسه في الفصل الحادي عشر .

المياه الصيفي في نهر دجلة كان في الزمن الذي انشىء فيه جدول المتوكل حوالي (١٠٣) أمتار ، وعلى هذا الاساس يجوز لنا ان نقول أيضاً ان قعر صدر جدول المتوكل في النقطة التي يتفرع فيها من نهر دجلة كان قد صمم بمنسوب حوالي (١٠١) متراً ، بدليل أن منسوب قعر الجدول الاصلي عند الكيلومتر (٦٠٠ر٥) من الصدر يبلغ (٨٠ر٩٩) متراً وهو منسوب أرضية الناظم المنشأ في ذلك المكان لصرف المياه الزائدة الى دجلة : هذا اذا اعتبرنا أن عمق الماء في الجدول في موسم الصيهود يبلغ حدّ المترين . كل ذلك يدل على ان صدر جدول المتوكل كان فيه من التسلط ما يمكنه من سحب المياه في أوطأ مناسيب المياه الطبيعية في نهر دجلة دون لزوم انشاء سد على النهر لرفع مستوى المياه فيه . وعليه فان نجاح مشروع المتوكل كان مضموناً ، كما ايد ذلك الخبراء قبل الشروع به وذلك لولا خطأ التقدير في حفريات الجدول الذي ادى الى فشله كما سنرى .

٥ ـ موقع صدر النهر كما في الطبري وياقوت

ومما قاله الطبري بصدد موقع صدر النهر الجعفري انه يتفرع من نقطة تقع على بعد خمسة فراسخ (أي حوالي ٢٥ كيلومتراً) فوق الماحوزة (المتوكلية) في مكان يقال له « كرمى » وان المتوكل أمر باستملاك هذا المكان ومعه القرى والاراضي المجاورة وذلك لتكون من ضمن أملاك الخليفة التابعة للنهر . واليك ما كتبه في هذا الصدد قال : « وأمر (المتوكل) بحفر نهر يأخذ رأسه خمسة فراسخ فوق الماحوزة من موضع يقال له كرمى يكون شرباً لما حولها من فوهة النهر اليها وأمر بأخذ جبلتا والخصاصة العليا والسفلى وكرمى وحمل اهلهـا على بيع منازلهم وارضهم فأجبروا على ذلك حتى تـكون الارض والمنازل في تلك القرى كلها له ويخرجهم عنها[1] » . ولا شك في أن الطبري اخطأ التقدير فيما

(١) الطبري (٣ـ١٤٣٨)

يختص بموقع صدر النهر من الماحوزة لأن المسافة الحقيقية بين المتوكلية وصدر النهر تبلغ حوالي ٦٣ كيلومتراً كما اسلفنا . غير ان ياقوت وابن عبد الحق كانا قريبين جداً من الواقع في تقديرهما لهذه المسافة حيث ذكرا ان فوهة النهر تقع على مسافة عشرة فراسخ من الجعفري (حوالي ٥٠ كيلو متراً) ، وهذه قريبة جداً من المسافة الحقيقية . وقد أضافا الى ذلك قولهما ان مكان فوهة النهر كان يعرف باسم « جبة دجلة » . واليك ما كتبه ابن عبد الحق في مادة (الجعفري) قال : « الجعفري اسم قصر بناه المتوكل قرب سر من رأى بموضع يسمى الماحوزة واستحدث عنده مدينة وانتقل اليها واقطع قواده بها قطائع فصارت اكبر من سر من رأى وشق اليها نهراً من دجلة على عشرة فراسخ يعرف بجبة دجلة » .

٦ ـ فرع الحدير وأطرافه

ويشاهد على الضفة اليسرى للنهر الجعفري فرع كبير يتفرع في نقطة تقع على بعد (٣٩/٧٥٠) كيلومتراً من الصدر يسمى « نهر الحديد » ، فيمتد هذا الفرع في الاتجاه الجنوبي الشرقي على خط مستقيم ، وبعد أن يقطع حوالي واحد وعشرين كيلومتراً في هذا الاتجاه ينحرف بزاوية قائمة فيسير غرباً على خط مستقيم أيضاً ، وبعد ان يقطع مسافة أحد عشر كيلومتراً تقريباً في الاتجاه الأخير ينتهي في الضفة اليسرى لنهر القاطول الكسروي في نقطة تقع أمام « جامع أبي دلف » الذي في الجانب الأيمن لنهر القاطول[1] ، وذلك عند بداية السور الخارجي لمدينة المتوكلية الذي يمتد بين نهر القاطول ودجلة جنوبي المتوكلية[2] .

ويكون هذا الفرع شبه مثلث قائم الزاوية شرقي النهر الجعفري تبلغ

(١) حول « جامع أبي دلف » المذكور راجع ما تقدم في ص ١٣٧ ـ ١٤٠ .

(٢) حول السور المذكور راجع ما تقدم في صفحة ١٢٩

مساحته حوالي مائة كيلومتر مربع (٤٠٠٠٠) مشارة . ولا شك في ان وراء تهيئة مثل هذه الساحة واحاطتها بمياه النهر من كل اطرافها مشروع جسيم كان ينوي المتوكل انشاءه فيها ، والارجح ان المتوكل كان ينوي انشاء حلبة سباق فيها على ان يكون « تل البنات » الموقع المرتفع الذي يشرف منه عليها .

ويلاحظ ان الفرع المذكور هو أشبه بالسور منه الى النهر سيما إذا ما لاحظنا الزاوية القائمة التي يشكلها في انحرافه وهي طريقة غير مألوفة في انشاء الانهر ، لذلك فقد اعتبرته اكثر الخرائط سوراً أو جداراً .

ونشاهد على الضفة الشرقية للقاطول الكسروي عند نهاية الفرع المذكور آثار بنايتين الاولى تبعد حوالي خمسين متراً من الضفة ويخترقها «فرع الحديد» فيسير من وسطها قبل ان ينتهي الى القاطول والثانية تقع على حافة القاطول تماماً. ونعتقد ان هاتين البنايتين صلة بالسور الخارجي لمدينة المتوكلية وهو السور الواقع على الضفة اليمنى من القاطول حيث يبدأ هذا السور من أمام البنايتين المذكورتين . ومن المحتمل ان « نهر الحديد » كان يعبر فوق القاطول في هذا المكان فيموّن الخندق الذي يسير بموازاة السور شمالاً بالمياه ثم ينتهي الى دجلة عند نهاية السور ، بدليل ان قعر الحديد يعلو عن قعر القاطول عند ملتقاه بالقاطول حوالي خمسة امتار مما يدل على انه كانت هناك عبارة على القاطول تعبر عليها مياه « فرع الحديد » فتجري في الخندق الذي وراء السور ثم تصب في دجلة عند نهاية السور .

أما الغاية التي انشيء من اجلها « فرع الحديد » فنميل الى الاعتقاد بأن أهم ما كان يستهدفه هذا الفرع هو تموين حلبة السباق الذي كان ينوي المتوكل انشاءها هناك بالمياه على ان يكون الفرع في الوقت نفسه حداً لساحة السباق من جهة الشرق ، ولعل تسمية الحديد التي يراد بها الاشارة الى الحدود ترجع الى عهد انشاء الفرع ، وقد بقي الفرع محافظاً على تسميته حتى الآن ، ويلاحظ

ان « تل البنات » يقع امام الزاوية القائمة لمثلث الساحة تماماً مما يدل على انه أنشيء لغرض التفرج من فوقه على ساحة السباق التي كانت النية متجهة الى جعلها على شكل مثلث أو مربع . لذلك نجد ان أبعد مسافة على عرض الساحة التي بين النهر الجعفري وفرع الحديد تقع بين « تل البنات » الذي على النهر الجعفري وبين الزاوية التي على « فرع الحديد » حيث تبلغ هذه المسافة حوالي أحد عشر كيلو متراً .

وهناك آثار بنايتين على مجرى الحديد من المحتمل أنهما ناظمان قاطعان كان يراد بهما حجز المياه ورفع مستواه لتحويلها الى الاراضي المجاورة ، ذلك يدل على انه كانت النية متجهة الى انشاء بساتين وحدائق في السهل المجاور الى فرع نهرالحديد.اما موقعا البنايتين فان الاولى تقع عند الكيلومتر(١٤/٢٥٠) من صدر مجرى الحديد والثانية عند الكيلومتر (٢٥/٧٥٠) من صدره .

ونظراً لأن « فرع الحديد » يسير في أراضي سهلة فان الحفريات الترابية كانت قليلة العمق فيه بحيث اصبح قعره الآن مساوياً تقريباً الى منسوب الاراضي المجاورة مما يجعل تتبع آثاركتفيه صعباً في بعض المواقع . وفي مناسيب قعر « الحديد » هبوط كبير حيث يبلغ الهبوط في المسافة التي بين الصدر والذنائب عند القاطول وهي ٢٤ كيلومتراً حوالي ١٥ متراً .

ويشاهد على الضفة اليمنى لنهر الجعفري فرع آخر يتفرع من أمام مأخذ فرع الحديد تماماً فيمتد هذا الفرع غرباً في حاوي البوعجيل حتى ينتهي الى دجلة. وتوجد آثار بناء في صدر هذا الفرع مما يدل على انه كان هناك ناظم لضبط المياه التي تدخل اليه ، كما توجد آثار بناء مقابل هذا الناظم على الضفة اليسرى لمجرى النهر الجعفري يسمى مكانه « تل رحيات » ، ويقع هذا البناء في الزاوية التي في نقطة تفرع « نهر الحديد » ، ولعله كان قد أنشيء لتحقيق نفس الغاية

التي كان يرمي اليها البناء الذي انشيء في ذنائب فرع الحديد أمام بداية السور الخارجي لمدينة المتوكلية .

وهكذا فقد أصبحت مدينة المتوكلية ومشتملاتها ـ وهي المدينة التي كان يحلم المتوكل بانشائها ـ محاطة بمياه وأسوار خارجية من كل اطرافها . فكان نهر دجلة يحاذيها من جهة الغرب ، أما من الجهات الأخرى فان فرع حاوي البوعجيل الذي يأخذ المياه من الضفة الغربية لنهر الجعفري ويصب في دجلة ، كان يؤلف الحد الشمالي بين دجلة والنهر الجعفري ثم يليه فرع الحديد الذي يبدأ من النهر الجعفري وينتهي الى دجلة فيحد المدينة من الشرق والجنوب .

٧ ـ الفروع الاخرى للنهر

وكانت هناك فروع أخرى تأخذ المياه من الضفة اليمنى للنهر الجعفري فتسقي الحويان (جمع حاوي وهو السهل الرسوبي على ضفة النهر) التي على الضفة الشرقية لنهر دجلة[1] . ونميل الى الاعتقاد بأن هذه الفروع فتحها زراع هذه المنطقة بعد أن هجر نهر المتوكل وصار يستغل في موسم الفيضان لارواء أراضيهم الواطئة التي بين نهر دجلة والنهر الجعفري ، واليك أسماء هذه الفروع بالتسلسل من الشمال الى الجنوب :

اسم الفرع	مكان تفرعه من النهر الجعفري
نهر سمرة	عند الكيلومتر ٢٢ر٤٠٠ من الصدر
نهر الربيضة	» » ٢٤ر٥٠٠ »
نهر الخرجة	» » ٣٠ر٥٠٠ »
نهر البوعجيل	» » ٣٩ر٧٥٠ »
نهر الايشان	» » ٥٩ر٣٠٠ »

(١) تمتد هذه الحويان من الشمال الى الجنوب على طول النهر الجعفري بينه وبين دجلة واسماؤها الحالية بالتسلسل من الشمال الى الجنوب هي : حاوي البو علي ، حاوي سمرة ، حاوي الربيضة ، حاوي الخرجة ، حاوي رأس السوق ، حاوي تكريت ، حاوي البو عجيل (راجع اللوحة رقم ١) .

٨ ـ التلول الأثرية على النهر

ويظهر ان اكثر القرى على النهر الجعفري كانت تقع على الضفة اليمنى ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى ان الاراضي التي على تلك الضفة بين النهر الجعفري ونهر دجلة منخفضة مما يساعد على اروائها سيحاً من النهر الجعفري. وقد حاولنا أن نتحرى أماكن القرى التي ذكرها الطبري والتي عين مواقعها قرب صدر النهر الجعفري وهي « جبلتا » و « الخصاصة العليا والسفلى » و « كرى »[1] ولكن لم نعثر على امكنة هناك تسمى بهذه الاسماء أو ما يقرب منها . وقد رأينا ان ندرج أسماء الاماكن الأثرية التي عثرنا عليها في دراستنا للمنطقة التي يمر منها النهر الجعفري معينين مواقعها بالنسبة الى النهر وهذه الاماكن هي :

اسم التل	الضفة التي يقع عليها بالنسبة الى نهر الجعفري	موقع التل حسب المسافة من صدر النهر
تل هرّو	الضفة اليمنى	الكيلومتر ٦/٥٠٠
تل الربيضة	» »	» ١١/٥٠٠
تلا الرمامين	» »	» ١٦/٢٥٠
تل خزامية	» »	» ١٦/٥٠٠
تل الناعور	» »	» ٢١/٢٥٠
تل علوشة	» »	» ٢٤/٢٥٠
تل السوق	» »	» ٣١/٠٠٠
تل كنيسة	» »	» ٣٣/٧٥٠
تل رحيات	الضفة اليسرى	» ٣٩/٧٥٠
تل هطرة	الضفة اليمنى	» ٤١/٥٠٠
تل البنات	وسط النهر	» ٥٦/٠٠٠

(١) راجع ما تقدم في صفحة ٣٢٤

٩ ـ حالة النهر وناظم مصرف الوشاش

اما حاله جدول المتوكل فهي جيدة على العموم وذلك عدا التخريبات التي احدثتها السيول في القسم الاعلى من مجراه ـ وهي السيول المنحدرة من أعالي سلسلة جبل حمرين في جهة الشرق ـ حيث تقطع هذه السيول الجدول في عدة أماكن ثم تنصب في دجلة في الجانب الغربي للجدول . وأول هذه الأودية من الشمال هو «وادي بزيخة» الذي يقطع جدول المتوكل عند الـكيلومتر(٩٠٠/١) والكيلومتر(٨٠٠/١) من صدره، ثم يليه «وادي الوشاش» الذي يقطع الجدول عند الكيلومتر (٦٠٠/٥) و « وادي الطويل » عند الكيلومتر (٥٠٠/١٣) و«وادي المويلح» عند الكيلومتر(٥٠٠/١٨) و«وادي المجتلة» عند الكيلومتر (٢٣)و«وادي الشرجة» عند الكيلومتر (٥٠٠/٢٦) وكانت مياه هذه الأودية تنصب في الجدول من ضفته الشرقية ، أما المياه الزائدة التي تدخل الى الجدول في موسم الفيضان فكانت هناك مصارف (escapes) تتفرع من الضفة الغربية للجدول فتأخذها الى نهر دجلة الذي يسير بموازاة الجدول في تلك الجهـــة .

وتوجد في النقطة التي يتقاطع فيها الجدول مع وادي الوشاش آثار بناء قديم على الضفة اليمنى من الجدول (راجع الرسم رقم ١٥ مقابل الصفحة ٢٢٤) يرجح انه كان ناظماً في صدر المصرف الذي يصرف المياه الزائدة في الجدول الى نهر دجلة . ويستدل من آثار البناء المتبقي أن أرضية الناظم مبنية من خرسانة الحصى والنورة والرماد بسمك ١٣ سنتمتراً تقريباً ، أما جناحا الناظم من الجهتين فمبنيان بالآجر بحجم (٣٠×٣٠×١٠ سنتيمتراً) . ويبلغ القسم المتبقي من سمك بناء الجناح الايسر للناظم حوالي ٩ر٥ متراً ومن ارتفاع الجناح فوق الأرضية حوالي ١ر١٠ أمتار . اما منسوب سطح الارضية فيبلغ

٩٩٫٨٠ متراً فوق سطح البحر والارجح أن المنسوب المذكور كان منسوب قعر الجدول نفسه في هذا المكان .

ويلاحظ ان قسماً من الضفة اليمنى للجدول قد جرفته مياه نهر دجلة مسافة نصف كيلومتر تقريباً وذلك بين الكيلومتر (٨٠٠/—) والكيلومتر (٣٥٠/١) من صدر الجدول ، ويظهر أن هذا التآكل حصل بسبب تحول مجرى دجلة الى قرب الضفة الغربية للجدول ، اما الآن فقد رجع النهر الى مجراه القديم غرباً .

١٠ ـ عبارة النهر الجعفري على القاطول الكسروي

ولعلّ أهم ما كان من منشئات على النهر الجعفري العبارة التي انشئت على القاطول عند قنطرة الرصاصي لعبور مجرى النهر من فوق القاطول . فقد ذهب الكتاب والمؤرخون والمهندسون مذاهب شتى في أمر هذا البناء ، فمنهم من قال انه قنطرة عبور ، ومنهم من تصور انه ناظم انشيء في صدر النهروان ، وهناك من ظنه سداً حاجزاً لرفع مناسيب المياه في النهر (ومن بين الفريق الأخير السير ويليم ويلكوكس الذي لم يتح له دراسة هذا المشروع دراسة وافية) . اما حقيقة الأمر فهي ان البناء كان بالأصل قنطرة عبور ثم حوّر في زمن المتوكل ليكون عبارة (Aqueduct) عرّر فيها مياه النهر الجعفري من فوق مجرى القاطول ، وقد أضاف الى القنطرة الأصلية ما يلزم من بناء لتحقيق هذه الغاية. ونبحث الآن في أمر هذا البناء من الناحية الفنية في ضوء المعلومات التي حصلنا عليها فيما يختص بتصميم القنطرة ومناسيبها . ولنبحث أولاً في البناء القديم الذي كان يحقق غرض العبور على مجرى القاطول في هذا الموضع ، وهو البناء الذي أنشيء في نفس الوقت الذي انشيء فيه القاطول الكسروي على عهد كسرى انوشروان .

أ ـ قنطرة العبور القديمة

قلنا بمناسبة ذكر القاطول الكسروي ان القاطول المذكور يسمى نهر الرصاصي ايضاً . اما منشأ هذه التسمية الاخيرة فيرجع على الارجح الى استعمال الرصاص في بناء هذه القنطرة التي سميت باسم « قنطرة الرصاصي » للسبب نفسه. أما كيفية استعمال الرصاص في البناء فأمر اختلف فيه العلماء والمؤرخون ، فنهم من قال ان الرصاص استعمل ليحل محل مونة النورة أو مونة الخرسانة في الفجوات التي بين صفوف الآجر أو الحجر وذلك بعد تذويب الرصاص على النار، ومنهم من تصور أن هناك قيوداً حديدية كانت تربط الاحجار بعضها ببعض ثم يصب الرصاص بينها ، ويلاحظ ان المؤرخين والكتاب الافرنج نقلوا الواحد عن الآخر هذه الآراء على الرغم من بعدها عن الحقيقة كل البعد . أما حقيقة الأمر فهي ان القنطرة الاصلية التي انشئت على عهد كسرى انوشروان بنيت بالاحجار النارية السوداء المعروفة بالاحجار البركانية وهذه ولا شك نقلت من أماكن جبلية والأرجح جبال ايران، ومن خواص هذا النوع من الحجر الثقل في الوزن والمقاومة في الماء . والظاهر ان قطعاً كبيرة من هذه الاحجار نحتت على شكل مستطيل ولبست الواحدة بالاخرى وذلك بقلع نصف سمك الجانبين من كل قطعة لبعد معين ، أي بقلع نصف سمك القسم الاعلى من الجانب الواحد ونصف سمك القسم الاسفل من الجانب الآخر ، وتلبيس الحجارة الواحدة بالاخرى من كل جانب على الشكل المبين في الرسم رقم ١٦ . وقد ثقب كل جانب في وسط القسم الذي قلع نصف سمكه ، وبعد تلبيس الحجر الواحدة بالاخرى ملئت الثقوب الراكبة الواحد على الآخر بالرصاص بحيث ربط الجانب الاعلى من كل قطعة بالجانب الاسفل من القطعة الاخرى أو العكس بالعكس فأصبحت القطعتان متماسكتين مما جعل فصل الواحدة عن الاخرى متعذراً . وكذلك ثقبت كل حجارة من وسطها ليتصل الثقب الوسطي بالثقوب التي فوقه وتحته وهكذا حتى

تم البناء كله على هذا الشكل . هذا مع العلم بأن هذا الترتيب كان مضافاً الى استعمال المونة الاعتيادية بين الاحجار .

وللرصاص خاصية لا توجد في بقية المعادن فهو ثقيل لا يعتريه الصدأ ويمتاز بخصائص القوة الضاغطة (Compression) وقد استعمله الاقدمون في منشئات الري منذ أقدم الازمنة . فقد ذكر هيرودوتس وديودورس الصقلي أن سميراميس لما قامت بانشاء جسر ثابت على نهر الفرات في بابل مكنته بالحديد والرصاص ، ذلك يدل على أن طريقة استعمال الرصاص في مثل هذه المنشئات ترجع الى عهود قديمة جداً وأن الفرس اقتبسوها من أسلافهم القدماء[1] .

اما الرصاص الذي استعمل في بناء القنطرة التي نحن بصددها فلم يبق له أي أثر حيث حفر الاهلون الانقاض إلى حد الأساسات وكسروا قطع الاحجار لاستخراج الرصاص واستعماله أو بيعه ، لذلك لا نجد من الحجر الناري إلا قطعاً صغيرة من بقايا القطع الاصلية التي كسرها الاهلون لاستخراج الرصاص من جوف ثقوبها ، الامر الذي جعل الوقوف على حجم الثقوب الاصلية متعذراً . والارجح ان الثقوب كانت واسعة حيث أن الغاية من انشائها املاؤها بأكبر كمية ممكنة من الرصاص للاستفادة من ثقلها في ترسيخ البناء وتأمين مقاومته للضغوط التحتية .

وكان للفرس خبرة في استعمال الاحجار في مشروعاتهم الانشائية الضخمة ، فهذا مشروع السد الحجري على نهر العظيم والسد الحجري على نهر ديالى في جبل حمرين[2] وأمثالها من مشاريع الري القديمة في العراق تدلنا على خبرتهم واتقانهم بناء الاحجار. ولا عجب فان الذين قاموا بهذه المشاريع جبليون تتوفر في جبالهم

(١) حول هذا الجسر راجع كتاب « وادي الفرات » للمؤلف الجزء الثاني ص ١٤

(٢) حول هذين السدين راجع ما تقدم في صفحة ١٥٩ وصفحة ١٦٢

الاحجار على مختلف انواعها ، وهي المادة الأساسية لمنشئاتهم الكبيرة ومشروعاتهم الضخمة .

ونلاحظ من الآثار المتبقية أن بناية القنطرة الأصلية كانت تتألف من ثلاث دعامات وان مجرى النهر كان يمر من تحت القنطرة بفتحتين معقودتين بطاقين ضخمين ، كل فتحة بعرض حوالي عشرة امتار . ويبلغ مجموع طول هذا البناء الذي يشتمل على الفتحتين والثلاث دعامات تسعة وعشرين متراً ، وقد قلع هذا البناء كله من أساسه لاستخراج الرصاص من أحجاره . وتتفق هذه الابعاد مع سعة الجدول الذي يبلغ عرضه خمسة وعشرين متراً تقريباً في هذا الموضع . اما قعر الجدول في موضع القنطرة فمنسوبه الحالي يبلغ ٧٧ر٤٠ متراً فوق سطح البحر ، ولعلّ المنسوب الاصلي للقعر كان أوطأ من ذلك بما لا يقل عن متر ونصف متر ، لذلك فاذا اعتبرنا أن منسوب القعر كان بالاصل ٧٦ متراً فمن المحتمل أن مستوى سطح القنطرة كان ٨١ متراً باعتبار أن عمق الماء يبلغ ٢ر٥٠ متراً أو ثلاثة أمتار وارتفاع الطاق مترين .

هذا هو قسم البناء القديم ، أي قنطرة العبور الأصلية التي انشئت على عهد كسرى انوشروان ، وقد ازيل كله لاستخراج الرصاص الذي كان فيه كما اسلفنا . أما التلان المرتفعان على رقبتي القنطرة والمعروفان بتلي قنطرة الرصاصي فالارجح انهما انشئا هناك في نفس الوقت الذي انشئت فيه القنطرة الاصلية للدلالة على وجود جسر العبور في هذا المكان أو لعلهما كانا نصباً تذكارياً على رقبتي القنطرة جرياً على العادة المتبعة في انشاء مثل هذه الاعمال العامة .

ب ـ عبّارة النهر الجعفري فوق القنطرة

أما البناء الاضافي الذي أقيم في زمن المتوكل لتحوير قنطرة العبور الى عبارة تعبر عليها مياه النهر فوق مجرى القاطول فقد انشيء بالآجر ومونة

النورة والرماد . ولدينا أدلة كافيه على أن هذا البناء الاضافي أنشيء في الوقت الذي انشيء فيه «النهر الجعفري» إذ نجد ان ناظم المصرف الذي انشي في صدر النهر أمام وادي الوشاش لتصريف المياه الزائدة الى دجلة مبني من نفس الآجر ونفس المونة حتى ليخال لك أن بناء هذا الناظم هو نفس بناء العبارة على القاطول لولا تغير المكان الذي يقع فيه . ونستدل من آثار هذا البناء الاضافي ومن مناسيب قعر مجرى الجعفري الذي يعبر فوق نهر القاطول على ان مستوى سطح العبارة،أي منسوب قعرالنهر الذي يمر فيها،كان يعلو سطح القنطرة الاصلية خمسة أمتارعلى الأقل، الأمر الذي حدا بمهندسي المتوكل أن يبنوا بناء جديداً فوق اعمدة القنطرة القديمة وطاقين جديدين فوق طاقي القنطرة الاصلية لايلاغ العبارة الى المنسوب المطلوب . وتدل الآثار الموجودة على أن البناء مدد من جانبي القنطرة لوصل الجدول برقبتي العبارة على ضفتي مجرى القاطول حتى بلغ مجموع طول العبارة حوالي ١٢٠ متراً ، فقد مدد البناء من الجانب الغربي زهاء (٥ر٥٢) متراً ومن الجانب الشرقي (٥ر٣٨) متراً . وتدل آثار الدعامات التي لايزال بعض أساسها ظاهراً على ان البناء الاضافي في الجانب الغربي يتألف من ثلاث فتحات وأربع دعامات منها دعامة واحدة ملاصقة للدعامة الغربية للقنطرة الاصلية لحمل الطوق فوق الفتحات الجديدة، وأن البناء في الجانب الشرقي يتكون من فتحتين وثلاث دعامات منها دعامة واحدة ملاصقة للدعامة الشرقية للقنطرة الاصلية على نفس الترتيب في الجانب الغربي (راجع الرسم رقم ١٦) .

والارجح ان حوض النهر الذي يمتد فوق العبارة كسي بطبقة من الرصاص للحيلولة دون نفوذ المياه الى داخل البناء .

وقد بنيت العبارة على نمط العبارات التي ترجع هندستها الى العهد العربي ، فهي مؤلفة من طوق راسية (Pointed arches) مبنية بالآجر والنورة ، وقد ألف العرب انشاء مثل هذه العبارات على الانهر، ويمكن مشاهدة أحسن نموذج لها قرب محطة تكية حيث توجد هناك عبارة من هذا النمط كانت تجري فيها

مياه أحد فروع « نهر دجيل » التي تعود الى العهد العربي فوق أحد تشعبات مجرى دجلة القديم . وتسمى هذه العبارة اليوم « قنطرة جوريت » وتقع على مسافة قريبة من « الامام محمد أبي الحسن » وهي لا تزال عامرة ولم يندرس منها إلا جوانب الجدول الذي فوقها .

ونميل الى الاعتقاد بأن العبارة انشئت ليس لتعبير مياه « النهر الجعفري » الى الضفة اليمنى من مجرى القاطول حسب وانما أنشئت على شكل يؤمن استعمالها كجسر لعبور الاهلين والحيوانات أيضاً ، ونعتقد ان « النهر الجعفري » كان يسير في وسط العبارة ، وكان ممران على ضفتي الجدول فوق العبارة لعبور الناس والحيوانات (راجع الرسم رقم ١٦) . والارجح ان العبارة بقيت على وضعها لاستعمالها كجسر عبور فقط بعد أن هجرت المتوكلية وهجر النهر الجعفري معها .

هذا فيما يختص بعبارة الرصاصي ، أما العبارة الاخرى التي كان يعبر فيها الفرع الشمالي للنهر الجعفري فوق القاطول فتقع على بعد حوالي ١٢٠ متراً شمالاً ، ولما كانت هذه العبارة الشمالية صغيرة الحجم بالنسبة الى عبارة قنطرة الرصاصي فلم يبق من آثارها سوى اطلال بناء جناحها الايمن من جهة حوض تجمع المياه الذي يقع أمامها تماماً على الجانب الايمن من القاطول .

١١ – بركة القصر الجعفري

والدليل على أن المتوكل كان قد أعار قصره الخاص وهو « القصر الجعفري » عناية خاصة انه جعل النهر الذي حفره الى المتوكلية ينتهي الى ذلك القصر عند البركة التي أنشأها أمامه . ويمكن تتبع آثار النهر في المسافة التي تقع بين العبارة والبركة (راجع الرسم رقم ٢ مقابل صفحة ١٣٠) ، وهذا يبدأ في الحوض الذي في الجانب الايمن للقاطول الكسروي — وهو الحوض الذي انشىء لتتجمع فيه مياه النهر بعد عبورها فوق القاطول على العبارتين

(عبارة قنطرة الرصاصي والعبارة الثانية التي في شمالها) — ثم يسير في الاتجاه الغربي بمحاذاة القاطول بين ضفة القاطول اليمنى وسور المتوكلية مسافة ٥٥٠ متراً، وبعد أن يدخل المتوكلية مخترقاً سورها من الزاوية الشمالية المجاورة الى ضفة القاطول يعود فيخرج من الضلع المقابلة في الزاوية نفسها ثم يتجه غرباً نحو البركة الواقعة أمام القصر من جهته الشرقية فيصب فيها . ويتشعب من الضفة اليسرى للنهر في المسافة التي بين الحوض والبركة عدة فروع تخترق سور المتوكلية وتتغلغل داخلها من عدة نواحي .

وتقع البركة في حفرة عميقة محاطة بأطلال القصر الجعفري التي تمتد الى ضفة نهر دجلة من الغرب ، أما شكلها فمستطيل ويبلغ طولها زهاء ١٢٠ متراً وعرضها حوالي ٨٠ متراً ، أي بمساحة عشرة آلاف متر مربع تقريباً، ويبلغ منسوب قعر البركة الاصلي ٨١ متراً فوق سطح البحر،اما المنسوب الحالي فيبلغ ٨٢٫٤٦ متراً أي حوالي متر ونصف المتر أعلى من منسوب القعر الاصلي . ويتكون عمق هذه الاتربة السطحية من الغرين والدهلة مما يدل على انها تجمعت في قعر البركة من الترسبات التي خلفتها فيها مياه الفيضان المشحونة بالطمي . ولصرف المياه الزائدة التي تتجمع في البركة انشئت ثلاثة كهاريز تخرج من قعر البركة عند ضلعها الجنوبية وهذه تتوحد بعد مسافة قليلة في كهريز واحد واسع يصب في دجلة (راجع الرسم رقم ٢ امام صفحة ١٣٠)

ويظن البعض ان هذه البركة هي البركة المشهورة التي وصفها البحتري في اشعاره ، وهذا أبعد ما يمكن تصوره بدليل أن هذه البركة التي في القصر الجعفري لم يدخلها الماء في غير الشهرين شعبان ورمضان من سنة ٢٤٧ هـ (أي بين ١٠ تشرين الاول و ١٠ كانون الاول من سنة ٨٦١ م) . وقد كان ذلك في موسم الشتاء ، أي في أوائل موسم الفيضان قبيل مقتل المتوكل وهجران المتوكلية، بحيث لم يكن مجال للانتفاع بها في أي موسم من مواسم الصيف بعد انشائها .

وتدلنا كثرة الاطيان المتراكمة في قعرها انها اهملت بعد دخول المياه اليها بدليل أن مياه الفيضان استمرت تدخل اليها دون أية مراقبة أو سيطرة تخلفت هـذه الاطيان الهائلة . اما بركة البحتري فقد عينا مكانها على القاطول جنوبي سامراء وهي من دون أي شك جزء من أعمال المتوكل في تلك المنطقة قبل ان ينتقل الى المتوكلية ، وقد بحثنا عن ذلك بصورة مفصلة فيما تقدم[1] . ولا بد من الاشارة في هذا الصدد الى ان تعيين مثل هذه الأماكن التي لا تقوم إلا على مصدر معين يغذيها بالمياه لا يمكن ان يتم إلا بعد دراسة ذلك المصدر دراسة دقيقة وتتبع تطوراته في مختلف ادواره ، أي أن تعيين هذه المواقع يستوجب قبل كل شيء دراسة نظام الري المتبع في عهد ازدهار تلك المواقع ليتسنى الوقوف على حقيقة الامر من مرجعه الاصلي . وهكذا سنقف على حقيقة كثير من الامور التاريخية فيما يختص بمنطقة سامراء العباسية وأماكنها ومشاريعها من خلال دراسة ريها القديم .

١٢ ـ الشارع الاعظم

سبق أن ذكرنا ان المتوكل فتح شارعاً رئيسياً يمتد بين آخر البناء في الحدود الشمالية لسر من رأى وبين مدينة المتوكلية الجديدة ، وقد سمي هذا الشارع باسم « الشارع الاعظم » . وأهم ما يلفت النظر في أمر هذا الشارع سعة عرضه واستقامة تخطيطه مما يدل على عظمة مشروع مدينة المتوكل الجديدة والابداع في تنسيقها وتخطيطها . وقد كتب اليعقوبي في هـذا الصدد قال : « ومد (المتوكل) الشارع الاعظم من دار أشناس التي بالكرخ والتي هي صارت للفتح ابن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره ، وجعل دون قصوره ثلاثة أبواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه ، واقطع الناس يمنة الشارع الأعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الأعظم مائتي ذراع وقدر ان يحفر في

(١) راجع البحث الذي قدم الخاص ببركة البحتري في الفصل السابق صفحة ٢٠٦

جنبي الشارع نهرين يجري فيها الماء من النهر الكبير الذي يحفره » .

ويمكن تتبع آثار هذا الشارع بين سور أشناس والمتوكلية إذ تحده اطلال الابنية القديمة من الجانبين ، اما السواقي الجانبية التي كانت تستمد مياهها من « النهر الجعفري » والتي اشار اليها اليعقوبي فتشاهد آثارها على جانبي الشارع أيضاً في معظم اقسامه . ويبدأ الشارع من سور أشناس بعرض حوالي خمسين متراً فيسير مسافة زهاء كيلومترين شمالاً ثم ينعطف نحو الغرب قليلا فيسير من هنا في اتجاه مستقيم بين نهر دجلة ونهر القاطول الكسروي نحو المتوكلية ، وبعد ان يسير حوالي الكيلومتر في هذا الاتجاه يتضاعف عرضه حتى يصبح مائة متر ويستمر في نفس الاتجاه حتى اذا ماقطع زهاء ستة كيلومترات ونصف الكيلومتر اعترضه السور الخارجي لمدينة المتوكلية ، وهو السور الذي يمتد عرضاً بين نهر القاطول الكسروي ونهر دجلة[1]. وهنا نجد آثار بناء الابواب الثلاثة التي وصفها اليعقوبي بقوله « انها ابواب عظام جليلة يدخل منها الفارس برمحه » . وبعد أن يجتاز الشارع هذا السور يعود فيصبح عرضه خمسين متراً فيسير بموازاة ضفة نهر القاطول الكسروي مسافة كيلومتر ونصف الكيلومتر ثم ينحرف غرباً حتى ينتهي عند الزاوية الجنوبية الشرقية لسور مدينة المتوكلية حيث يقع في هذه الزاوية المدخل الرئيسي لأبنية المدينة . ويبلغ مجموع طول الشارع بين سور أشناس وسور المدينة الداخلي حوالي اثني عشر كيلومتراً ونصف الكيلومتر (راجع الرسم رقم ١٧ والرسم رقم ٢ مقابل صفحة ١٣٠) .

ويشاهد في غربي الشارع قبل دخوله السور الخارجي لمدينة المتوكلية بقليل بقايا « جامع أبي دلف » ومئذنته وقد سبق البحث عن هذا الجامع في الفصول المتقدمة[2].

---

(١) راجع البحث المتقدم عن هذا السور في ص ٥٥-٥٦ و ١٣٠ من هذا الكتاب

(٢) راجع ما تقدم في صفحة ١٣٧

وقد دلت اعمال المسح على طول الشارع أن الاراضي التي يقع فيها الشارع تنحدر من الشمال الى الجنوب بهبوط مستمر مما يساعد على جريان المياه في السواقي التي على جانبي الشارع من الشمال الى الجنوب . وقد دلت هذه الاعمال على أن منسوب قعر الحوض الذي على الجانب الأيمن من القاطول الكسروي ، وهو الحوض الذي كانت تتجمع فيه مياه النهر الجعفري ، يبلغ ٦٤ر ٨٥ متراً فوق سطح البحر . اما الفرع الذي يتفرع من الحوض ويغذى السواقي فيبلغ منسوبه عند الزاوية الجنوبية الشرقية لسور المتوكلية ٢٥ر٨٥ متراً ثم يهبط المنسوب في آخر الشارع عند سور أشناس الى حوالي ٧٧ متراً، أي أن منسوب الأراضي التي يقع فيها أول الشارع قرب سور اشناس أوطأ من منسوب قعر النهر في نهاية الشارع عند المتوكلية بحوالي ثمانية أمتار ، وهذا كان يسهل جريان المياه في السواقي على جانبي الشارع حتى سور أشناس . أما المياه الزائدة في هذه السواقي فكانت تصرف الى نهر دجلة جنوبي سور أشناس (راجع خارطة الشارع الاعظم ـ مقياس $\frac{1}{100,000}$).

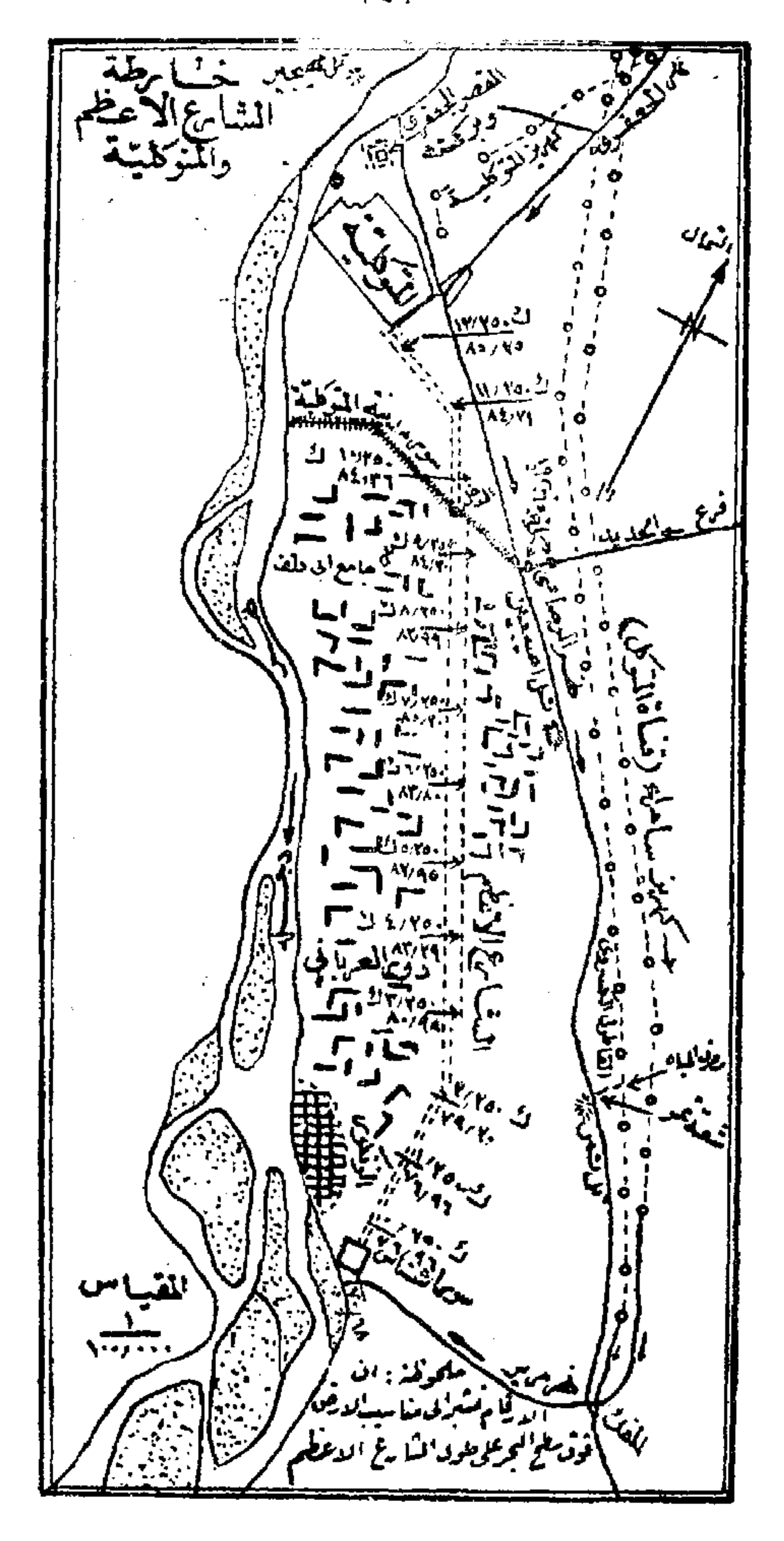
ولكي يستطيع المتوكل الشروع في انشاء المدينة الجديدة وايصال المياه الى أماكن العمل دون ان يضطر الى الانتظار حتى ينتهي من مشروع النهر أمر بانشاء كهريز يأخذ المياه من اعالي نهر دجلة ويحملها الى نواحي العمل في المدينة، ويمكن تتبع آثار هذا الكهريز على طول المسافة من صدره حتى مدينة المتوكلية، فهو يبدأ من نهر دجلة بالقرب من « تلول هطرة »[١] ، ثم يمتد بموازاة « قناة سامراء » (قناة المتوكل)[٢] فيخترق « الدور » ويتابع سيره الى جانب كهريزي القناة المذكورة حتى اذا ما قطع مسافة حوالي اربعة كيلومترات جنوبي « الدور » وصار أمام « قنطرة الرصاصي » التي على القاطول الكسروي[٣] انحرف

---

(١) حول « تلول هطرة » راجع ما تقدم في صفحة ٣١٨ (حاشية ١)

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « قناة المتوكل » في الفصل الخامس ص ٢٧٠ـ٢٨٤

(٣) حول هذه القنطرة ، راجع ما تقدم في ص ٣٣١ـ٣٣٦


خارطة
الشارع الأعظم
والمتوكلية
الشمال
فرع سكة الحديد
جامع ابي دلف
المقياس
١
١٠٠,٠٠٠
ملحوظة : ان الارقام تشير الى مناسيب الارض فوق سطح البحر على طول الشارع الاعظم

الى الغرب واتجه نحو مدينة المتوكلية الواقعة على بعد حوالي أربعة كيلومترات من نقطة الانحراف . ويقطع الكهريز في طريقه الاخير « قناة سامراء » قرب انحرافه الى الغرب ، كما انه يقطع القاطول الكسروي عند « قنطرة الرصاصي » . ولا تزال شبكة الكهاريز الفرعية التي تتفرع من الكهريز المذكور ماثلة يمكن مشاهدتها في عدة امكنة داخل مدينة المتوكلية (راجع اللوحة رقم ١ والرسم رقم٢). ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان المعتصم كان قد انشأ مثل هذا الكهريز في القادسية لايصال مياه الشرب الى مدينته الجديدة التي اعتزم انشاءها في القادسية قبل ان ينتهي الى سامراء[1] .

١٣ ـ فشل مشروع النهر الجعفري وعوامله

لقد اختلف المؤرخون في بحثهم عن مصير «النهر الجعفري» وعن العوامل التي أدت الى فشله ، فنهم من قال إن النهر لم يتم حفره في عهد المتوكل وانه توقف العمل فيه بعد مقتله، ومنهم من ذكر ان النهر قد تم حفره ، إلا انه لخطأ ارتكب في التصميم لم يحقق الغاية المتوخاة فكان جريه ضعيفاً . وكان ياقوت من بين الذين دانوا بالرأي الأول ، فذكر ان المتوكل اشتق نهراً من دجلة « وقدره للدخول الى الحيز (الماحوزة) فمات قبل ان يتمم وحاول المنتصر تتميمه فلقصر أيامه لم يتمم ثم اختلف الامر بعده فبطل وكان المتوكل اتفق عليه سبعمائة الف دينار[2] » . وقد أيد الطبري ذلك فذكر أن المتوكل عهد أمر النفقة على النهر الى دُليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا وقد بوشر العمل في شهر ذي الحجة من سنة ٢٤٥ هـ . وكان دُليل لم يزل « يعمل فيه ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب حتى قتل المتوكل فبطل النهر وأخربت الجعفرية ونقضت ولم يتم أمر

(١) راجع ما تقدم في ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧

(٢) راجع معجم ياقوت (مادة سامراء) .

النهر »[١] . وكذا كان رأي ابن الأثير فقد أيد توقف حفر النهر بعد مقتل المتوكل، وتفسير ذلك أنه لم يتم حفره في عهد المتوكل . واليك نص ما كتبه ابن الأثير في هذا الصدد قال : « في هذه السنة (سنة ٢٤٥ هـ .) أمر المتوكل ببناء الماحوزة وسماها الجعفرية واقطع القواد واصحابه فيها وجدّ في بنائها وانفق عليها فيما قيل اكثر من الفي الف دينار وجمع فيها القراء فقرأوا وحضرها اصحاب الملاهي فوهب اكثر من الفي الف درهم وكان يسميها هو واصحابه المتوكلية وبنا فيها قصراً سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه وحفر لها نهراً يسقي ما حولها فقتل المتوكل فبطل حفر النهر وأخربت الجعفرية »[٢] .

ومن الذين خالفوا هذا الرأي اليعقوبي ، ومع انه بيّن أن النهر لم يتم حفره على الشكل المنتظر فقد أفاد في الوقت نفسه ان المياه جرت فيه في عهد المتوكل جرياً ضعيفاً . وهذا ما كتبه بالنص قال : « قيل (للمتوكل) ان المعتصم قد كان على ان يبني مدينة في الموضع الذي يقال له الماحوزة ويحفر نهراً قد كان في النهر القديم فاعتزم على ذلك وابتدأ النظر فيه في سنة ٢٤٥ هـ . ووجه في حفر ذلك النهر ليكون وسط المدينة ... إلا أن النهر لم يتم أمره ولم يجر الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً لم يكن له اتصال ولا استقامة على انه قد انفق عليه شبيهاً بألف الف دينار » .

أ ـ رواية احمد بن يوسف الكاتب

ولولا مشيئة الصدف التي قادت احمد بن يوسف الكاتب[٣] الى شرح تفاصيل

---

(١) الطبري (٣ : ١٤٣٨)

(٢) ابن الأثير الجزء السابع ص ٥٦

(٣) المعروف بـ « ابن الداية » وكانت وفاته في سنة ٣٤٠ هـ (راجع كتابه « المكافأة وحسن العقبى » المطبوع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٤٠ وهي النسخة التي حققها وشرحها وصححها [illegible]) .

قصة النهر بمناسبة ذكر اخبار يعقوب بن اسحاق الكندي لبقي أمر فشل هذا المشروع سراً مجهولاً . وخلاصة القصة هي انه كان يعقوب بن اسحق الكندي عظيم القدر عند الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم لما كان له من منزلة علمية جليلة ، وقد اشتهر في اضطلاعه بعلم الحساب والهندسة وطبائع الاعداد عدا العلوم الاخرى كالفلسفة والمنطق وعلوم النجوم والطب ، ولم يكن ينافسه على الشهرة التي حازها بالنسبة الى علم الهندسة والحساب غير أبي معشر ، وهو جعفر بن محمد البلخي ، ولكنه لما دخل في المباراة مع الكندي فشل فاضطر الى العدول الى علم آخر غير علم الهندسة . وقد شاءت الظروف أن تفسح للانانية الشخصية المجال لان تلعب دورها فانبرى شخصان من الحساد المتطفلين هما محمد وأحمد ابنا موسى فدبرا مكيدة للكندي حتى غضب المتوكل عليه فضربه وأخذ محمد واحمد كتبه بأسرها وافرداها في خزانة سميت الكندية ، كما أنهما دبرا في الوقت نفسه مكيدة لسند بن علي الذي كان اختصاصياً في علم الهندسة أيضاً فأشخصاه الى بغداد وباعداه عن المتوكل . ومكن هذا لهما ان يحتكرا الادعاء بعلم الهندسة رغم كونهما بعيدين كل البعد عن معرفة اصوله وتفرعاته .

ولما قرر المتوكل حفر النهر لايصال المياه به الى مدينته الجديدة ــ المتوكلية ــ كان طبيعياً ان يتقدم الى محمد واحمد بحفره ، ولما كانا مفتقرين الى الكفاءة الفنية لانجاز مثل هذا المشروع الجسيم اسندا أمره الى احمد بن كثير الفرغاني[1] الذي لم يكن أوفر حظاً منهما في قابلية انجاح مثل هذا المشروع ، فأرتكبت اغلاط فنية أدت من حيث الأساس الى فشل المشروع حيث لم تدخل المياه الى النهر في غير أوقات الفيضان حين ارتفاع مناسيب مياه دجلة فقط . ولما بلغ امر هذه الاغلاط مسمع المتوكل أحضر سند بن علي من بغداد فصارحه في امر مكيدة محمد واحمد عليه وطلب اليه ان يجري التحري على النهر الذي عهد

(١) هو صاحب كتاب «المدخل الى علم هيئة الافلاك» يحتوي على جوامع كتاب بطليموس بأعذب لفظ وأبين عبارة (ابن العبري ، طبعة بيروت ، ص ٢٣٦ــ٢٣٧) .

أمر حفره اليها وان يبين الخطأ الذي ارتكب فيه ليقوم باعدام محمد وأحمد بعد الاستماع الى شهادته الفنية والتأكد من وقوع الخطأ الذي سبب انفاق الاموال الطائلة من دون جدوى . ولما تحقق لمحمد واحمد ان مصيرهما غدا معلقاً على حكم سند في الموضوع لاذا به متوسلين اليه أن يعفو عنهما وينقذهما من الموت ، فاشترط سند قبل النظر في الأمر ارجاع مكتبة الكندي فأجيب الى هذا الطلب في الحال ، ثم دبر سند خطة ينقذ بها محمد واحمد من المصير المحتم بعد ان ثبت لديه خطأهما ، وهي ان يخبر المتوكل بأنه لم يقع أي خطأ في حفر النهر لأن الخطأ لا ينكشف إلا بعد هبوط مستوى ماء نهر دجلة في الصيف ، ولما كان الموسم موسم فيضان فقدر المدة التي يسحب فيها النهر المياه من دجلة اربعة اشهر، اما بعد ذلك فلا بد من ظهور الخطأ بانقطاع المياه عن النهر، فاذا بقي المتوكل في قيد الحياة اوقع بثلاثتهم وان صدق المنجمون بأنه لم يدم الى هذا الحد افلتوا ثلاثتهم من العقاب . وهكذا فعل سند فخبر المتوكل انه لم يكن هناك خطأ في حفر النهر بدليل جريان المياه فيه ، وكان ان قتل المتوكل بعد شهرين فهجرت المتوكلية ومعها النهر فنجوا من العقاب .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا إن فشل هذا المشروع قد أدى الى نتائج خطيرة بالنسبة الى مركز الامبراطورية العباسية في ذلك العهد ، ولعله كان من أقوى الاسباب التي حملت المنتصر على ترك مدينة المتوكلية بعد مقتل المتوكل والرجوع الى سامراء ، الأمر الذي أدى اخيراً الى نقل العاصمة الى بغداد .

ب ـ نص رواية احمد بن يوسف الكاتب

ونظراً لما لهذه الرواية من أهمية تاريخية فيما يختص بمصير « مشروع النهر الجعفري » ونتائجه الخطيرة ارتأينا ضرورة نقلها بكامل نصها ليتسنى للقارىء ان يقف على تفاصيلها كما جاءت في النص الاصلي ، وهذه هي : ـ

« قال ابو جعفر احمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب حسن العقبى حدثني ابو كامل شجاع بن اسلم الحاسب قال كان محمد واحمد ابنا موسى بن شاكر في ايام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة فأشخصا سند بن علي الى مدينة السلام وباعداه عن المتوكل ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ووجها الى داره فاخذا كتبه بأسرها وافرداها في خزانة سميت الكندية ومكن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة[1] وتقدم اليهما فيحفر النهر المعروف بالجعفري فأسندا أمره الى احمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر وكانت معرفته اوفى من توفيقه لأنه ما تم له عمل قط فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها اخفض من سائره فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر فدافع محمد واحمد ابنا موسى في امره واقتضاها المتوكل فسعي بهما اليه فيه فانفذ مستحثاً في احضار سند بن علي من مدينة السلام فوافى فلما تحقق محمد واحمد ابنا موسى ان سند بن علي قد شخص أيقنا بالهلكة ويئسا من الحياة فدعا المتوكل بسند وقال له ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به وقد اتلفا جملة من مالي في هذا النهر فاخرج اليه حتى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه فاني قد آليت على نفسي ان كان الامر على ما وصف لي اني اصلبهما على شاطئه وكل هذا بعين محمد واحمد ابني موسى وبسمعهما فخرج وهما معه فقال محمد بن موسى لسند يا أبا الطيب أن قدرة الحر تذهب حفيظته[2] وقد فرعنا اليك في انفسنا التي هي انفس اعلاقنا[3] وما ننكر انا أسأنا والاعتراف يهدم الاقتراف فتخلصنا كيف شئت قال والله انكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ولكن الحق أولى ما اتبع أكان من الجميل ما أتيتماه اليه من اخذ كتبه والله لا ذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه فتقدم

---

(١) الآلات المتحركة : هي آلات رصد النجوم المعروفة بالاصطرلاب .

(٢) الحفيظة : الغضب المكتوم في النفس

(٣) الاعلاق : الذخائر النفائس

محمد بن موسى في حمل الـكتب اليه وأخذ خطه باستيفائها فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها فقال قد وجب لـكما عليّ ذمام[١] برد كتب هذا الرجل ولـكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعياها فيّ والخطأ في هذا النهر يستتر اربعة اشهر بزيادة دجلة وقد اجمع الحساب على ان امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى وانا اخبره الساعة انه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر إبقاءً على ارواحكما فان صدق المنجموم أفلتنا الثلاثة وان كذبوا وجازت مدته حتى تنقص دجلة وتنضب أوقع بنا ثلاثتنا فشكر محمد واحمد هذا القول منه واسترقها[٢] به ودخل على المتوكل فقال له ما غلطا وزادت دجلة وجرى الماء في النهر فاستتر حاله وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمد واحمد بعد شدة الخوف مما توقعا »[٣] .

ج – استنتاجاتنا من رواية احمد الكاتب

نستخلص من رواية « ابن الداية » الأمور المهمة التالية : — ان النهر تم حفره وجرت المياه فيه لمدة شهرين وكان ذلك في موسم الفيضان قبيل مقتل المتوكل مباشرة . ولما كان قد وقع مقتل المتوكل في ٣ شوال ٢٤٧ هـ . فتكون مياه الفيضان قد جرت في النهر خلال شهرين شعبان ورمضان من سنة ٢٤٧ هـ . وهذا ولما كان قد بوشر بحفر النهر في شهر ذي الحجة من سنة ٢٤٥ . وجرت المياه فيه في أوائل شعبان من سنة ٢٤٧ هـ . كما تقدم فتكون المدة التي استغرقها العمل على حفر النهر تسعة عشر شهراً .

وهناك ما يؤيد لنا صحة ما جاء في وصف احمد الـكاتب من ان النهر تم

---

(١) الذمام : الذمة والعهد والحق

(٢) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً كالرقيق

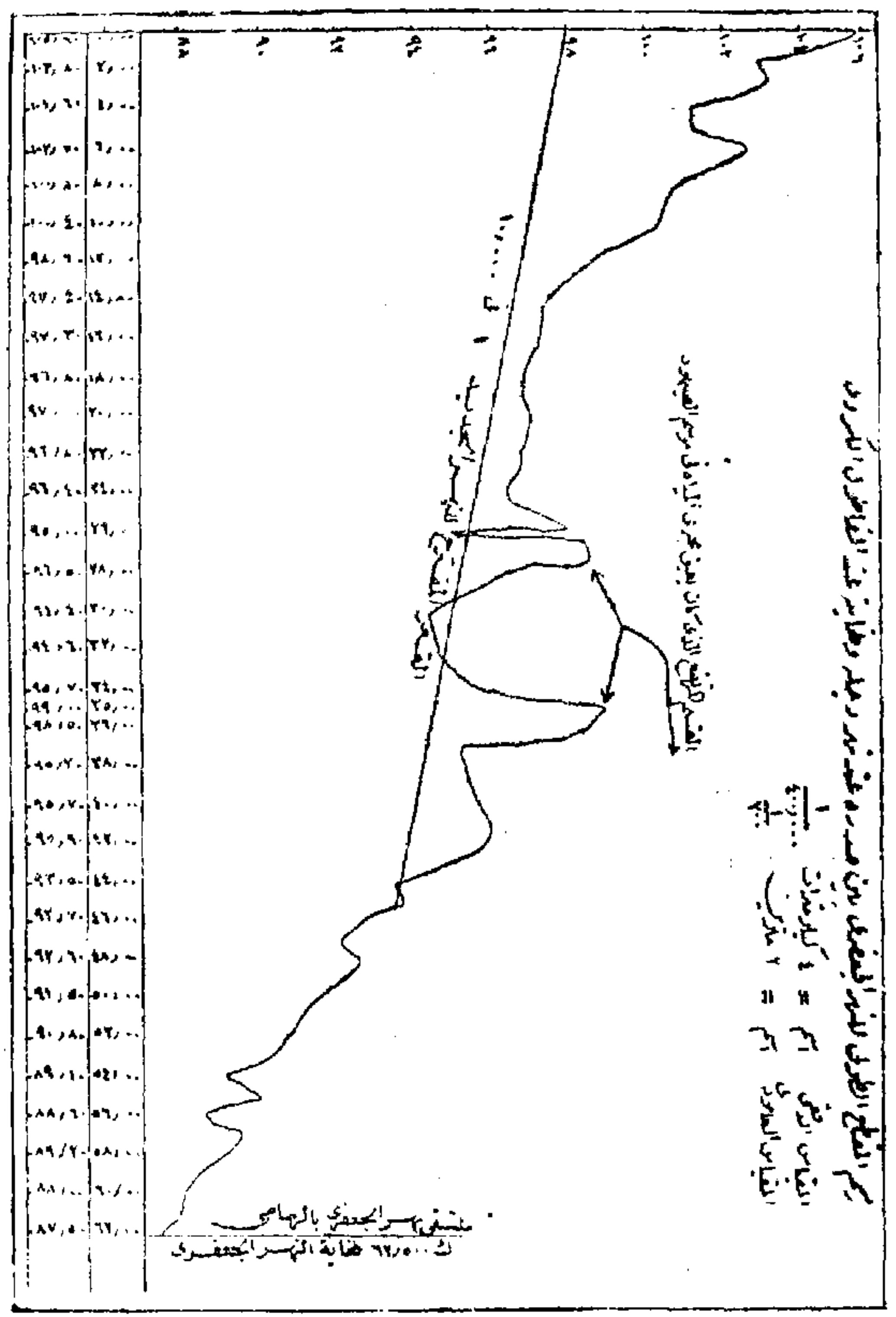
(٣) جاء هذا النص نفسه في كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » تأليف ابن أبي صيبعة المتوفي سنة ٦٦٨ هـ . (راجع الجزء الاول، طبعة المطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ الميلادية ص ٢٠٧ – ٢٠٨) .

حفره وجرت فيه مياه الفيضان بدليل ان بركة قصر الجعفري الذي ينتهي «النهر الجعفري» عندها قد تراكمت فيها ترسبات الدهلة الى عمق متر ونصف المتر تقريباً كما اتضح لنا ذلك من الحفريات التي اجريناها الوقوف على المنسوب الاصلي لقعر البركة . ويستغل الزراع القاطنون في هذه المنطقة خصوبة هـذه الترسبات في الوقت الحاضر بزراعة حوض البركة الذي تقع فيه هـذه الترسبات ، والغريب ان هؤلاء الزراع يعتقدون بأن الاتربة الغرينية هذه قد نقلت من حوض نهر دجلة الى هذا المكان في الزمن القديم لانشاء حديقة فيه ، أما حقيقة كون هذه الترسبات قد تراكمت في هذا المكان بنتيجة وصول مياه نهر دجلة المشحونة بطمي الفيضان وذلك عن طريق النهر الجعفري الذي يأخذ من نهر دجلة وينتهي هناك فلم تخطر على بالهم .

وتدل نتائج تدقيقاتنا لمناسيب قعر النهر الحالية على ان الوصف الذي جاء في كتاب ابن أبي صيبعة يتفق تماماً مع هذه المناسيب وهو الوصف القائل بأن «فوهة النهر جعلت اخفض من سائره فصار مايغمر الفوهة لايغمر سائر النهر». وإذا القينا نظرة عامة الى المقطع الطولي للنهر بين صدره عند نهر دجلة ونهايته عند القاطول الكسروي (راجع رسم المقطع الطولي للنهر الجعفري بين صدره عند نهر دجلة ونهايته عند القاطول الكسروي) نجد ان النهر يسير مسافة أربعة وعشرين كيلومتراً من الصدر بانحدار طبيعي معتدل حيث يبلغ معدل انحدار القعر في هذه المسافة حوالي واحد في الستة آلاف ، وذلك على اعتبار أن قعر النهر في الصدر كان حوالي (١٠١) متراً[1] فوق سطح البحر ومنسوب القعر في نهاية مسافة الـ ٢٤ كيلومتراً المذكورة ٩٦ متراً ، ثم يرتفع منسوب القعر بصورة غير اعتيادية حتى يبلغ حده الاعلى عند الكيلومتر (٢٧ر٥٠٠) من الصدر فيبلغ هنا ٥٠ ر ٩٨ متراً، أي انه يرتفع مترين ونصف المتر عن منسوب القعر المجاور،

---

(١) حول مناسيب القعر في صدر النهر راجع البحث الذي تقدم في ص ٣٢١ـ٣٢٤



ويستمر فيما يقرب من هذا الارتفاع مسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً ، ثم يهبط الى المنسوب الاعتيادي وهو يتراوح من ٩٤ متراً الى ٩٥ متراً . وبعد ان ينحدر قعر النهر بصورة اعتيادية في حوالي هذا الارتفاع مسافة حوالي ستة كيلومترات يعود فيرتفع حتى يبلغ حد الاعلى عند الكيلومتر (٣٥) من الصدر

فيبلغ في هذا الموضع ٩٩ متراً ، اي انه يرتفع ما يقرب من خمسة أمتار عن منسوب القعر المجاور ، ويستمر في حوالي هذا الارتفاع مسافة كيلومترين تقريباً ثم يعود فيهبط الى منسوبه الاعتيادي وهو يتراوح من ٩٥ الى ٩٦ متراً . ومن هنا ينحدر النهر بصورة اعتيادية حتى يصل الى القاطول الكسروي فيعبره بمنسوب ٨٦ متراً في القعر . ولما كان تقديرنا لمنسوب القعر في الصدر مئة متر ومتر فوق سطح البحر ومستوى مياه دجلة الصيفية (١٠٣) أمتار فلم يبق تسلط كاف للمياه الصيفية لاجتياز هذه البقعة التي في قعر النهر والتي تكاد تساوي قعر منسوب الصدر ، زد على ذلك ان العقبة تقع على بعد ٣٥ كيلومتراً من الصدر مما يتطلب ارتفاع اربعة امتار على أقل تقدير لتأمين الانحدار الكافي بين الصدر والعقبة .

ونلاحظ حين ندقق مناسيب نهر دجلة ومستويات الاراضي ان هناك هبوطاً كبيراً بين منسوب مياه نهر دجلة الصيفي فى ذلك الوقت وبين مستوى أراضي المتوكلية مما يضمن نجاح المشروع من حيث تأمين ايصال المياه الى المتوكلية سيحاً في أوطأ حالات نهر دجلة في موسم الصيهود ، إذ تدل المناسيب على أن الهبوط المذكور يبلغ حوالي ١٧ متراً ، وهذا ضعف ما هو مطلوب لانحدار الجدول في مسافة الـ ٦٥ كيلومتراً التي بين صدره والمتوكلية . لذلك فان سبب فشل المشروع كما يتضح لنا مما تقدم يرجع الى الخطأ الذى ارتكب في تعيين مناسيب الحفريات عند الكيلومتر (٢٧ر٥٠٠) والكيلومتر (٣٥) من صدر النهر خصوصاً في الموضع الاخير الذي يرتفع فيه القعر حوالي اربعة امتار عن المنسوب المطلوب .

وهذا يفسر لنا كيف اقتصر جريان المياه الصيفيه الواطئة على القسم الواقع بين صدر النهر والكيلومتر (٢٧ر٥٠٠) أو بين الصدر والكيلومتر (٣٥) ، حيث صارت تقف عند الموضع الذي يرتفع فيه منسوب القعر ولا تجتازه إلا

اذا ارتفع منسوب مياه دجلة فتجري حينئذ فوق هذا القسم المرتفع ولا يتم ذلك إلا في موسم الفيضان . وينطبق ذلك على ما جاء في رواية « ابن الداية » ، وهو ان « الفرغاني غلط في فوّهة النهر فجعلها اخفض من سائره فصار ما يغمر الفوّهة لايغمر سائر النهر» ، كما يتفق مع ما ورد في اليعقوبي من ان النهر لم يكن له « اتصال ولا استقامة » ، أي انه لم يسر في انحدار متناسق وهكذا تختلف مناسيب قعره فتارة ترتفع وتارة تهبط بدون أي اتصال أو استقامة في المجرى .

وقد يتساءل القارئ كيف اختلفت هذه الفروق في منسوب قعر النهر عن ملاحظة الفرغاني الذي قام بهندسة النهر وهي واضحة جلية في امكان حتى المرء غير الفني ملاحظتها، ولا سيما وان الارتفاع يبلغ حوالي خمسة امتار فوق المنسوب المطلوب، ويكاد يكون هذا الارتفاع فجائياً من دون ان يتدرج في مسافة طويلة. والجواب على ذلك هو ان العمل على حفر النهر كان جارياً على طول النهر في وقت واحد ، وذلك بعد تقسيم المجرى الى عدة أقسام كل قسم يقوم به عدد من العمال بنسبة كمية الحفريات . ويظهر ان الارتباك في تعيين المناسيب من قبل المهندس المختص في كل من هـذه الاقسام أدى الى حدوث هذه الفروق عنـد اتصال الأقسام بعضها ببعض .

كل هذا يدلنا على أنه لم يكن الفرغاني ولم يكن رفيقاه محمد وأحمد عاجزين على الخبرة الفنية الكافية لانجاز مثل هذا المشروع الجسيم ، الأمر الذي أدى الى فشله واخفاق المتوكل في تحقيق امنيته . ولا يخفى أن القيام بمثل هذه المشاريع في ذلك الزمن كان يتطلب مهارة فائقة وخبرة شخصية واستعداداً عبقرياً وذلك لانعدام الآلات الفنية الدقيقة التي تمكّن الخبراء من احضار خرائط وتصاميم المشروع مقدماً ثم تنفذ هذه التصاميم بعد تدقيقها والتأكد من صحتها .

ولا بد من الاشارة في هذا الصدد الى أن المجهود الذي بذل في محاولة انجاز هذا المشروع كان عظيماً جداً . أما كمية الحفريات التي انجزت فعلاً فقد كانت

بدون شك كبيرة بحيث لا تقل عن ستة ملايين متر مكعب على الرغم من أن قسماً من هذه الحفريات كان منجزاً قبل حفر المجرى القديم الذي كان موجوداً قبل مشروع المتوكل الذي ينطوي على إعادة إحياء النهر القديم . ومما يدل على صعوبة العمل أن معظم الأراضي التي يمر فيها الجدول متكونة من طبقة صخرية من النوع المعروف جيئولوجياً باسم (Conglomerate) وهـذه مكونة من حصاة مختلفة الابعاد وملتحمة عادة لاصقة ويصعب الحفر فيها ، وقد أيد اليعقوبي ذلك فذكر أن حفريات الجدول كانت صعبة للغاية حيث قال « كانوا يحفرون حصاً وافهاراً لا تعمل فيها المعاول » .

الفصل التاسع

النهروان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الاول)

١ - تمهيد

شرحنا فيما تقدم تفاصيل بعض المشاريع التي انشأها العرب في منطقة سامراء على النهروان الاعلى ، وهناك ما يدلنا على انهم استغلوا منطقة النهروان كلها ، وهي المنطقة التي تمتد من الصدر قرب سامراء حتى الذنائب قرب الكوت ، وقد بلغ هذا الاستثمار ذروته في العهد العباسي الزاهر . ففي هذا العهد كان « القاطول الاعلى الكسروي » عامراً تجري فيه المياه بصورة دائمة فيسقي الاراضي الزراعية المرتفعة التي تقع بينه وبين مجرى دجلة القديم[١] ، كما كان « القاطول الاسفل » (نهر القائم) بصدريه الشتوي والصيفي - صدر القائم وصدر الصنم - عامراً أيضاً تجري فيه المياه طوال السنة فيروي كل المنطقة التي تمتد من جنوبي ملتقى القاطول الاعلى بالقاطول الاسفل حتى ذنائب النهروان قرب مدينة الكوت الحالية[٢] . وكان في الوقت نفسه « سد العظيم » في جبل حمرين يؤمن تحويل مياه نهر العظيم الى الانهر الفرعية القائمة على الجانبين والى بحيرة الشارع[٣] ، كما كان « سد ديالى » يحول مياه نهر ديالى الى الجداول الفرعية والى منخفضات الزور[٤] .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « القاطول الاعلى الكسروي » في ص ١٥١ و ٢٠٤ والبحث الخاص بـ « مجرى دجلة القديم » في صفحة ١٧٧ .

(٢) حول « نهر القائم » راجع البحث المتقدم في صفحة ١٤٧

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « سد العظيم » في صفحة ١٦٢

(٤) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « سد ديالى » في صفحة ١٥٩

وعلى هذا كانت كل المنطقة الزراعية التي تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة بين جبل حمرين ونهر دجلة والتي تمتد من سامراء حتى الكوت مزدهرة ببساتينها ومزارعها وقراها ومدنها فتستمد مياهها من أنهر النهروان وديالى والعظيم. وكانت هذه المنطقة مقسمة الى ثلاثة كور[١]، الكورة الاولى تشتمل على المنطقة التي تقع بين النهروان وضفة دجلة الشرقية والتي تمتد من سامراء حتى المدائن تضاف إليها أراضي العظيم الواقعة على الجانب الشرقي من النهروان وتسمى «استان شاذهرمز» (يلاحظ من ذلك أن العرب احتفظوا بالاسماء الفارسية القديمة) ، وهذه تقسم الى سبعة طساسيج ، ثم الكورة الثانية التي تشتمل على المنطقة الواقعة على جانبي نهر ديالى شمالي مجرى النهروان ومن ضمنها أراضي مندلي الحالية وتسمى « استان شاذ قباذ » ، وهذه تقسم الى ثمانية طساسيج[٢] . اما الكورة الثالثة فتشتمل على منطقة النهروان بين المدائن والكوت ومن ضمنها أراضي بدرة وزرباطية الحالية ، وقد سماها ابن خرداذبة « استان بازيجان خسرو » على حين ان قدامة اطلق عليها اسم « استان ارندين كرد » مع ان الاثنين قد اتفقا في تدوين عدد طساسيج هذه الكورة وهي خمسة كما انهما اتفقا في نقل اسماء الطساسيج الخمسة هذه[٣] .

---

(١) حول التقسيمات الزراعية التي كان يعمل بها في ذلك الزمن راجع البحث المتقدم الخاص بهذا الموضوع في الصفحة ١٦٤ (حاشية ١) من هذا الكتاب

(٢) هذا ماذكره ابن خرداذبة وقد اختلف معه قدامة في تسمية هاتين الكورتين فسمى الأولى « استان شاذ قباذ » والثانية « استان خسره شاذ هرمز » مع ان الاثنين قد اتفقا في ذكر عدد الطساسيج واسمائها بالنسبة الى كل من الكورتين الاولى والثانية. والذي حملنا على اعتبار تسمية ابن خرداذبة هي الصحيحة تأييد ياقوت وابن عبد الحق بان الكورة الأولى تسمى « شاذ هرمز » (مادة شاذ هرمز) ، أما الكورة الثانية فقد أيد ياقوت تسميتها باسم « شاذ قباذ » الا انه ذكر في الوقت نفسه ان « شاذ قباذ » تعرف أيضاً بـ « الاستان العالي » ولها اربعة طساسيج في الجانب الغربي من دجلة وهي : الانبار وهيت وطسوج العانات وطسوج قطربل وطسوج مسكن (مادة شاذ قباذ) .

(٣) ذكر ابن رسته ان مجموع عدد الكور في سواد العراق كان يبلغ في ذلك الوقت اثني عشرة كورة كما كان مجموع عدد الطساسيج ستين طسوجاً .

٢ ـ كورة شاذهرمز ـ طسوج «بزرجسابور»

ولنبحث أولاً في الكورة الاولى « استان شاذهرمز » فان أول طساسيجها السبعة من الشمال « طسوج بزرجسابور » الذي يشمل المنطقة الواقعة بين القاطول الاعلى الكسروي والضفة الشرقية من مجرى دجلة الذي كان يجري آنذاك بطريق « العلث » و « حربى » و « الحظيرة » و « باحمشا » و «عكبرا» و « أوانا » و « بصرى »[١] . وتقع ضمن هذه المنطقة « حديقة حيوانات المتوكل»[٢] و «بركة البحتري»[٣] و «منطقة القادسية»[٤] وبساتين بلد الحالية ثم الاراضي التي تمتد من بلد حتى الطارمية والراشدية ومن ضمنها مجرى دجلة الحالي في هذه المنطقة الذي كان يومئذ أرضاً زراعية ، كما تقع داخل هذه المنطقة الأراضي التي تسقى في الوقت الحاضر من ذنائب جدول الخالص بما فيها «دلتاوة» (الخالص الحالية) و«هبهب» و«السعدية» و«الجيزاني» و«المنصورية» و«قصيرين» و«الجديدة» و«دوخله» و«الحويش» وما يجاورها من أراضي زراعية[٥]. وكانت هناك جداول فرعية تتشعب من الضفة اليمنى للقاطول الاعلى الكسروي فتعبر فوق القاطول الاسفل (نهر القائم) ثم تمتد الى المنطقة التي تقع فيها بساتين «بلد» الحالية

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى دجلة القديم في صفحة ١٧٢ وكذا البحث الخاص بالمدن الواقعة ضمن طسوج « بزرجسابور » في صفحة ١٨٢

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالحديقة المذكورة في الفصل السادس (صفحة ٢٨٥)

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بالبركة المذكورة في الفصل السابع (صفحة ٣٠٦) .

(٤) حول منطقة القادسية المذكورة راجع ما تقدم في صفحة ٢٤١ .

(٥) جاء في معجم ياقوت ان (طسوج بزرجسابور) « من طساسيج بغداد وحده في اعلى بغداد العلث قرب حربى من شرقي دجلة » ، كما جاء في المعجم نفسه في مادة (عكبرى) ان « بزرج سابور معرب عن وزرك شافور وهي المسماة بالسريانية عكبرا » ذلك مما يؤيد بان منطقة عكبرا كانت من ضمن طسوج بزرجسابور وقد ايد ابن عبد الحق ما ذكره ياقوت فقال ان بزرجسابور « من طساسيج بغداد حده من اعلى العلث من شرقي دجلة » .

وما يليها من الأراضي جنوباً ، كما كانت هناك عدة فروع تتفرع من « نهر القائم » جنوبي « القاطول الاعلى » فتسقي الأراضي الجنوبية التي تروى الآن من ذنائب جدول الخالص .

ولا تزال آثار الجداول القديمة التي كانت تتفرع من القاطول الاعلى الكسروي ومن نهر القائم والتي كانت تمتد الى الضفة الشرقية لمجرى دجلة القديم ماثلة للعيان ، وهي الآن على الجانب الغربي من مجرى دجلة بعد ان كانت في شرقيه . ومن أبرز هذه الجداول ما يعرف اليوم باسم «النهروانات» ، وهي الآثار الواقعة في جوار « تل جبارات » شمالي بساتين « بلد » الحالية (راجع اللوحتين ٣ و ٦) .

وكان «طسوج بزرجسابور» واسعاً فيمتد مسافة لا تقل عن سبعين كيلومتراً في الطول ومعدل عشرة كيلومترات في العرض وما يبلغ مساحته حوالي ربع المليون دونم (مشارة) من الأراضي ، وهو الذي قال فيه البحتري :

صنعة للزمان عندي وعكس　　　إذ تولى بزرجسابور حبس

وكان هذا الطسّوج يقسم بدوره الى تسعة رساتيق، اما جبايته من الحبوب فقد بلغت مائتين وثلاثة وستين بيدراً تشتمل على ألفين وخمسمائة كر من الحنطة والفين وما ئتي كر من الشعير ، هذا عدا ثلثمائة الف درهم من الورق[1] .

٣ ـ كورة شاذهرمز ـ طسوجا « الراذانين »

وكان الطسّوجان ، الثاني والثالث ، وهما « طسوجا الراذانين » اكبر طساسيج « كورة شاذ هرمز » حيث كانا يشملان المنطقة الواسعة على جانبي نهر العظيم شمالي النهروان والمعروفة اليوم بـ « القرفة » و « العيت » ، فكان السد على مجرى العظيم في جبل حمرين يؤمن تحويل مياه نهر العظيم الى نهرين

(١) هذا ما ذكره ابن خرداذبة وقد ايد ذلك قدامة بن جعفر في قائمته الواردة في كتابه « الخراج » حول جباية السواد في سنة ٢٠٤ هـ ,

رئيسيين ، النهر الشرقي يسقي أراضي «الغرفة» الواسعة الواقعة على الجانب الشرقي ، والنهر الغربي يسقي أراضي « العيث » القائمة على الجانب الغربي ، وكانت فروع هذين النهرين تنتهي الى النهروان في الجنوب فتنصب فيه ، كما ان فرعاً من فروع النهر الغربي كان يحمل مياه العظيم الى «بحيرة الشارع» في موسم الفيضان . وهناك ما يدل على أن نهر الزاب الصغير كان يمون هذين النهرين بالمياه في موسم الصيهود ، عن طريق وادي زغيتون الذي يصب في العظيم فوق السد[١] .

وكان هذان الطسوجان كما اسلفنا أوسع طساسيج الـكورة الاولى حيث تبلغ مساحتها ما يقرب من مليون دونم (مشارة) ، فـكان الطسوج الأعلى يسمى « الراذان الاعلى » والطسوج الأسفل « الراذان الاسفل » . ونميل الى الاعتقاد بأن « الراذان الاعلى » هو القسم الواقع غربي مجرى العظيم الحالي ، أي القسم الذي كان يروى من النهر القديم المعروف اليوم باسم « البت » ، كما أن «الراذان الاسفل» هو القسم الواقع شرقي مجرى العظيم ، أي القسم الذي كان يروى من النهر الذي يسميه الاهلون الآن « الروذان » . وقد ذكر ابن خرداذبة ان طسوجي الراذانين يقسمان الى ستة عشر رستاقاً تبلغ بيادرها ثلثمائة واثنين وستين بيدراً ، وهذه تشتمل على أربعة آلاف وثمان مائة كر من الحنطة وأربعة آلاف وثمان مائة كر من الشعير هذا عدا مائة الف وعشرين ألف درهم من الورق . وقد أيد ذلك قدامة بن جعفر في قائمته المثبتة في كتاب الخراج حول جباية السواد في سنة ٢٠٤ هـ .

٤ ـ رأي لي سترانج في « الراذانين »

ويلاحظ ان المستشرق لي سترانج قد اعتبر في كتابه « بلاد الخلافة الشرقية » ان منطقة « الراذانين » تقع في جوار « المدائن » وذلك في الشقة التي بين دجلة

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع « سد العظيم » القديم في صفحة ١٦٢

والنهروان جنوبي بغداد ، على حين ان هناك طسوجين في منطقة « المدائن » يعرفان باسم طسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة » وهما من طساسيج « كورة شاذ هرمز » أيضاً . ولا ندري كيف توصل لي سترانج الى هذا الرأي ، ولا سيما وان الادلة على وقوع « الراذانين » في منطقة العظيم واضحة لا تقبل الشك، فان النهر الذي كان يروي منطقة العظيم الشرقية لا يزال يسمى « نهر روذان » (تحريفاً لكلمة راذان الاصلية) ، كما ان المنطقة المقابلة الى الروذان من جهة الغرب لا تزال تعرف باسم «البت» ، وهي المنطقة التي أيد ابن عبد الحق وقوعها قرب الراذان . فقد جاء في المراصد ان « راذان الأعلى وراذان الأسفل كورتان بسواد بغداد تشتملان على قرى كثيرة » ، وان البت « قرية كالمدينة من اعمال بغداد قريبة من راذان على فم نهره »[1] . وكان قد أيد المقدسي قبل ابن عبد الحق بثلاثة قرون بان « البت » و « الراذانين » من مدن سامراء قال : « اما سامراء فمن مدنها الكرخ عكبرا الدور الجامعين بت راذانان قصر الجص جويث أوانا الخ ... » هذا وقد ذكر ابن خرداذبة ان « طسوج راذان الاعلى وطسوج راذن الاسفل عنوان الجانب الشرقي سقي دجلة وتامراء »، وهذا يدل على ان طسوجي « الراذانين » يقعان في منطقة العظيم ، وهي المنطقة التي تتصل بدجلة وتامراء (ديالى) ، ولو كان هذان الطسوجان في المدائن كما ظن لي سترانج لذكر ابن خرداذبة انه من سقي النهروان . ثم جاء في معجم ياقوت

---

(١) كان ياقوت قد ذكر في معجمه ان البت « قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان واليها ينسب أبو الحسن احمد بن علي الكاتب البتي أديب كيس له نوادر حسنة مات ٤٠٥ ». ويلاحظ ان عبد الحق اضاف الى ذلك قوله ان البت يقع بالقرب من راذان على فم نهره ، ذلك يدل على ان هناك نهراً كان يسمى نهر راذان وقد حرف فسمي نهر روذان . وجاء في المشترك لياقوت أيضاً ان هناك قرية اخرى باسم البت أيضاً تقع في « نواحي بوهرز قرب بعقوبا من نواحي بغداد ايضاً » ، وقد سمى ابن عبد الحق هذه القرية باسم (بتا) فقال انها « قرية تحت بعقوبا بينها وبين بوهرز » .

وفي المراصد ان المدينة المسماة « طفر » هي من أعمال « راذان » وتقع بين باعقوبا ودقوقاء ، وهذا يؤيد وقوع « الراذان » في منطقة العظيم نفسها حيث تقع بين مدينة بعقوبا ومدينة طاووق الحاليتين . وفضلاً عن ذلك فان جباية طسوجي « الراذانين » هي أكثر من جباية أي طسوج آخر من طساسيج « كورة شاذ هرمز » ، ومثل هذه الجباية لا يمكن ان تكون في الشقة الضيقة التي في « المدائن » والتي يقع فيها الطسوجان « جازر » و « المدينة العتيقة » . هذا ولما نظم قدامة قائمته عن اعمال السواد في الجانب الشرقي من دجلة أوضح بصورة جلية انه بدأ بتعداد هذه الاعمال من أعلى دجلة وعلى هذا الاساس ذكر « طسوج بزرجسابور » أولاً ثم ذكر بعده « طسوجي الراذانين » المجاورين لبزرجسابور في المنطقة الشمالية التي قرب سامراء . كل هذا يؤيد بأن طسوجي « الراذانين » يقعان في منطقة العظيم الحالية ، وهي المنطقة التي كانت تروى من أمام السد المعروف ببند العظيم والذي كان عامراً في ذلك الوقت . ويظهر ان الذي حدا بلي سترانج ان يعتبر بان « الراذانين » يقعان في جوار « المدائن » حيث يقع « طسوج جازر » ورود ذكر « الراذانين » مع « جازر » في بيت نقله ياقوت عن عبيد الله بن الحر وهو :

أقول لاصحابي باكناف جازر وراذانها هل تأملون رجوعاً

إلا ان ذلك لا يصح ان يستند اليه في تعيين موضع « الراذانين » .

٥ - كورة شاذ هرمز - طسوجا « نهر بوق » و « كلواذى ونهر بين »

وكان يلي طسوجي « الراذانين » الطسوجان الرابع والخامس المعروفان بطسوج « نهر بوق » وطسوج « كلواذى ونهر بين » ، وهذان الطسوجان يقعان في جوار مدينة بغداد الشرقية وذلك في الشقة التي بين دجلة والنهروان . وكانت هناك شبكة من الانهر تتفرع من النهروان من شمال مدينة « جسر النهروان » فتروي أراضي هذين الطسوجين ثم تنتهي الى دجلة عند مدينة

بغداد ذاتها أو في جوارها من الشمال والجنوب. وكان يتوسط هذين الطسّوجين نهر يعرف باسم « نهر بين » ينتهي الى دجلة جنوبي مدينة بغداد عنـــد قرية « كلواذى » ، فيفصل بينهما بحيث يصبح « طسّوج نهر بوق » شماله و« طسوج كلواذى ونهر بين » جنوبه (راجع الرسم رقم ١٨) . وقد جاء في معجم ياقوت أن « نهر بوق طسّوج من سواد بغداد قرب كلواذا زعموا ان جنوبي بغداد من كلواذا وشماليهـا من نهر بوق» . ويستدل مما كتبه المؤرخون العرب على أن المنطقة التي تقع فيها مدينة بغداد الشرقية كانت كلها تروى من النهروان وان ما كان يروى من دجلة ضئيل ومقتصر على الأرواء بالدواليب فقط ، واليك ما كتبه الاصطخري في هذا الصدد قال : « واما الاشجار والانهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فانها من ماء النهروان وتامراء وليس يرتفع اليهـا من ماء دجلة إلا شيء يسير يقصر عن العمارة وينضح بالدواليب » . وقد أيد ابن حوقل ذلك قوله : « ان الاشجار والانهار التي في الجانب الشرقي من مدينة السلام ودار الخلافة فانها من ماء النهروان وتامراء وليس يرفع اليها من دجلة إلا شيء يقصر عن العمارة » .

أ ـ مدينتا « جسر النهروان » و « كلواذى »

وكانت مدينة النهروان (مدينة جسر النهروان) التي تقع في الحدّ الشمالي لطسّوج « نهر بوق » من أهم المدن على النهروان ، إن لم تكن أهمها ، فقد كان لها ، عدا أهميتها الفنية من حيث تفرع عدة انهر مهمة من أمامها لتروي منطقة بغداد الشرقية ، أهمية ستراتيجية خاصة لوقوعها على طريق خراسان الرئيسي بين العراق وايران ، وقد سميت « مدينة جسر النهروان» لوقوع جسر رئيسي على النهروان فيها[1] . وقد تكرر ذكر « مدينة النهروان » هـــذه في كتب

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بطريق خراسان العام في الفصل العاشر .

المؤرخين من العرب لمناسبة سرد الحوادث المهمة التي وقعت فيها في مختلف العهود التاريخية منها واقعة النهروان المشهورة التي اندحر فيها الخوارج (سنة ٣٨ هـ)[1].

وكانت « مدينة النهروان » واسعة تمتد على ضفتي النهروان فذكر ابن رسته ان هناك وادياً يخترق الجانب الغربي منها وهو الجانب الذي كانت فيه أسواق ومسجد جامع ونواعير تسقي أرض المدينة . وقد كان في الجانب الشرقي مسجد جامع أيضاً وأسواق وحول المسجد خانات ينزلها الحجاج والمارة . وقال المقدسي ان « النهروان مدينة ذات جانبين الشرقي أعمر ، رحبة عامرة بينهما الجسر ، الجامع في الجانب الشرقي والحاج ينزلون على هذا الشط » . ومما قاله ابن حوقل ان « النهروان مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين في وسطها وهي صغيرة عامرة من بغداد على أربعة فراسخ كثيرة الغلات والخيرات والنخيل والكروم والسمسم خاصة ونهرها يفضي الى سواد بغداد أسفل من دار السلطان (يقصد بغداد) الى الاسكاف وغيرها من المدن والقرى » . وكانت مدينة النهروان خربة في زمن ابن عبد الحق فقال عنها إنها « قرية كبيرة ومدينة فيها سوق كبير وعالم كثير كانت تعرف بالنهروان خربت في زماننا وخلى أهلها عنها بها كانت تعمل المكابيل الحديد من قفزان الغلة ومكابيل البزر وغيرها التي كان يغالي بثمنها حتى أنه لم يبق بالعراق أحد يعملها » .

وتقع اطلال مدينة النهروان في الأراضي المعروفة اليوم باسم (صفوة)[2] على

---

(١) ان مدينة النهروان هي المدينة التي احتمى بها الخوارج حين اتجهوا نحو الشمال اجتناباً لقتال عامل علي بن أبي طالب (ع) على المدائن ، وقد تبعهم خوارج البصرة بقيادة مسعود بن فدكي بعد ان نشبت بينهم وبين قوة من اصحاب علي (ع) موقعة صغيرة . وهناك اشتبك القتال بينهم وبين اصحاب علي (ع) حيث تمزق شملهم شر ممزق ، وقتل زعماؤهم ولم يبق منهم الا أفراد قلائل فروا الى مختلف الانحاء .

(٢) يقال ان سبب تسمية هـذه الاطلال باسم « صفوة » يرجع الى انه كان في الحد الخارجي للجانب الشرقي من المدينة قبة تضم قبر قاضي مدينة النهروان وكان اسمه =

الجانب الشرقي من مجرى ديالى الحالي شمال شرقي « إمام أبي عروّج » وجنوبي محطة كاسلزبوست حيث تقع التلول المسماة « تلول صخيرية » . وهنا تشاهد آثار النهروان وهو يخترق اطلال « مدينة النهروان » في الكيلومتر (١٢٠½) من مجراه ، فيبلغ عرضه حوالي مائة متر وعشرة أمتار في هذا الموضع ، كما يشاهد الوادي الذي ذكر ابن رسته أنه يخترق الجانب الغربي من المدينة ماثلاً للعيان لا تزال آثاره موجودة على الضفة اليمنى من النهروان وهو يخترق اطلال الجانب الغربي المدينـــة ثم ينتهي الى مجرى ديالى الحالي . ويقع على الجانب الغربي لهذا الوادي تل واسع مرتفع بنيت عليه قلعة تسمى « قلعة سيد علي » وهي قلعة صاحب الأراضي المجاورة المرواة بالضخ من نهر ديالى (راجع اللوحة رقم٤ والرسم رقم ٢١) .

وتؤيد لنا بقايا المدينة ما ذكره المقدسي من ان العمران على الجانب الشرقي كان أوسع منه على الجانب الغربي بدليل ان مساحة اطلال الجانب الشرقي تبلغ اربعمائة الف متر مربع على حين أن القسم الغربي لايتجاوز مئة الف متر مربع . ويلاحظ ان مجرى ديالى الحالي قد اكتسح قسماً من أطلال المدينة التي على الجانب الغربي (راجع الرسم رقم ٢١) .

هذا فيما يختص بـ « مدينة النهروان » التي كانت في الحدّ الشمالي لطسوج « نهر بوق » ، أما مدينة « كلواذى » التي كان ينتهي « نهر بين » عندها في الحد الجنوبي لطسّوج « كلواذى ونهر بين » فـكانت تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة جنوب مدينة بغداد ، فذكر أبو الفداء انها تقع على بعد فرسخين

= صفاء الدين . الا انه لم يبق الآن أثر لهذا القبر مع ان أهل هذه المنطقة لا يزالون يشيرون الى موضعه ، وقد أيد وجود هذا القبر بين انقاض مدينة النهروان المستر فيليكس جونس الذي زار هذه المنطقة قبل حوالي مائة سنة ، ومما ذكره في هـــذا الصدد قوله ان انقاض المدينة واسعة جداً على الرغم من ان (الـكراوين) ، أي القوافل ، كانت تنقل باستمرار مواد البناء الى مدينة بغداد .

من جنوبي بغداد وانها تبعد اربعة فراسخ عن مدينة النهروان . وقد أيد قدامة وقوعها على بعد فرسخين من جنوبي بغداد وأضاف الى ذلك انها تقع على بعد خمسة فراسخ شمالي «المدائن» . أما ياقوت فقد ذكر ان بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر ، وقد وصف ابن رسته « كلواذى » قال انها مدينة بها مسجد جامع ومنبر وأسواق وأضاف الى ذلك قوله انها تقع على مسافة ٣ فراسخ من بغداد والطريق الذي يمتد بينها وبين بغداد ينحدر مع دجلة . ويعتقد ان موضع هذه المدينة هو المكان الذي تقع فيه منطقة « كرارة » الحالية ، اي قرب معمل مسبح وكازينو المسبح الحاليتين .

ب ـ أنهر مدينة بغداد الشرقية

وكان هناك فرعان رئيسيان من فروع النهروان اليمنى يغذيان شبكة الانهر التي كانت تتغلغل في قلب مدينة بغداد الشرقية ضمن حدود الطسوجين ، « نهر بوق » و « كلواذى ونهر بين » ، أولهما من الشمال يعرف باسم « نهر الخالص »، والآخر من الجنوب يسمى « نهر بين »[1] . وكان « نهر الخالص » يتفرع من الجانب الايمن للنهروان في نقطة تقع في جوار قرية « باجسرى »[2] ، فيسير في

(١) كان قد سمى ياقوت « نهر بين » « نهر بيل » وقال عنه انه طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

(٢) كانت قرية « باجسرى » المذكورة تقع على الجانب الأيسر للنهروان في جنوبي بعقوبا بقليل ، ويستدل مما كتبه المؤرخون العرب على انها كانت قرب « قرية بهرز » الحالية ، فذكر ابن عبد الحق انها « بليدة في شرقي بغداد بينها وبين حلوان عامرة نزهة كثيرة الأهل وهي الآن خراب . » واضاف ياقوت الى ذلك قوله انها تقع على عشرة فراسخ من بغداد (أي حوالي خمسين كيلو متراً) وهـذه المسافة تتفق مع المسافة الحالية بين « قرية بهرز » ومدينة بغداد . اما ابن سرابيون فقد ذكر انها تقع على ضفة النهروان بين بعقوبا ومدينة النهروان ، مع العلم انه يوجد موضع يسمى اليوم « أباجسرى » يقع شمالي مـدينة بعقوبا الحالية بين بعقوبا والمقدادية (شهرابان) .

والأرجح أن «قرية بهرز» و «مدينة بعقوبا» الحاليتين لا تزالان في موضعيهما =

الاتجاه الجنوبي بين النهروان ودجلة ثم ينصب في دجلة شمالي مدينة بغداد الشرقية فوق قرية « البردان »[١] بقليل ، وعلى هذا يمكن تعيين اتجاهه في نفس الاتجاه الذي يسير فيه « نهر الجاث » القديم و « نهر المشيرية » الحالي الواقع في ذنائب جدول الخالص الحديث (راجع اللوحة رقم ٣) . أما « نهر بين » فكان يتفرع من فوق « مدينة النهروان » بقليل وبعد أن تتفرع منه عدة فروع تسقي القرى والضياع الواقعة عليها يصب ماءه في دجلة عند «كلواذى» الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوبي مدينة بغداد بقليل[٢]. وهكذا كانت جميع انهار بغداد الشرقية تتفرع من هذين الفرعين الرئيسيين

= الاصليين شرقي النهروان مقابل الكيلومتر (٨٢) والكيلومتر (٨٨) منه على التوالي (راجع اللوحة رقم ٣) ، فقد ورد ذكر « بوهرز » في كتاب « المشترك » لياقوت (راجع مادة «البت»)، كما ورد ذكر «بعقوبا» في معجم ياقوت فقال في مادة «بعقوبا»: «ويقال لها باعقوبا أيضاً قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من اعمال طريق خراسان وهي كثيرة الأنهار والبساتين واسعة الفواكه متكاثفة النخل وبها رطب وليمون يضرب بحسنها وجودتها المثل وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الشرقي ونهر جلولاء يجري في وسطها (هو جدول خراسان الذي لا يزال الى الآن يخترق مدينة بعقوبا) وعلى جنبي النهر سوقان وعليه قنطرة وعلى ظهر القنطرة يتصل بين السوقين والسفن تجري تحت القنطرة الى باجسرا وغيرها من القرى وبها عدة حمامات ومساجد ، وينسب اليها جماعة من أهل العلم منهم أبو الحسن محمد بن الحسين بن حمدون البعقوبي قاضيها .... وبعقوبا هذه هي التي ذكرها سعد بن محمد الصيفي وهو الحيص بيص في رسائله السير يسأل المسترشد أن يهبها منه وعوض عنها بمال فلم يقبله. وقرأت بخط أبي محمد ابن الخشاب النحوي أنشدني أبو المظفر ابن قرما الاسكافي قال أنشدني المهدي البصري نفسه يهجو أهل بعقوبا .

تخاف بعقوبا اذا جئت معشراً لهم بيت الضيف وهو خميص »

وقريب من ذلك ما كتبه ابن عبد الحق في مادة « بعقوبا » قال : « مدينة هي قصبة طريق خراسان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ كثيرة البساتين يشقها نهر جلولاء عليه في وسطها قنطرة تتصل بسوقين في جانبها وبها حمامات ومساجد » .

(١) راجع البحث الذي تقدم عن مدينة البردان في صفحة ١٨٨ .

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن مدينتي « النهروان » و « كلواذى » في هذا الفصل .

« نهر الخالص » و « نهر بين » فتؤلف شبكة من الجداول فيها [٢] .

١ - نهر الخالص وفروعه

وقد وصف ابن سرابيون « نهر الخالص » فقال انه نهر كبير تجري فيه السفن فيمرّ بين ضياع وقرى وبعد أن تتفرع منه أنهار كثيرة يصب في دجلة أسفل الراشدية[٢] بفرسخين (حوالي عشرة كيلومترات) شرقي دجلة . وان أهم الفروع التي كانت تتشعب منه هو الفرع المسمى « نهر الفضل » ، وهذا يتفرع من ضفته اليسرى فيسير جنوباً حتى يصل الى دجلة فيصب فيها عند باب الشماسية في القسم الأعلى من بغداد الشرقية .

وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفضل عند باب الشماسية فرع يسمّى « نهر المهدي » فيدخل هذا الفرع المدينة في الشارع المعروف باسم « شارع المهدي » متجهاً

---

(١) كان الجانب الشرقي لمدينة بغداد في الأصل ضاحية من ضواحي مدينة المنصور الغربية وقد سميت في بادىء الأمر بأسم « عسكر المهدي » حيث جعل المهدي هذا القسم معسكراً لجنوده بعد عودته من حملته على خراسان ثم أقام بعد ذلك قصراً وجامعاً في هذا القسم بالقرب من المعسكر وسماه الرصافة . وقد حفر نهراً يأخذ الماء من نهر الخالص فسمي باسمه « نهر المهدي » لأرواء قصر الرصافة وحدائقه . وقد توسع هذا القسم مدة خلافة المهدي حيث وزعت الأراضي على رجال حاشيته فبنوا قصورهم فيها ثم جاء الخلفاء الذين اعتلوا عرش الخلافة بعده فأقاموا قصوراً أخرى لهم ولم يمض وقت طويل حتى أصبح معسكر المهدي هذا مركز الخلافة ومقر الحكومة الرسمي الأمر الذي ادى الى اهمال مدينة المنصور على الجهة الغربية بالتدريج حتى أخذت تضمحل شيئاً فشيئاً . وقد تكونت بعد توسع مدينة الرصافة شبكة من الأنهر كانت تتفرع من النهروان فتروي الأراضي المجاورة للمدينة ثم تنتهي الى وسط المدينة نفسها .

(٢) ليس شك في أن الراشدية كانت في نفس موضع الراشدية الحالي الواقع على مسافة حوالي عشرة كيلومترات شمالي « تل بدران » (موضع مدينة البردان) وتتفق هذه المسافة مع تلك التي ذكرها ابن سرابيون بين الراشدية ومصب نهر الخالص الذي أيد ابن سرابيون وقوعه قرب البردان جنوباً وهي فرسخان ، أي حوالي عشرة كيلو مترات .

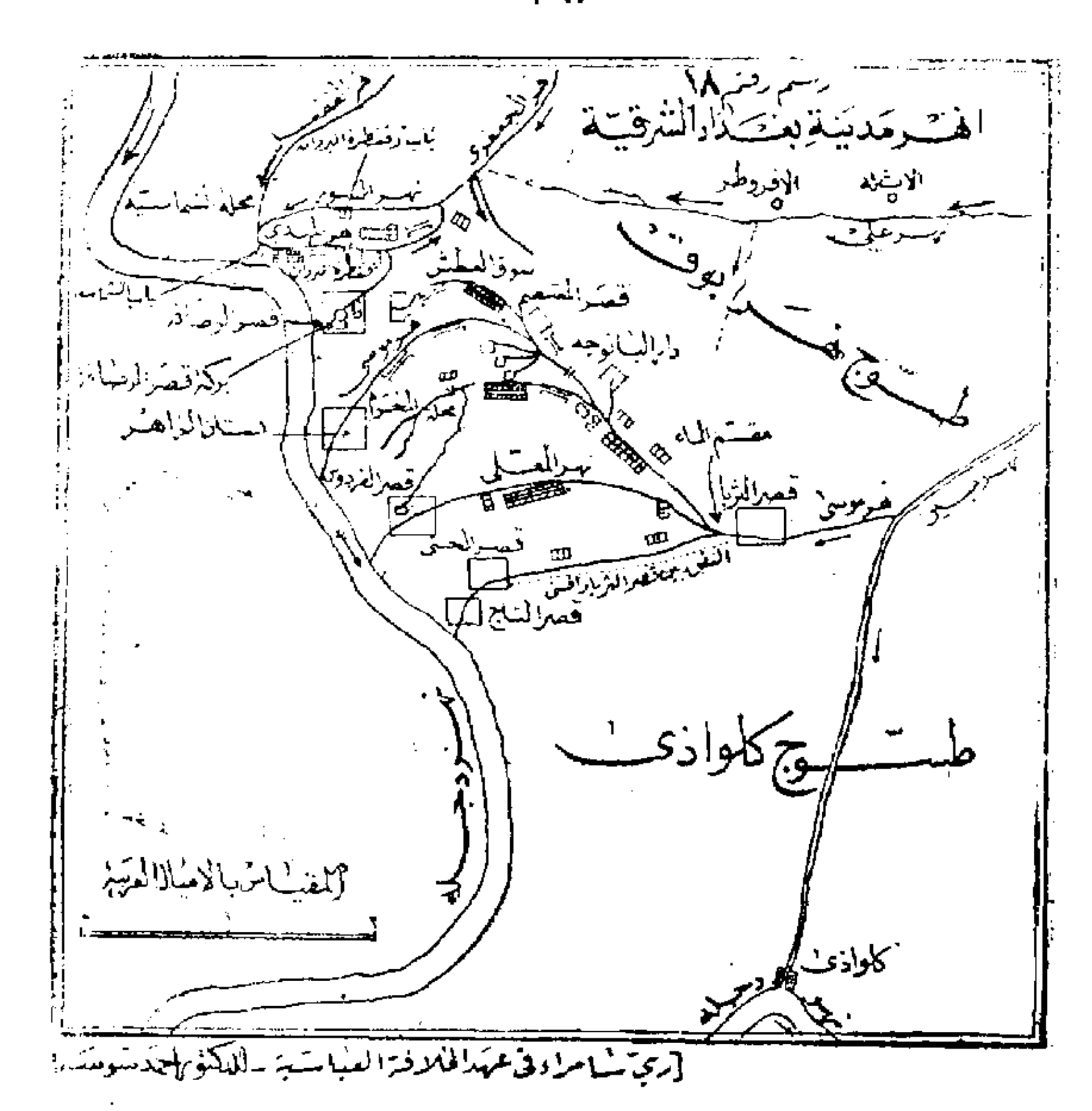
نحو الجنوب الشرقي ، وبعد ان يمر بقنطرة البردان ودار الروميين وسويقة نصر بن مالك يدخل الرصافة ويمر في المسجد الجامع الى بستان حفص ويصب في بركة في جوف قصر الرصافة . وقد اشار اليعقوبي الى نهر المهدي هذا قال : « فاختط المهدي قصره بالرصافة الى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة ، وحفر نهراً يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي يجري في الجانب الشرقي » .

وكان يتفرع من « نهر الفضل » أيضاً نهر يقال له « نهر الجعفري » أو « نهر الجعفرية » ، وهذا يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفضل أيضاً من نقطة تقع شمالي مأخذ نهر المهدي ، وبعد أن يمر بقرى وضياع ينتهي الى الأراضي التي في شمالي مدينة بغداد . وكان يحمل من الضفة اليمنى لنهر الجعفرية نهر يسمى « نهر السور » فيسير غرباً مع سور بغداد وبعد أن يمر بباب خراسان وباب البردان يصب في نهر الفضل الذي يصب بباب الشماسية .

وكان يحمل من الضفة اليسرى لنهر المهدي فرع أوله في سويقة نصر يمر في وسط شارع باب خراسان الى أن يصب في نهر السور بباب خراسان (راجع الرسم رقم ١٨) .

٢ - « نهر بين » وفروعه

أما « نهر بين » فان أهم فروعه هو الفرع المعروف باسم « نهر موسى » ، وكان هذا الفرع يتشعب من الضفة اليمنى لـ « نهر بين » في نقطة تقع شرقي قصر المعتضد المعروف بـ « الثريا » فيسير غرباً حتى يصل الى « قصر الثريا » فيدخله ويدور فيه ويخرج منه ويصير الى موضع يقال له « مقسم الماء » فينقسم هناك الى ثلاثة انهار ، أولها ، الفرع الشمالي الغربي ، وهو أطولها ، يبقى محتفظاً باسم « نهر موسى » فتتشعب فروعه الكثيرة في « محلة المخرّم » فيخترقها مع فروعه . وبعد أن يدور حول هذه المنطقة يدخل « بستان الزاهر » ويصب في دجلة أسفل



[رسم سامراء في عهد الخلافة العباسية ـ الدكتور احمد سوسة]

البستان المذكور بقليل . ويمر « نهر موسى » هذا بـ «سوق الدواب» وبـ « دار البانوجة » و بـ « قصر المعتصم »[1] ، كما انه يغذي الاحواض الثلاثة التي في هذه المنطقة ، وهي « الانصار » و « هيلانة» و «داود» . ويسمى الفرع الثاني الذي يتفرع من «المقسم» وهو الفرع الاوسط باسم « نهر المعلى »، وهذا يسير غرباً الى داخل المدينة ثم يدخل قصر المعتضد المعروف بـ « الفردوس » ويدور

---

(١) كان يقع هذا القصر في القسم الشمالي من محلة المخرم على ضفة « نهر موسى » جنوبي « باب خراسان » وقد أقام المعتصم في هذا القصر من سنة ٢١٨ الى سنة ٢٢١ هـ ، أي قبل انتقاله من بغداد الى سامراء ، والظاهر انه تهدم بعد هذا التاريخ بمدة قصيرة بدليل انه لم يرد له ذكر عند أي مؤرخ جاء بعد ابن سرابيون .

حوله حتى يصب في دجلة مع القصر. ويمر النهر الثالث من «المقسم» الى باب العامة فيسير جنوباً ثم يدخل الى القصر المعروف بـ «الحسني» فيدور فيه وينتهي الى دجلة تحت قصر المكتفي بالله المعروف بـ «قصر التاج»[٩].

وكان يتفرع من «نهر بين» عدا «نهر موسى» فرع آخر يسمى «نهر علي»، وهذا يتفرع من الضفة اليمنى لـ «نهر بين» في نقطة تقع فوق مأخذ «نهر موسى» بقليل فيمر بقرية الاثلة وبعد أن يسقي «طسوج نهر بوق» و «رستاق الافروطر» يصب في أحد فروع الخالص، والارجح انه يصب في فرع الجعفري الذي مر ذكره.

ويتضح مما تقدم ان منطقة مدينة بغداد الشرقية كانت تروى من النهرين الرئيسيين ـ «نهر الخالص» و «نهر بين» ـ المتفرعين من الضفة اليمنى لنهر النهروان الكبير. فالمواضع الشمالية كانت تسقى من فروع «نهر المهدي» و «الجعفري» و «السور» المتشعبة من «نهر الفضل» الذي هو أحد فروع «نهر الخالص»، أما المواضع الجنوبية فكانت تسقى من فروع «نهر موسى» الذي هو أحد فروع «نهر بين»، وهي الفروع الثلاثة المتشعبة من «مقسم الماء».

٣ ـ قصور الخلفاء في مدينة بغداد الشرقية

يرجع تاريخ تأسيس مدينة بغداد الشرقية الى عهد المنصور حين اتخذ ضفة دجلة الشرقية قبالة مدينته المدورة التي على الجانب الغربي من دجلة موضعاً يعسكر فيه الجيش، وكان قد اعد لابنه قصراً هنا أيضاً بمناسبة انتصاره ورجوعه من خراسان على رأس الجيش، وقد أقيم جامع بالقرب من القصر ثم انشئت البساتين حوالي القصر وحفر نهر خاص لاروائها وقد سميت هذه المحلة

(٩) راجع البحث الذي يلي عن قصور الخلفاء في مدينة بغداد الشرقية.

بعد أن توسعت وانشئت فيها القطائع والدور باسم « الرصافة » وكانت تعرف باسم « عسكر المهدي » في أول الأمر . وامتد العمران في جهة « الرصافة » هذه حتى صار يعادل عمران مدينة المنصور التي على الجانب الغربي وقد ساواها في المساحة بعد ذلك . ويذكر اليعقوبي بإسهاب القطائع المختلفة التي أقطعها المهدي لرجاله من النبلاء في الأراضي المحيطة بالرصافة وكانت هذه الأراضي في الشمال الشرقي وفي الجنوب وقد أصبحت أخيراً « محلة الشماسية » و « محلة المخرّم » .

أما العمارات المهمة التي انشئت في الجهة الشرقية لمدينة بغداد فيرجع معظمها الى العهد الأخير الذي يلي عهد عودة الخلفاء من سامراء ، ومن أهم القصور التي اشتهرت في هذا العهد « القصر الحسني » و « قصر الثريا » و « قصر الفردوس » و « قصر التاج » . وكان « القصر الحسني » قد انشيء في الأصل من قبل جعفر البرمكي جنوبي « الرصافة » وأصبح في الأخير موضع دار الخلافة بعد انتقال مقر الخلافة الى الجانب الشرقي من المدينة . وقد ذكر ياقوت أن القصر كان من أحب المواضع الى المأمون وأشهاها لديه فاقتطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة وحيراً لجميع الوحوش وفتح له باباً شرقياً الى جانب البرية وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلّى وبعد أن تولى المعتمد صار هذا القصر من أحب البقاع اليه وكان يتردد فيما بينه وبين سرّ من رأى فيقيم هنا تارة وهناك تارة أخرى حتى توفي فيه سنة ٢٧٩ هـ . وحمل الى سامراء فدفن فيها . ثم استولاه المعتضد بالله فاستضاف الى « القصر الحسني » ما جاوره فوسّعه وكبّره وأدار عليه سوراً واتخذ حوله منازل كثيرة ودوراً وأقطع من البرية قطعة فعملها ميداناً عوضاً من الميدان الذي ادخله في العمارة وابتنى على نحو ميلين منه في جهة الشرق الموضع الذي على « نهر موسى » والمعروف بـ « الثريا » ووصل بناء الثريا بالقصر الحسني وابتنى تحت القصر آزاجاً من القصر الى الثريا تمشي جواريه فيها وحرمه وسراريه وما زال باقياً الى الغرق الأول الذي صار ببغداد فمحى أثره وكان ذلك في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م .) حين انفجرت

المسناة التي تحت « نهر القورج » وغمرت المياه بغداد الشرقية جميعها[١] . وقد ذكر المسعودي المورخ المعاصر : ان المعتضد (انفق على قصره المعروف بالثريا أربع مائة الف دينار وكانت مساحة أرضه ثلاثة فراسخ وكان الازج الذي طوله ميلان المار ذكره معقوداً يمر تحت الدور والشوارع التي أقيمت فيما بعد خارج قصور الخلفاء .

وقد شيد المعتضد « الفردوس » في جوار « القصر الحسني » في موضع يقع فوقه حيث يصب نهر المعلّى في دجلة ، وكان في بساتين هذا القصر بحيرة يأتيها الماء من فرع صغير لـ (نهر موسى) عند (المقسم) قرب (باب المخرّم). وقد ذكر ابن حمدون النديم ان المعتضد غرم على عمارة البحيرة ستين الف دينار وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته دريرة [٢] . وزيادة على قصري (الفردوس) و (الثريا) وضع المعتضد أساسات (قصر التاج)المشهور في موضع يقع على نهردجلة بالقرب من (القصر الحسني) وحين تم بناؤه ووسعه الخلفاء المتعاقبون أصبح أهم مركز رسمي للخلفاء .

ج - جباية طسوجي « نهر بوق » و« كلواذى ونهر بين »

ومما ذكره ابن خرداذبة أن جباية طسوج نهر بوق كانت تشتمل في أوائل القرن الثالث الهجري على مائتي كر من الحنطة والف كر من الشعير ومائة الف درهم على حين ان طسوج (كلواذى ونهر بين) كان يقسم الى ثلاثة رساتيق تبلغ بيادرها أربعة وثلاثين بيدراً تشتمل على ألف وستمائة كر من الحنطة وألف وخمسمائة كر من الشعير وذلك عدا ثلثمائة الف وثلاثين الف درهم من الورق ، وقد أيد قدامة ذلك في قائمته حول جباية السواد في حوالي ذلك الزمن .

---

(١) حول الغرق المذكور راجع ما تقدم في الصفحة ٢٢٧ .

(٢) عن تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢٤٨) طبعة ادارة الطباعة المنيرية .

٦ ـ كورة شاذ هرمز ـ طسوجا « جازر » و « المدينة العتيقة »

وكان آخر ما في (كورة شاذ هرمز) من طساسيج الطسوجان (جازر) و (المدينة العتيقة) ، وهذان يشتملان على المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى للنهروان ما بين بغداد والمدائن ، وكان هذان الطسوجان يستمدان مياه الارواء من النهروان أيضاً فتتفرع من ضفته الغربية جداول فرعية لارواء أراضيها ثم تنتهي هذه الفروع الى دجلة في ناحية المدائن .

ويمكن تتبع آثار الانهر التي كانت تتفرع من الضفة اليمنى للنهروان في هذا القسم حيث يشاهد في تلك الضفة على مسافة حوالي أربعة كيلومترات من جنوبي (مدينة النهروان) فرعان كبيران يعرفان باسم (خشوم الخور) ، أولها من الشمال يسمى (الخور الصغير) والثاني وهو الاسفل يسمى (الخور الكبير) ، ويمتد هذان الفرعان في الأراضي الواقعة بين مجرى نهر ديالى الحالي والضفة اليمنى للنهروان وبعد ان تتشعب منهما عدة فروع ينتهيان الى نهر دجلة في جنوبي بغداد . وتشاهد في جنوبي صدري (خشوم الخور) بقليل عند الكيلومتر (١٢٥) من النهروان آثار بناء على جانبي مجرى النهروان يستدل منها أن قد كان في هذا الموضع ناظم قاطعي أو سد غاطس تحجز أمامه المياه لتأمين ادخالها بمناسيب عالية الى نهري (خشوم الخور) اللذين تقدم ذكرهما . والارجح أن الموضع المذكور هو نفس الموضع الذي سماه ابن سرابيون (الشاذروان الاعلى) وقد عين موقعه في جنوبي (مدينة النهروان) بقليل[1] . وفي جنوبي موقع هذا الناظم أو السد بحوالي أربعة عشر كيلومتراً يتفرع نهران آخران من الضفة اليمنى للنهروان أيضاً ، الأول من الشمال يسمى (نهر عليان) ويتفرع عند الكيلومتر (١٣٨) من النهروان ، والثاني من الجنوب وهو أكبر سعة يسمى (نهر الكف) ويتفرع عند الكيلومتر (١٤٠) من النهروان ، والنهر الأخير ضفاف

---

(١) راجع ما تقدم في الصفحة ١٥٣

مرتفعة وهو يمتد مسافة بعيدة في المنطقة الواقعة بين النهروان ودجلة وتتفرع منه عدة فروع لارواء هذه الشقة الواسعة (راجع اللوحة رقم ٤) .
وآخر نهر يشاهد في هذا القسم هو النهر المسمى (ابو تمارة) ، ويتفرع هذا النهر من الضفة اليمنى للنهروان في نقطة تقع على بعد حوالي أربعة كيلومترات من جنوبي صدر (نهر عليان) ، فيمتد هو وفروعه مسافة طويلة في الاراضي الواقعة ما بين نهر دجلة ومجرى النهروان . ولعل تسمية (أبي تمارة) هذه تحريف لكلمة (بتار) ، وهي اسم قرية من قرى بغـــداد جاء ذكرها في المراصد .

والارجح أن الاطلال المعروفة اليوم باسم (تلول بسماية) والواقعة وسط (طسوج جازر) تمثل بقايا (قصبة جازر) ، وهي التي وصفها ياقوت قائلاً انها قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن وهي قصبـة طسوج الجازر . وتقع أطلال (بسماية) هذه على مسافة زهاء عشرين كيلومتراً من جنوب شرقي مدينة بغداد فتنتشر في شبه دائرة طول قطرها حوالي كيلومترين ونصف الكيلومتر ، ومن أبرز أبنيتها التي تشاهد آثارها ماثلة للعيان حصن ضخم تشكل حدود جدرانه الخارجية أضلاع متوازية غير منتظمة ، فيبلغ طول ضلعه الشرقية ٢٥٥ متراً وطول ضلعه الغربية ١٨٥ متراً وطول ضلعه الشمالية ١٣٥ متراً . اما الضلع الجنوبية التي تواجه (طيسفون) فهي اقصر الاضلاع إذ تبلغ ٨٥ متراً . اما جدران الحصن فترتفع عن سطح الأرض المجاورة زهاء ٣٥ قدماً وهي مبنية بلبن مربع من الحجم الكبير يبلغ طول أضلاعه حوالي ٤٠ سنتمتراً . ويستدل من حجم اللبن وحجم الآجر المفخور الذي وجد داخل الحصن وهو بنفس الحجم ان البناء فارسي الأصل . وقد أجمع العلماء الأثريون على أن الآجر الذي بهذا الحجم يرجع الى العهد البابلي الأخير والعهدين ، الفرثي والساساني ، حيث كان يستعمل في هذه العصور هذا النوع من الآجر واللبن

في بناء الحصون الشامخة والمنشئات الضخمة . وكان ذلك من جملة ما استدللنا به على ان (حصن القادسية) المثمن الذي في سامراء يرجع الى العهد الفارسي أيضاً [١] . ويشاهد عدا الفخار الكثيف على سطح اطلال المدينة كثير من الزجاج القديم مما يدل على ان الزجاج كان يستعمل بوفرة هناك .

ويشاهد بين اطلال « بسماية » آثار نهر قديم يخترقها ثم يتفرع منه فرع خاص ينتهي الى الحصن الذي في المدينة فيمون الخندق الذي يحيط به من الخارج ، واذا تتبعنا آثار مصدر هـذا النهر نجد انه يتفرع من « خشوم الخور » شمالاً ثم ينزل جنوباً حتى ينتهي الى موضع اطلال « بسماية » .

ونستخلص من تحقيقاتنا ان طريق خراسان العام بين المدائن وخراسان كان قبل أن تنشأ مدينة بغداد ، أي قبل الفتوحات الاسلامية ، يمر من « قرية جازر » (موضع اطلال بسماية الحالية) ، ويظهر من التحصينات التي فيها انها كانت موقعاً ستراتيجياً مهماً في حوالي منتصف الطريق بين « المدائن » و « مدينة النهروان » عدا انها كانت مركزاً لطسوج « جازر » .

وهناك ما يدل على ان قرية « جازر » كانت تعرف بهذا الاسم في العهد الفارسي وفي صدر الاسلام ، فقد جاء في كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ان كسرى أنوشروان « أمر بمزدك فقتل وصلب وقتل من الزنادقة ما بين جازر الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مائة الف زنديق [٢] ، كما جاء في الطبري ذكر « جازر » في حوادث السنة السادسة عشرة الهجريه ، وهذا نص ما ذكره الطبري قال : « قالوا كان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ مما يلي جازر فقيل له دخلت العرب وهرب أهل فارس فلم يلتفت الى قولهم الخ ... » [٣]

(١) راجع البحث المتقدم في ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠
(٢) الجزء الاول ، الصفحة ٣١٤
(٣) الطبري (١ : ٢٤٤٢)

ويشاهد في جوار اطلال « بسماية » تلان بارزان ، هما « تل رشادي » الواقع على مسافة حوالي ستة كيلومترات من غربيها و« تل اشجالي » الواقع على بعد زهاء ثمانية كيلومترات في شمال غربيها، والارجح ان هذين التلين من بقايا القرى المهمة في « طسوج جازر » ، وتشاهد أيضاً على مسافة أحد عشر كيلومتراً من شمال غربي الاطلال المذكورة « تلول خفاجي » التي ثبت انها موصع المدينة البابلية القديمة « دور شمسوايلوتا » [1]. ومما يلفت النظر أن هنالك تلاً مرتفعاً على الضفة اليمنى للنهروان يقع على مسافة ١١ كيلومتراً من شمال شرقي اطلال « بسماية » ، مقابل الكيلومتر (١٣٦) من النهروان ، يسمى « تل جوزي » او « تل جوزية »، ولعل هذه التسمية تحريف لـكلمة « جازر » .

هذا فيما يختص بطسوج جازر ، أما فيما يتعلق بطسوج « المدينة العتيقة » فقـــد ثبت انه يقع في القسم الشرقي من « المدائن » القائم على الجانب الايسر من نهر دجلة ، وهو القسم الذي يقع فيه « القصر الابيض » و « ايوان كسرى » المشهورين . وتسمى اليوم هذه الناحية الواقعة على مسافة ٣٠ كيلومتراً من بغداد جنوباً « ناحية سلمان باك » باسم الصحابي الشهير « سلمان الفارسي » المدفون فيها ومدفنه وسط جامع فخم [2] . أما « المدائن » فهي عبارة عما بقي من مدينتي « سلوقية » اليونانية و « طيسفون » الفارسية . شيد سلوقس نيكتاريوس مدينة « سلوقية » على ضفة نهر دجلة اليمنى في القرن الثالث قبل الميلاد [3] ، اما مدينة « طيسفون » فقد شيدها الفرتيون على الجانب الايسر من

(١) راجع ماتقدم في الصفحة ١٠٨

(٢) كان على مقربة من الايوان قبران يرقد فيهما الصحابيان العربيان عبدالله الانصاري وحذيفـــة بن اليمان فاشرفا على الغرق لان مياه دجلة كانت ـ ولا تزال ـ تنال من الشاطيء فنقلت الحـكومة بقايا رفاتيهما الى جامع « سلمان الفارسي » في عام ١٩٣١ (راجع « العراق قديماً وحديثاً » للاستاذ عبد الرزاق الحسني ، الصفحة ٨٥) .

(٣) راجع الجزء الثاني من كتاب المؤلف « وادي الفرات » ص ١٢ و ٨١ و ٩٦ و ٨٦ و ٨٤ و ٩٣ و ٩٤ و ١٨٤ و ٢١٦ .

دجلة مقابل « سلوقية »، وكانت في العهد الساساني من اشهر مدائن العراق حتى بلغت ذروة مجدها في زمن كسرى انوشروان في القرن السادس بعد الميلاد .

وقد ذكر المؤرخون من العرب ان « المدائن » كانت تشتمل على سبع مدائن، بيد ان ياقوت الحموي ذكر خمساً منها وهي : « المدينة العتيقة » (طيسفون) التي كان « القصر الابيض » من أقسامها ، و « مدينة اسبانبر » التي كان « ايوان كسرى» من اقسامها ، وهي اعظمها تقع في جنوبي « المدينة العتيقة » مسافة ميل ، وبالقرب منها « مدينة الرومية» . وفي الضفة المقابلة أعني في الضفة اليمنى «مدينة بهر سير» وهي محرفة من « بهي اردشير » ، وفي جنوبيها «مدينة ساباط كسرى » وهي محرفة من « بلاسي اباد » . وقد ذكر الاصطخري « ان جانبي المدائن المكتنفين لدجلة كانت على عهد الفرس موصولاً بينهما بجسر على دجلة مبني بالآجر » .

وورد في « مقدمة تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (الطبعة الفرنسية ص ٨٨) بصدد « المدائن » ما يلي : ـ « وقيل انما سميت المداين لكثرة ما بنى بها الملوك والاكاسرة واثروا وتسمى المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الابيض القديم الذي لا يدرى من بناه وتتصل به المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيها الايوان ويعرف باسبانبر ، واما المدينة الغربية فتسمى بهرسير ، وكان الاسكندر أجل ملوك الأرض نزلها » .

ويظهر ان بعض اقسام « المدائن » كان مأهولاً في القرنين الثاني والثالث للهجرة ولم يخفت ذكرها إلا في القرن الرابع الهجري . فذكر المستوصفي الذي زار « المدائن » في القرن الثاني الهجري ان المدائن الواقعة في الضفة الشرقية كانت متهدمة لا يسكنها أحد ، بينما المدائن في الجانب الغربي كانت مأهولة سيما مدينة بهرسير ، كما ذكر ابن رسته في كتابه « الاعلاق النفيسة » الذي وضعه

في أواخر القرن الثالث الهجري ان في المدائن « مسجدين جامعين وأسواق وعلى احد جانبيها مما يلي المشرق قصر بناه الاكاسرة وكان مقامهم فيها وفيها الايوان الموصوف وفي الجانب الغربي بيت نار يقال ان النفقة عليه تضعف على خراج فارس . ويشير ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » ص(٢٨٨) الى معسكر كان المعتصم قد انشأه في « المدائن » .

ولقد استعمل الخلفاء انقاض القسم المنهدم من « المدائن » في تشييد المباني والقصور في بغداد ، فذكر ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول »(ص٢١٩) ان «المنصور لما عزم على بناء بغداد أمر بنقض المدائن وايوان كسرى . فنقضه ونقله الى بغداد . فنقضت ناحية من القصر الابيض وحمل نقضه . فنظر وكان مقدار ما يلزمهم له اكثر من ثمن الجديد فاعرض عن الهدم » . وقد ذكر ياقوت الحموي في مادة « التاج » من معجمه ان « المكتفي أتم عمارة قصر التاج الذي كان المعتضد وضع اساسه وجلب لبناء التاج انقاض القصر الكامل والقصر الابيض الكسروي الذي لم يبق منه الآن بالمدائن سوى الايوان بني في هذه الانقاض مسناة التاج » .

وقام الدكتور رويتر الالماني في سنة ١٩١٨ بحفريات دقيقة في ضواحي « طاق كسرى » وبفضل ذلك تمكن من وضع رسم شائق يمثل القصر الساساني القديم الذي كان الطاق من اجزائه ، ويعتقد ان القصر المذكور شيد ليكون مقراً لملوك الفرس يقيمون فيه عندما يخرجون للصيد والقنص .

وكان طريق خراسان الذي يبدأ من « المدائن » يخترق الطسوجين «جازر» و « المدينة العتيقة » ، وذلك في القسم الذي يسير به بين « المدائن » و « جسر النهروان » ماراً ، بمدينة «جازر» (اطلال بسماية) التي تقع على بعد حوالي نصف المسافة بين الموضعين المذكورين ، إذ أن بغداد ـ كمدينة ـ لم تكن موجودة في أيام الاكاسرة ، وانما كانت قرية من قرى « طسوج بادوريا » الواقع في

الجانب الغربي من دجلة . وقد ذكر اليعقوبي انه لم يكن ببغداد في ذلك الوقت إلا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق وكان قائماً بحاله الى زمنه (حوالي سنة ٢٨٠ ه) . أما بعد ان اقيمت مدينة بغداد في العهد العربي فصار الطريق العام بين بغداد و « المدائن » ، وهو الطريق المؤدي الى واسط ، يخترق الطسوجين المذكورين أيضاً . ويلاحظ من وصف المؤرخين من العرب لهذا الطريق ان منطقة الزعفرانية الحالية كانت تعرف بهذه التسمية أيضاً في ذلك الوقت ، وكان الطريق يسير وسط حدائق ومزارع على طول المسافة بين « كلواذى » و « المدينة العتيقة » . ولا شك في أن هذه المزارع والبساتين كانت كلها تسق من فروع النهروان التي تقدم ذكرها . واليك ما كتبه ابن رسته في وصف هذا الطريق قال: «من بغداد الى كلواذى ثلاثة فراسخ الطريق ينحدر مع دجلة فتسير حتى تنتهي الى كلواذى مدينة بها مسجد جامع ومنبر وأسواق . ومن كلواذى الى الزعفرانية الطريق منحدر مع دجلة في صحراء ومزارع ونخيل ونواويس على شط دجلة حتى تنتهي الى معسكر وصحراء ملساء وعلى شط دجلة قرية يقال لها الزعفرانية ومنه الى المدائن الطريق في نخيل ومزارع وتعبر على جسري نهرين يسميان نهر بين ونهروان حتى تنتهي الى المدائن وفيها مسجدان جامعان وأسواق وعلى أحد جانبيها مما يلي المشرق قصر بناه الاكاسرة وكان مقامهم فيها وفيها الايوان الموصوف » .

وقد ذكر ابن خرداذبه أن الطسوجين « جازر » و « المدينة العتيقة » يقسمان الى سبعة رساتيق وبيادرها مائة وستة عشر بيدراً تشتمل على الف كر من الحنطة والف وخمسمائة كر من الشعير هذا عدا مائة الف وأربعين الف درهم من الورق . وقد أيد ذلك قدامة ابن جعفر في قائمته المثبتة في كتاب «الخراج» حول جباية السواد في سنة ٢٠٤ ه . إلا انه اعتبر مبلغ الورق ٢٤٠ الف درهم، أي بزيادة مائة الف درهم عما ذكره ابن خرداذبه .

٧ - مجموع جباية « كورة شاذ هرمز »

وبناء على ماتقدم يكون مجموع جباية الكورة الاولى في حوالي عهد المعتصم زهاء عشرة آلاف كر من الحنطة وأحد عشر الف كر من الشعير ومليون وتسعين الف درهم ، وتفاصيلها كما يلي :

اسم الطسوج	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
« طسوج بزر جسابور »	٢٥٠٠	٢٢٠٠	٣٠٠ر٠٠٠
« طسوجا الراذانين »	٤٨٠٠	٤٨٠٠	١٢٠ر٠٠٠
« طسوج نهر بوق »	٢٠٠	١٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠
« طسوج كلواذى ونهر بين »	١٦٠٠	١٥٠٠	٣٣ ر٠٠٠
« طسوجا جازر والمدينة العتيقة »	١٠٠٠	١٥٠٠	٢٤٠ر٠٠٠
المجموع	١٠ر١٠٠	١١ر٠٠٠	١ر٠٩٠ر٠٠٠

٨ - الطريق العام بين بغداد و« سر من رأى » يخترق « كورة شاذ هرمز »

وكان الطريق العام بين بغداد وسرّ من رأى يخترق « كورة شاذ هرمز » فيسير على محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة ، وهو نفس الطريق الذي سلكه المعتصم عندما خرج من عاصمته - بغداد - وهو يتحرّى عن موضع ملائم لعاصمته الجديدة حتى انتهى الى سامراء ، فكان يسير أولاً بـ « البردان » التي تبعد أربعة فراسخ عن بغداد ، وهذه هي نفس المدينة التي قصدها المعتصم واعتزم انشاء عاصمته الجديدة فيها ثم عدل عن عزمه هذا لضيق المكان وقربه من بغداد ، ثم يتجه الطريق بعد ذلك نحو « عكبرا » التي تبعد مسافة خمسة فراسخ عن « البردان » ، ثم يسير الى « باحمشا » التي تبعد ثلاثة فراسخ عن« عكبرا »، وبعد ذلك يتجه نحو« القادسية »التي تبعد سبعة فراسخ عن باحمشا،

حتى ينتهي الى « سر من رأى » التي تبعد ثلاثة فراسخ عن « القادسية » .
وبذلك يكون مجموع المسافة بين بغداد وسر من رأى اثنين وعشرين فرسخاً ،
أي حوالي مائة وعشرة كيلومترات ، وهي حوالي نفس المسافة الحالية بين بغداد
وسامراء عن طريق الجهة اليمنى لنهر دجلة ، وهي مائة وعشرين كيلومتراً تقريباً[1] .

ويستدل مما كتبه المؤرخون على أن الطريق المذكور كان كثيفاً بسكانه إذ كان
يمر بين مزارع وبساتين على طول المسافة بين بغداد و « سر من رأى » ، واليك
ما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد قال : « ولم تخرب بغداد ولا نقضت أسواقها
لأنهم لم يجدوا منها عوضاً ولأنه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى
من البر والبحر أعني في دجلة وفي جانبي دجلة » .

أما سبب سلوك الطريق الجهة اليسرى لنهر دجلة فيرجع الى أن هذه الجهة
كانت اعمر من الجهة اليمنى حيث كانت فروع النهروان تتغلغل فيها بين النهروان
ومجرى دجلة فتؤمن ارواءها سيحاً على طول المسافة بين بغداد والقادسية مما
جعلها من أجل واخصب بقاع كورة شاذهرمز[2] .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بطريق البريد العام بين بغداد وسامراء في ص١٩٠ ـ ١٩١

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوج بزرجسابور في ص ١٨٢ و٣٥٥ .

الفصل العاشر

النهروان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الثاني)

١ ـ كورة شاذ قباذ

بحثنا في الفصل المتقدم عن الكورة الاولى من كور منطقة النهروان ، وهي « كورة شاذ هرمز » ، ونبحث في هذا الفصل عن الكورتين الاخريين ، وهما « كورة شاذ قباذ » و « كورة ارندين كرد » . اما « كورة شاذ قباذ » فطساسيجها ثمانية ، وهي «طسوج روستقباذ» و «طسوج سلسل» و «طسوج مهروذ » و « طسوج جلولاء وجلتا » و « طسوج الذيبين » و « طسوج الدسكرة » و « طسوج البندنيجين » و «طسوج براز الروز» ، وهذه الكورة كما اسلفنا تشتمل على المنطقة الواقعة على جانبي نهرديالى بين جبل حمرين والنهروان كما انها تشتمل على أراضي مندلي أيضاً . وكان معظم أراضي هذه الكورة يروى من نهرديالى وذلك بواسطة الجداول المتفرعة من أمام السد الذي كان قد أقيم على مجرى نهر ديالى في جبل حمرين . ومما يؤيد أن معظم مياه نهر ديالى كان يجري من أمام هذا السد الى جهة بلدروز و « هور الشويجة » عن طريق منخفضات الروز كما تقدم شرحه[1] ، ان طريق خراسان العام الذي كان يمتد بين الدسكرة وجلولاء كان يعبر مجرى الروز عند « قرية المارونية » على قنطرة ضخمة ذكر ياقوت انها عجيبة البناء كما ذكر ابن رسته انها مبنية بالحجر والرصاص[2] ، هذا فضلاً عن ان مقدار جباية الخراج من « طسوج براز الروز » (وهو الاسم القديم لمنطقة

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن سد نهر ديالى في الصفحة ١٥٩

(٢) راجع البحث الذي يلي عن طريق خراسان العام الذي يخترق هذه الكورة

بلدروز الحالية) كان اكثر من جباية أي طسوج آخر في هذه الكورة ، ومما يدل أيضاً على أهمية منطقة « براز الروز » هذه في ذلك الوقت ، من حيث موقعها ومن حيث توفر المياه فيها ، ان الخليفة المعتضد(٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ . = ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م .) اختارها من دون الاماكن الاخرى في كورة ديالى هذه لانشاء أبنية ملكية نخمة فيها[١] .

ونشاهد آثار المجرى القديم في الجانب الشرقي لنهر الروز الحالي في أراضي المريجة المنخفضة ، فيمتد المجرى بموازاة الضفة الشرقية لنهر الروز ، ويعرف هذا المسيل في جوار بلدروز باسم « السرّ » . ويتصل هذا المجرى بذنائب وادي النفط حيث تتحد مياههما في مجرى واسع ، ثم تنصب في هذا المجرى مياه « كلال الجيزاني » الذي في منطقة مندلي ، وأخيراً تتجه جميع هذه المياه من المجاري الثلاثة المذكورة الى « هور الشويجة » الكائن شرقي الكوت ، والهور الاخير ينصب عند فيضه في دجلة جنوبي الكوت . ولا تزال تشاهد تلول أثرية كثيرة في منطقة الروز الحالية ، ولا شك في أن هذه التلول بقايا القرى والمدن التي كانت على مجرى الروز القديم الذي كان يسحب معظم مياه نهر ديالى في ذلك الوقت . ومن أهم هـذه التلول « تل مخيريج » و « تل أبي مشمش » و « تل الأضباعيات » و « تل ابي زبيل » و « تل سيمع » و « تل الاجرب » و « تل حليوات » و « تل أبي جيت » الواقعة على نهر التحويلة الذي يتفرع من الجهة الغربية لنهر الروز الحالي في الذنائب . ولا تزال في « تل مخيريج » بقايا دعامة او منارة قائمة تشاهد من مسافة بعيدة وسط الصحراء التي في ذنائب نهر الروز الحالي . وهناك عدة تلول أثرية الى غربي نهر الروز أيضاً وفي منطقة « بلدروز » الحالية نفسها من جملتها « تل لموم » و « تل ابي مجارش » و « تلول الكاوليات » و « تل مندك » . أما التلول التي في الجهة الشرقية من المجرى فاهمها « تل رسيم »

---

(١) راجع معجم ياقوت في مادة (براز الروز)

و « تلول ثلاث اشن » و « تل اصبيخي » و « تل بوره خان الـكبير » و « تل بوره خان الصغير » و « تل بقلي » ، وتقع التلول الثلاثة الاخيرة في أراضي السعدة على نهر الشمسية الحالي الذي يتفرع من الجهة الشرقية لنهر الروز في الذنائب .

وفيما يلي تفاصيل جباية كل من الطساسيج الثمانية التي في كورة شاذ قباذ كما دوّنت في أوائل القرن الثالث الهجري نقلاً عن ابن خرداذبة وقدامة : ـ

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
« طسوج روستقباذ » (ديالى فوق جبل حمرين)	—	—	١٠٠٠	١٤٠٠ الشعير والدخن	١٧٠٫٠٠٠ (١)
« طسوجا سلسل ومهروذ » (الاسمان القديمان لمنطقة سلسل ومهروت الحالية)	—	—	٢٠٠٠	١٥٠٠	١٥٠٫٠٠٠
(طسوج جلولاء وجلتا (٢))	٥	٧٦	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠

(١) هذا ما أورده ابن خرداذبة أما قدامة فان المبلغ الذي ذكره ٢٤٦٫٠٠٠ درهم ، أي بزيادة ٧٦٫٠٠٠ درهم عما ذكره ابن خرداذبة .

(٢) « جلولاء » اسم بلدة على طريق بغداد ـ خراسان وهي أيضاً على حسب قول ابن عبد الحق اسم « نهر يمتد الى بعقوبا ويشق بين منازلها وعليه في وسطها قنطرة » . ولا شك في ان هذا النهر هو من جملة الجداول التي كانت تتفرع من أمام سد ديالى في جبل حمرين ولعله كان يسير في نفس الاتجاه الذي يسير فيه جدول خراسان الحالي . اما مدينة جلولاء فيظن انها كانت تقع الى جوار الموضع الذي تقع فيه مدينة قزلرباط الحالية ، وهناك كانت وقعة جلولاء بين المسلمين والفرس . واما جلتا فهي قرية على نهر جلولاء تقع على طريق بغداد ـ خراسان أيضاً . والارجح ان قريتي « باجسرى » و « بعقوبا » كانتا ضمن طسوج جلولاء المذكور ، كما ان من المرجح ان الاراضي الواقعة في ذنائب نهر خراسان الحالي كانت ضمن هـــذا الطسوج أيضاً (حول باجسرا وبعقوبا راجع ما تقدم في الصفحة ٣٦٣ حاشية ٢)

« طسوج الذيبين » (منطقة الخالص)	٤	٢٣٠	٧٠٠[1]	١٣٠٠	٤٠ر٠٠٠
« طسوج الدسكرة[2] »	—	—	١٨٠٠	١٤٠٠	٦٠ر٠٠٠
« طسوج البندنيجين[3] »	—	—	٦٠٠	٥٠٠	٣٥ر٠٠٠
« طسوج براز الروز » (منطقة بلدروز الحالية)	—	—	٣٠٠٠	٥١٠٠	١٢٠ر٠٠٠
المجموع	—	—	١٠ر١٠٠	١٠ر٨٠٠	٦٧٥ر٠٠٠

٢ مجرى ديالى والنهروان

ويستخلص مما كتبه المؤرخون من العرب أن مجرى ديالى، الذي كان قد سدّ في جبل حمرين لتحويل مياهه من أمام السد الى جداول الري على ضفتي ديالى، كان

(١) هــذا ما أورده ابن خرداذبة اما قدامة فان الكمية التي ذكرها من الحنطة هي الف وتسعمائة كر ، أي بزيادة ١٢٠٠ كر عما ذكره ابن خرداذبة .

(٢) يقع هذا الطسوج في المنطقة التي تقع فيها شهرابان الحالية ، والدسكرة « قرية قرب شهرابان كانت تسمى دسكرة الملك لأن هرمز بن اردشير بن بابك كان يكثر المقام بها فنسبت الى الملك بذلك وبها آثار للفرس » (راجع المراصد ومعجم ياقوت في مادة دسكرة) . وهناك نهر يسمى « نهر طابث » كان يروي هذه المنطقة ، فقد ذكره ابن عبد الحق في المراصد وقال انه « نهر يأخذ من تامراء (ديالى) عليه قرى وهو أحد أعمال طريق خراسان » . ثم قال في مادة «شهرابان» ان شهرابان « مدينة صغيرة تحت باجسرى بطريق خراسان بقرب دسكرة الملك وطابث يجري في وسطها » .

(٣) ان منطقة « البندنيجين » المذكورة تقع على ما يظن في الموضع الذي فيه اراضي مندلي الحالية ، وقد جاء في معجم ياقوت ان البندنيجين « بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد وقيل ان البندنيجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان بل كل واحدة منفردة لا ترى الأخرى لكن نخل الجميع متصلة واكبر محلة فيها يقال لها باقطنايا وبها سوق ودار الامارة ومنزل القاضي ثم بويقيا ثم سوق جميل » .

ينحدر من منابعه في الجبال فيقطع جبل حمرين عند السد الذي أقيم هناك على مجراه ثم ينتهي الى النهروان عند بعقوبا ، وبذلك يكوّن حداً فاصلاً بين طريق خراسان الذي على الضفة اليسرى منه ومنطقة الخالص التي على جانبه الايمن . وكان يعرف هذا القسم باسم « نهر تامراء » ، كما ان النهروان بين بعقوبا ومدينة جسر النهروان صار يسمى « تامراء » أيضاً لاتصاله بنهر تامراء (ديالى) . وكان هناك فرع من فروع النهروان الغربية يعرف باسم « نهر ديالى »، وهذا يتفرع من الضفة اليمنى للنهروان في نقطة تقع جنوبي مدينة النهروان بقليل وينتهي الى دجلة جنوبي مدينة بغداد .

وكان نهر تامرا ، الذي ينحدر من جنوبي السد الذي في جبل حمرين ، يصب في الضفة اليسرى للنهروان ، فيحمل بعض مياه الفيضان من خلال أبواب السد ، وذلك على حسب الحاجة وعلى قدر ما تسمح به ظروف الفيضان على ديالى والنهروان، كما ان نهر تامرا هذا كان يقوم بوظيفة البزل الطبيعي للمياه الزائدة التي تتراكم في البساتين والأراضي الزراعية التي تقع على جانبيه والتي تروى من الجداول المتفرعه من أمام السد في جبل حمرين . وهذا يوضح لنا الأسباب التي أدت الى تسمية قسم النهروان الذي يمتد بين بعقوبا ومدينة النهروان باسم « نهر تامرا » حيث أصبح تتمة لنهر تامرا في هذا القسم فعلاً .

ومما يدل على انه كانت هناك فتحات في سد ديالى وان مياه ديالى الزائدة كانت تجري من تلك الفتحات الى مجرى « تامرا » لتنصب في النهروان ، قول دهقان بغداد لأبي جعفر المنصور عندما خرج يرتاد موضعاً يبني فيه مدينة ان ينزل في بغداد حيث تقع على نهر الصراة الذي يتفرع من نهر الفرات وينتهي الى دجلة وهي بين أربعة طساسيج ، « طسوجا قطربل وبادوريا » في الجانب الغربي و « طسوجا نهر بوق وكلواذى » في الجانب الشرقي . وقد أضاف الى ذلك قوله ان الموقع يمتاز بامكانية ايصال الميرة اليه بطريق دجلة والفرات ثم امكانية

نقل الميرة اليه من ارمينية واذربيجان وما يتصل بها بطريق تامرا . وكان يقصد بالشق الاخير ان ينقل الميرة بطريق نهر ديالى من الشمال حتى سد ديالى ومن ثم في وسط مجرى ديالى أيضاً، وهو نهر تامرا الذي يصب في النهروان قرب بعقوبا[١] .

٣ - « نهر ديالى » فرع من النهروان

أما نهر ديالى فكان، بوجود النهروان، يستمد المياه من الضفة اليمنى للنهروان من نقطة تقع على بعد ميل تقريباً من جنوبي « مدينة جسر النهروان » ، فيسير في الاتجاه الجنوبي الغربي ، أي بنفس اتجاه مجرى ديالى الحالي ، ثم ينصب في دجلة على مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً من جنوبي مدينة بغداد ، أي قرب موقع مصب نهر ديالى الحالي ، لذلك فان مجرى ديالى الحالي الكائن بين مصب تامرا في النهروان وبين مخرج نهر ديالى من النهروان لم يكن موجوداً في ذلك الوقت حيث كان النهروان يجري في هذا القسم ، الامر الذي كان يسهّل فتح الفروع من ضفته اليمنى لارواء المنطقة التي بينه وبين دجلة الواقعة في جوار مدينة بغداد الشرقية . واليك ما كتبه ابن سرابيون في أوائل القرن العاشر الميلادي عن نهر ديالى هذا قال : « ويحمل من النهروان نهر يقال له نهر ديالى أوله اسفل الجسر بميل يمر بقرى وضياع ويصب في دجلة أسفل بغداد بثلثة فراسخ » . وكان نهر ديالى هذا بمثابة مصرف يأخذ مياه الفيضان الزائدة التي تتجمع في النهروان من القاطولين (القاطول الاعلى الكسروي وقاطول القائم) ومن نهر تامرا وفروعه التي تنتهي الى النهروان ومن الجداول التي تتفرع من نهر العظيم وتنتهي الى النهروان فيحمل هذه المياه المتجمعة في النهروان الى نهر دجلة ، وكان يسمى مصبه « فم ديالى » . ولا شك انه كان في صدر هذا النهر

(١) راجع معجم البلدان لياقوت في مادة « بغداد » .

ناظم ذو أبواب تنظم بموجبه كمية المياه المطلوب صرفها الى نهر دجلة حسب ما تتطلبه الظروف .

وكان نهر ديالى صالحاً للملاحة إذ يستدل من عدة حوادث تاريخية دوّنها المؤرخون من العرب على ان النهروان كان واسطة نقل نهرية مهمة ، كما أن نهر ديالى الذي مر ذكره كان يؤمن المواصلات النهرية بين النهروان ودجلة . فقد ذكر الطبري ان أبا أحمد الموفق لما عاد من الجبل (أي من جهة ايران) الى العراق) وافى النهروان في شهر المحرم من سنة ٢٧٨ هـ . « فتلقاه الناس فركب الماء فسار في النهروان ثم في نهر ديالى ثم في دجلة الى الزعفرانية »[١] .

وهناك ما يدل على انه كان لنهر ديالى هذا انحدار شديد فان البثوق التي كانت تحدث في بعض الاحيان في ضفاف النهروان اليمنى كانت تؤدي الى انجراف المياه بشدة باتجاه نهر ديالى بحيث يتعذر سد هذه البثوق . وقد أورد الطبري حادثة وقعت في سنة ١٥٨ هـ . وهي تشير الى حدوث بثق من هذا القبيل في ضفة النهروان أدى الى انصباب المياه الى نهر ديالى وبعد أن أقام المنصور نفسه على سكره ثمانية عشر يوماً لم يفلح في سدّه ومضى[٢] .

٤ ـ مجرى ديالى (نهر تامرا) ونهر ديالى (فرع النهروان)

يتضح مما تقدم ان علينا أن نميز بين مجرى ديالى الرئيسي ، وهو نهر تامرا الذي كان ينزل من جبل حمرين ويجري في اتجاه مجرى ديالى الحالي ليصب في النهروان ، وبين نهر ديالى الذي كان فرعاً من النهروان يتفرع من ضفته اليمنى من جنوبي مدينة النهروان وينتهي الى دجلة،اذا ما أردنا أن نتتبع تطورات أدوار

(١) الطبري (٣ : ٢١٢٠) . وقد جاء ذكر هذا الحادث نفسه في المنتظم لابن الجوزي الجزء الخامس ص ١٠٩

(٢) الطبري (٣ : ٣٨٥) .

النهروان في هذا القسم . وعلى هذا فقد ذكر ياقوت ان مجرى ديالى « هو نهر بعقوبا الاعظم يجري في جنبها وهو الحد بين طريق خراسان والخالص وهو نهر تامرا بعينه » ، كما ايد ابن عبد الحق في المراصد أن مجرى ديالى « هو تامرا وما تحت بعقوبا منه يسمى ديالى ومصبه في دجلة يسمى « فم ديالى » .

وقد أيد ابن عبـد الحق في وصفـه لنهر تامرا وجود السد عليه وتفرع الجداول من أمام السد كما ذكر ان القسم الاسفل كان يسمى « د يالى » او « الماء المالح »، واليك ما كتبه في ماده تامرا قال : ـ « ان نهر تامرا نهر كبير تحت بغداد شرقيها مخرجه من جبال شهرزور ومما يجاورها وينصب اليه طسوج من طساسيج بغداد له سُد فوق باجسرى (جاءت في النص باجباره خطأ) يرد الماء الى انهار سبعة على كل نهر كورة من كور بغداد وهي جلولاء ومهروذ وطابث وبرزي وبراز الروز ومن غربيه الرُبض والخالص ... وعلى شاطىء تامرا باجسرا ويعقوبا والنهروان كانت مدينة وخربت ، وهو يصب الى دجلة تحت بغداد باكثر من فرسخ ويسمى مصبه فم ديالى وكان ديالى هو أسم لآخر هذا النهرمن النهروان الى ما سفل ويسمى أيضاً «الماء المالح » . وقد ذكر ياقوت أيضاً فيمادة « تامرا» ان تامرا وديالى اسم لنهر واحد وقد انشئت في مكان السد الذي تتفرع منه الجداول السبعة أرضية من الحجر مسافة سبعة فراسخ ، وهذا نص ما كتبه في هذا الصدد قال : ـ « ان تامرا هو طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود ومخرج هذا النهر من جبال شهرزور والجبال المجاورة لها وكان في مبدأ عمله خيف ان ينزل من الارض الصخرية الى الترابية فيحفرها ففرش سبعة فراسخ وسيق على ذلك الفرش سبعة انهار كل نهر منها لـكورة من كور بغداد وهي جلولاء مهروذ طابث (جاءت في النص طائق خطأ) برزي براز الروز النهروان الذئب (جاءت في النص الذنب خطأ) وهو نهر الخالص ... »

وقد ذكر المستوفي في هذا الصدد ان النهروان هو نهر ديالى نفسه وانه ينبع من جبال كردستان حيث يسمى نهر شيروان ثم بعد ان يلتقي بنهر حلوان الذي ينحدر من قصر شيرين وخانقين يسمى تامرا ، ويسير هذا المجرى الموحّد بعد ذلك حتى يصب في النهروان قرب بعقوبا . أما ابن رسته وابن خرداذبه فقد ذكرا ان النهروان ينبع في المنطقة الجبلية ثم يصب في النهروان قرب مدينة صلوى[1] ، ويعني بذلك نهر تامرا الذي ينتهي الى النهروان .

٥ ـ طريق خراسان العام

وكان الطريق العام بين بغداد وخراسان يخترق « كورة استان شاذ قباذ » فيزيد في أهميتها من الناحية الستراتيجية ، وكان هذا الطريق يمر أولاً بـ « مدينة النهروان » ثم يسير محاذياً النهروان شرقاً حتى يصل الى بعقوبا ، ومن ثم يسير في اتجاه الطريق الحالي بين بعقوبا وخانقين ، وبعد أن يترك خانقين ينتهي الى قصر شيرين لحلوان .

أ ـ الطريق بين بغداد ومدينة النهروان

وكانت المرحلة الاولى من الطريق تمتد في « طسوج نهر بوق »[2] بين مدينة

(١) ذكر ابن سرابيون ان مدينة صلوى المذكورة تقع على مجرى النهروان في نقطة تبعد اربعة فراسخ (حوالي ٢٠ كيلومتراً) من جنوبي ملتقى مجرى أبي الجند (نهر القائم) بالقاطول الكسروي . واذا قسنا هذه المسافة من جنوبي ملتقى نهر القائم بالقاطول الكسروي نجد ان المدينة المذكورة كانت تقع الى جنوبي الموضع المعروف بـ « قلعة الناي » القائمة بين العظيم والخالص (حول القلعة المذكورة راجع ما تقدم في الصفحة ٢٠٤)

ويلاحظ ان ابن سرابيون سمى المدينة في مكان آخر (صولى) والمؤرخ الوحيد الذي ذكر المدينة بهذا الاسم هو ابو الفداء على ان ابن رسته اطلق عليها اسم (باب صلوى) وورد اسمها في التنبيه (باصلوى) ، اما ابن خرداذبة فقد سماها (صلوى)

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوج نهر بوق في الصفحة ٣٠٩

السلام و « مدينة النهروان » ، وقد اجمع المؤرخون من العرب على ان المسافة بينهما اربعة فراسخ (حوالي ١٩ كيلومتراً) ، وهذه هي نفس المسافة بين بغداد الشرقية و « تلول صخيرية » في « صفوة » التي تقع فيها « مدينة النهروان »[١].
وكان الطريق يبتدىء من نهاية الجسر الكبير في مدينة بغداد الشرقية متجها نحو الشرق حتى « باب خراسان » ، الذي يقع قرب محطة قطار باب المعظم الحالية ، فيعبر « نهر موسى » القديم بالقرب من « قصر المعتصم » في الموضع المعروف بـ « الدرب الطويل » ثم يسير شرقا باتجاه « تلول الصخر » الحالية ، وبعد ان يعبر « نهر علي » القديم بالقرب من هـــذه التلول[٢]، يتجه الى الشمال الشرقي فيعبر خط سكة حديد بغداد ـ بعقوبا الحالي ، ومنها يقطع طريق بعقوبا المعبد فيصل الى « تلول الولداية » الحالية الواقعة في أراضي سامي بك الاورفهلي ، ثم ينتهي الى « تلول صخيرية » في « اراضي صفوة » حيث تقع « مدينة النهروان » شرقي مجرى ديالى الحالي . ومن المعلوم ان مجرى ديالى لم يكن موجوداً هنالك في ذلك الوقت كما يتضح من شرحنا المتقدم الخاص بمجرى ديالى (راجع الرسم رقم ٢١ الذي يبين اتجاه الطريق بين « الولداية » و « مدينة النهروان ») .

ونميل الى الاعتقاد بان « تلول الصخر » الحالية هي موقع قرية « الاثلة » التي ذكر ابن سرابيون ان طريق خراسان يعبر « نهر علي » (احد فروع نهر بين) [٣] بالقرب منها ، والدليل على هذا ان المسافة بين بغداد « وتلول الصخر » تبلغ حوالي خمسة كيلو مترات ، وهذه هي نفس المسافة التي ذكرها ياقوت حين قال ان « قرية الاثلة » تقع على بعد فرسخ واحد (حوالي خمسة كيلو مترات) الى الشرق من مدينة بغداد .

---

(١) حول « مدينة النهروان » راجع البحث المتقدم في الصفحة ٣٦٠ .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالنهرين « نهر موسى » و « نهر علي » في ص ٣٦٦ و ٣٦٨ .

(٣) راجع البحث الذي تقدم عن انهر مدينة بغداد الشرقية في الصفحة ٣٦٣ .

ب - جسر « مدينة النهروان »

وكان في «مدينة النهروان» جسر عائم على نهر النهروان الذي يخترق المدينة من وسطها ، وقد ذكر الطبري ان عدد السفن التي يتألف منها الجسر كان في زمن المعتز اكثر من عشرين سفينة ، وقد أحرقها الجنود الاتراك أثناء النزاع على الخلافة بين المعتز الذي بايعه جنود سامراء وبين المستعين الذي أقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعته[1] . ويستدل من الآثار الحالية على ان عرض مجرى النهروان في « مدينة النهروان » كان حوالي ١١٠ أمتار .

ج - الطريق بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة »

وبعد أن يعبر الطريق جسر « مدينة النهروان » يسير شمالاً على محاذاة الضفة الشرقية للنهروان ، حتى اذا ما قطع مسافة حوالي أربعين كيلومتراً في هذا الاتجاه وصل الى « بعقوبا » الواقعة على الضفة اليسرى للنهروان ، وذلك بعد أن يكون قد مرّ في سيره هذا بقرية « باجسرا » الواقعة على بعد زهاء ستة كيلومترات من جنوب بعقوبا . ويستخلص مما كتبه المؤرخون من العرب ان « بعقوبا » كانت من أهم المدن الرئيسية على طريق خراسان العام ، فكانت تقع داخل الزاوية التي يشكلها ملتقى مجرى ديالى بالنهروان ، كما كان يخترقها نهر جلولاء من وسطها مما يزيد في أهميتها من الناحيتين، الزراعية والستراتيجية[2] .

أما الطريق في الناحية التي تلي بعقوبا فكان يسلك اتجاها لا يختلف كثيراً عن اتجاه طريق (بعقوبا - شهرابان) الحالي ، إذ كان ينحرف الى الجهة الشرقية

---

(١) الطبري (٣ : ١٥٧٧)

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بقريتي « باجسرا » و « بعقوبا » في الصفحة ٣٦٣ (حاشية ٢)

مستمراً في سيره نحو الشمال مسافة حوالي ثلاثين كيلومتراً حتى يصل الى « الدسكرة » . اما موقع « الدسكرة » فقد اختلف الاثاريون والمحققون فيه، إلا اننا إذا تحرينا المنطقة الواقعة الى الجنوب من شهرابان في جوار قرية «جيجان» الحالية نجد أن هناك على ثلاثة كيلومترات من شمال قرية « جيجان » بناء قديماً تتفق أطلاله مع وصف ابن رسته لمدينة « الدسكرة » تماماً ، وهو الوصف الذي يفيد بأن « الدسكرة مدينة كبيرة وبها قصر من بناء الاكاسرة حول مشرف وليس داخله شيء من البناء له باب واحد مما يلي المغرب» ، ونعني بذلك الأطلال المعروفة اليوم باسم «أسكي بغداد » ، وهذه تقع في شرقي نهر شهرابان على الجانب الغربي من الطريق العام الحالي بين شهرابان (المقدادية) وبلدروز في نقطة كائنة على حوالي أربعة كيلومترات من جنوب شهرابان بالقرب من قرية السكف (الجف) . وتتكون هذه الآثار من سور ضخم مربع الشكل يبلغ طول كل من أضلاعه الأربعة حوالي ١٥٠٠ متر له مدخل واحد يقع في الضلع الجنوبية في الزاوية الغربية الجنوبية من السور ، ثم من أطلال لمدينة قديمة خارج الركن الشمالي الغربي للسور تسمى اليوم « تلول سبع قناطر » ، وكذلك من بقايا لقصر شامخ داخل زاوية ذلك الركن قرب أطلال المدينة يؤلف تلا مرتفعاً جداً بحيث يشرف على كل المنطقة المجاورة ، ويسمى التل الأخير « تل بنت الامير » . ويلاحظ ان الضلعين ، الشرقية والغربية ، للسور تتجهان نحو الشمال تماماً ، وان نهر المقدادية يجري بموازاة الضلع الغربية . والبناء كله (بناء المدينة والقصر) مشيد بآجر من الحجم الكبير، وهو الآجر الذي يقارب حجمه الآجر المستعمل في بناء السد الغاطس على القاطول الكسروي[1] وحجم لبن سور القادسية[2] ولبن سور « بسماية »[3] مما يؤيد على ان البناء يعود الى العهد الفارسي . وليس داخل

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالسد المذكور في الصفحة ٢٠٩
(٢) راجع البحث المتقدم في ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠
(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بأطلال « بسماية » في ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣

السور أي بناء غير أطلال القصر الذي في الزاوية الشمالية الغربية للسور ، وهذا يتفق تماماً مع قول ابن رسته الذي يؤكد بأن ليس داخل السور شيء من البناء . ويشاهد على حوالي ثلاثة كيلومترات من جنوب غربي « اسكي بغداد » أثر لبناء قديم باللبن يسمى « الدولاب » يرجح انه موضع قرية من قرى « الدسكرة ».

وقد ذكر ياقوت وابن عبد الحق والمستوفي ان مدينة « الدسكرة » تقع بالقرب من قرية شهرابان[1]، وقد أضاف المستوفي الى ذلك قوله ان « الدسكرة » كانت قد انشئت من قبل احدى الأميرات من بنات الاكاسرة المسماة « كولبان »، وان هناك ثماني قرية تأسست حول المدينة ، وهذا يتفق مع الاخبار المتواترة القائلة بأن مدينة « الدسكرة » انشئت من قبل احدى الاميرات من بنات الاكاسرة المسماة « شاه زنان » ، وهي الاخبار المثبتة بتسمية التل، وهي التسمية الباقية الى الآن ، أي « تل بنت الأمير » . ومما ذكره ياقوت وابن عبد الحق ان « الدسكرة » كانت تسمى « دسكرة الملك » لأن هرمز بن اردشير بن بابك كان يكثر المقام بها فسميت بذلك . وقد ذكر الاصطخري ان « الدسكرة مدينة بها نخيل وزروع عامرة وخارجها حصن من طين داخله فارغ وانما هو منزعة يقال ان الملك كان يقيم هناك في بعض فصول السنة فسميت دسكرة الملك لذلك » .

وتبلغ المسافة بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة » حوالي ٦٥ كيلومتراً ، وهذه تتفق وما ذكره ابن رسته من أن المسافة بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة » تبلغ اثني عشر فرسخاً . واليك ما كتبه ابن رسته حول هذا القسم من الطريق قال : « ومن النهروان الى دير تيرمه « بازمة » أربع فراسخ الطريق في نخيل وقرى متصلة حتى توافي دير تيرمة (بازمة) ويخترقها نهر كبير[2] ومن دير تيرمة الى الدسكرة ثمانية فراسخ والطريق في أرض مستوية

---

(١) الارجح ان شهرابان الحالية تقع في نفس موضع قرية شهرابان القديمة التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين من العرب، وبذلك تكون قد حافظت على اسمها القديم الى الآن.

(٢) اننا نميل الى الاعتقاد بأن الدير المذكور كان يقع قرب « قرية امام ابو خميس »=

وقرى عنة ويسرى وقد خربت وخلا عنها أهلها خوفاً من الاعراب وتفضي الى بناء على رأس تل على اليسار حيطانها مشرفة يقال انه كان سجناً لبعض الاكاسرة ثم تسير في أرض مستوية عن اليمين مفازة وعن اليسار نخيل ومزارع حتى تفضي الى الدسكرة وهي مدينة كبيرة وبها قصر من بناء الاكاسرة حول سور مشرف وليس داخله شيء من البناء له باب واحد مما يلي المغرب » .

أما البناء الذي على رأس التل والذي قيل انه كان سجناً لبعض الاكاسرة فهو التل المعروف اليوم باسم «تل زندان» وهو التل الواقع في غرب طريق شهرابان - بلدروز الحالي على حوالي خمسة كيلومترات من جنوب غربي الدسكرة (أسكي بغداد). وهذا التل يتكون من بناء مستطيل فيه اثنا عشر برجاً ضخماً تمتد على طول جداره الشرقي، أما الجدار الغربي فخال من الابراج . والبناء مبني بآجر من الحجم الكبير الذي يقارب حجم الآجر المستعمل في بناء السد الغاطس على القاطول الكسروي وفي بناء الدسكرة وحصن القادسية مما يؤيد انه يعود الى العهد الفارسي[1] .

د ـ الطريق بين « الدسكرة » و « جلولاء »

وبعد أن يسير الطريق مسافة سبعة فراسخ (٣٤ كيلومتراً) من «الدسكرة» يصل الى « جلولاء » ، وهو الموضع الذي وقعت فيه الوقعة المشهورة المعروفة

= الحالية الواقعة في شرق النهروان على بعد ١٧ كيلومتراً من جنوب بعقوبا . اما النهر الذي يخترق هذه المنطقة فلا شك انه نهر جلولاء الذي كان يستمد مياهه من امام سد ديالى في جبل حمرين ويصب في النهروان جنوباً . (راجع البحث الذي تقدم عن نهر جلولاء في ص ٣٨٢ والبحث التالي الخاص بطسوج النهروان الاعلى في هذا الفصل .) ونستخلص من ذلك ان الطريق كان يسير شرق قرية بعقوبا دون ان يدخـل اليها والارجح انه كان يعبر « نهر جلولاء » عند الدير المذكور .

(١) راجع ما تقدم في ص ٣٩١ (حواشي ١ و ٢ و ٣) .

بـ « وقعة جلولاء » بين المسلمين والفرس في سنة ١٦ هـ . (٦٣٧ م) ، تلك الوقعة التي انهزمت فيها جنود الفرس وعلى رأسها يزدجرد الثالث آخر ملوك ساسان ، وقد اشار المستوفي فيما كتبه في القرن الرابع عشر الميلادي الى « مدينة جلولاء » فذكر انها الموضع الذي انشأ فيه ملك شاه السلجوقي ثكنة لجنوده .

ويرى فيلكس جونس ان من المحتمل أن تكون مدينة « جلولاء » في موضع التلين الواقعين في جنوب ملتقى نهر ديالى (فرع شيروان) بنهر الوند (فرع حلوان)، إذ توجد هناك آثار جدول واسع قديم . ويقول المستر جونس ان ملتقى هذين الفرعين يقع على حوالي ستة كيلومترات من شمال شرقي « قزلرباط » الحالية ، على حين ان الملتقى الحالي يقع على بعد ١٣ كيلومتراً من شمال قزلرباط . ويعتقد لي سترانج ان محطة قزلرباط الحالية هي نفس موضع جلولاء ، ولعل رأي المستر لي سترانج أصح حيث ان المسافة التي بين « أسكي بغداد » (موضع الدسكرة) وقزلرباط تبلغ حوالي ٣٥ كيلومتراً ، وهذه تتفق ومسافة السبعة فراسخ التي ذكرها المؤرخون من العرب .

هـ ـ « الهارونية » و « قنطرة طرارستان »

وقد ذكر ابن رستة بعض الاماكن التي تقع على الطريق بين « الدسكرة » و « جلولاء » وهي اولاً « جلالتا » (وردت في النص جبلتا وهذا من خطأ الناسخ)[1] التي يجتاز الطريق واديها على قنطرة من الحجر ، ثم قرية « الهارونية » التي تقع فيهـا قنطرة ضخمة تعرف باسم « قنطرة الهارونية » أو « قنطرة طرارستان » ، وهي مبنية بالحجر والرصاص . وكانت « قنطرة طرارستان » هذه من أهم المواقع على طريق خراسان نظراً لوسعة المجرى الذي اقيمت عليه . أعني

(١) ذكر ابن عبدالحق ان جلالتا من قرى جلولاء بطريق خراسان ويصحح بهذا ما ذكره ياقوت من انها من قرى النهروان .

مجرى الروز الذي كان يتفرع من أمام السد الذي على نهر ديالى في جبل حمرين وكان يصرف معظم مياه الفيضان لنهر ديالى فيصبها في « هور صويجة » ثم في « هور الشويجة » ومن ثم تنتهي الى دجلة في جنوب الـكوت[1] . وجاء ذكر « قنطرة طرارستان » في عدة حوادث تاريخية فقال ياقوت في مادة «الهارونية» انها « عجيبة البناء لها ذكر تعرف بقنطرة الهارونية » .

اما موضع « الهارونية » التي كانت القنطرة تقع عنده فأن الارجح انه يقع في الموضع المعروف بـ « تل عبارة » الواقع على الضفـة اليسرى لمجرى الروز الحالي ، وفي جوار هذا التل توجد الآن عبارة يعبر فيها نهر الهارونية فوق مجرى الروز الحالي ، كما توجد في الموضع نفسه قنطرة عبور قديمة على مجرى الروز تقع على الطريق الذي بين المقدادية (شهرابان) ومندلي ، ولا يستبعد ان تكون هذه القنطرة قد انشئت في موضع قنطرة الهارونية القديمة نفسه . ولا شك في ان نهر الهارونية الحالي الذي يقع غربي مجرى الروز قد سمي بهذا الاسم لوقوع قرية الهارونية القديمة بالقرب منه .

وقد ذكر لي سترانج في كتابه « بلاد الخلافة الشرقية » ان قنطرة طرارستان تقع على نهر جلولاء على اعتبار ان نهر جلولاء كان يتفرع من نهر ديالى قرب جلولاء ، على حين ان نهر جلولاء لا يمكن أن يكون إلا غرب طريق خراسان وذلك بناء على ما ذكره المؤرخون من العرب انه كان يجري وسط مدينة بعقوبا ويصب في النهروان عند باجسرا ، وعلى هذا الاساس كان نهر جلولاء يمتد بين طريق خراسان ونهر تامرا باتجاه مجرى خراسان الحالي ، ولا يعترض طريق خراسان حيث يقع في غربه كما اسلفنا . أما تسمية النهر باسم « نهر جلولاء » فلم يكن ذلك بسبب وقوعه بالقرب من بلدة جلولاء لأن جلولاء هو اسم طسوج واسع

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن سد ديالى ومجرى الروز في ص ١٥٩ و ص ٣٨٠-٣٨٢

من طساسيج السواد ولم يقتصر على اسم بلدة جلولاء فقط .

واليك ما كتبه ابن رسته بصدد الطريق بين الدسكرة وجلولاء قال : «ومن الدسكرة الى جلولاء ٧ فراسخ الطريق بين جبال من رمل وماء راكد ونخيل حتى تنتهي الى جبلتا وفيها واد عظيم وعليه قنطرة من بناء الاكاسرة من حجر وربما أفاض الماء عليها فلا يمكن العبور فتعبر الجمال على القنطرة بجهد حتى تصير الى قنطرة يقال لها طرارستان وعليه نهر مرصّص يجري فيه الماء ، وهناك قرية يقال لها هارونيا ثم تمر حتى تنتهي الى شعب بين جبلين فتصير الى جلولاء » .

و ـ الطريق بين «جلولاء» و «حلوان»

ويسير طريق خراسان بعد ان يترك « جلولاء » الى « خانقين » فيصلها بعد ان يقطع مسافة سبعة فراسخ ، ولا شك في انها نفس مدينة خانقين الحالية . وكانت المنطقة التي تبدأ في جلولاء تعرف بالجبل ، وعلى هذا الاساس كان الطريق بين جلولاء وخانقين يقطع اول هـــذه المنطقة . وكان الطريق يعبر عند مدينة خانقين نهراً واسعاً على جسر ضخم من الآجر والطيقان ذكر ياقوت انه مكوّن من اربعة وعشرين طاقاً عرض كل طاق عشرون ذراعاً ولا شك في ان هذا الجسر كان على نهر حلوان ، أي نهر الوند الحالي ، ولعل القنطرة الحالية على نهر الوند في خانقين بنيت في نفس الموضع الذي كانت فيه القنطرة القديمة التي ذكرها ياقوت ، ومما قاله ياقوت ايضاً انه توجد في خانقين«عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل » . ووجود النفط في هذه المنقطة الآن يؤيد ذلك .

وبعد ان يجتاز الطريق مدينة خانقين ينتهي الى « قصرشيرين » بعد مسافة ستة فراسخ ، وقد اشتهرت مدينة « قصر شيرين » بقصرها الفخم الذي انشأه كسرى ابرويز لحظيته المسمّاة « شيرين » فسميت المدينة باسمها . ومن « قصر شيرين » ينتهي الطريق الى « حلوان » بعـــد ان يقطع مسافة خمسة

فراسخ[١]. وبذا تكون مسافة الطريق بين بغداد وحلوان ٤١ فرسخاً، أي حوالي مائتي كيلومتر .

٦ ـ « كورة ارندين كرد »

وننتهي الآن إلى الكورة الثالثة من كور شرقي دجلة ، أي « استان ارندين كرد »، وهذه تشتمل على منطقة النهروان التي تبدأ في جنوب «مدينة النهروان» بقليل وتنتهي الى ذنائب النهروان قرب الكوت، وضمن ذلك منطقة بدرة وبكسايا الحالية ، وكان معظم أراضي هذه الكورة يروى من الجداول المتفرعة من ضفتي النهروان في المنطقة السفلى منه . وقد سبق ان ذكرنا أن عدد طساسيج هذه الكورة يبلغ الخمسة ، وهي : ١ ـ « طسّوج النهروان الاعلى » ٢ ـ « طسّوج النهروان الاوسط » ٣ ـ « طسّوج النهروان الأسفل » ٤ ـ « طسّوج بادرايا » ٥ ـ « طسّوج باكسايا » .

ويرجع تاريخ انشاء هذه الكورة وتقسيم طساسيجها الخمسة الى عهد كسرى انوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م) ، فقد ذكر ابن الاثير انه « لما غزا كسرى انوشروان بلاد الروم واحتل انطاكية ، وهي من جملة المدن الاخرى التي احتلها هناك نقل أهل انطاكية إلى أرض السواد وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانب مدينة طيسفون (جاءت طيسون خطأ) على بناء مدينة انطاكية وأسكنهم اياها وهي التي تسمى الرومية وكوّر لها خمسة طساسيج ، طسّوج النهروان الأعلى وطسّوج النهروان الأوسط، وطسّوج النهروان الاسفل، وطسّوج بادرايا،

---

(١) قال ياقوت ان حلوان العراق تقع في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وانها مدينة عامرة ليس بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وسر من رأى اكبر منها واكثر ثمارها التين وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها ... واما فتحها فان المسلمين لما فرغوا من جلولاء ... تقدموا نحو حلوان فهرب يزدجرد الى اصبهان وفتحت حلوان صلحاً فكف عن أهلها وأمن على ديارهم وأموالهم . »

وطسوج باكسايا » ويقال ان قباذ ابن فيروز (٤٨٨ - ٥٣١م) كان قبل ذلك قد أنزل جماعة من الفرس في هذه الكورة «فنقل الأشراف من فارس وخراسان من أهل الشرف والجمال والأدب والفروسية فاسكنهم حافتي دجلة وأنزل من كان دون هؤلاء في الشرف النهروانات وأنزل أصحاب الصناعات بطن جوخى[1] وأنزل الحاكة والحجامين بادرايا وباكسايا وقد اختار بعد ان عرف الحدود وعدد الفراسخ وميّز اقليمه اختار للنزول المدائن[2]. وقد قيل ان جباية خراج النهروانات الثلاثة وحدها كان يبلغ في ذلك الوقت مليوناً ومائتي الف دينار[3].

واليك تفاصيل جباية كل من الطساسيج الخمسة التي كانت تتكون منها «كورة اردين كرد» كما ثبتت في أوائل القرن الثالث الهجري نقلا عن ابن خرداذبة وقدامة :—

اسم الطسوج	عدد الرساتيق	عدد البيادر	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
« النهروان الاعلى »			٢٧٠٠[4]	١٨٠٠	٣٥٠٫٠٠٠
« النهروان الاوسط »	٢١	٣٨٠	١٠٠٠	٥٠٠	١٠٠٫٠٠٠
« النهروان الاسفل »			١٠٠٠	١٢٠٠	١٥٠٫٠٠٠
«طسّوجا بادرايا وباكسايا»	٧	٢٠٧	٤٧٠٠	٥٠٠٠	٣٣٠٫٠٠٠
المجموع	٢٨	٥٨٧	٩٤٠٠	٨٥٠٠	٩٣٠٫٠٠٠

(١) حول «جوخى» راجع البحث التالي الخاص بتطورات مجرى دجلة في أواخر النهروان - الطور الثاني - في هذا الفصل .

(٢) ابن الاثير الجلد الاول ص ٣١٧

(٣) راجع معجم ياقوت (مادة النهروان)

(٤) هذا ما أورده ابن خرداذبة ، اما قدامة فان الكمية من الحنطة التي ذكرها كانت الف وسبعمائة كر .

أ — « طسّوج النهروان الاعلى »

كان « طسّوج النهروان الأعلى » يشتمل على المنطقة الواقعة على جانبي النهروان بين « مدينة النهروان » ومدينة « عبرتا » ، وهي المنطقة المجاورة الى طسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة »[1] من جهتها الشرقية التي تمتد حوالي ٣٥ كيلومتراً نحو الجنوب . وكانت ضمن « طسوج النهروان الاعلى » هذا عدة فروع مهمة تتفرع من الضفة اليسرى للنهروان، أهمها الفرع الواسع المعروف اليوم باسم « نهر الاعوج » الذي يتفرع من أمام الناظم الذي كان على النهروان قرب « خشوم الخور » (أي من أمام الشاذروان الأعلى)[2]. ويبلغ عرض « نهر الأعوج » حوالي ٦٠ متراً في الصدر وهو يروي المنطقة الواسعة التي تمتد مسافة بعيدة في الجانب الشرقي للنهروان فتمتد فروعه إلى الشرق وسط الأراضي الزراعية السهلة حتى تتصل بمزارع نهر ديالى ، وهي المزارع التي كانت تروى من الفروع المتشعبة من نهر ديالى من أمام السد الذي في جبل حمرين. ومن جملة فروع نهر « الأعوج » الأنهر القديمة المعروفة اليوم بـ « الركبة » و « القاطرجي » و « الأبيض » و « المباح » و « جمة » و « حسيجة » وغيرها .

وكانت ذنائب « نهر جلولاء » تخترق « طسوج النهروان الأعلى » أيضاً فتسقي البعض من أراضيه . و « نهر جلولاء » هذا كان يمتد باتجاه جدول خراسان الحالي فيسير أولا موازياً نهر ديالى (نهر تامرّا) من شرقيه ، ثم يمتد جنوباً موازياً مجرى النهروان من شرقيه أيضاً ، فيترك « مدينة النهروان » و « امام أبي عرّوج »[3] الى يمينه ، حتى إذا ما وصل الى « نهر الاعوج »

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة » في ص ٣٧١

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالناظم المذكور في ص ٣٧١

(٣) يقع الامام المذكور على بعد حوالي ستة كيلومترات من جنوب شرقي « مدينة النهروان » =

الذي يعترض طريقه في جنوب الامام المذكور اجتازه على عبارة واستمر الى الجنوب على محاذاة الضفة اليسرى للنهروان الى أن يتصل بتلك الضفة عند «الجوزية» الواقعة على بعد حوالي أحد عشر كيلومتراً من جنوب « الشاذروان الاعلى[١] ». وهنا يعبر « نهر جلولاء »فوق مجرى النهروان وينتهي في الاراضي الواقعة بين النهروان ودجلة في جهة الغرب . ولا تزال آثار العبارة التي على « نهر الاعوج » في الموضع الذي كان يعبر فيه «نهر جلولاء » فوق نهر« الاعوج » ماثلة للعيان ، كما انه لا تزال آثار العبارة الثانية التي على النهروان ماثلة للعيان عند « الجوزية » . ويسمى نهر جلولاء اليوم في قسمه الاخير الذي يمتد بين « مدينة النهروان » و « الجوزية » باسم « نهر خراسان القديم » ، وقد أشار ابن رسته الى هذا النهر حين وصف طريق خراسان بين « مدينة النهروان » و « الدسكرة » ، فقال ان الطريق بعد أن يجتاز « مدينة النهروان » متجهاً نحو «دير بازمة» يعترضه نهر كبير فيجتازه ثم يصل الى الدير المذكور . ويستدل من ذلك ان « دير بازمة » كان يقع على الجانب الشرقي من نهر جلولاء[٢] .

ومن المحتمل ان عبارة « الجوزية » كانت جسراً للعبور أيضاً ، وان « جسر بوران » الذي ذكره ابن سرابيون وعيّن موضعه على مجرى النهروان بين « الشاذروان الأعلى » و « عبرتا » يقع في نفس موضع هذه العبارة، بدليل ان العبّارة تقع في جنوب ناظم «خشوم الخور» (الشاذروان الاعلى) الواقع عند

= على الجانب الشرقي من مجرى النهروان مقابل الكيلومتر (١٢٥) منه (راجع الرسم رقم ٢١ واللوحة رقم ٤). ويرى الدكتور مصطفى جواد ان قبة الامام المذكور تقع في موضع « قرية الجوسق» القديمة التي ذكر ياقوت انها من قرى النهروان من اعمال بغداد ، وان أبا عروج هو ابو الحسن الجوسقي كان يعرف بأبي عراج في القرن السادس الهجري .

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالجوزية في ص ٣٧٤

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بدير بازمة في ص ٣٩٢

الكيلومتر (١٢٥) من النهروان وفي شمال « عبرتا » الواقعة عند الكيلومتر (١٥٨) منه .

ويبلغ طول مجرى النهروان ضمن حدود « طسوج النهروان الاعلى » حوالي ٣٥ كيلومتراً كما تقدم، فيبدأ من جوار صدر « نهر الاعوج » وينتهي الى قرب مدينة « عبرتا » . ويسير المجرى في هذا القسم في الاتجاه الجنوبي الشرقي مبتعداً عن نهر ديالى حتى اذا ما قطع مسافة أحد عشر كيلومتراً الى الجنوب من صدر « نهر الاعوج » وصل الى « تلول الجوزية » الواقعة على الضفة اليمنى من النهروان ، وهي التلول التي كان يمر عندها « نهر جلولاء » فوق مجرى النهروان ممتداً في الأراضي الواقعة بين الضفة اليمنى من النهروان والضفة اليسرى لنهر دجلة . ويستدل من الخرائب الواسعة في « تل الجوزية » على انه كانت هنالك قرية كبيرة تشتمل على مبانٍ كثيرة . والى الجنوب من « الجوزية » بمسافة قليلة يتفرع نهران من الضفة اليمنى للنهروان ، الاول من الشمال يسمى « نهر عليان » والثاني الذي يليه من الجنوب ، وهو اكبر سعة ، يسمى « نهر الكف » ، وللنهر الاخير ضفاف مرتفعة ويمتد هو وفروعه في المنطقة الواقعة بين النهروان ودجلة ، وهي المنطقة التي يقع فيها الطسوجان « جازر » و « المدينة العتيقة »[١]. وتوجد في الزاوية الجنوبية التي بين صدر نهر الكف ومجرى النهروان آثار خرائب كثيرة يستدل منها على أنه كانت هناك قرية واسعة مزدحمة بمبانيها .

وينحرف مجرى النهروان بعد ذلك نحو الشرق فتقع هنا على ضفته الغربية خرائب كثيرة تمتد مسافة حوالي كيلومتر ونصف الكيلومتر ، وتسمى هذه الخرائب تلول « أبي زعيطيرة » . ويتفرع من جنوب هذه الخرائب مباشرة في الضفة نفسها نهر كبير يسمى « نهر أبي تمارة » ، الذي يمتد مع فروعه مسافة حوالي ٢٥ كيلومتراً في الأراضي الواقعة بين « المدائن » ومجرى النهروان ،

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة » في ص ٣٧١.

فيروي الشقة الواقعة على ضفة نهر دجلة الشرقية ضمن حدود طسوج « المدينة العتيقة » .

وتقع امام صدر « نهر أبي تمارة » على الضفة الشرقية للنهروان وعلى مسافة حوالي عشرين كيلومتراً من جنوب « الشاذروان الاعلى » تلول واسعة تسمى « المدار » ، وهي مقابل (الكيلومتر ١٤٤) من المجرى، ولعل منشأ هذه التسمية يرجع الى وجود آثار « طاحونة » في هذا الموضع . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان هناك مواضع اخرى على النهروان تحمل اسم « مدار » ايضاً مما يدل على انه كان يستفاد من قوة تيار الماء في النهروان وفي فروعه لتشغيل المدر الخاصة بطحن الحبوب . وتوجد على مسافة حوالي ١٢ كيلومتراً من شمال شرقي « تلول المدار » اطلال واسعة وسط الصحراء تسمى « تلول عقرب » ، وهذه من بقايا العمران الذي كان يستقي المياه من ذنائب الأنهر المتفرعة من نهر ديالى أمام سد ديالى في جبل حمرين[١]

وبعد أن يترك مجرى النهروان « تلول المدار » الى يساره قاطعاً حوالي أربعة كيلومترات في الاتجاه الشرقي ، ينعطف نحو الجنوب قليلا ، وفي الموضع الذي يبدأ فيه انحراف المجرى يتفرع نهر كبير من الضفة الشرقية يسمى « نهر سيسبانه » ، وهذا النهر يمتد مسافة بعيدة في الصحراء وكان يروي الاراضي الواقعة على الجانب الايسر للنهروان . ويواصل النهروان سيره بعد ذلك في نفس الاتجاه مبتعداً عن نهر دجلة حتى اذا ما سار زهاء ثلاثة كيلومترات من صدر « نهر سيسبانه » تفرع من ضفته اليمنى نهر يسمى « نهر بعير » ، وكان هذا النهر يتجه نحو دجلة .

ويلي « نهر بعير » ثلاثة فروع اخرى تتفرع من الضفة اليمنى ايضاً اولها يتفرع في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين من صدر « نهر بعير » ، وتسمى

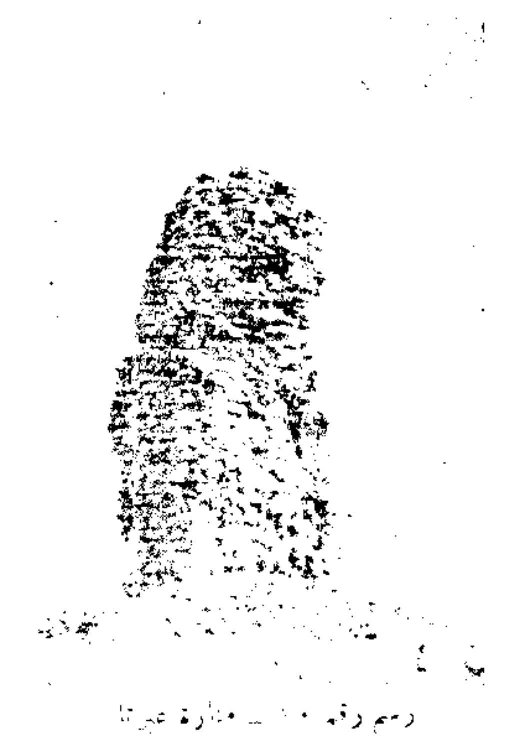
---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالانهر المذكورة في ص ٣٨٠ — ٣٨٣ .

الانهر الثلاثة عنده « انهر رميلات » ، وتبلغ المسافة بين صدر وآخر حوالي نصف كيلومتر . وهنالك اطلال منتشرة في المنطقة التي تخترقها الانهر الثلاثة المذكورة مما يدل على انها كانت كثيفة في سكانها وعماراتها . وتتفرع من امام « انهر رميلات » في الضفة اليسرى للنهروان نهر آخر يسمى « نهر سديرة » (راجع اللوحة رقم ٤)

ب – « مدينة عبرتا »

وفي جنوب « انهر رميلات » تبدأ اطلال مدينة « عبرتا » التي تمتد على طول الضفة اليسرى للنهروان مسافة حوالي خمسة كيلومترات . وتوجد في منتصف هذه المسافة عند الكيلومتر (٢٥٨) من مجرى النهروان آثار دعامة ضخمة من بناء الآجر تسمى اليوم « المنارة » ، الا ان شكل بنائها يدل على انها بقايا ركن من بناية مهمة وسط المدينة (راجع التصوير رقم ١٠ « منارة عبرتا ») ومن شمال



رسم رقم ١٠ – منارة عبرتا

موضع « المنارة » المذكورة مباشرة ينحرف النهر نحو الشرق قليلا فيؤلف

نصف دائرة تقع المنارة في وسطها ، وهناك نهران يتفرعان من الضفة اليمنى للنهروان عند رأس الحلقة التي تبدأ منها نصف الدائرة يعرفان اليوم باسم « نهري نعجة » ، وكان هـذا الفرعان يرويان المنطقة الواقعـة الى الغرب من مدينة « عبرتا » ، كما ان هناك فرعا آخر يسمى « نهر ابي سمسم » يتفرع من الضفة اليسرى للنهروان في نقطـة تقع جنوب « منارة عبرتا » بحوالي كيلومتر واحد فيمتد داخل السهل الذي في الجانب الشرقي للنهروان . وتقع في منتصف المسافة بين « المنارة » وصدر « نهر ابي سمسم » آثار فرع آخر يسمى « نهر عبرتا » ويمتد هذا النهر في شمال « نهر ابي سمسم » لأرواء الاراضي الواقعة شرق « مدينة عبرتا » .

وكانت مدينة « عبرتا » من المدن الكبيرة على النهروان ولعلها المدينة المهمة الوحيدة التي احتفظت باسمها الاصلي وبموقعها القديم في النهروان ، ويعتقد فيليكس جونس انها كانت تقع على الطريق العام بين « طيسفون » والمقاطعات الشمالية الشرقية من بلاد فارس ، وكان فيها جسر على مجرى النهروان يؤمن عبور الطريق المذكور عليه . وقد ذكر ياقوت ان عبرتا « قرية كبيرة من اعمال بغداد من نواحي النهروان بين بغداد وواسط وفي هذه القرية سوق عامر ... وقد نسب اليها من الرواة والادباء خلق كثير ... منهم الاسعد بن نصر بن الاسعد العبرتي النحوي مات في حدود سنة ٥٧٠ هـ وكان يقرأ النحو ببغداد ... »

ج ـ « طسوج النهروان الأوسط »

ونأتي الآن الى « طسوج النهروان الأوسط » الذي كان يعد من أعمر المناطق على مجرى النهروان : يمتد هذا الطسوج مسافة حوالي اربعين كيلومتراً على جانبي النهروان ، فيبدأ من جنوب « منارة عبرتا » وينتهي الى جوار مدينة « ديرالعاقول » ، وهي المدينة الرئيسية من مدائنه[1] ، وكان من ضمنه مركز

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « ديرالعاقول » في هذا الفصل .

مهم لتقسيمات الري يعرف باسم « الشاذروان الأسفل » لتمييزه عن « الشاذروان الأعلى » الواقع قرب « خشوم الخور »[١] ، ولا تزال آثار هذا الشـاذروان ماثلة للعيان عنـد الكيلومتر (١٧٦ر٥) من مجرى النهروان ، ويسميها الاهلون اليوم « القناطر » ، كما كانت في هذا الطسّـوج ايضاً مدينة مهمة عدا مدينة « دير العاقول » ، هي مدينة « اسكاف بني الجنيد » المشهورة التي لا تزال آثارها تشاهد في جنوب « القناطر » مباشرة[٢] .

وكانــت موضع « القناطر » (الشاذروان الاسفل) من أهم المواضع على النهروان إذ يقع فيه سد ضخم تتفرع من أمامه جداول كبيرة تروي الاراضي الواقعـة على جانبي النهروان في تلك المنطقة . وكانت هـذه السدود تؤلف على مجرى النهروان الرئيسي مراكز رئيسية لتقسيم المياه ، فمن أمامهـا تتشعب أهم الجداول الفرعية التي تنتهي الى الاراضي الزراعية ، وعلى هذا فقد نشأت في جوار هذه السدود أكثف المدن وأحسن المزارع على مشروع النهروان .

وقد يكون من المفيـد أن نتتبع مجرى النهروان في هـذا القسم ، فنصف المنشئات التي على جانبيه والأنهر التي كانت تتفرع منه ، ولا سيما الانهر الكبيرة التي كانت تتفرع من أمام « القناطر » . وإذا راجعنا خارطة مجرى النهروان بين « منارة عبرتا » و « القناطر » (راجع اللوحة رقم ٤) نجـد أن أبرز التلول الواقعة عليه في هذا القسم هو التل المرتفع المسمى اليوم « تل طبل » الواقع على الجانب الأيمن من النهروان على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من موضع « منارة عبرتا » جنوباً . ويظهر من بروز ارتفـاع هذا التل ومن نوع بنائه أنه من المواضع التي ترجع الى عهود واغلة في القدم ، فهو يتألف من بناء مربع يبلغ طول كل من اضلاعه حوالي ٤٥٠ متراً ، وتوجد في وسط البناء حفرتان

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « الشاذروان الأعلى » في ص ١٥٣ و ٣٧١ .

(٢) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « اسكاف بني الجنيد » في هذا الفصل .

عميقتان يدل شكلها على أنها كانتا بحيرتين اصطناعيتين . وعلى مسافة حوالي ميل واحد من جنوب « تل طابل » يتفرع من الضفة اليسرى للنهروان نهر يسمى « نهر ابي كلب » أو « نهر الكلب » ، ومن تحت هـذا النهر مباشرة ينعطف مجرى النهروان يميل قليل نحو الجنوب الغربي ثم يعود فيسير نحو الجنوب الشرقي ، وهنا يتشعب من الضفة اليمنى ثلاثة فروع ، يتفرع أولها في نقطة تقع على بعد حوالي كيلومترين ونصف الكيلومتر من جنوب « نهر الكلب » ، أما الثاني فيتفرع على بعد نصف كيلومتر تقريباً من الاول ، والثالث على بعد كيلومتر واحد من الثاني . ومن جنوب الفروع الثلاثة المذكورة مباشرة يتفرع في الضفة اليسرى نهر آخر يمتد في أراضي الجزيرة شرقاً ، وتسمى هذه الفروع الاربعة « أنهر الزهراوات » ، وتعرف الفروع الثلاثة الواقعة على الجانب الغربي باسم « زهراوات الشط » لأنها تتجه نحو شط دجلة ، ويسمى الفرع الرابع الذي يتفرع من الضفة اليسرى نهر « زهرة العراق » .

وإلى الجنوب من « أنهر الزهراوات » بقليل تقع أطلال مدينة قديمة على الضفة اليسرى من النهروان يستدل من آثارها أنها كانت قرية مهمة في هـذا الموضع ، كما يستدل من آثارها أنه كان فيها جسر على مجرى النهروان يوصل بين ضفتي مجرى النهروان الذي يبلغ عرضه هنا حوالي مائة متر ، ولم يعرف لهذه الأطلال اسم خاص بها ويحتمل أن تكون من بقايا قرية « برزاطية » التي ذكرها ابن سرابيون بقوله إنها تقع على مجرى النهروان إلى الجنوب من « عبرتا » بينها وبين « الشاذروان الأسفل » (القناطر) . وقد أورد المسعودي ذكر هـذه القرية أيضاً فسماها « برزاطيا » مؤيداً ابن سرابيون في تعيين موقعها جنوب عبرتا حيث قال : « ويمر النهروان ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد ويصب إلى دجلة بناحية جرجرايا . »[1]

(١) كتاب « التنبيه » ص ٥٣ .

د ـ « الشاذروان الأسفل »

وبعد أن يجتاز النهروان الأطلال المارة الذكر يسير سيراً ملتوياً فيقطع مسافة حوالي سبعة كيلومترات في هذه التعرجات حتى يصل إلى موضع « القناطر » ، وهي على ما نعتقد نفس موضع « الشاذروان الأسفل » الذي ذكره ابن سرابيون في وصفه لمجرى النهروان وللمنشئات الواقعة عليه . وتوجد في هذا القسم من مجرى النهروان أنهر عدة تتفرع من جانبيه وتشاهد على بعد حوالي كيلومترين من جنوب الأطلال التي نرجح وقوع قرية « برزاطية » فيها ثلاثة أنهر متوازية تتفرع من الضفة اليمنى ، كما يشاهد فرع آخر إلى الجنوب من الفروع الثلاثة هذه يتشعب من الضفة اليسرى للمجرى .

وتعد « القناطر » التي لا تزال آثارها تشاهد عند الكيلومتر (½ ١٧٦) من مجرى النهروان من أهم المنشئات الرئيسية على مجرى النهروان ، وهي تتألف من « سد غاطس » من بناء الآجر والخرسانة يمتد على عرض مجرى النهروان ومن « هويس » (ممر السفن) يوازي الجانب الأيمن من السد . ولا تزال تشاهد آثار الفروع التي كانت تتشعب من جانبي النهروان من أمام السد المذكور وهي تؤلف تلولا مرتفعة جداً مما يدل على جسامة الأعمال الترابية التي تخللها حفر هذه الأنهر وعلى ضخامة كميات الأطيان التي كانت ترفع من أحواضها ، كما أنه لا تزال آثار النواظم التي كانت في صدور هذه الأنهر ماثلة للعيان ويستدل من بقاياها أنها كانت من أضخم الأبنية التي أنشئت على مجرى النهروان .

أما عدد هذه الأنهر فخمسة منها نهران على الجانب الغربي ، أولها من الجنوب يعرف باسم « نهر ابي زلزلة » ، والثاني من الشمال يسمى « نهر الأبيتر » ، وثلاثة أنهر في الجانب الشرقي ، وهي من الجنوب إلى الشمال : « نهر خشم القنطرة » و « شطيطة القرّية » و « نهر تاجم » (راجع الرسم رقم ١٩) .

وتتكون القناطر من سد غاطس يشبه السد الواقع في ذنائب القاطول الأعلى الكسروي من حيث تصميم بناء السد نفسه [١] ، ويختلف عنه في كونه مجهز بـ « هويس » خاص لمرور السفن ومدعم بجدارين ضخمين يمتدان على طول ضفتي النهر للمحافظة على السد و « الهويس » من جهة ولايجاد جدار متين ترسى عنده السفن أثناء مرورها من « الهويس » من الجهة الأخرى . ويجد القارىء في الرسم رقم ١٩ خارطة للسد وضعت في ضوء الآثار المتبقية ، فيتضح من التفاصيل الواردة في هذه الخارطة أن الجدار الغربي الذي يدعم « الهويس » يمتد أولا مسافة حوالي ٥٠ متراً على شكل خط مستقيم مشكلا زاوية قائمة مع السد ، وفي هذا القسم من الجدار دعامتان كبيرتان يبلغ قطر كل منهما حوالي الستة أمتار ، تسندانه من الخارج ، ثم ينحرف الجدار الى الغرب فيمتد مسافة ٤٤ متراً ومن ثم يبدأ الجدار الشرقي للهويس فينعطف نحو الشمال ممتداً مسافة حوالي ٨٥ متراً ، وبذلك يكون مجموع طول هذا الجدار حوالي ١٨٠ متراً . ويقوم « الهويس » في الجانب الغربي من القسم الأخير للجدار فيؤلف هناك حوضين لدخول السفن ، الحوض الجنوبي يتكون من أضلاع غير متوازية فيبلغ طول الضلع الجنوبية التي يقع أحد أبواب « الهويس » في وسطها حوالي ٦٥ متراً وطول الضلع الشمالية التي يقع عندها الباب الثاني « للهويس » حوالي ٢٠ متراً . أما الضلعان الجانبيتان لهذا الحوض فيبلغ طول الضلع الشرقية زهاء ٦٥ متراً وطول الضلع الغربية حوالي ٢٥ متراً . ويتألف الحوض الثاني ، وهو الحوض الشمالي ، من مربع طول كل من أضلاعه الأربع حوالي ٢٠ متراً ، ويقع في ضلعه الشمالية باب لدخول السفن كما يقع في ضلعه الجنوبية باب آخر ، والباب الأخير هو الباب الذي يؤدي الى الحوض الجنوبي وعلى هذا فهو مشترك بين الحوضين الشمالي والجنوبي . ويستخلص من وجود هذين الحوضين أن الفرق بين مناسيب المياه في المقدم والمؤخر من السد كان كبيراً بحيث كان الوضع يتطلب انشاء

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالسد المذكور في ص ١٥٢ و ٢٠٩ .

حوضين بدلا من الحوض الواحد ، وهي نفس الطريقة المتبعة اليوم في مثل هذه الحالات . والذي يلفت النظر في تصميم بناء هذا « الهويس » أن الاقدمين كانوا قد بلغوا درجة عالية من الرقي في هندسة الري ، فأن تصميم هذا الهويس لا يقل في هندسته عن أي تصميم حديث للأهوسة التي توضع اليوم على الجداول والأنهر . واذا صح اعتبار علم الهندسة مكوناً من مجموعة اختبارات عملية ترجع بنا الى أقدم العصور جاز لنا القول بأن علم التصاميم الحديثة مقتبس في الاصل من الاساليب والاختبارات القديمة المتبعة في بناء مثل هذه المنشئات .

وجاء فيما ذكره المؤرخون من العرب ما يؤيد أن المواصلات على مجرى النهروان كانت من أهم وسائط النقل النهرية في القطر في ذلك الزمن ، الامر الذي حمل المسؤولين على اقامة « الهويس » الى جانب « الشاذروان الاسفل » لضمان عبور السفن من خلاله . فمن جملة ما ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٥٥ هـ . بصدد نقل الاطعمة في بطن النهروان قال : « رحل ابن أوس عن النهروان بعد أن أثر في تلك الناحية آثاراً قبيحة وأخذ أهل البلاد بأداء الأموال وحمل منها الطعام في السفن في بطن النهروان الى اسكاف بني جنيد لبيعه هناك »[١] . وقد أيد اليعقوبي سير المراكب والسفن في مجرى النهروان بقوله ان النهروان ، وهو « نهر تامرا » ، كان يمر بمدينة « جسر النهروان » ، « وتجري فيه المراكب العظام والسفن الكبرى »[٢] .

أما الجدران الشرقية للسد فتتألف من بناء ذي أربع أضلاع غير متوازية ملاصق للسد ومن جدار يسير على محاذاة الضفة اليسرى للنهر من الناحية الشمالية للسد ، فتكوّن الضلع الغربية للبناء جناح السد الايسر ، وهو الجناح الذي يمتد على عرض السد باتجاه مجرى النهر مسافة حوالي ٢٥ متراً . أما الجدار فيبدأ من

---

(١) الطبري (٣ : ١٤٣٨) .

(٢) كتاب « البلدان » (طبعة النجف) ص ٣٦ .

الزاوية الشمالية الشرقية للبناء فيسير مع حافة النهر شمالا مسافة حوالي ١٢٠ متراً حتى ينتهي الى الجرف المرتفع قرب صدر « نهر خشم القنطرة » .

ونستخلص من تدقيق المادة المستعملة في بناء جناحي السد أن هناك تنوعاً فيها من حيث حجم الآجر ومن حيث نوع المونة المستعملة بين الآجر ، مما يدل على ان البناء اجري فيه عدة اصلاحات في ادوار مختلفة ولاسيما في الدور العباسي الأخير .

ذكرنا فيما تقدم ان تصميم السد يشبه من حيث الأساس تصميم السد الغاطس (Weir) الكائن في ذنائب القاطول الأعلى الكسروي ، فهو قائم على قاعدة من بناء النورة والآجر الضخم ثم تمتد ارضيته السطحية المكونة من خرسانة النورة والحصى بتسريح ١ الى ١٥ بموازاة جرف النهر ، ويبلغ طول القاعدة التي تمتد باتجاه مجرى النهر ٢٢ متراً ، ويبلغ ارتفاع السد بين القمة وقعر النهر زهاء ١٫٥ متراً ، أما طوله على عرض مجرى النهروان فيبلغ حوالي ٣٦ متراً . ويجد القارىء في الرسمين ١٩ و ٢٠ تصميم السد كما كان في الأصل وقد استند في وضعه الى المعلومات المتوفرة من بقايا البناء .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان فيليكس جونس صوّر آثار هذا السد كما شاهدها ، إلا أنه تعذر عليه تقبع تفاصيل تصميمه ، فيلاحظ اضطرابه في الرسم الذي وضعه والوصف الذي قدمه ، إذ كان يظن ان السد مجهز بفتحات في الوسط لمرور المياه ، ولعله توصل الى هذه النتيجة مستنداً الى التخريبات الحاصلة في وسط السد من جراء سيول الامطار فظنها فتحات ، ويلاحظ ايضاً ان فيليكس جونس تعذر عليه معرفة الأسباب الداعية الى انشاء الجدار الطويل مع دعاماته على الضفة اليمنى من السد ، وهو الجدار الذي كان يؤلف جانب « الهويس » الخاص بمعبر السفن ، ولا شك انه كان متحيراً في أمر هذا الجدار وفي آثار المجرى الثاني على الجانب الغربي من السد لأن وجود « الهويس »

في هذا الموضع لم يخطر على باله . ومع أن فيليكس جونس لم يعط لنا صورة حقيقية لهذا المشروع الجبار إلا أنه كان يقدّر أهميته حق قدرها الى درجة ذهب معها الى القول ان العمل المذكور يصح أن يكون انموذجا لتصميم السدود الحديثة على الأنهر وان الاختبارات الفنية المستنبطة من تصميم هذا السد يصح أن تتخذ دروساً يستفيد منها المهندس الحديث في مجال الفن والهندسة .

٥ ـ « اسكاف بني الجنيد » (اطلال سماكة)

وفي جنوب القناطر (الشاذروان الأسفل) مباشرة تقع خرائب كثيفة تعرف اليوم باسم « سماكة » تمتد على طول النهروان من الجانبين بعمق مايقارب الكيلومتر من حافة النهر لمسافة حوالي ستة كيلومترات بين الكيلومتر (١٧٦ ½) والكيلومتر (١٨٣) من النهروان ، أما ارتفاع هذه الخرائب فيبلغ أكثر من خمسين قدماً في بعض المواضع . وتوجد بين خرائب « سماكة » هذه آثار دعامات على حافة النهروان من الجانبين يحتمل أنها آثار جسر ثابت قديم كان يقطع مجرى النهروان في هذا الموضع فيحقق سير المواصلات عبر النهر . ويشاهد من فوق أطلال « سماكة » في السهل الواقع شرقي النهروان تلان مرتفعان يتصلان بضفاف « شط الفرّية » الذي يتشعب من أمام « القناطر »[1] ، ويعرف أحد هذين التلين باسم « تل منزور الكبير » ، أما التل الآخر فيسمى « تل منزور الصغير » .

ويغلب على الظن أن أطلال « سماكة » هي من بقايا مدينة « اسكاف بني الجنيد » ، وهي المدينة التي كانت تقسم في زمن العرب الى قسمين : « الاسكاف العليا » و « الاسكاف السفلى » ، وقد سميت « اسكاف بني الجنيد » نسبة الى رؤساء هذه الناحية الذين اشتهروا بكرمهم . واليك ما كتبه ياقوت عن هذه المدينة قال : « اسكاف بني الجنيد كانوا رؤساء هذه الناحية وكان فيهم كرم

(١) حول « شط الفرية » المذكور راجع ما تقدم في ص ٤٠٧

ونباهة نعرف الموضع بهم وهو اسكاف العليا من نواحي النهروان بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي وهناك اسكاف السفلى بالنهروان أيضاً خرج منها طائفة كثيرة من أعيان العلماء والكتاب والعمال والمحدثين لم يتميزوا لنا وهاتان الناحيتان الآن خراب بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية كان قد انسد نهر النهروان واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم وتطرقها عساكرهم فخربت الكورة بأجمعها . وذكر عدد من الاسكافيين المعروفين المنسوبين الى الاسكاف منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن مالك مات بأسكاف سنة ٣٥٢ ، ومحمد بن عبدالله أبو جعفر الاسكافي مات في سنة ٢٠٤ وغيرهم » ومما ذكره ابن سرابيون أن « اسكاف بني جنيد مدينة من جانبين والنهر يشقها » .

و - أواخر « طسوج النهروان الأوسط »

ويشاهد في أواخر « طسوج النهروان الأوسط » نهران رئيسيان يتفرعان من جنوب أطلال « سماكة » (اسكاف بني الجنيد) ، يأخذ أحدهما من الضفة الشرقية لمجرى النهروان ، والثاني من ضفته الغربية ، فيرويان الأراضي الواقعة على جانبي النهروان في الحدود الجنوبية لطسوج « النهروان الأوسط » . ويعرف النهر الشرقي اليوم باسم « نهر رشيد » ، وهو يتفرع من مجرى النهروان في نقطة تقع على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلومتر من جنوب « أطلال سماكة » ، أي عند الكيلومتر (١٨٦) من مجرى النهروان . ويمتد هذا الفرع موازياً مجرى النهروان من جهة الشرق حتى اذا ما سار حوالي عشرة كيلومترات في هـذا الاتجاه وصار أمام الكيلومتر (١٩٥) من مجرى النهروان انقسم الى شعبتين تمتدان جنوباً لأرواء الأراضي الزراعية الواقعة في تلك الجهة ، وهي الأراضي الكائنة في أواخر « طسوج النهروان الأوسط » من جهة الشرق والتي تمتد الى قرب « ايشان المالح » . ويشاهد في نقطة انقسام هذا الفرع أطلال قديمة تعرف باسم « تل مياح » يستدل منها على أنه كانت

هنالك قرية ونواظم على فوهتي الشعبتين المذكورتين لتقسيم المياه وتوزيعهـا بينهما . والى الجنوب من صدر « نهر رشيد » بحوالي كيلومتر ونصف الكيلومتر يتفرع النهر الغربي ، وهو النهر المعروف اليوم باسم « نهر عكاب » ، فيسير هذا النهر هو وفروعه في الاتجاه الجنوبي لارواء الاراضي الواقعة بين ضفة النهروان اليمنى وبين ضفة نهر دجلة اليسرى التي تمتـد الى المنطقة المجاورة لمدينـة « العزيزية » الحالية ، وهي الاراضي الـكائنة في اواخر « طسوج النهروان الاوسط » من جهة الغرب . اما الفروع التي كانت تتشعب من « نهر عكاب » فأهمها الفرع المعروف اليوم باسم « نهر عدلة » الذي يمتد جنوباً الى جهة مدينة العزيزية الحالية ، ويشاهد جدول كبير في هذه المنطقة يعرف اليوم بين الاهلين باسم « خيط شعلة » ، ومع ان معظم اقسامه متقطعة الا انه يستدل من تخطيطه انه كان من جملة التشعبات التي كانت تتفرع من « نهر عدلة » الـسـالف الذكر (راجع اللوحة رقم ٥) .

ويلاحظ ان فيضانات نهر دجلة المتتابعة قد محت معظم معالم العمران القديم في هذه المنطقة نظراً لانخفاض أراضيها ، ولدينا من الدلائل على ان مساحة غير قليلة منها كانت قبل ان تنشىء الحكومة العراقية السدود على ضفة النهر تشكل اهواراً واسعة ، وقد ايد ذلك فيليكس جونس اثناء زيارته لهـذه المنطقة قبل حوالي مئـة عام ، فذكر ان المياه كانت تغطيها في اكثر المواسم وبذلك محت معالم معظم الآثار الواقعة هناك ، ومع ذلك نجد ان التلول الاثرية المرتفعة وضفاف الانهر العالية لا تزال ماثلة للعيان وهي منتشرة في كل انحـاء هــذه البقعة تقريباً .

ومن أهم المواقع التاريخية في هذه المنطقة ديران كانا يقعان على ضفة نهر دجلة يعرف اولهما باسم « دير قنـى » والثاني باسم « دير العاقول »، وكان يجاور هذين الديرين بساتين وقرى كانت تستمد المياه من فروع « نهر عكاب » المتقدم

الذكر . وكان العمران الذي في جوار « دير الماقول » يعرف باسم مدينة « دير الماقول » نسبة الى « دير الماقول » ، وكانت هـذه المدينة من اهم مدائن النهروان الاوسط .

ذ ـ « دير قنّى »

يقع هذا الدير في الجانب الشرقي من دجلة في موضع الاطلال المعروفة بين الاهلين اليوم باسم « تلول الدير » ، وهذه كائنة في شمال العزيزية الحاليـة على نحو تسعين كيلومتراً من جنوب بغداد ، وتبعد عن ضفة دجلة الحالية نحو كيلومترين : والظاهر ان الدير كان عنـد تأسيسه اقرب الى النهر مما هو الآن . وتروي سير القديسين ان موضع الدير المذكور كان بالاصل موضع بيت النار المجوسي وان امرأة نبيلة تدعى قوني وهبته الى مار ماري فأسس فيه هذا الدير، وتذهب الرواية الى ان مار ماري هـــذا كان قد شفاها من مرض عضال كانت مصابة به . وقد ذهب بعض المحققين من الافرنج الى ان « اطلال الدير » من بقايا مدينة « سيتاس » التي ذكرها زينفون في وصف حملة العشرة آلاف، المشهورة ، وهي الحملة التي قام بهـا كورش الصغير في اليونان في سنة ٤٠١ قبل الميلاد ضد اخيـه ارتاكسركس للاستيلاء على عرش المملكة الفارسية في بابل . وقد يكون في ذلك شيء من الصحة ، اي انه يحتمل ان يكون موضع « اطلال الدير » موضعاً لعمران قديم يرجع الى عـــدة قرون ما قبل الميلاد ، وذلك اذا سلمنا بالنظرية القائلة ان معظم العمران القـديم كان ينحصر في مواضع معينة ، فكلما خرب بناء ما وهجره ساكنوه بنى الخلف ابنيتهم فوق الانقاض القديمة [1] .

وجاء فيما ذكره الشابشتي في كتابه « الديارات » (ورقة ١١٦) ان دير قنّـى على ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً في الجانب الشرقي بينه و بين دجلة ميل

---

(١) حول مدينة « سيتاس » المذكورة ، انظر كتابنا « وادي الفرات » الجزء الثاني ص ٢١ و ٢٣ و ٢٤ .

ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد[١] . ويصف لنا ابن سرابيون المواقع التي يمر بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من بغداد بقوله : « واذا ما تتبعنا مجرى دجلة فالمنحدر يمرّ الى السيب[٢] ودير العاقول والصافية ودير قنّى وهمانية وجرجراي والنعمانية ».[٣] وقد اشار القزويني في كتابه « آثار البلاد » الى قرية باسم « بنارق » تقع مقابل « دير قنّى » على دجلة بقوله « ان بنارق قرية بين بغداد والنعمانية ، مقابل دير قنى ، على دجلة ، وهي الآن خراب . »[٤] واليك ما كتبه ياقوت في معجمه عن « دير قنّى » ، قال : « ويعرف بدير مرماري السليخ ... قال الشابشتي هو على ستة عشر فرسخاً من بغـــداد منحدراً بين

---

(١) تقدر مسافة البريد بين الستة أميال والاربعة عشر ميلا ، فقد أيد ياقوت هذا الخلاف بقوله : « وأما البريد ففيه خلاف وذهب قوم الى انه بالبادية اثنا عشر ميلا وبالشام وخراسان ستة أميال » . وأضاف الى ذلك قوله : « والسفر الذي يجوز فيه قصر الصلاة اربعة برد ثمانية واربعون ميلا بالأميال الهاشمية التي في طريق مكة » . وقــد قدر ياقوت المسافة بين بغداد ومكة المكرمة بالفراسخ والاميال والبرد قال : « من بغداد الى مكة مائتان وخمسة وسبعون فرسخاً وميلان ويكون اميالا ثمانمائة وسبعة وعشرين ميلا وهذه عدة ثمانية وخمسين بريداً واربعة اميال . ويساوي الميل العربي حسب التقدير المتفق عليه من قبل العلماء والمحققين حوالي الفي متر (٨ر١٩٥٧ متراً) اما الفرسخ فيساوي حوالي ثلاثة اميال انكليزية .

(٢) يستخلص مما كتبه المؤرخون ان مدينة « السيب » هذه كانت تعرف باسم « سيب بني كوما » ، وتقع على شاطيء دجلة الايسر على الطريق النهري بين « المدائن » و « واسط » ، فذكر قدامة بن جعفر ان « سيب بني كوما » تقع على بعد سبعة فراسخ من « المدائن » وعلى بعد اربعة عشر فرسخاً من بغداد (كتاب « الخراج » ص ١٩٣ — ١٩٤) . وقــــد وصف ابن رستة المواضع بين بغداد وواسط قال : « تبدأ من المدائن فتمر بقرى جيد ومنه الى سيب بني كوما تسير حتى تنتهي الى واد يقال له براز الروز وينصب في دجلة فتسير بالسفن حتى تنتهي الى سيب بني كوما وكان بهذا الموضع وقعة الصفار مع الخليفة (وقعة سنة ٢٦٢ هـ في عهد المعتمد) وفيها اشجار الزيتون » (كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ١٨٦ ـ ١٨٧) .

(٣) حول « دير العاقول » و « الصافية » و « همانية » و « جرجراي » و « النعمانية » راجع البحث التالي الخاص بكل منها في هذا الفصل .

(٤) كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » (طبعة وستنفلد) ص ١٠٦ .

النعمانية وهو في الجانب الشرقي ممدود في اعمال النهروان وبينه وبين دجلة ميل وعلى دجلة مقابله مدينة صغيرة يقال لها الصافية وقد خربت[1] ويقال له دير

---

(١) يلاحظ ان ياقوت بعد ان يذكر هنا ان قرية الصافية تقع على الضفة اليمنى من دجلة مقابل « دير قنى » مستنداً بذلك الى قول الشابشتي يعود فيذكر في مادة « الصافية » انها « بليدة قرب دير قنى في اواخر النهروان قرب النعمانية ... كانت مشرفة على دجلة وقد خربت مع خراب النهروان وآثار حيطانها باقية الى الآن . » وقد ايد ذلك ابن عبدالحق بقوله ان الصافية « بليدة كانت قرب دير قنى في اواخر النهروان مقابل النعمانية . » ونستخلص من قولي ياقوت وابن عبدالحق ان الصافية كانت على الضفة اليسرى من دجلة في جنوب « دير قنى » بين « دير قنى » والنعمانية وانها كانت تستمد ماءها من النهروان . اما ابن سرابيون فقد عين موضعها بين « دير العاقول » و « دير قنى » ولم يتطرق الى ذكر الضفة التي كانت عليها بالنسبة الى نهر دجلة ، الا ان هناك ما يدل على ان رأي ياقوت الاخير القائل بوقوع الصافية على الضفة اليسرى من نهر دجلة في جنوب « دير قنى » اقرب الى الواقع ، اذ يوجد نهر قديم على الضفة اليسرى من دجلة في جنوب « دير قنى » (تلول الدير) وجنوب العزيزية الحالية مباشرة يعرف اليوم بين الاهالي باسم « نهر الصافي » ، ولعل هذه التسمية نسبة للصافية التي كانت تقع في هذا الموضع نفسه . وقد بحث الاستاذ المحقق السيد يعقوب سركيس في موضع « الصافية » فذكر ان هناك موضعاً باسم « الصافية » يقع على بعد عشرين كيلومتراً من شمال « تلول الدير » ويستنتج انه لا يمكن ان يكون موضع « الصافية » التي نحن بصددها لوقوعه على مسافة غير قليلة فوق « دير العاقول » . ولم يتيسر للاستاذ ان يهتدي الى « نهر الصافي » جنوب « تلول الدير » مباشرة ، وهو النهر الذي اشرنا اليه وثبتنا موقع الصافيه فيه (راجع مجلة الاعتدال ، العدد الصادر في شهر آب ١٩٣٧) .

وقد ذكر الطبري في كلامه عن الزط في سنة ٢١٩هـ . موضعاً آخر باسم « الصافية » يقع باسفل واسط بقوله : « ... ضرب عجيف عسكره بقرية اسفل واسط يقال لها الصافية ... » ولعل التل المعروف اليوم باسم « ايشان ابو صافي » الواقع على بعد اربعة كيلومترات من شمال شرقي نهر دجلة القـــديم المسمى اليوم « شط الدجيلة » (حول شط الدجيلة راجع البحث التـــالي الخاص بتطورات مجرى دجلة في اواخر النهروان في هذا الفصل) وعلى مسافة حوالي ٣٥ كيلومتراً من صدر الشط المذكور هو من بقايا قرية الصافي هذه ، ويلاحظ ان ايشان « ابي صافي » يقع فوق « تلول المنارة » (مدينة واسط) ، وليس باسفلها كما جاء في وصف الطبري (راجع البحث التالي الخاص بمدينة واسط في هذا الفصل) . ويتكون « تل ابي صافي » المذكور =

الأسكون ايضاً ... وبالقرب منه دير العاقول وهو دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء وفيه مائة قلاية لرهبانه وهم يقبايعون هـذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار وحول كل قلاية بستان فيه من جميع الثمار وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً وفي وسطه نهر جار ... هذه صفته قديماً واما الآن فلم يبق من ذلك غير سوره وفيه رهبان صعاليك كانه خرب بخراب النهروان ... وقد نسب اليه جماعة من جلة الكتّاب... والمنحدر في دجلة يرى نوره من بُعد وقد وصفته الشعراء ... فقال ابن جمهور وهو ابو عليّ محمد بن الحسن القمّي :-

يا منزل اللهو بدير قنّى	قلبي الى تلك الربا قد حنّا
سقيا لأيامك لما كنا	نختار منـك لذة وحسنا

وله ايضاً :

وكم وقفـة في دير قنى وقفتها	اغازل ظبيا فاتر الطرف احورا
وكم فتكة لي فيه لم أنس طيبها	أمت به حقا واحييت منكرا [1]

وكان الى جانب « دير قنى » قرية كبيرة تعرف ايضاً باسم (دير قنى) ينسب اليها عدد من الكـتّاب والوزراء . وقـد ذكرها الطبري بقوله : « ان ابا احمد ابن المتوكل كان بالفرك ، فأعد الشذا والسميريات والمعابر والسفن للرحيل لحاربة

= من اطلال واسعة تبلغ مساحتها حوالي ٠٠٠ر١٨٠ م٢ (زهـاء ٧٠ مشارة) وتشاهد آثار نهر قديم يتفرع من الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم (شط الدجيلة) وينتهي الى التل المذكور ويسمي الاهلون هذا النهر « كود ابي عنيزة » .

(١) من اراد التوسع في موضوع هذا الدير فليراجع المقالة النفيسة التي نشرها الاستاذ ميخائيل عواد في مجلة « المشرق » لسنة ١٩٣٩ بعنوان « دير قنى، موطن الوزراء والكتاب، ومعقل المسيحية في العراق » ، وليراجع ايضاً « كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري (طبعة مصر) فيجد في حاشية الصفحة ٢٠٦ منه قائمة بالمراجع التاريخية الخاصة بدير قنى ودير العاقول .

صاحب الزنج ، فصار الى رومية المدائن ، ثم صار منهـا فنزل بالسيب ثم دير العاقول ثم جرجرايا ثم قنى »[١] ، وأشار ابن عبدالحق الى ان هذه القرية كانت من قرى النهروان .

ومما يلفت النظر ان فيليكس جونس توجه نظره الى التل الأثري المعروف اليوم بين الاهالي باسم « تل قاز » فثبت موقع « دير قنى » فيه ، و « تل قاز » هذا يقع شرقي النهروان على مسافة حوالي أربعين كيلومتراً من جنوب شرقي موضع « تلول الدير » التي ثبتنا « دير قنى » فيها ، ولعله كان مدفوعاً في التوصل الى هـذا الرأي بوجه التقارب بين التسميتين ، تسمية « قنى » وتسمية « قاز » ، ويتضح لنا مما تقدم ان هذا الاستنتاج بعيد كل البعد عن الواقع لانه لا ينطبق على الاوصاف التاريخية المتقدمة . اما لي سترانج فقد رجح وقوع « دير قنى » في موضع ما من جنوب « تلول الدير » ، اما « تلول الدير » فقد اعتبرها من بقايا « دير العاقول » .

ح - « دير العاقول »

اما دير العاقول فيستفاد من روايات المؤرخين العرب انه يقع على بعد فرسخ واحد من شمال « دير قنى » وقد كان بالاصل محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة مثل ما كان عليه وضع « دير قنى » ثم ابتعدت دجلة عنه فأصبح على بعد ميل عنها ، ويقول ياقوت عن هذا الدير : « دير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطىء دجلة كان، فأما الآن فبينه وبين دجلة مقدار ميل وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كون النهروان عامراً فأما الآن فهو بمفرده في وسط البرية وبالقرب منه دير قنى ... وفيه يقول الشاعر :

فيك دير العاقول ضيّعت ايا ... مي بلهو وحث شرب وطرف

(١) الطبري (٣ : ١٩٦١) .

وندامايْ كل حر كريم ‌‌‌ حسن دلـه بشكل وظرف
بعد ما قد نعمت في دير قنى ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ معهم فاصفين احسن قصف
بين ذين الديرين جنة دنيا ‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌‌ وصفها زائد على كل وصف

وينسب الى دير العاقول الذي بنواحي بغداد جماعة . »

ووصف ابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ هـ « دير العاقول » بقوله : « دير العاقول اسفل من المدائن باثني عشر فرسخاً والى جانبـه قرية كبيرة اخرجت عدة من الكتاب والوزراء ، وهو حسن البناء ، راكب على دجلة . »[١]

وقد ورد ذكر موقع « دير العاقول » في خارطة « صورة العراق » لابن حوقل فرسم موقعـه على جانب دجلة الايسر شمال « جبّل » بين « جبّل » و « كلواذى » .[٢]

ونستنبط من المعلومات التاريخية المتوفرة ان هناك مدينة مهمة كانت تقع في جوار « دير العاقول » ، وكانت تعرف باسم « مدينـة دير العاقول » نسبة الى الدير المذكور ، والظاهر ان هـذه المدينة كانت المركز الرئيسي لطسوج « النهروان الأوسط » .

وكانت مدينة « دير العاقول» هذه من الثغور ذات المآصر فكانت الضرائب والعشور تجبى عندها ، ذكر ابن رسته مآصرها بقوله : « وبدير العاقول مسجد جامع واسواق ومآصر ، وبها اصحاب السيارة [٣] ومأصر على دجلة »[٤] .

(١) راجع كتابه « مسالك الابصار في ممالك الامصار » (طبعة مصر) الصفحة ٢٥٦ .
(٢) حول مدينة « جبل » راجع البحث التالي الخاص بها في هـذا الفصل ، اما حول مدينة « كلواذى » فراجع ما تقـدم في ص ٣٦٢-٣٦٣ (راجع خارطة « صورة العراق » لابن حوقل في الفصل الحادي عشر من الكتاب) .
(٣) السيارة ضرب من السفن النهرية في ايام العباسيين . حول انواع السفن في ذلك الزمن راجع مقالة حبيب زيات في مجلة « لغة العرب » (٥ : ١٩٢٧) ص ٤٦١ ـ ٤٦٥ بعنوان « السفن والمراكب في عهد العباسيين » .
(٤) كتاب « الاعلاق النفيسة » الصفحة ١٨٦ .

وقد أشار ابن رسته ايضاً الى قرية كانت تقع بجنب « دير العاقول » تسمى « الصيادة » وصفها بقوله انها قرية كبيرة غنّــاء .

ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان مدينة « دير العاقول » كانت على الطريق العام بين « المدائن » و « واسط » ، وان الطريق المذكور كان ينقسم الى خمس مراحل تقع المرحلة الأولى منه في « مدينة دير العاقول » ، هذا فضلا عن انها كانت المدينة الرئيسية في « طسوج النهروان الاوسط » ، وقد وصفها اليعقوبي بقوله انها « مدينة النهروان الاوسط وبها قوم دهاقين[1] اشراف »[2].

اما موضع « دير العاقول » وموضع المدينة المجاورة للدير المذكور فقد ثبتها البعض في نفس موضع « اطلال الدير » التي توصلنا الى انها موضع « دير قنى » ، على اننا نرى في هذا الرأي تساهلاً كبيراً لعدم انطباقه على الاوصاف التي دونها لنا المؤرخون ، وهي الاوصاف التي تؤيد وقوع « دير العاقول » في شمال « دير قـنّى » . فقد سبق ونوهنا بقول الشابشتي الذي يؤيد وقوع « دير العاقول » على بعد بريد منه[3] ويقول ياقوت الذي يثبت موضعه على بعد فرسخ من « دير قنى » شمالا[4] . ونستخلص من تتبعاتنا في هـذه المنطقة ان موضع « دير العاقول » يمكن تعيينه في التل المعروف اليوم باسم « تل ابي صخير » ، وهو التل الواقع في شمال « تلول الدير » بحوالي خمسة كيلومترات ، ويبعد موقع هذا التل عن ضفة نهر دجلة الحـالي حوالي كيلومترين . وتوجد في جنوب غربي « تل ابي صخير » آثار ابنية قديمة يرجح انها من بقايا مدينة « دير العاقول » (راجع اللوحة رقم ٥) .

---

(١) يقصد هنا بالدهاقين النبلاء من الفرس الذين هم كانوا الملاكين .

(٢) راجع كتاب « البلدان » لليعقوبي (طبعة النجف) الصفحة ٨٣ .

(٣) انظر ما تقدم في صفحة ٤١٥

(٤) انظر ما تقدم في ص ٤١٤ و ٤١٨

وكان فيليكس جونس من القائلين بأن « دير العاقول » يقع في « تلول الدير » ، أما « دير قنّى » فتثبت موضعه في « تل قاز » كما تقدم[1]، وقد أيد ليسترانج رأي فيليكس جونس فيما يختص بموضع « دير العاقول » ، أما « دير قنّى » فكان يرى أنه لابد أن يكون في موضع ما من جنوب « تلول الدير ». وقد شارك الاستاذ المحقق السيد يعقوب سركيس ليسترانج في رأيه هذا[2] .

ط ـ « مدينة همانية »

وكان يقع على حوالي فرسخين من جنوب « دير العاقول » و « دير قنّى » بلدة مهمة على ضفة نهر دجلة اليمنى تعرف باسم « همانية » أو « هميتيا » . وقد حافظت هذه المدينة على اسمها القديم حتى يومنا هذا ، إذ نجد أطلالها ماثلة للعيان على الضفة الشرقية من مجرى دجلة الحالي في جنوب العزيزية وهي تسمى « تلول هميتية » . ويلاحظ أن نهر دجلة قد تحول عن عقيقه القديم في هـذا القسم بحيث أصبحت أطلال المدينة على الضفة الشرقية من نهر دجلة بعد ان كانت على ضفته الغربية . وكان المجرى القديم للنهر يؤلف في هذا الموضع شبه جزيرة وان مدينة « همانية » كانت تقع في وسطها على الضفة الغربية من النهر . ولا تزال آثار شبه الجزيرة هذه تشاهد على الضفة اليسرى من مجرى دجلة الحالي وتسمى « شط الاعمى » (راجع اللوحة رقم ٥) .

وقد وصف ياقوت بلدة « همانية » بقوله انها « قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية في وسط البرية ليس بقربها شيء من العمارات وهي في ضفة دجلة ... وكان أول من بناها بهمن بن اسفنديار ملك الفرس » ، ووصفها ابن عبد الحق في مادة « همانية » كما يلي : « همانية قرية كبيرة في ضفة دجلة فوق النعمانية

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٤١٨

(٢) راجع مجلة الاعتدال (العدد الصادر في شهر آب ١٩٣٧) الصفحة ١٩٦ .

وربما قيل همينيا بالياء هي هانية التي تقدمت بين المدائن والنعمانية . » ويظهر ان البلدة كانت من المدن المهمة في أواخر القرن الثاني الهجري بدليل ان زبيدة أم الأمين وولدي الأمين موسى وعبد الله نقلوا في حراقة إلى « همينيا » على أثر مقتل الأمين[1].

ي - تطورات مجرى دجلة في أواخر النهروان

بحثنا فيما تقدم عن الطسوجين ، « طسوج النهروان الأعلى » و « طسوج النهروان الاوسط » ، وبقي علينا أن نبحث عن « طسوج النهروان الأسفل » ، وهو الطسّوج الواقع في أواخر النهروان عند مصبه في دجلة ، وقبل ان ننتقل إلى هذا البحث رأينا أن نستعرض التطورات التي اعتورت عقيق نهر دجلة في هذا الجزء من مجراه ليقف القارىء على تطورات موضع مصب النهروان في مختلف الادوار بالنسبة إلى نهر دجلة .

١ - الطور الاول

يستفاد مما رواه المؤرخون أن نهر دجلة في قسمه الأخير من مجراه ، وهو الجزء الذي كان ينتهي النهروان في جواره ، كان في قديم الزمن يجري في غير مجراه الحالي ، وقد سجل التاريخ أربعة تطورات اعتورت مجراه في هذا القسم منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى الآن . فالطور الأول الذي تنحصر فترته بين الالف الثالث قبل الميلاد ونهاية الالف الاول قبل الميلاد هو الطور الذي كان يجري فيه نهر دجلة في اتجاه شط الغراف الحالي أو قريباً منه ، فيمر بمدينة « لكش » القديمة (تلو)[2] ثم يصب في الخليج بعد ان يتلقى المياه من ذنائب الفرات ،

---

(١) راجع كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الاثير الجزء السادس الصفحة ٢٠٧ .

(٢) تقع أطلال « لكش » في شمال شرق الشطرة الحديثة على حوالي عشرين كيلومتراً منها ، ويعتقد ان تاريخها يرجع الى حوالي سنة (٣٠٠٠ ق. م) . وتدل الروايات

حيث كان ساحل الخليج في شمال حده الحالي متقدماً إلى قرب « الناصرية » الحديثة ، هذا في حين أن منطقة العمارة الحالية التي يجري فيها نهر دجلة في الوقت الحاضر كانت عبارة عن منطقة واسعة من الأهوار تتصل بالبحر جنوباً ، وكانت هذه الاهوار تتغذى من المجاري التي تأتي من جبال إيران من جهة الشرق كما كانت تتلقى بعض المياه التي كانت تتسرب اليها من نهر دجلة من الجهة الشمالية. ويقال ان مجرى لكش كان قد فتحه بالاصل احد حكام « لكش » المدعو « انتمينا » لجلب المياه من دجلة بغية استغلال الاراضي الزراعية في تلك المنطقة . وتدل المعلومات التاريخية على ان ساحل البحر كان في أوائل الألف الأول قبل الميلاد يسير في شرق الحويزة وقلعة صالح ثم يمتد موازياً الجبال في الاتجاه الشمالي الغربي وبعدها ينعطف الساحل البحري نحو الجنوب الغربي فيقطع شط الغراف في جنوب الشطرة ويمتد إلى شرق الناصرية ومنها يسير نحو الجنوب حتى يصل منتهى خليج الكويت .

٢ ـ الطور الثاني

اما الطور الثاني من أطوار نهر دجلة في هذا القسم فهو الطور الذي عرج

= التاريخية على انها كانت من الموانىء البحرية المهمة على الخليج في ذلك الزمن كما كانت من أهم المدن السومرية ، وقد استولى حكامها على بعض المدن القديمة المجاورة ، ولعل « أور » نفسها كانت من بين المدن التي أخضعها حكام « لكش » الى سلطانهم. وقد أجرت فيها بعثات فرنسية تنقيبات مهمة نشرت نتائجها في كتاب حديث باللغة الفرنسية لمؤلفه اندري بارروت (André Parrot) عنوانه :
«Tello-Vinght Campagnes de fouilles» Paris, 1949.
ويعتقد الاستاذ السيد يعقوب سركيس ان كلمة « تلو » مخففة من « تل هوارة » وان أطلال « تلو » تقع في نفس موضع « تل هوارة » الذي ذكره ياقوت بقوله انه من قرى العراق ، وهو التل الذي ذكره التنوخي (٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م) أيضاً فسماه « تلهوار » وعين موقعه على نحو فرسخين من تل يقال له « تل ريحا » (راجع مقال « تلو هو تل هوارة » للاستاذ يعقوب سركيس في كتابه « مباحث عراقية » ص ٢٩٣) .

فيه المجرى جانباً باتجاه الشرق متبعاً اتجاه نهر العمارة الحالي أو ما يقرب من اتجاهه .
ويغلب على الظن ان مجرى نهر دجلة أخذ يتحول إلى هذا الاتجاه بعد ان ارتبط مصيره بالفرات حيث تكاثرت مع مرور الزمن كميات الطمي في قسمه الاسفل الذي كان يلتقي بنهر الفرات في جوار « أور » ، الامر الذي أدى إلى انتعاش الفرع الشرقي من نهر دجلة ، أي الفرع الذي كان يتفرع من مجرى النهر قرب الكوت ويصب في منطقة الأهوار الشرقية الواقعة في جوار منطقة العمارة الحالية ، حتى صار ذلك الفرع بعد مرور بعض الزمن يسحب معظم مياه نهر دجلة متوسعاً على حساب المجرى الغربي الذي يسير في اتجاه « الكش » ، وكانت النتيجة ان جف المجرى الغربي تدريجياً وانقطعت عنه المياه في الموسم الصيفي ، فانتقل العمران إلى جهة الفرع الشرقي الذي تكونت فيه أراضي رسوبية جديدة وظهرت فيه امكانيات زراعية خلابة بعد انسحاب ساحل البحر إلى الجنوب .
ويظن أن هذا التحول من المجرى الغربي إلى المجرى الشرقي قد تم نهائياً حوالي أوائل العهد الميلادي . وقد بقي نهر دجلة في مجراه الجديد نحو ستة قرون ازدهرت خلالها عدة مدن وقرى على ضفافه أهمها «المذار» على الجانب الشرقي[1] و « العبدسي » على الجانب الغربي[2] ، وكانت المنطقة الواقعة في جهة «المذار»

---

(١) وصف ياقوت « المذار » بقوله : « والمذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار اربعة أيام وبها مشهد عامر كبير جليل عظيم قد انفق على عمارته الأموال الجليلة وعليه الوقوف وتساق اليه النذور وهو قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب » . ونظير هذا ما ذكره ابن عبد الحق حول المدينة نفسها . ولا يزال القبر المذكور يسمى الى الآن « قبر عبدالله بن علي » ويزار ، أما موضعه فيقع على الضفة الشرقية من دجلة في جنوب قلعة صالح على مسافة حوالي تسعة كيلومترات منها . ويتضح مما تقدم ان « المذار » كانت تقع في موضع القبر المذكور (راجع البحث التالي الخاص بميسان في هذا الفصل) .

(٢) ذكرهما ياقوت بقوله : « العبدسي هو تعريب الداسي وهو اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة » .

تعرف باسم « جوخى »[١] ، أما بعد ذلك فقد عاد نهر دجلة إلى عقيقه القديم باتجاه منطقة « الكش » ، وهي المنطقة التي كانت تعرف في زمن العرب باسم « كسكر »[٢] وقد انشئت فيها مدينة « واسط »[٣] ، وبهذا يدخل مجرى النهر طوره الثالث وهو الطور الذي يبدأ في صدر الاسلام . أما المجرى الذي

---

(١) ذكرها ياقوت وابن عبد الحق بقولهما : « جوخا اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد بالجانب الشرقي منه الراذانان وهو بين خانقين وخوزستان ... قالوا ولم يكن ببغداد مثل كورة جوخا كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم حتى صرفت دجلة عنها اخربت » . يتضح من ذلك ان المنطقة الزراعية الواقعة في الجانب الشرقي من نهر دجلة كلها بما فيها أراضي « الراذانين » الواقعة شرق خانقين كانت تعرف باسم « جوخى » ، ويظهر ان هذه التسمية قديمة ترجع الى ما قبل العهد الاسلامي حيث قيل ان قباذ بن فيروز كان قد « انزل أصحاب الصناعات بطن جوخى » (راجع ما تقدم في ص ٣٩٨) .

وقد ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج « ان حذيفة بن اليمان كان في عهد عمر بن الخطاب عاملا على ما وراء دجلة من جوخى ، وان عمر بن الخطاب لما أراد أن يمسح السواد أرسل الى حذيفة ان يبعث بدهقان من جوخى ابعثه ومعه ترجمان من أهل الحيرة فلما قدما عليه قال كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في أرضهم ؟ قالوا: سبعة وعشرين درهماً فقال عمر : لا أرضى بهذا ووضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء قفيزاً من حنطة او قفيزاً من شعير ودرهماً ، فمسحا على ذلك . ويضيف أبو يوسف الى ذلك قوله أن « جوخى » كانت يومئذ عامرة « فخربت بعد ذلك وغارت مياهها وقلت منافعها » .

ويوجد اليوم في شمال غربي مدينة الشطرة الحالية تل أثري قديم يسمى « تل جوخه » ، وهو التل الذي تقع فيه مدينة (اوما) القديمة التي يرجع تاريخ انشائها الى الالف الثالث قبل الميلاد ، ولا شك ان تسمية « جوخه » هذه حديثة بالنسبة الى تاريخ التل نفسه ولعلها انتقلت من الجانب الشرقي الى هذا الموضع .

(٢) ذكرها أبو يوسف في كتاب « الخراج » (ص ٣٨) قال : «وحدثني حصين ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان قد استعمل النعمان بن مقرن على كسكر فكتب الى عمر رضي الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين ان مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب عنده امرأة تتلون له وتتعطر وانشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثتني في جيش من جيوش المسلمين » .

(٣) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « واسط » في هذا الفصل .

كانت عليه « المذار » و « العبدسي » فصار يعرف في هذا الطور باسم « دجلة العوراء » لسبب انقطاع المياه عنه . ويرجح ان بعض الاراضي الواقعة عليه صارت بعد تحول مياه دجلة عنها تروى من ذنائب النهروان .

٣ ـ الطور الثالث ـ العهد الاسلامي

ننتقل الآن إلى الطور الثالث ، وهو الدور الاسلامي ، الدور الذي تحول فيه مجرى دجلة الى الغرب مرة اخرى عائداً إلى عقيقه القديم الذي كان يسير فيه في طوره الاول . وتدل الروايات التاريخية على ان هذا التحول وقع في أوائل القرن السابع الميلادي ، أي في السنين الاولى من الهجرة ، إذ شهدت البلاد خلال هذه الفترة فيضاناً شديداً أدى إلى وقوع تطورات خطيرة في كلا المجريين، الفرات ودجلة ، فخرب الجداول والسدود واستولى على الاراضي المنخفضة الواقعة بين الكوفة والبصرة من جهة وبين الشطرة والقرنة من الجهة الاخرى فجعل منها منطقة واسعة من البحيرات والمستنقعات صارت تعرف في زمن العرب باسم « منطقة البطائح »[1] وقد وصف ابن رسته منطقة البطائح هذه بقوله : « ونهر الفرات ينصب في البطائح بعد ان يتفرع فيصير أنهاراً عظاماً ومصبه في البطائح بموضع كسكر . فالبطائح مجتمع هذه المياه وهي ثلاثون فرسخاً في ثلاثين فرسخاً حد منها جزيرة العرب وحد منها أرض ميسان وحد منها دجلة بغداد وحد منها مصب الفرات والنهروان[2]، وهي خزانة أهل البصرة تجتمع فيها المياه وينبت فيها القصب لمنافعهم ومنها سمكهم من الطري والمالح ... فتلك المواضع

---

(١) حول المراجع من هذا الفيضان انظر كتابنا « المصادر عن ري العراق » ص ١٥٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٩ ، وكتابنا وادي الفرات » الجزء الثاني ص ٢٠٧ ـ ٢١١ و ٢٢٢ .

(٢) ان المقصود هنا هو « دجلة » ولعل ورود « النهروان » كان من خطأ الناسخ .

معروفة اليوم في البطائح تسمى سرطفان وطستخان وعقر الصيد من المواضع التي يكون فيها الزط »[1].

والظاهر ان العوامل التي أدت إلى رجوع مجرى دجلة الى عقيقه القديم في جهة « لكش » وتكوّن « البطائح » ترجع بوادرها الى زمن قباذ فيروز (٤٨٨ ـ ٥٣٩ م) ، ففي عهده حدثت بثوق في ضفاف نهر دجلة اليمنى أدت إلى غمر مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية في جهة عقيق دجلة القديم قرب « لكش » القديمة . ولما تولى ابنه كسرى أنو شروان عرش المملكة الفارسية أقام سدوداً في مواضع الثغرات لاعادة المياه إلى مجراها صوب « المذار » و « العبدسي » فكان له ما أراد ، إلا أن طغيان المياه في السنة السادسة من الهجرة (٦٢٧ م) سبب حدوث ثغرات واسعة في الضفاف فانتهى الامر الى رجوع نهر دجلة إلى عقيقه القديم صوب أراضي « لكش » القديمة . وقد حاول كسرى أبرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨م) ان يسكر صدر هذا المجري (مجرى الكش) في الموضع الذي عرف فيا بعد باسم « الخيزرانية » لارجاع الماء الى جهة « المذار » في مجرى « دجلة العوراء » ، كما أنه جرت محاولات في أوائل العهد العربي لسد هذا المجرى أيضاً إلا أن هذه المحاولات كلها باءت بالفشل وانتهى الأمر إلى عودة نهر دجلة إلى عقيقه القديم في جهة « لكش » . وقد وصف لنا قدامه بن جعفر هذا التطور بقوله : « وسبب البطائح المبطحة في أرض السواد ان ماء دجلة كان منصباً الى دجلة المعروفة بالعوراء التي هي أسفل البصرة في مسافة مستقيمة المسالك محفوظة الجوانب فلما كان ملك قباذ فيروز (قباذ الأول ٤٨٨ — ٥٣٩ ب . م .) انبثق في أسفل كسكر بثق عظيم فأغفل أمره حتى غلب ماؤه واغرق كثيراً من أرضين عامرة كانت تليه وتقرب منه فلما ولى انوشروان ابنه (كسرى الاول ٥٣١ ـ ٥٧٩ م .) أمر بذلك الماء فزحم بالمسنيات حتى عاد بعض

---

(١) راجع كتاب « الاعلاق النفسية » ص ٩٤ و ١٨٤ .

تلك الأرضين الى عمارة ثم لما كانت سنة ٦ من الهجرة وهي السنة التي بعث فيها النبي (ص) عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ابرويز (كسرى الثاني ٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) زاد الفرات زيادة عظيمة ودجلة ايضاً لم ير مثلها وانبثق بثوق كبار فجهد ابرويز ان يسكرها ... فلم يقدر الماء على حيلة فورد المسلمون العراق وشغلت الفرس بالحرب فكانت البثوق تنفجر ولا يلتفت اليها ويعجز الدهاقين على سدها فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت . »[1]

وهذا نص ما كتبه ابن رسته في وصف التحول والاجراءات المتخذة للحيلولة دون وقوعه ، قال : « ... وكانت البطائح الأولى التي كان يجتمع فيها ماء دجلة قبل تحولها الى ناحية واسط جوخى فيما بين المذار وعبدسي فلما تحولت دجلة انقطع الماء عنها وصارت صحاري ومفاوز يصيب المارة فيها في الصيف سموم شديد ثم ان دجلة هذه التي هي اليوم سكرت من عند الخيزرانية[2] ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى بقية دجلة العوراء فخرقت وانفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فأعياه ذلك وجرت دجلة في موضعها الذي هو اليوم بين يدي واسط فصارت البطائح هذه التي تكون اليوم فأعورت دجلة من ذلك الموضع المسكور الى مذار وبطلت تلك البطائح التي كانت بجوخى فبقي من دجلة العوراء من المذار الى بحر الهند وذلك في مقدار ثلاثين فرسخاً وهي دجلة البصرة واليه ينتهي مد البحر ومنه يجزر إذا رجع الماء الى البحر . ورام بعد ذلك خالد بن عبدالله ان يسكرها وانفق الاموال فسفت دجلة ذلك البنيان واصله اليوم يرى اذا قل الماء في دجلة بناء من آجر وصاروج[3]

---

(١) راجع كتاب « الخراج » ص ٢٤٠ .

(٢) اطلق عليها اليعقوبي اسم « قناطر الخيزران » (راجع البحث التالي الخاص بوصف اليعقوبي لنهر دجلة بين المدائن وواسط والبحث الخاص بتلول الخيزرانة في هذا الفصل .)

(٣) الصاروج هو النورة واخلاطها من الرماد وغير ذلك (معرب) ويقال صرج الحوض اي بناه بالصاروج .

وربما طفت به السفن المارة »[١]. وقد اشار البلاذري الى محاولة خالد بن عبدالله هذه وفشلها بقوله « ان خالد بن عبد الله القسري كتب الى هشام بن عبد الملك يستأذنه في عمل قنطرة على دجلة فكتب اليه هشام ، لو كان هذا ممكناً لسبق اليه الفرس ، فراجعه فكتب اليه : ان كنت متيقناً انها تتم فاعملها واعظم النفقة عليها فلم يلبث ان قطعها الماء فاغرمه هشام ما كان انفق عليها »[٢].

وقد لعب مجرى دجلة الجديد دوراً مهماً في زمن العرب فعلى ضفافه أقيمت عدة مدن وقرى، تمتاز بكونها عربية اسلامية بحتة ، اذ لم تكن دجلة قبل الاسلام تسقى هذا الجزء من سواد العراق . ومن اهم المدن التي ازدهرت على ضفاف هذا المجرى في هـــذا العهد مدينة « واسط » التي اتخذها الحجاج عاصمة للقطر العراقي[٣] . ويعطينا ابن سرابيون كشفاً بالمواضع التي يمر بها نهر دجلة بعد انحداره من « همانية » بقوله : « يمر (نهر دجلة) الى همانية وجرجراي والنعمانية وجبل ونهرسابس وفم الصلح ثم يمر الى واسط ثم في وسطها وهي راكبة بشاطئيه ثم يمر الى الرصافة ونهربان (ذكره ابن رسته باسم نهر بين) والفاروث ودير العمال والحوانيت ثم يصب في القطر فم البطيحة »[٤].

ويصف لنا اليعقوبي بشيء من التفصيل المدن والقرى التي تمر بها دجلة بعد انحدارها من « المدائن » ، ونظراً لأهمية هذا الوصف رأينا ان ننقله ادناه ، وسنرى كيف ان بعض المواضع المهمة المذكورة فيه لا تزال محافظة على اسمائها الاصلية وان اطلالها ماثلة للعيان على جانبي مجرى دجلة القديم المعروف اليوم باسم « شط الدجيلة » . وهذا نص وصفه قال : ــ

---

(١) راجع كتاب « الاعلاق النفسية » ص ٩٤ ــ ٩٦

(٢) راجع كتاب « فتوح البلدان » في فصل « امر واسط العراق »

(٣) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « واسط » في هذا الفصل .

(٤) راجع البحث التالي الخاص بهذه المدن والقرى في هذا الفصل .

« ومن المدائن الى واسط خمس مراحل اولها دير العاقول وهي مدينة النهروان الاوسط وبها قوم دهاقين اشراف ثم جرجرايا وهي مدينة النهروان الاسفل وهي ديار اشراف الفرس ومنهم رجاء بن ابي الضحاك واحمد بن الخصيب ثم النعمانية وهي مدينة الزاب الاعلى ، ويقرب منها منازل آل نوبخت ، وفي مدينة النعمانية دير هزقل الذي يعالج فيه المجانين ، ثم جبّل وهي مدينة قديمة عامرة ثم ماذرايا وهي منزل اشراف العجم القديمة ثم المبارك نهر قديم ، وبعد النعمانية من الجانب الغربي من دجلة القرية المعروفة بنهاباد وهي فرضة ينتقل منها مير دجلة الى النيل ، ثم نهر سابس وهي في الجانب الغربي وهي بازاء المبارك لان مدينة المبارك من الجانب الشرقي منها يسلك الى طسوجي بادرايا وباكسايا ، ثم قناطر الخيزران[1] من الجانب الشرقي ، ثم فم الصلح وبه منازل الحسن بن سهل ، والى هذا الموضع صار المأمون لما زار الحسن بن سهل وابتنى بابنته بوران[2] ، ثم واسط وهي مدينتان على جانبي دجلة فالمدينة القديمة في الجانب الشرقي من دجلة (مدينة كسكر) وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسراً بالسفن ، وبنى الحجاج قصره بهذه المدينة الغربية ... وانما سميت واسط لان منها الى البصرة خمسين والى الكوفة خمسين والى الاهواز خمسين فرسخاً والى بغداد خمسين فرسخاً فلذلك سميت واسط »[3].

ويذكر ابن رسته المواقع التي يمر بها السائح في طريقه النهري بعد انحداره من واسط بقوله : « من واسط نهر بين ومنه الى الصينية[4] ومنه الى الحوانيت

---

(١) سماها ابن رسته « الخيزرانية » (راجع ما تقدم في ص ٢٨)

(٢) راجع البحث التالي الخاص بهذه المدن والقرى في هذا الفصل

(٣) كتاب « البلدان » (طبعة النجف الصفحة ٨٣)

(٤) ذكرها ياقوت بقوله : «الصينية بلدة تحت واسط ينسب اليها قوم من أهل العلم منهم الحسن بن محمد بن ماهان الصبني حدث عن احمد بن عبيد الواسطي روى عنه ابو بكر الخطيب وقال كان قاضي بلدته وخطيبها ... ويقال لها أيضاً صينية الحوانيت». =

ومنه الى القطر وهـذه القرى من واسط الى هـذا الموضع كلها شرقي دجلة وبالحوانيت اصحاب السيارة والمأصر من قبل السلطان ... »[1]

٤ ـ مدينة واسط

انشئت مدينة « واسط » من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان ، وعلى رأي اكثر المؤرخين انها بنيت سنة ٨٣ هـ(٧٠٢م) . وقد أقام الحجاج فيهـا مسجداً في الجانب الغربي كما شيد فيها قصره ذا القبة الخضراء المعروف بخضراء واسط ، وقد احاطها بسور عظيم ، ونقل أبواباً لقصره وللمسجد الجامع من مدن قديمة كانت عامرة في ذلك الزمان ، مثل « الزندورد » و « الدوّقرة » و « دير ماسرجيس » و « سرابيط » فضج أهل هـذه المدن وقالوا : قد غصبتنا على مدائننا ، فلم يلتفت الى قولهم . وانفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة واربعين الف الف درهم . فقال له كاتبه صالح بن عبد الرحمن : هذه نفقة كثيرة ، وان احتسبها لك أمير المؤمنين وجد في نفسه قال : فما نصنع ؟ قال : الحروب لها أجل . فاحتسب منها في الحروب باربعة وثلاثين الف الف درهم . واحتسب في البناء تسعة آلاف الف درهم[2] .

وقد اختار الحجاج الموضع الذي شيّد فيه مدينة « واسط » لوقوعه في

= ولا تزال منطقة الصيتية تعرف باسمها الذي كانت تعرف به في زمن ازدهارها فهناك أراض تعرف باراضي « السنية » في وسطها هور يسمى « هور السنية » ، وهذه تقع على حوالي ثلاثين كيلومتراً من جنوب اطلال واسط بميل قليل الى الشرق وعلى حوالي نفس المسافة من شمال السيد احمد الرفاعي بميل قليل الى الغرب . اما موقع هذه المنطقة بالنسبة الى مجرى دجلة القديم المعروف اليوم باسم « شط الاخضر » فيكون في جانبه الشرقي على حوالي ١٨ كيلومتراً منه (راجع البحث التالي الخاص بشط الاخضر وباطلال واسط وبسيد احمد الرفاعي في هذا الفصل ، انظر أيضاً مرتسم الجزء الاخير من مجرى دجلة في العهد العباسي) .

(١) كتاب « الاعلاق النفيسة » الصفحة ١٨٩

(٢) راجع « معجم البلدان » لياقوت (مادة واسط) ، و « فتوح البلدان » للبلاذري في بحث « امر واسط العراق » .

بقعة متوسطة بالنسبة الى البصرة والكوفة والاهواز وليكون عسكره الأموي بمعزل عن أهل الكوفة . وكانت هـذه البقعة في السابق محوطة بالاهوار والمستنقعات ، تنمو فيها الاعشاب والاقصاب ، حتى كان يطلق عليها قبل بنائها « واسط القصب » ، وكانت على كرش من الارض ، أي ترتفع قليلاً .

وتبلغ مساحة أطلال مدينة « واسط » الممتدة على ضفتي المجرى القديم الذي كانت دجلة تسير فيه في طورها الثالث ، وهو المجرى المعروف اليوم بشط الدجيلة القديم[1] ، اكثر من ثلاثة كيلومترات مربعة (١٢٠٠ مشارة) ، وتمتاز هذه الاطلال في انها تمثل عدة ادوار من ادوار العهد العربي لمدة حوالي الف عام ، كما انها تمتاز في كونها آثار عربية اسلامية بحتة .

وقد عنيت مديرية الآثار القديمـة العامة بالتنقيب في أطلال « واسط » فحفرت فيها ستة مواسم ، امتدت بين سنة ١٩٣٦ و ١٩٤٢ . وقد نشرت تقريراً قيماً بالانـكليزية عن اعمال الموسم السادس ، كتبه الاستاذ السيد فؤاد سفر وطبع في القاهرة سنة ١٩٤٥ ، وما زال القسم العربي منه قيد الطبع . ودلت هذه التنقيبات على الكشف عن اربعة جوامع في نفس المنطقة التي انشيء فيها جامع الحجاج ، أي على الضفة الغربية من شط الدجيلة ، يرجع كل منها الى دور خاص من الادوار العربية ، وقد كشفت دائرة الآثار من بين الجوامع الاربعة هذه عن جامع الحجاج وأزاحت عنه الاتربة وبقايا أطلال الجوامع الاخرى التي انشئت في الادوار التي تلي دوره . وجامع الحجاج كما يتضح من المخطط الذي رسمته دائرة الآثار (راجع مخطط جامع الحجاج) مربع الشكل كل جانب منه ٢٠٠ ذراع في داخله أساطين من الحجر الرملي (Sand stone) جميلة الصنع والنقوش ، وهو يتألف من خمس بلاطات في مصلاه وبلاطة في كل من جانبيه

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بآثار مجرى دجلة في طوره الثالث في هذا الفصل

وفي مؤخره ، وفي وسطه صحن واسع مبلط بالآجر المنتظم فيه ميضأة واسعة يأتيها الماء في أنابيب الفخار ويصرف عنها بأنابيب أخرى.

وقد انشئت الأعمدة الحجرية من قطع مستديرة ركبت الواحدة فوق الاخرى وفى كل من هذه القطع ثقب من وسطها وضع فيه قضيب من الحديد ليربط القطع بعضها ببعض ، وقد ثبت القضيب بالرصاص ونقشت الاوجه الخارجية للدعامات بنقوش جيلة مختلفة . وقد اثير البحث عن الاحجار الرملية وعن الموضع الذي جلبت منه ، فبين الاستاذ فؤاد سفر في بحثه عن « واسط » (الطبعة الانكليزية ص ٢٤) ان أقرب موضع توجد فيه هذه الاحجار هو « جبال بشتكو » الواقعة على ثمانين ميلاً من شرق «واسط » ، إلا اننا نرى ان الاحجار الرملية هذه موجودة بوفرة في جبل حمرين على نهر ديالى ، والارجح انها نقلت الى « واسط » بالسفن بطريق ديالى والنهروان (نهر تامراء) ودجلة ، وهو طريق الملاحة الذي كان يستعمل في ذلك الزمن[1] ، إذ لا يمكن أن تكون هذه الاحجار الثقيلة قد نقلت بغير الواسطة النهرية . ولما كان نهر دجلة يجري في جهة واسط في عهد الحجاج وان مجرى العمارة كان قد جف في ذلك الوقت فالطريق الملاحي الوحيد الذي كان يمكن أن يسلك في مثل هذه الظروف هو طريق ديالى والنهروان ودجلة كما تقدم[2] . ومما يجدر ذكره في

---

(١) يقول ابن الجوزي في « مختصر مناقب بغداد » (النسخة التي نشرها الاستاذ الأثري ص ٨) ان المنصور لما اعتزم انشاء مدينة له شاور في ذلك فاتفق رأي القوم على بغداد وقالوا له : ــ « تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ومن أرمينية وما اتصل بها في تامراء» ذلك مما يدل على ان المجرى الذي كان يبدأ في منابع نهر ديالى الحالي ويمتد الى جبل حمرين ومنه الى النهروان ومن النهروان الى دجلة ، وهو المجرى الذي كان يسمى تامرا ، كان من طرق المواصلات النهرية الرئيسية في ذلك الوقت (راجع البحث الذي تقدم الخاص بالملاحة على النهروان وديالى في ص ٣٨٦) .

(٢) راجع ماتقدم في ص ٣٨٥ ــ ٣٨٦ و ص ٤٠٩

هذا الصدد أن الحكومة العراقية تنقل الآن كميات كبيرة من هذه الاحجار الرملية من جبل حمرين قرب ديالى لاستعماله في انشاء السفينات على ساحل دجلة في مدينة بغداد .

ومن أهم ما يشاهده الزائر اليوم بين أطلال « واسط » بقايا الباب الاثري الواقع على الطرف الشمالي الشرقي من تلك الاطلال على نحو ١٥٠ متراً من الضفة الشرقية لشط الدجيلة (مجرى دجلة القديم) ، وكان على جانبي هذا الباب منارتان (راجع صورة الباب والمنارتين) ، ويشاهد التفنن في تجميل ذلك الباب والمنارتين باستخدام الآجر المحفور المنقوش بشتى النقوش الهندسية . وكان قد أطلق الأهلون على خرائب « واسط » اسم « قبة المنارة » أو « المنارة » لبروز هاتين المنارتين بين الاطلال ، ولا تزال تعرف أطلال « واسط » بالمنارة حتى يومنا هذا . وقد كشفت مديرية الآثار العامة داخل بناية هذا الباب عن مرقد واسع مثمن الشكل لا زالت اركانه شاخصة ، في داخله ضريح غفل من الكتابة كانت فوقه قبة من بناء الآجر ، إلا انه يظن ـ بناء على ماجاء ذكره في معجم البلدان ـ بأنه ضريح محمد بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . فقد ذكر ياقوت قبة هذا الضريح فيمادة الحزامين بقوله : «الحزامون محلة في شرقي واسط واسعة كبيرة لها ذكر في التواريخ كثير كأنها منسوبة الى الذين يحزمون الامتعة أي يشدونها والله اعلم ... وبالحزامين مشهد عليه قبة عالية يزعمون ان بها قبر محمد بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهناك قبر يزعمون انه قبر عزرا بن هارون بن عمران يزوره المسلمون واليهود » . وجاء ذكر قرية باسم « الحوز » متصلة بالحزامين في كتاب المراصد لابن عبد الحق فوصفها بقوله انها « قرية من شرقي مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزامين فهي كالمحلة منها ويقال لها حوز برقة » .

وقد دلت نتائج التنقيبات ان بناية الباب تعود الى الادوار الاولى من تاريخ

« واسط » ، ثم اعيد بناؤها ثلاث مرات ، وعلى هذا فان بناء الباب الشاخص يعود الى الدور الاخير، ويعتقد انه انشيء في حوالي القرن الثالث عشر الميلادي. وقد عثر على عدة قبور ملحقة بهذه البناية فيها الاحجار المنحوتة الدالة على تواريخها وهي تمتد بين سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) و ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) .

وجاء في « مختصر مناقب بغداد» لابن الجوزي ان المنصور لما أنشأ مدينته المدوّرة في بغداد نقل اليها من واسط أبواباً حديدية ركّبها في المنافذ الاربعة التي انشأها في سور تلك المدينة وهذه هي ابواب الحجاج التي يقال ان الحجاج كان قد نقلها الى واسط من مدينة بناها سليمان بن داود[1] .

وقد بقيت مدينة « واسط » في زمن خلفاء بني العباس من المدن الشهيرة ، وفي القرن السابع الهجري اهمل شأن الجانب الشرقي من المدينة فانتقل الناس الى الجانب الغربي ، وبقيت المدينة محافظة على مقامها حتى القرن الثامن الهجري . وبعد هذا التاريخ قلّ شأنها وخفت ذكرها بسبب قلة المياه في المجرى الذي تقع عليه حيث أخذ مجرى نهر دجلة بعد ذلك يتهيأ للرجوع الى عقيقه القديم في الجهة الشرقية أي الى جهة فرع العمارة . وقد وصف المؤرخون مدينة«واسط» في بداية القرن السابع عشر الميلادي فذكروا انها تقع في وسط الصحراء ،ذلك مما يدل على ان المياه انقطعت عن المجرى الذي يسير في اتجاه واسط في ذلك الوقت واتجهت نحو الفرع الشرقي من دجلة في جهة « دجلة العوراء » ، وقد بقيت على هذه الحال حتى يومنا هذا[2] .

لقد حصلت مساجلة في تحقيق موضع « واسط » بين المحقق الدكتور مصطفى جواد من جهة وبين دائرة الآثار العراقية من جهة اخرى، فكانت مطالعة الدكتور مصطفى جواد انه ليس هناك ما يثبت ان موضع « خرائب المنارة »

---

(١) راجع النسخة التي نشرها الاستاذ محمد بهجة الأثري (ص ١٠)

(٢) راجع البحث التالي الخاص بالطور الرابع من تطورات مجرى دجلة في هذا الفصل

أو « قبة المنارة » هو واسط الحقيقية ، ويرى انه من المحتمل ان يكون موضع « خرائب المنارة » من بقايا « قرية عبد الله » التي ذكرها ابن عبد الحق في المراصد بقوله انها « مدينة ذات أسواق وجامع كبير وعمارة ، تحت واسط ، بينهما نحو خمسة فراسخ ... » . أو من بقايا « بلدة المأمن » التي أشار اليها ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٨٠ هـ . بقوله ان موضعها في « نهر جعفر » وهي من اعمال «واسط» بنيت في زمن هولاكو وفيها ديوان وجامع وخان وحمام وسوق . وعلى هذا يرى احتمال كون الباب الاثري الذي تقدم ذكره من بقايا « مدرسة قتلغ شاه » التي انشئت في بلدة « المأمن » وهي المدرسة التي ذكرها ابن الفوطي أيضاً . وقد اجاب الاستاذ فؤاد سفر الذي نقب في أطلال واسط خلال الموسم السادس (سنة ١٩٤٢) على هذه المطالعات ، ومن جملة ادلته على عدم امكان الاخذ برأي الدكتور مصطفى جواد : ١ ـ ان « خرائب المنارة » تشتمل على آثار ومبان تعود الى القرون الستة التي سبقت هولاكو ؛ ٢ ـ ان هذه الخرائب تنتشر لمسافة ثلاثة كيلومترات على طرفي « الدجيلة » (مجرى دجلة القديم) وليس في تلك البقاع خرائب من العصور الاسلامية تبلغ مساحتها وعلو انقاضها حتى نصف مساحة أو علو « خرائب المنارة » ؛ ٣ ـ اتفقت المراجع على ان واسطا ذات شطرين يفصل بينهما نهر دجلة ، وهذا يتفق وخرائب « المنارة » التي على شاطيء الدجيلة . وجاء في المراجع القديمة ان المسجد الجامع في واسط كان في الشطر الغربي منها بعيداً عن الشط وقد تحقق هذا من كون ان في الشطر الغربي لخرائب المنارة بعيداً عن عقيق الدجيلة خرائب مسجد جامع بعض اساطينه من الحجر ؛ ٤ ـ تقع على الدجيلة اطلال « سابس » المدينة التي اجمع جغرافيو العرب على انها كانت على نهر دجلة ؛ ٥ ـ على امتداد الدجيلة اطلال الرصافة ، المدينة التي اتفقت المراجع العربية على وقوعها على نهر دجلة ؛ ٦ ـ وجدت آثار مكتوبة تدل على ان « خرائب المنارة » هي موضع «واسط»،

ولم توجد آثار مكتوبة تدل على انها غير « واسط »[١] . اما نحن فنرى ان الدكتور مصطفى جواد لم يكن موفقاً فيما ذهب اليه وان الرأي القائل بان خرائب المنارة هي « واسط » الحقيقية أمر لايقبل الشك ، وقد اهتدينا الى هذا الرأي بعد دراسة دقيقة لجغرافية أنهر « واسط » وتتبع آثار الانهر القديمة في تلك المنطقة وتعيين مواضع المدن والقرى التي لا تزال تحتفظ باسمائها الاصلية . ويكفي المرء أن يتفقد القطع الحجرية المنتزعة من أساطين الجامع التي اكتشفتها دائرة الآثار في موضع « خرائب المنارة » الواقعة على الضفة الغربية من الدجيلة لحصول القناعة التامة من أن تلك الخرائب هي من بقايا واسط ، لأن وزن كل قطعة من هذه القطع الحجرية تبلغ حوالي الطن الواحد ولا يمكن ان تكون قد نقلت هذه الاحجار من محاجرها في المناطق الجبلية الى موضع « المنارة » لانشاء قرية اعتيادية كقرية « عبد الله » أو قرية « المأمون » . وفضلاً عن ذلك ان الرأي القائل باحتمال كون « خرائب المنارة » من بقايا قرية « المأمون » أو قرية « عبد الله » كما ذكر الدكتور مصطفى جواد لا يمكن الأخذ به ، لأن المؤرخين ثبتوا موضع قرية « المأمون » على نهر جعفر في أسفل « واسط » في الطريق الذي بين البصرة وواسط ، وقد وصف نهر جعفر انه أحد ذنائب دجلة ، وكل هذا لا ينطبق على ما نعلمه عن موضع واسط[٢] ، واذا فرضنا ان « خرائب المنارة » هي « قرية عبدالله » التي ثبت موضعها في جنوب واسط على خمسة فراسخ منها ، فذلك يحتم علينا أن نتحرى عن موضع واسط في شمال « المنارة » ، في حين انه لم يكن لها أي أثر هناك . هذا واننا نعتقد أن بحثنا هذا عن جغرافية أنهر واسط وقرى منطقة واسط فيه من الأدلة الكافية على أن « خرائب المنارة »

---

(١) راجع المقال بعنوان « واسط والاخيضر » المنشور في مجلة « سومر » عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، ص ٣ – ١١

(٢) راجع البحث التالي الخاص بقرية « المأمون » في ص ٤٣٨ (حاشية ٣)

هي مدينة واسط الحقيقية ، وان الموضوع لا يدع مجالا للشك أو التردد في هذا السبيل .

٥ ـ الانهر المتفرعة من دجلة في جنوب واسط

وكان في جنوب واسط عدة فروع تتشعب من نهر دجلة من جانبيه فتنتهي كلها الى البطائح ، ومن المؤرخين الذين تطرقوا الى البحث عن هذه الفروع القزويني، فقد ذكر في كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» (الصفحة ١٧٨) بعضها بقوله : « واذا انفصل (نهر دجلة) عن واسط اقتسم الى سبعة انهر عظام تحمل السفن منها نهر سامي ونهر الغراف[١] ونهر دقلة[٢] ونهر جعفر[٣]

---

(١) وصف ياقوت « نهر الغراف » بقوله : « الغراف نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة كانه يغترف كثيراً ولذلك سمي هكذا وعليه كورة فيها قرى كثيرة وهي بطائح وقد نسب اليه قوم من أهل العلم » . ونظير هذا ما قاله ابن عبد الحق في المراصد .

(٢) ذكره ياقوت باسم « دقلة » أيضاً (راجع مادة نهر جعفر ومادة نهر ابي الاسد) الا انه ورد ذكره باسم « دقلاء » في كتاب « قلائد الجواهر » للحنبلي (الصفحة ٨٣) فقد ورد فيه ان الشيخ الكبير منصور البطائحي كان من اجلاء المشايخ بالبطائح واعيانهم وقيل انه «سكن نهر دقلاء من أرض البطائح واستوطنها الى ان مات وقبره ظاهر بزار » .

(٣) ذكره ياقوت بقوله : « نهر جعفر نهر بين واسط ونهر دقلة عليه قرى وهو أحد ذنابيب دجلة» . وقد ذكر قرية باسم « الهرث » كانت عليه فوصفها بقوله انها «قرية على نهر جعفر من اعمال واسط » ، وأضاف ابن عبد الحق الى ذلك قوله انها «قرية كبيرة مشهورة » . وقد أشار ابن الفوطي الى قرية اخرى باسم « المأمن » كانت على نهر جعفر ، اقال في حوادث سنة ٦٧٠ هـ . ما يلي : « في سنة ٦٧٠ هـ أمر صاحب الديوان علاء الدين بعمارة موضع في نهر جعفر من اعمال واسط سماه المأمن وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً وانتقل اليه خلق كثير وكان التجار المنحدرون الى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم اليه فانتفعوا به وامنوا على أموالهم وبنى فيه ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسة » (كتاب « الحوادث الجامعة » الصفحة ٣٧٢) .

وكان في ناحيـــة نهر جعفر قرية تعرف باسم « شـــافيا » وصفها ياقوت =

ونهر ميسان[1] ونهر هوفري ونهر الهمامة[2] ثم تجتمع هذه الانهر وما ينضاف اليها من الفرات كلها قرب مطارة[3] وهي قرية بينها وبين البصرة يوم واحد وهناك يعظم جداً » . ووصف ابن سرابيون الانهر التي تحمل من نهر دجلة جنوب واسط ايضاً بقوله : « وتحمل من دجلة انهار كثيرة في أسفل مدينـــة واسط تصب كلها في البطيحة وبعضها في بعض اكبرها واجلها ماقد ذكرناه . منها نهر يقال له نهر بان أوله أسفل واسط مع القرية التي تسمى نهر بان (ذكره ابن رسته باسم نهر بين) ثم يمر بقرى وضياع ويقلب فيصب في البطيحة . ويحمل منها أيضاً نهر يقال له نهر قريش أوله من القرية التي تسمى نهر قريش يمر بقرى وضياع ويصب في البطيحة غربي (واسط) . ويحمل منها أيضاً نهر يقال له السيب وهو سيب العقر ومدينةالعقر[4] راكبته أوله أسفل نهر بان بفرسخين يمر

= بقوله انها « من قرى واسط من ناحيـــة نهر جعفر بين واسط والبصرة ... ويقال لهذه القرية شيفيا ذكرها ابو طاهر بن سلفه أيضاً بقوله انها قرية على سبعة فراسخ من واسط » .

والارجح ان النهر القديم المعروف اليوم باسم « خيط الشميزي » وهو النهر المتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة اي جنوب خرائب « واسط » على زهاء خمسة كيلومترات منها هو من بقايا « نهر جعفر » الذي كان يتفرع من اسفل « واسط » بينها وبين « نهر دقلة » كما جاء في وصف ياقوت . ونهر الشميزي » هذا يسير شرقاً فيبدأ من شمال « هور حويش » ثم يتجه نحو التل الأثري المسمى « ايشان شميزي وينتهي بعد ذلك الى الاراضي المنخفضة الواقعة في « هور كويطم » بالقرب من « كميت » .

(١) ذكره ياقوت وأشار الى قرية باسم « البزاز » تقع على ضفـــافه بقوله « البزاز بليدة بين المذار والبصرة على شاطىء نهر ميسان رأيتها غير مرة » .

(٢) ذكره ياقوت وابن عبد الحق باسم « نهر الهامية » فوصفا الهامية بقولهما انها بلدة من نواحي واسط بينها وبين خوزستان لها نهر يأخذ من دجلة منسوبة الى همام الدولة منصور بن دبيس بن عفيف الاسدي » .

(٣) ذكرها ياقوت وابن عبد الحق فقالا انها « من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات في ملتقاهما بين المذار والبصرة .

(٤) ذكرها ياقوت باسم « عقر السدن » وقال انهـــا « من قرى الشرطة بين واسط والبصرة » .

في قرى وضياع ويمر بالجوامد[1] ويتفرع منه أيضاً أنهار كثيرة ويقلب فيصب في البطيحة[2] . ويحمل منها أيضـاً نهر يقال له بردودي أوله مع القرية التي تسمى الشديدية وهو نهر جليل ويصب في البطيحة » .

ومن جملة الانهر الاخرى التي لم يذكرها ابن سرابيون ولا القزويني انهر « الصلة » و « الفضل » و « الصين » و « الجنب » . وقد وصف ياقوت « نهر الصلة » بقوله انه من أعمال « واسط » وان المهدي أمر بحفره « فحفر وأحيي عليه من الارضين وجعلت غلته لصلات أهل الحرمين » ، كما انه ذكر « نهر الصين » و « نهر الفضل » أيضاً ، فقال حول « نهر الصين » ان الحجاج « قبل اتخاذه واسط أراد نزول الصين من كسكر وحفر بها نهر الصين وجمع له الفعلة » ، واكتفى بوصف « نهر الفضل » بقوله انه من نواحي « واسط » . وقد جاء ذكر « نهر الصلة » و « نهر الفضل » في كتاب « تجارب الأمم » لابن مسكويه (٦ : ٢٦٨ و ٣٤٧) فوصفا انهما في اسافل واسط . والارجح ان آثار النهر

---

(١) ذكر ياقوت قرية باسم « الجامدة » فقال انها « قرية كبيرة جامعـة من اعمال واسط بينها وبين البصرة رأيتها غير مرة » . الا انه يلوح لنا ان هذه القرية غير « الجوامد » التي يشير اليها ابن سرابيون ، ولعل التل الأثري المسمى « تل جدة » وهو التل الواقع في ناحية ابو صالح (لواء المنتفك) في ذنائب « شط الاخضر » على حوالي ٤٠ كيلومتراً من جنوب شرقي « الدواية » هو من بقايا « الجامدة » التي ذكرها ياقوت . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان « الجوامد » كلمة كانت تطلق على الاراضي المستخلصة من المستنقعات بعـد تجفيفها وكان زرعها يعطي صاحبها حق الملكية العامة (راجع الماوردي « الاحكام السلطانية » القاهرة ص ١٧٢—١٧٣) .

(٢) من المرجح ان « هور العقرة » الحالي الواقع في شرق قلعة سكر بين شط الغراف وشط الاخضر سمي بهذه التسمية نسبة الى « نهر سيب العقر » ومدينة « العقر » اللذين كانا يقعان في ذلك الموضع أو في جواره ، كما انه يحتمل ان « امام العقر » الواقع على بعد ٢٠ كيلومتراً الى الشمال من هور عقرة سمي بهذه التسمية نسبة الى مدينة « العقر » المندعة أيضاً .

القديم المعروف اليوم باسم « خيط الفضلي » ، وهو النهر الذي يبدأ من « شط الدجيلة » على زهاء خمسة كيلومترات الى الجنوب من « واسط » ويسير نحو « تل الحسينية » هو من بقايا « نهر الفضل » . أما « نهر الجنب » فقد ذكره البلاذري وروى عنه ما يلي : « قالوا كان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب وكان طريق البريد الى ميسان ودست ميسان[1] والى الاهواز في شقه القبلي » . والارجح ان اثار النهر القديم المعروف اليوم باسم « خيط الشيمي » ، وهو النهر الذي يتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة في شمال خرائب « واسط » مباشرة ، هو من بقايا « نهر الصين » المتقدم ذكره أو « نهر الجنب » الذي يتفرع من دجلة في شرقي واسط أيضاً . و « نهر الشيمي » هذا يسير الى الشرق بانحراف قليل نحو الجنوب وينتهي الى الأراضي المنخفضة الواقعة في

---

(١) الظاهر ان « ميسان » كانت تسمية لمنطقة واسعة تقع غربي نهر الكارون ، فتمتد بينه وبين نهر دجلة ، منها أراضي « دست ميسان » التي لا تزال تحتفظ باسمها القديم بتحريف بسيط فتسمى اليوم « دشت ميشان » ، « ودشت ميشان » هذه تقع في منطقة الأهوار الواسعة الواقعة على الجانب الشرقي من نهر دجلة في شرقي « هور الحويزة » الحالي داخل حدود الأراضي الايرانية . ويخترق شط الكرخة « دشت ميشان » ولا يزال احد فروعه يسمى « شط ميسان » ، ولا شك ان هذه التسمية تحريف لكلمة « ميسان » الاصلية . وقد جاء ذكر منطقة « دست ميسان » في كتاب « الخراج » لأبي يوسف (طبعة مصر ص ١٥٤) بمناسبة ايعاز عمر بن الخطاب الى بجالة بن عبدة العنبري الذي كان والياً عليها بوجوب أخذ الجزية من المجوس هناك . ويلاحظ ان أرض « المذار » المتقدم ذكرها كانت من ضمن منطقة « ميسان » المذكورة (راجع ما تقدم في ص ٤٢٤) . وقد اعتبر ابن رسته مدينة « جبل » التي تقع على الجانب الشرقي من دجلة شمالا من مدائن « ميسان » ايضاً (راجع البحث التالي الخاص بمدينة جبل في هذا الفصل) . وقد وصف ياقوت منطقة « ميسان » بقوله انها « اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان ... وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر عزير النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وأنا رأيته ... » ، ولعل القبر المذكور هو نفس « قبر العزير » الحالي الذي لا يزال يقوم بخدمته اليهود ويزار حتى يومنا هذا .

شرق « هور جرباسي » وايشان « ام بطه » بالقرب من « علي الشرقي » .

وكان نهر دجلة يتشعب في الدنائب عند القطر[١] الى ثلاث شعب تنصب كلها في البطائح ، ومن نهاية البطائح هذه تبدأ ثلاثة أنهر أيضاً تمتد جنوباً حتى تنتهي الى « دجلة العوراء » . ويعطينا ابن رسته وصفاً لهذه المنطقة بقوله : « وبالقطر تتشعب دجلة ثلاث شعب احدى هـذه الشعب الى مدينة يقال لها طهيثا وهي مدينة كبيرة بها مسجد جامع وكان أبو زكريا البحراني تحصّن فيها حتى أخرج منها . وينصب هذا الماء اذا جاوز هذه المدينة في البطائح والآجام والشعبتان الاخريان تنصبان الى البطيحة ومنها تجنح السفن ويحمل بعض ما فيها في الزواريق في هاتين الشعبتين فتجري الى موضع كثير الماء في البطيحة فتمر بهـا الزواريق الى الهول وهناك موضع يقال له الهول الـكبير وهو هول عظيم ثم تسير حتى تنتهي الى مديـنـة يقال لها باذاورد[٢] وهي مديـنـة كبيرة وبها افواه ثلاثة أنهار أحدها يسمى نهر أبي الأسد[٣] والآخر

---

(١) ذكرها ياقوت بقوله : « القطر موضع في جوانب البطائح بين البصرة وواسط عرف بهذه النسبة محمد بن الحـكم القطري يروى عن آدم بن ابي اياس وابن أبي مريم روى عنه عثمان بن محمد السمرقندي » . ولعل الموضع المعروف اليوم باسم « الاقطارات » الواقع جنوب شرقي « ايشان فروث » هو الموضع الذي كانت « مدينة القطر » تقع في جواره ، ومن المحتمل جداً ان « الاقطارات » تحريف للقطر القديمة .

(٢) ذكرها ياقوت في معجمه قال : « باذورد اسم مدينة قرب واسط بينها وبين البصرة وقد خربت والى هذه الغاية يسمون دجلة البصرة العظمى باذورد تسمية بهذا الموضع والله أعلم » .

(٣) وصفه ياقوت بقوله : « نهر ابي الأسد أحـــد شعوب دجلة بين المذار ومطارة في طريق البصرة يصب هناك في دجلة العظمى ومأخذه أيضاً من دجلة قرب نهر دقلة » . ويرجح ان « نهر ابي الأسد » كان يسير في اتجاه المجرى الذي يمتد بين سوق الشيوخ والقرنة الحاليتين . وقـــد وصف ابن سرابيون مصبه بدجلة العوراء بقوله : « واذا الخارج من نهر ابي الأسد فان دجلة العوراء تستقبله معترضة له فالطريق الى البصرة عن يمين الخارج ويسرته الى عبدسي والمدار وليس لها هناك مصب ولا مخرج بل هي نهاية يلحقها المد والجزر » .

نهر مرة[١] والثالث نهر ابن عمر[٢] فمن اراد البصرة فانه ينحدر من نهر أبي الأسد الى دجلة العوراء يمضي فيها منحدراً حتى تصير الى فوهة نهر معقل ثم يمضي منــه الى البصرة »[٣] . وقد وصف ابن سرابيون « الهول الـكبير » الذي اشار اليه ابن رسته بشيء من التفصيل بقوله : « ان أول البطيحة القطر وهو زقاق قصب ثابت وبعده هور والهور هو ماء كثير ليس فيه قصب واسم هذا الهور بحصى وبعده زقاق قصب ثم الهور الثاني واسمه بكمصي وبعده زقاق قصب ثم الهور الثالث اسمه بصرياثا وبعده زقاق قصب ثم الهور الرابع واسمه المحمدية وفيه منارة حسان وهو اعظم الاهوار وبعده زقاق قصب وهو ماد الى نهر أبي الأسد ويمر النهر بالحالة وقرية الـكوانين ويصب الى دجلة العوراء » (راجع المرتسم الذي يبين الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان في العهد العباسي) .

ويقول المقدسي ان مجرى دجلة بعد واسط كان ضحلاً ولذلك كانت تستعمل فيه قوارب صغيرة ومسطحة تدفع بالمرادي ، ويحتمل ان هذه القوارب كانت من نوع المشاحيف الخفيفة التي لا تزال تستعمل الآن في الاهوار . اما في منطقة البطيحة[٤] ، فقد كان الماء ضحلاً أيضاً فـكانت تبنى سداد من الطين والقصب لاستصلاح بعض الأراضي المستنقعة واستغلالها في زراعة الرز[٥] .

---

(١) ذكر ابن رسته في موطن آخر ان « نهر مرة » قريب من « نهر ابي الأسد » ويصب في دجلة العوراء « ويمتزج هـــذا الماء بماء البحر الذي يدخل في دجلة العوراء من ماء المد » .

(٢) ذكر ابن رسته في موطن آخر ان طول « نهر ابن عمر » يبلغ اربعــة فراسخ من اسفل البطائح مما يلي قصر انس بن مالك الى « فيض البصرة » وقد حفره عبد الله بن عمر بن عبـــد العزيز في ولاية بني امية ليعذب ماء أهل البصرة ، اما « فيض البصرة » فهو يعرف اليوم باسم « شط العرب » .

(٣) كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ١٨٤ ـ ١٨٥

(٤) يجد القارىء تفاصيل مفيدة عن تاريخ منطقة البطائح والتطورات التي اعتورتهـــا في مقال ستريك في دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، الجزء الثالث ص ٦٨١

(٥) راجع المقدسي ص ١١٩ و ١٢٤ ، الاصطخري ص ٨١ ــ ٨٢ ، ابن حوقل ص ٢٣٨ ، ابن مسكويه ج ٢ ص ٢٩٧

ولا يزال القسم الغربي من أراضي البطائح ، وهو القسم الذي كان يلتقي عنده النهران (دجلة والفرات) يعرف الى الآن باسم « هور البطيحة » ، وهذا يقع على حوالي خمسة عشر كيلومتراً من شمال الناصرية ، فيبلغ عرضه حوالي اربعة كيلومترات وطوله حوالي خمسة كيلومترات . وتحيط به من الغرب سداد اصطناعية تعرف اليوم باسم « ايشان الخور » كما تحيط به من الشرق أطلال تسمى « التناهي » ، ولعل هذه الاعمال انشئت هناك لاستصلاح بعض أراضي البطائح وتهيئتها لزراعة الرز ، ويحتمل ان يكون هذا الهور من جملة الأراضي التي استصلحت على عهد الحجاج وان السداد التي لا تزال بقاياها ماثلة للعيان هي من جملة المنشئات التي اقيمت في هذه المنطقة لتحقيق ذلك .

٦ ـ آثار مجرى دجلة ومدنه وقراه في طوره الثالث ـ شط الدجيلة

ترك مجرى دجلة القديم في طوره الثالث ، أي مجراه في العهد الاسلامي ، معالم واضحة يمكن اقتفاؤها ، فالى الشرق من مدينة الكوت الحالية على مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً الى الجنوب منها بطريق النهر يبدأ من الضفة اليمنى لمجرى دجلة الحالي عند قرية ابراهيم العزيز الحالية نهر دارس يعرف اليوم بـ «شط الدجيلة»، ويتجه الشط المذكور الى الجنوب الشرقي ماراً بتل «سابس»، وهو من بقايا مدينة « نهر سابس » القديمة[1] ، وبعد ان يتركه على يمينه يستمر في امتداده حتى يصل الى التلول الأثرية المعروفة اليوم باسم « المناره » ، فيشطر خرائبها الى شطرين ، وهذه الخرائب هي موقع مدينة واسط التي نقبت فيها مديرية الآثار القديمة العامة تنقيباً واسعاً فوجدت فيها من منشئات الحجاج جامعه وقصره[2]، وتقع هذه الخرائب اليوم على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « نهر سابس » في هذا الفصل .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بمدينة واسط في ص ٤٣١

مدينة الحي الحالية في شرقها ، فهي الآن بين النهرين الحاليين ، الغراف ودجلة ، بعيدة عن كل منهما . ثم يستمر المجرى الى الجنوب وبعد ان يقطع مسافة قليلة في هذا الاتجاه يتشعب الى فرعين يتجه أحدهما شرقاً حتى يتصل بدجلة الحالية في جوار « كميت » الحديثة ، ويستمر الفرع الآخر في الاتجاه الجنوبي ويعرف بـ « شط الاخضر » (بفتح الخاء والضاد) ويمر بالاطلال المعروفة اليوم بـ « تل الرصافة » الواقعة على بعد نحو سبعة كيلومترات منه غرباً ، ومن بعدها يتجزأ « شط الاخضر » الى عدة فروع تضيع معالمها في منخفض من الارض ، هي البطائح التي تقدم ذكرها . ويبلغ عرض شط الدجيلة في بعض الاماكن ما يزيد على مائتي متر مما يؤيد انه عقيق نهر واسع كان يستوعب جميع تصرف مياه دجلة قبل ان ينتهي الى البطائح .

ونرجح ان « شط الاخضر » كان المجرى الرئيسي لنهر دجلة الذي ينتهي الى البطائح ، أما الفرع الشرقي الذي يسير نحو « كميت » فهو أحد الفروع الكبيرة التي كانت تتفرع من الضفة اليسرى لمجرى دجلة القديم في جنوب واسط ، ولعله النهر الذي كان يعرف باسم « نهر ميسان »[1] . وانا نميل الى الاعتقاد بان نهر دجلة قبل ان يتحول نهائياً من مجرى واسط الغربي الى مجرى العمارة نحو « المذار » و « العبدسي » في تطوره الاخير (الطور الرابع) أخذ في أول الأمر يجري في الفرع الذي يتجه نحو كميت (نهر ميسان) تاركاً البطائح الجنوبية التي في ذنائب « شط الاخضر » ، ثم تحول المجرى كله الى جهة العمارة من جوار « الخيزرانية » (تل الخيزرانة)[2] ، وهو الموضع الذي كان يفترق منه الفرعان ، الغربي والشرقي ، في مختلف الادوار .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بنهر المذكور في ص ٤٣٩

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالخيزرانية في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ والبحث التالي الخاص بتلول الخيزرانية في ص ٤٥٢

واذا تتبعنا آثار العمران القديم على جانبي عقيق دجلة في جزئه الأخير الذي كان يمتد ما بين قرية « هيانية » والمصب في البطائح في جنوب واسط نجد ان هناك عدداً غير قليل من القرى والمدن التي ذكرها المؤرخون من العرب لا تزال تعرف بأسمائها القديمة التي كانت تعرف بها في العهد العباسي ، منها « النعمانية » و « جبل » و « نهر سابس » و « قنطرة الخيزران » و « العقر » و « الصينية » و « الرصافة » و « فاروث » و « المنائس » و « الحويش » وغيرها .

اما « النعمانية » فكانت تقع بين « هيانية » و « نهر سابس » على الضفة الغربية من النهر ، فقد ذكر ابن عبد الحق انها منسوبة الى رجل اسمه النعمان وانها تقع على ضفة دجلة في منتصف الطريق بين واسط وبغداد ، وقد وصفها القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ بقوله انها « بليدة بين بغداد وواسط كثيرة الخيرات وافرة الغلات ولها قرى ورساتيق بناها النعمان بن المنذر بن قيس بن ماء السماء سكنها زماناً رافيء الحال فارغ البال في أيام الاكاسرة الى ان قضى الله عليه تعالى ما شاء »(١) . وقد ذكر ابن رسته ان النعمانية « مما يلي غربي دجلة وهي مدينة بها مسجد جامع وأسواق وبها تتخذ الطنافس الحيرية وهي مدينة من مدائن الحيرة »(٢) . واشار بن عبد الحق في معجمه الى قرية باسم « الجديدة » قال انها « قرية فوق النعمانية على شاطيء دجلة » .

والارجح ان الاطلال المعروفة اليوم بأسم « تل النعمان » ، وهو التل الواقع على الضفة الغربية من مجرى دجلة الحالي على بعد خمسين كيلومتراً من جنوب شرقي « هيانية » هي من بقايا قرية النعمانية القديمة . اما مدينة النعمانية الحديثة الواقعة على الضفة اليمنى من النهر أيضاً على مسافة خمسة كيلومترات من جنوب

---

(١) كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » الصفحة ٣١٤

(٢) راجع كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ١٨٦—١٨٧

« تل النعمان » فنميل الى الاعتقاد انها موضع قرية « نعماباذ » التي ذكرها اليعقوبي ووصفها بقوله انها « فرضة ينتقل منها مير دجلة الى النيل » . وكانت النعمانية الحديثة تعرف بالبغيلة ثم سميت النعمانيه أخيراً احياء للاسم القديم لوجود « تل النعمان » في جوارها ، وهو التل الذي يعتقده الناس موضع النعمانية التاريخية[١] .

وكانت في شمال « النعمانية » على مسافة اربعة فراسخ منها في الجهة الشرقية من النهر مدينة مهمة يقال لها « جرجرايا » وهي المدينة الرئيسية في « طسوج النهروان الاسفل » [٢] ، فقد ذكر ابن عبد الحق انها « بلد من اعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي كانت مدينة خربت مع ما خرب من النهروانات » . اما ياقوت فقد أيد ذلك وأضاف قوله انه قد خرج من « جرجرايا » جماعة من العلماء والشعراء والكتّاب والوزراء ولها ذكر في الشعر كثير قال ابزون العماني :

ألا يا حبـــذا يوماً جررنا ذيول اللهو فيـه بجرجرايا

---

(١) أشار ياقوت الى قرية قرب النعمانية باسم « بنورا » فذكر انها تقع « قرب النعمانية بين بغداد وواسط وبها كان مقتل المتنبي في بعض الروايات » . وفي مقتل المتنبي عدة روايات ، الاولى انه كان في الجانب الغربي بالقرب من النعمانية (كتاب « الانساب » للسمعاني الورقة ٥٠٦) ، والثاني في الجانب الشرقي من دجلة بالقرب من « دير العاقول » و « الصافية » ، وهما في هذا الجانب . والارجح ان مقتله كان في الجانب الشرقي لأن الطريق العام بين بغداد وواسط كان يسلك هذا الجانب . وفي احدى الروايات انه قتل عند قرية « بيزغ » ، وهي القرية التي وصفها ياقوت بقوله انها « قرية بين دير العاقول وجبل بها قتل ابو الطيب المتنبي فقتله من خط ابي بكر محمد بن هاشم الخالدي الشاعر » . وقد جاء في كتاب ابن خلكان (الصفحة ٣٧) ان مقتله كان عند قرية « الصافية » (حول مقتل المتنبي راجع مقال الاستاذ المحقق يعقوب سركيس في مجلة الاعتدال في عددها الصادر في شهر آب ١٩٣٧ ص ١٨٠—١٩٧) .

(٢) راجع وصف اليعقوبي المتقدم الخاص بمدينة « جرجرايا » في ص ١٣٠

ويرى فيليكس جونس ان الاطلال الواقعة في جوار « صدر الشاعورة » الحديث هي من بقايا مدينة « جرجرايا » .

وكانت على الضفة الشرقية من دجلة أيضاً على خمسة فراسخ من النعمانية جنوباً مدينة أخرى تعرف بـ « جبّل » (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها) ، وهي المدينة التي ذكر ياقوت انها « بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانت مدينة وأما الآن فاني رأيتها مراراً وهي قرية كبيرة ... وأياها عنى البحتري بقوله : —

حنانيك عن هول البطائح سائرا على خطر والريح هول دبورها
لئن اوحشتني جبّل وخصاصها لما آنستني واسط وقصورها

ويصف ابن رستة مدينة جبّل بقوله : «مدينة جبّل على شرقي دجلة وهي مدينة كبيرة وبها مسجد جامع ودار طبيخ للسلطان وتسقى زروعها بالزواريق وهي مدينة من مدائن ميسان[1] وبها تتخذ الثياب الميسانية ويخترقها نهران عظيمان يستقان من سورا »[2] .

أما موضع « جبّل » فقد ثبت ان انقاض هذه المدينة أصبحت في وسط نهر دجلة مقابل « أم البنّي » الحالية نتيجة التأكل الحاصل في ضفة النهر التي كانت المدينة منشأة عليه ، ويعرف هذا الموضع اليوم باسم « جنبل » (بادخال النون بين الجيم والباء) . وقد توهم اكثر السياح من الافرنج ان الانقاض التي اعترضتهم في وسط نهر دجلة في هذا الموضع من بقايا جسر قديم كان على نهر دجلة هناك . وقد تمادى بعضهم في هذا الوهم فصوّر لنا عقادات الجسر وذكر عددها ونوع بنائها الى ما هنالك من الاوصاف التي تدل على ان هؤلاء

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بميسان في ص ٤٤١ (حاشية ١)
(٢) لعل نهر سورا هذا احد الانهر المتفرعة من ذنائب النهروان .

السياح كانت لديهم القناعة التامة في ان الانقاض المذكورة هي من بقايا الجسر الذي تصوروه في مخيلتهم(١) .

وتشاهد اطلال « قرية نهر سابس » على الضفة الغربية من مجرى دجلة القديم (شط الدجيلة) حسب وصف اليعقوبي المتقدم وان موضعها لا يزال يعرف باسم « تل سابس » ، وهو يقع على حوالي ١٥ كيلومتراً من شرق الكوت الحالية و ١٥ كيلومتراً من صدر « شط الدجيلة » . ويخترق اليوم جدول الدجيلة الحديث الذي شق مؤخراً من أمام قناطر الكوت عقيق دجلة القديم في هذا الموضع ، وقد أصبح موضع « تل سابس » بالنسبة الى هذا الجدول على ١٧ كيلومتراً من صدره على الضفة الغربية منه أمام مركز دائرة الري الواقع عند الناظم القاطعي الرئيسي الذي تتفرع من امامه الشاخات ١ و ٢ و ٣ و ٤ . ويمتاز « تل سابس » بارتفاعه إذ يعلو الارض المحاذية ٢٠ الى ٣٠ متراً فيشرف المرء من قمته التي نصبت دائرة المساحة نقطة تثليث رئيسية فيها على كل المنطقة المجاورة . أما مساحة الاطلال فتبلغ زهاء ٧٠٠٠٠ م^2 (٣٠ مشارة) . وقد لعب هذا التل دوراً مهماً في حصار الكوت المشهور خلال الحرب العالمية الاولى .

وقد ايد ياقوت وابن عبد الحق وقوع « قرية نهر سابس » على الضفة الغربية من نهر دجلة ، اذ ذكر ياقوت ان « نهر سابس قرية مشهورة قرب واسط على طريق القاصد لبغداد منها على الجانب الغربي » وقال ابن عبد الحق انها « قرية مشهورة فوق واسط على الجانب الغربي » . اما موقع قرية نهر سابس بالنسبة الى « جبّل » و « النعمانية » و « جرجرايا » ، فقد عين المؤرخون موضعها على بعد سبعة فراسخ من « جبل » واثني عشر فرسخاً من « النعمانية » وستة عشر فرسخاً من « جرجرايا » جنوباً . وكانت « قرية نهر سابس » تقع

(١) راجع كتابنا « المصادر عن ري العراق » الصفحة ٩٣

على نهر يسمى « نهر سابس » ، وهو نهر كان يتفرع من ذنائب نهر النيل[1] وينتهي الى نهر دجلة عنـد « قرية نهر سابس » . وقد أشار ياقوت الى « نهر سابس » بقوله انه يقع « فوق واسط بيوم واحد عليه قرى » .

وكانت بين « النعمانية » و « نهر سابس » أنهر مأخذها من ذنائب نهر النيل (نيل الفرات) وتنتهي الى دجلة هناك ، ومن أهم هذه الفروع نهران رئيسيان، اعلاهما كان ينتهي الى دجلة في جوار « النعمانية » ، والثاني ينتهي الى دجلة في جوار « قرية نهر سابس » . وكان الاول يعرف باسم « الزاب الاعلى »، اما الثاني فـكان يسمى « الزاب الاسفل » ، وكان على هذين النهرين قرى كثيرة ومزارع واسعة تتصل بالضفة الغربية لنهر دجلة في منطقة « النعمانية و « نهر سابس » . وقد وصف ياقوت هذين الزابين قائلاً : « وبين بغداد وواسط زابان يسميان

---

(١) « النيل » هو النهر الذي كان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفرات في جنوب « بابل » فيمتد في الجزيرة الواسعة الواقعة بين الفرات ودجلة وينتهي الى الضفة اليمنى لنهر دجلة في جوار « النعمانية » و « قرية نهر سابس » . وكان هـذا النهر يعرف في زمن الفرس باسم « نهر جاسب » ، ثم قام الحجاج بتطهيره فسماه « النيل » على اسم « نيل مصر » ، كما انه انشا مدينة عليه سماها « النيل ايضاً » . ومما ذكره ياقوت في هذا الصدد قال : « النيل بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر وقيل ان النيل هذا يستمد من صراة جاسب » . وكان يصب نهر النيل في « هور الخول » الكائن في جوار قصبة « النعمانية » ، ومن ثم ينشطر النهر الى فرعين، الفرع الشمالي المسمى « الزاب الاعلى » وهو ينتهي الى نهر دجلة جنوب « النعمانية » ، والفرع الجنوبي المعروف باسم « نهر سابس » يسير جنوباً الى محاذاة نهر دجلة حتى ينتهي الى نهر دجلة (شط الدجيلة) في نقطة تقع على بعد فرسخ واحد جنوب قصبة « نهر سابس » ، وقد اطلق ايضاً بعض مؤرخي ذلك العصر على « نهر سابس » اسم « الزاب الاسفل » لتمييزه عن نهر « الزاب الاعلى » الذي يصب في دجلة في جوار « النعمانية » . ولعل الاهوار الحالية المعروفة اليوم : « الجاموس » و « دابج » و « الزهرة » تقع في موضع « هور الخول » المتقدم ذكره .

الزاب الاعلى ، الزاب الاسفل أما الاعلى فهو عند قوسين[1] وأظن مأخذه من الفرات ويصب عند زرفامية[2] وقصبه كورة النعمانية على دجلة واما الزاب الاسفل من هذين فقصبته نهرسابس قرب مدينة واسط وزاب النعمانية أراد الحيص بيص أبو الفوارس الشاعر بقوله :

أجاه وسلمى أم بلاد الزاب　　　وأبو المظفر أم غضنفر غاب

واضاف ياقوت الى ذلك قوله انه كان على كل واحد من هذه الزوابي عدة قرى وبلاد، وقريب من هذا قول ابن عبد الحق في وصف الزابين المذكورين. وجاء في معجم ياقوت أيضاً ذكر نهر باسم « زابيا » وصف انه « نهر احتفره الحجاج فوق واسط وسماه بذلك لأخذه من الزابين تثنية الزابي » . ولعل تسمية « نهر الزاك » الحالي الذي يتفرع من نهر دجلة في أراضي أم البنّي والواقع في منطقة الزابين القديمة نفسها هي تحريف لتسمية الزاب الاصلية .

وكانت مقابل اطلال « قرية نهر سابس » على الضفة الشرقية من دجلة قرية يقال لها « المبارك »، فذكرها اليعقوبي بقوله انها تقع بأزاء « قرية نهر سابس » في الجانب الشرقي من نهر دجلة منها يسلك الى طسوجي «بادرايا» و«باكسايا»[3] . وجاء في كتاب « الطبقات الكبير » تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي

---

(١) لعل الصواب « قوسان » وهي التي ذكرها ياقوت بقوله : « قوسان كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ونهره الذي يسقي زرعه يقال له الزاب الاعلى » .

(٢) ذكرها ابن عبد الحق بقوله : « زرفامية ويقال زرفانية قرية كبيرة من نواحي قوسان وهي من نواحي الزاب الاعلى الذي بين واسط وبغداد وهي الآن خراب بها آثار عند مصب الزاب الاعلى » . وذكرها ياقوت باسم زرفامية أيضاً فقال في مادة « واسط » انها من اعمال واسط من الجانب الغربي من دجلة وفيها يقول علي بن نصر بن بسام :

ودهقان طي تولى العراق　　　وسقى الفرات وزرفامية

(٣) راجع كتاب « البلدان » (طبعة النجف) ص ٨٣

(ج ٧ ص ٦٠) ان « المبارك على تسع فراسخ من « واسط » . ولم نعثر على أثر لهذه القرية ولعلها اختفت بين الحفريات التي اجريت هناك أثناء شق مجرى الدجيلة الحديث ، اذ نشيء في هذا الموضع مركز تقسيمات المياه وفيه ناظم قاطع يعرف بـ « ناظم كيلو ١٧ » تتفرع من أمامه الاربع شاخات المرقمة من ١ الى ٤ .

ولا تزال قرية « قناطر الخيزران » التي عين اليعقوبي موضعها على الضفة الشرقية من نهر دجلة في جوار « قرية المبارك »(١) تعرف باسمها القديم الذي كانت تعرف به في العصر العباسي ، فهي تسمى اليوم « تلول الخيزرانة » ، وتقع على الضفة الشرقية من « شط الدجيلة » القديم في شمال غربي « قرية تل سابس » على نحو أربعة كيلومترات منها وهي تبعد حوالي كيلومتر ونصف عن « عرب علي القمر » التي ترجع الى عشائر « القاصيص » ، وتسمى اليوم المنطقة التي تقع فيها هذه التلول باسم « أراضي الخيزرانة » . وتمتاز بقايا قرية « قناطر الخيزران » بسعة مساحتها التي تبلغ أكثر من مائة مشارة ، إلا ان اطلالها لا ترتفع كثيراً عن سطح الارض المجاورة ، ولعل سبب ذلك يرجع الى انغمار هذه المنطقة برمتها بمياه فيضانات دجلة لانخفاضها فكانت الى وقت غير بعيد تشكل أهواراً واسعة تمتد الى مسافة بعيدة في الداخل .

ولموضع « قناطر الخيزران » أهمية تاريخية ، فهو الموضع الذي سكرت فيه دجلة بعد ان أخذت تتحول نحو المجرى الغربي الذي يسير نحو « واسط » بغية اعادة المياه الى المجرى الشرقي الذي يسير نحو العمارة . وكان هذا السكر قد انشيء لأول مرة في عهد كسرى ابرويز وانفق عليه مالا عظيماً إلا أن تيار المياه خرقه وجرت المياه في المجرى الذي انشئت « واسط » على ضفافه . ورام بعد ذلك خالد بن عبد الله ان يسكر دجلة في هذا الموضع نفسه وأنفق الاموال لهذا الغرض إلا أن السد لم يلبث ان انهار أمام التيار الشديد والمجرى السريع .

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ و ٤٤٥

وقد سمي ابن رسته هذا الموضع « الخيزرانة »وذكر ان آثار السد كانت تشاهد في زمنه اذا قل الماء في دجلة وهو من بناء الآجر والصاروج[١] . اما الآن فلم يبق من هذه الآثار أية علائم تعيننا على تعيين موقع السد بالضبط عدا تعيين موقع القرية المسماة باسم « قناطر الخيزران » نسبة للقناطر التي كانت في جوارها، وهي القرية التي احتفظت الى الآن باسمها القديم ، وذلك نظراً للتطورات المتعددة التي اعتورت هذه المنطقة خلال مدة الالف والخمسمائة عام المنصرمة .

وكانت في جنوب « قرية سابس » ، على خمسة فراسخ منها ، قرية مهمة على الضفة الشرقية من النهر تعرف باسم « فم الصلح » ، وكانت هذه القرية تتغذى بالمياه من نهر يعرف بـ « فم الصلح » أيضاً . وقد وصف ياقوت « نهر فم الصلح » بقوله : « فم الصلح نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبل عليه عدة قرى وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون وفيه بنى المأمون ببوران وقد نسب اليه جماعة من الرواة و المحدثين وغيرهم وهو الآن خراب إلا قليلاً »[٢] . وجاء في المراصد : «الصلح كورة فوق واسط لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يسمى فم الصلح » . وقد وصف ابن رسته « فم الصلح » بقوله انها مدينة على شرقي دجلة وبها مسجد جامع وأسواق . اما موضع « فم الصلح » بالنسبة الى «واسط» فقد عينه قدامة في نقطة تقع على سبعة فراسخ من واسط شمالاً[٣].

نستخلص مما تقدم ان « قرية فم الصلح » ونهرها كانا يقعان على الضفة الشرقية من نهر دجلة على خمسة فراسخ (زهاء ٢٤ كيلومتراً) من « قرية نهر

---

(١) راجع كتاب « الاعلاق النفيسة » ص ٩٤—٩٦

(٢) راجع « النجوم الزاهرة » الجزء الثاني ص ١٩٠ والعدد الخامس من « مجلة غرفة تجارة بغداد » لسنة ١٩٤١ ص ٣٧٩ من مقال عنوانه « العملة والمعاملة » للدكتور مصطفى جواد

(٣) كتاب « الخراج » ص ١٩٣—١٩٤

سابس » جنوباً ، وعلى سبعة فراسخ (زهاء ٣٤ كيلومتراً) من واسط شمالاً ، وان « قرية فم الصلح » كان بها مسجد جامع وأسواق . وقد دلت تحرياتنا الخاصة في هذه المنطقة على أن الموضع الوحيد الذي ينطبق عليه هذا الوصف هو التل المعروف اليوم بـ « تل ابي غريب » ، اما النهر الذي كان يعرف بـ « نهر فم الصلح » فهو النهر القديم المعروف اليوم بـ « الجاليات » ، وهو النهر الواقع في جوار التل المذكور . ويقع « تل أبي غريب » على الضفة الشرقية من شط الدجيلة (مجرى دجلة القديم) في شرق « تل سابس » بميل قليل نحو الجنوب على نحو ٢٤ كيلومتراً منه ، كما انه يقع في شمال مدينة «واسط» بميل قليل نحو الغرب على نحو ٤٠ كيلومتراً منها . و « تل أبي غريب » هو التل الوحيد في هـــذه المنطقة الذي يشتمل على خرائب واسعة تدل على وجود اسواق ومسجد جامع فيها حسب وصف ابن رسته ، إذ تبلغ مساحة هذه الخرائب زهاء ٠٠٠ر١٢٠م[٢] (حوالي ٥٠ مشارة) . أما « نهر جاليات » فيتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة (مجرى دجلة القديم) من أمام « تل سابس » وبعد أن يسير نحو خمسة كيلومترات على محاذاة « شط الدجيلة » من جهة الشرق يصل الى تل مرتفع يسمى « تل مدهلز » ومن ثم يمتد تسعة كيلومترات اخرى في نفس الاتجاه فيصل الى تل آخر يسمى «تل جاليات» عليه نقطة تثليث رئيسية . وهنا تتفرع شعبة من ضفته اليمنى تمتد مسافة بضعة كيلومترات حتى تنتهي الى موضع « تل أبي غريب » (قرية فم الصلح) . أما النهر الرئيسي فيمتد من قرب «تل جاليات» متجهاً الى الشرق نحو مجرى دجلة الحالي فينتهي الى الاهوار الواقعة في جنوب « علي الغربي » . وهناك تلول أثرية كثيرة تجاور النهر في امتداده هذا منها « الكباب » و « المجيرش » و « المناخ » و « أبو خافورة[١] » و « السحول »

(١) يحتمل ان « تل ابي خافورة » هو موضع قرية « الفاخرانية » التي ذكرها عباس بن محمد بن احمد بن السيد رضوان المدني في كتابه « مختصر فتح رب الارباب » بقوله انها « قرية بالعراق من سواد واسط » .

و « كباب السادة » و « مغيريف » و « مشيحيف » و « أبو الفضل » و « غلية » .
و يعد « نهر الجاليات » اكبر نهر يتفرع من الضفة الشرقية لشط الدجيلة في المنطقة التي تمتد بين « واسط » و « سابس » ، فيبلغ عرضه ٩٠ الى ١٠٠ متر في الصدر ويقع في وسط الطريق الذي يسير بين الكوت وشيخ سعد . أما الفرع الذي يتجه نحو « تل أبي غريب » (قرية فم الصلح) فيبلغ عرضه حوالي ٥٠ متراً.

وتشاهد على الضفة الشرقية من شط الدجيلة أيضاً آثار انهر قديمة في جنوب « نهر الجاليات » ، بينه وبين « واسط » ، أولها من الشمال يقع على حوالي ١٨ كيلومتراً من « واسط » شمالاً ، ويعرف بأسم « نهر الطرّيعة » (بتشديد الراء)، ويسير هذا النهر الى الشرق بانحراف قليل الى الجنوب وينتهي الى الارض المنخفضة الواقعة غربي مجرى دجلة الحالي في جنوب علي الغربي بقليل . وهناك تلول أثرية كثيرة تجاور النهر في امتداده هذا منها « كبة كباشي » و « أبو المغاريج » و « أبو الجرعان » و « كبة سكران » و « أبو الرصيّص » و « التليل » و « المدج » . وهناك آثار تل على انه كان يتفرع من نهر الطرّيعة فرع يأخذ من الضفة اليسرى للنهر في نقطة تقع على بعد كيلومترين من صدره ، ويسير هذا الفرع نحو الشمال الشرقي متجهاً نحو « ايشان أبي خافورة » . والى الجنوب من صدر « الطرّيعة » على ثلاثة كيلومترات منه تتفرع عدة أنهر من الضفة نفسها ، أولها يقع عند التل المسمى « تل حصان أبي طبرة الكبير »(١) . وتمتد هذه الصدور بضعة كيلومترات ثم تنتهي الى نهرين رئيسيين أولهما من الشمال يقع عند صدره تل كبير يقال له « تل حصان أبي طبرة الصغير » ، ويمتد هذا النهر شرقاً

(١) أشار ياقوت في « المشترك » الى قرية باسم « قرية طبرية » ووصفها بقوله انها من قرى واسط ، ويحتمل ان تكون تسمية « أبي طبرة » تحريفاً لكلمة « طبرية » ، وعلى هذا قد يجوز لنا ان نعتبر تل « حصان ابي طبرة » الموضع الذي كانت فيه قرية « طبرية » المذكورة .

باتجاه التل المسمى « تل أبي ضباع » ، أما الثاني وهو الفرع الجنوبي فيسمى « نهر حصان أبي طبرة الصغير » ويمتد الى جهة أهوار دجلة منتهياً الى ناحية كميت . وهناك تلول أثرية كثيرة تجاور هذا النهر وهي : « ايشان الاطران » ، «الكوشة» ، « شميرة » ، «أم دويبة» ، «محكان» ، «السدود» ، «مهناية » ، «النترات » ، « كريشة » ، « االجمبة » ، « الخربة » ، « تل درتاية » .

ويحتمل ان تكون هذه الانهر من بقايا كورة « المبارك» ، وهي الكورة التي وصفها ياقوت بقوله انها كورة واسعة من دجلة في شمال «واسط» منها «فم الصلح» الواقعة جنوب « قرية نهرسابس » ، واعل «نهر أبي طبرة» الذي تقدم ذكره هو من بقايا « نهر المبارك » الذي ذكره ياقوت أيضاً بقوله انه نهر يقع « فوق واسط بينهما ثلاثة فراسخ احتفره خالد بن عبد الله القسري الذي كان والياً على العراق فسماه المبارك» . ويتضح من ذلك ان « نهر المبارك » كان يقع في جنوب « نهر الصلح » بينه وبين « واسط » وهذا ينطبق على موضع « نهر حصان أبي طبرة » أو « نهر الطريّة » المتقدمين .

ويظهر مما ذكره التنوخي ان النهرين « المبارك » و « الصلح » كانا اقطاعاً لأم الرشيد الخيزران وقد انشأت سداً على دجلة فيجوارها لرفع مناسيبالمياه وتغذيتهما بالمياه بمستوىعال، وهوالسد الذيكانيعرف بـ «اسناية الخيزران»، ثم خرّب السد الأمر الذي أدى الىخراب النهرين أيضاً ، وجاء بعد ذلكالناصر لدين الله فأعاد انشاء السد باشراف صاعد بن مخلد وحصل على ايراد كبير من غلات هذه المنطقة[1] .

ولا تزال «رصافة واسط » التي عين المؤرخون موضعها على عشرة فراسخ من جنوب « واسط »[2] تعرف باسمها القديم الذي كانت تعرف به في العصر

(١) راجع كتاب « جامع التواريخ » للتنوخي الجزء الثامن ص ٨٩ــ٩٠

(٢) ذكرها ياقوت بقوله : « رصافة واسط هي قرية بالعراق من اعمال واسط بينهما عشرة فراسخ » ، وقد أيد قدامة ذلك في كتاب « الخراج » بقوله ان المسافة من واسط الى الرصافة عشرة فراسخ .

العباسي ، فهي تعرف اليوم بالرصافة بدون نسبة ، إذ لا رصافة غيرها في انحائها، وموقعها بين شط الغراف وبين دجلة الحاليين فيما يسمى بـ «جزيرة السيد احمد الرفاعي» على نحو ٢٦ كيلومتراً من شمال شرقي مدينة «الرفاعي» . اما موقعها بالنسبة الى اطلال «واسط» فهو الى الجنوب منها تماماً على نحو خمسة واربعين كيلومتراً منها في الجانب الغربي من «شط الاخضر» على نحو سبعة كيلومترات منه . وتشاهد تلول اثرية في شمال اطلال «الرصافة» منها «تل الـگراية» بكاف فارسية (أي القراية) و «تل الدهيمي» ، ولعل هذه التلول من آثار ضواحي مدينة «الرصافة» .

ويلاحظ ان قرية «الرصافة» هذه كانت تقع على نهر يسمى «نهر ميمون»، وهو النهر الذي وصفه ياقوت بقوله : «ميمون بمعنى المبارك نهر من اعمال واسط قصبته الرصافة وكان أول من حفر الميمون وكيلاً لأم جعفر زبيدة بنت أبي جعفر المنصور يقال له سعيد بن زيد» . وجاء في المراصد : «الميمون نهر من أعمال واسط قصبته الرصافة وكانت فوهته حين حفر في قرية تدعى قرية ميمون وحولت بعد ذلك وسمي الميمون لئلا يسقط عنه اسم اليمن» .

ولا تزال آثار «نهر الميمون» ماثلة للعيان فتعرف اليوم باسم «شط الابيض» وهو نهر قديم يخترق اطلال «الرصافة» من وسطها فيشطرها الى شطرين . وتدل الآثار على جانبي الشط المذكور على ان هناك جسراً من الآجر كان على النهر في مدينة «الرصافة» . ويسير «شط الابيض» هذا الى الجنوب الغربي من «الرصافة» ثم يتصل بجدول قديم ذي ضفاف عالية يقال له «خيط العوية» (بفتح الواو وتشديد الياء)، وبعد ان يسير هذا الخيط بضعة كيلومترات ينتهي إلى تل أثري يسمى «تل توني» . ويبلغ عرض شط الابيض عند الرصافة حوالي ٦٠ متراً .

وتشاهد في الشمال الشرقي للرصافه اطلال قريه «فاروث» القديمه ، وهي

القرية التي ذكرها ياقوت معرّفة وقال انها «قرية كبيرة ذات أسواق على شاطيء دجلة بين واسط والمذار». ولا تزال هذه القرية تعرف باسمها القديم الذي كانت تعرف به في زمن ازدهارها ، وهي تبعد نحو تسعة عشر كيلومتراً من الرصافة على الجانب الشرقي من «نهر الاخضر» على نحو اثني عشر كيلومتراً منه .

والى الجنوب الشرقي من أطلال « الرصافة » على ١٦ كيلومتراً منها تشاهد بقايا « قرية المنائس » ، وهي القرية التي نسب اليها سراج الدين محمد بن أبي فراس المنايسي قاضي قضاة بغداد[1] . ولا تزال تعرف أطلال هذه القرية باسم « تل المنائس » ، ويقع هـذا التل على ثلاثة كيلومترات من شرقي شط الاخضر (نهر دجلة القديم) وعلى زهاء ١٨ كيلومتراً من غرب موضع « السيد أحمد الرفاعي » يميل الى الجنوب وعلى أربعة كيلومترات من جنوب ايشان «أبي ركبة». وتتكوّن الاطلال من تلين ، التل الغربي، وهوالتل الكبير الذي تقع عليه القرية الرئيسية،والتل الشرقي، وهو تل صغير يقع على نحو مائتي متر من التل الاول. ويستدل من وضع الأراضي ان هناك نهراً كان يتفرع من الضفة اليسرى من دجلة فيخترق القرية شاطراً اياها الى شطرين،غربي وشرقي ، ثم يجري شرقاً حتى ينتهي الى الاهوار . وتدل الآثار المبعثرة على الجانب الايمن من هذا النهر ان القرية كانت تمتد حوالي الكيلومتر على محاذاة ذلك الجانب من النهر .

أما «السيد احمد الرفاعي» المتقدم ذكره[2] فلا يزال قبره يزار وهو يقع وسط

---

(١) ذكره ابن الفوطي في كتابه « الحوادث الجامعة » وقال انه كان في مبدأ أمره مدرساً في المدرسة البشيرية ثم نقل الى القضاء وخطب بجامع الخليفة وهو قاض وولي القضاء بعد عز الدين احمد الزنجاني . توفي في شهر رمضان من سنة ٦٧٠ هـ . ودفن في الضفة التي تقابل ضريح الشيخ معروف (راجع ص ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧١) .

(٢) هو الشيخ احمد بن أبي الحسن علي بن يحيى الشهير بالرفاعي الحسيني الانصـــاري (٥١١ هـ ـــ ٥٧٨ هـ) مؤسس الطريقة الرفاعية . «ولد في قرية حسن من اعمال واسط وتفقه وتأدب في واسط وتصوف فانضم اليـــه خلق كثير من الفقراء وكان لهم به=

«جزيرة السيد أحمد الرفاعي»، ويتكوّن هذا المزار من قبّة وصحن ومنارة يظهر انها حديثة البناء . وقد انشيء المزار في قرية « أم عبيدة » ، وهي القرية التي لا تزال اطلالها ماثلة للعيان حوالي القبر[1]. ويظهر ان قرية « أم عبيدة » كانت عامرة عندما زارها ابن بطوطة في حوالي أواسط القرن الرابع عشر للميلاد (حوالي منتصف القرن الثامن الهجري) فذكرها في رحلته كما ذكر « قبر السيد أحمد الرفاعي » وهذا نص روايته قال : ـ ولما نزلنا مدينة واسط اقامت القافلة ثلاثاً بخارجها للتجارة فسنح لي زيارة قبر الولي ابي العباس احمد الرفاعي وهو بقرية تعرف بأم عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين ان يبعث معي من يوصلني اليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة وأركبني فرساً له وخرجت ظهراً فبت تلك الليلة بحوش بني أسد[2] ووصلنا في ظهر اليوم الثاني الى الرواق وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصادفنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي العباس الرفاعي الذي

= اعتقاد كبير — توفي في قرية أم عبيدة بالبطائح بين واسط والبصرة وقبره الآن محطـــة رحال الجماهير من سالكي طريقته ... وفي كتاب عجائب واسط لابن المهذب أن عدة خلفاء الرفاعي وخلفائهم بلغ مئة وثمانين الفاً في حال حياته — وجمع بعض كلامه في رسالة سميت « رحيق الكوثر » (راجع « معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف الياس سركيس ، طبعة مصر ص ٩٤٧) .

(١) ذكر ياقوت « أم عبيدة » بقوله انها قرية من البطائح سكنها الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الحسن الرفاعي » .

(٢) يوجد تلان اثريان مابين « واسط » و « السيد أحمـــد الرفاعي » يعرفان باسم « حويش » ، اولهما يقع في جنوب مدينـــة واسط على الساحل الايسر من شط الدجيلة على نحو ثمانية كيلومترات منها ، أما التل الآخر فيقع على بعد حوالي خمسين كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من واسط ، وعلى بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من السيد أحمد الرفاعي شمالا ، وقد يجوز لنا ان نستنتج من وصف ابن بطوطة المتقدم ان التل الأخير هو من بقايا قرية « حوش بني أسد » التي قضى ابن بطوطة ليلته فيها (راجع مرتسم الجزء الأخير من مجرى دجلة في العهد العباسي) .

قصدنا زيارته وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارته قبر جده واليه انتهت الشياخة بالرواق ».

٧ ـ الطور الرابع من تطورات مجرى دجلة

تدل الروايات التاريخية على ان نهر دجلة بقي في طوره الثالث على اتجاهه الذي يسير نحو «واسط» حتى القرن العاشر للهجرة ، وقد ظلت المدن والقرى الاسلامية الواقعة على جانبيه عامرة خلال مدة سيره في هذا الاتجاه الى ان أخذت دجلة تتحول الى المجرى الشرقي الذي يسير نحو العمارة الحالية مرة أخرى عائدة الى المجرى الذي كانت تسير فيه في طورها الثاني خلال الستة قرون الاولى من العهد الميلادي . وقد تم هذا التحول الذي يدخل مجرى النهر في طوره الرابع الأخير في حوالي أواخر القرن الحادي عشر الهجري . وتدل المعلومات التاريخية المتوفرة على أن أول من ذكر ان مجرى دجلة الشرقي الحالي الذي يسير نحو العمارة صالح للملاحة سائح برتغالي مجهول الهوية قام برحلة نهرية بين البصرة وبغداد في سنة ١٥٥٥ م (٩٦٣ هـ) ، وقد دون هذا السائح تفاصيل رحلته في كتاب مخطوط في حوزة المستر م . هيوم (M . Hume)[1] ، ثم جاء ما يؤيد ذلك فيما كتبه جون نيوبري الذي قام بنفس الرحلة في سنة ١٥٨١ م (٩٨٩ هـ) بين بغداد والبصرة[2] وجون الدريد الذي قام بالرحلة نفسها في سنة ١٥٨٣ م (٩٩١ هـ)[3] ذلك مما يدل على ان معظم مياه نهر دجلة

---

(١) راجع البحث عن هذا المخطوط في مجلة الآثينيوم الصادرة بتاريخ ٢٣ مارت ١٩٠١ ص ٣٧٣ .

« The Athenoeum, » March 23d, 1901, P. 373.

(٢) راجع كتاب « رحلة جون نيوبري » وعنوانه بالانكليزية :ـــ

« The Voyage of John Newberie » Purchas, *His Pilgrimes* (Folio, 1625-26) P. 1411, *1412*.

(٣) راجع كتاب « رحلة جون الدريد » وعنوانه بالانكليزية :ـــ

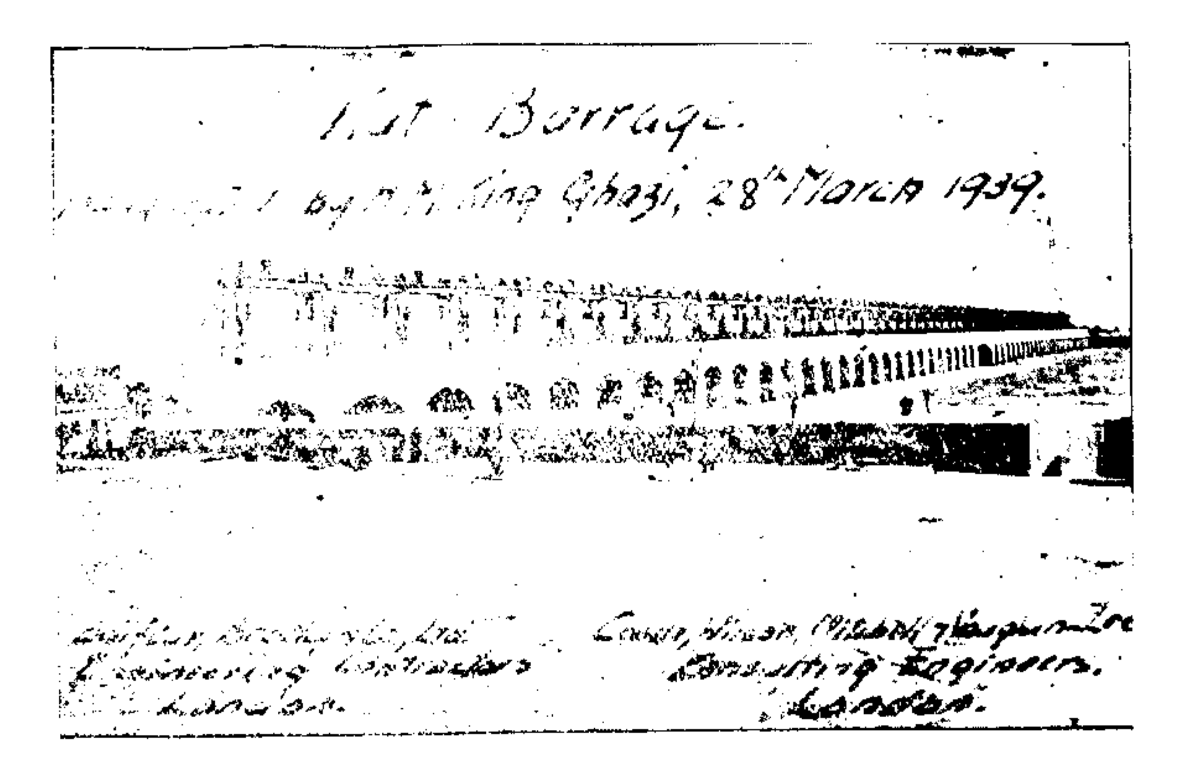
« The Vayage of John Eldred » Hakluyt, Principal Navigations (Glascow, 1904), vi, *P*. 6

كانت تجري آنذاك باتجاه فرع العمارة أي باتجاه المذار والعبدسي . ويستدل مما كتبه نعمة الله الجزائري من أهل واسط في سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) ان مجرى واسط قد تم تحوله نهائياً الى جهة مجرى العمارة في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، اذ ذكر ان « مدينة واسط » هجرت هجراً تاماً آنذاك لنضوب الماء في عقيق النهر المار بها[1] . فاذا اعتبرنا ان مجرى دجلة أخذ يسير نحو واسط في السنة السادسة للهجرة فتكون مدة سيره في هذا الاتجاه ، أي عمره في طوره الثالث ، حوالي الف عام .

وهكذا نرى أن نهر دجلة ظل آلاف السنين تحت نير الطبيعة ، تارة تسوقه نحو « لكش » ، وطوراً تأخذ به صوب العمارة الحالية ، فبعد أن كان في جهة « لكش » في اول عهده تحول شرقاً الى جهة العمارة حوالي أوائل العهد الميلادي، ثم عاد الى جهة « لكش » في اوائل العهد الاسلامي، ورجع مرة أخرى الى جهة العمارة في حوالي القرن الحادي عشر الهجري، وقد بقي منذ ذلك الوقت في هذه الجهة الاخيرة حيث يجري في الوقت الحاضر . ويلاحظ ان مجراه بقي طيلة هذه المدة خاضعاً لمشيئة الطبيعة حتى قيض الله المغفور له جلالة الملك فيصل الاول فجاء بتصريحه الخطير ، ذلك التصريح التاريخي الجريء « لا مشروع قبل الغراف » ، وكان ان انشئت قناطر الكوت الحالية ، فوطدت دعائم الاستقرار بتنظيم المياه بين المجريين - مجرى العمارة الشرقي ومجرى واسط الغربي[2] . وما

(١) راجع كتاب « زهر الربيع » طبعة النجف ص ١١٧ .

(٢) انشئت هذه القناطر بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٩ على مجرى دجلة في نفس مدينة الكوت الحالية لتنظيم المياه بين نهر دجلة الرئيسي الذي يسير نحو العمارة الحالية وبين شط الغراف الذي يسير اليوم في اتجاه مجرى دجلة القديم حين كان يسير صوب واسط . وشط الغراف يتفرع من نهر دجلة الحالي عند مدينة الكوت في شمال صدر مجرى واسط القديم بقليل ويجري موازياً ذلك المجرى من ناحية الغرب حتى ينتهي الى جهة « لكش » ، وهي الجهة التي كان ينتهي اليها مجرى دجلة الرئيسي في العهدين البابلي والعربي كما تقدم شرحه . والغرض من انشاء مشروع قناطر الكوت هو حجز المياه في نهر دجلة لرفع مستواها في موسم الصيهود وسحب الماء الى شط الغراف حسب الحاجة . أما كلفة بناء هذه القناطر فقد بلغ حوالي مليون =



قناطر الكوت الحديثة

قناطر الكوت هذه إلا تجديد لقناطر الخيزران التي كانت قد انشئت في جوار القناطر الحالية على عهد الساسانيين الفرس أولا ، ثم جددت على عهد العرب في زمن خالد بن عبد الله(١)، وها هي تجدد اليوم من قبل حكومة العراق الحديثة لتحقيق نفس الغرض الذي كانت قد انشئت من اجله قبل اكثر من الف وثلثمائة سنة . ويخال لنا ان الفرق بين قناطر الخيزران القديمة وقناطر الكوت الحديثة ينحصر في كون قناطر الكوت الحديثة بنيت على طراز فني حديث ، وهو احدث طراز عرفه الفن الجديد بحيث تستطيع معه مقاومة أشد تيارات دجلة ، في حين ان قناطر الخيزران القديمة لم تكن من المتانة والضخامة بدرجة تستطيع معها أن تصمد أمام تيار دجلة مدة طويلة .

= وربع المليون من الدنانير وقد افتتحها رسمياً المغفور له جلالة الملك غازي الأول بتاريخ ٢٨ مارت ١٩٣٩ (راجع التفاصيل عن هذه القناطر في كتابنا « تطور الري في العراق » ص ١٢٨ — ١٣٧ وتصويرها اعلاه).

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذه القناطر في ص ٤٢٨ و ٤٣٠ و ٤٤٥ و ٤٥٢

ك ـ « طسوج النهروان الاسفل »

بحثنا فيما تقدم عن تطور مجرى دجلة في القسم الأخير منه ، وهو القسم الذي كان ينتهي اليه مجرى النهروان ، ونعود الآن الى بحثنا عن « طسوج النهروان الاسفل » ، وهو الطسوج الذي كان يمتد على جانبي النهروان ما بين حوالي الكيلومتر (٢٠٠) من مجراه والذنائب . وكانت ضمن هذا الطسوج عدة فروع تتشعب من جانبي النهر ، الفروع الشرقية تنتهي الى منخفضات الشويجة ، وهي المنخفضات التي كان ينتهي اليها نهر ديالى عندما كان يسير في اتجاه مجرى الروز الحالي[1]، اما الفروع الغربية فكانت تنتهي الى الضفة الشرقية لنهر دجلة . وأول هذه الفروع ثلاثة انهر متقاربة من بعضها تتشعب من شمال الموضع المسمى « تل محارب » الواقع على الضفة الغربية من النهر عند الكيلو متر (١٩٩½) من مجراه ، فتمتد هذه الانهر الى الجنوب في المنطقة الواقعة شرق العزيزية الحالية وتنتهي فروعها الى خرائب « المدينة » الواقعة على مسافة سبعة كيلومترات من جنوب شرقي « تل محارب » . ويشاهد في شمال صدور هذه الانهر الثلاثة مباشرة آثار على ضفتي النهروان لعلها من بقايا احدى القرى الساحلية على مجرى النهروان . ومن جنوب « تل محارب » ينحرف مجرى النهروان الى الشرق قليلاً وبعد ان يسير مسافة قليلة على شكل متموّج في هذا الاتجاه يصل الى التل الأثري المسمى « ايشان المالج » ، وهو تل واسع يقع على الضفة الشرقية من النهروان على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من شرق « تل محارب » ، ثم يستمر النهروان في الاتجاه الجنوبي الشرقي مسافة حوالي ستة كيلومترات فيصل الى احد الفروع الشرقية المهمة ، وهو الفرع المسمى « خور الدرب». ويوجد في شمال «خور الدرب» على مسافة نحو كيلومترين منه فرع آخر

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى ديالى القديم الذي كان يسير في اتجاه منخفضات الروز في ص ١٥٩ و ٣٨٠ ـ ٣٨٢ .

يتفرع من الضفة الشرقية أيضاً ويمتد هذان النهران الى الشرق نحو منخفضات مجرى ديالى القديم . ويشاهد في المسافة التي بين «ايشان المالح» وصدر النهر الذي يتفرع من شمال « خور الدرب » خرائب كثيرة على ضفتي النهروان يستدل منها على انه كانت هناك قرى كثيرة مزدحمة بالسكان والعمران .

ومن أهم الفروع التي تتشعب من مجرى النهروان في جنوب «خور الدرب» خيوط « قبة الخياط » التي تأخذ من الجانب الشرقي للنهروان في نقطة تقع على حوالي خمسة كيلومترات من صدر « خور الدرب » وانهر « حليفية » الواقعة في جوار الكيلومتر (٢٢٠) من مجرى النهروان . وتتكون انهر « حليفية » هذه من اربعة أنهر اثنان يتشعبان من الضفة اليمنى واثنان من الضفة اليسرى . ويشاهد على أحد النهرين الشرقيين في الموضع المسمى « فوبخرة » آثار بناء من الآجر يعتقد انه من بقايا ناظم قديم كان قد انشيء على هذا الفرع لغرض توزيع المياه ، وقد عثرنا في هذا الناظم على مادة مستعملة في اكساء الفتحات الصغيرة التي نعتقد انها قد انشئت في الناظم لغرض ازالة الترسبات من الصدر ، هي أشبه شيء بالاسمنت الحديث من حيث اللون والصلابة ، وقد اودعنا أمر تحليل هذه المادة الى زميلنا الاستاذ السيد شيت نعمان المدير العام للمباحث الصناعية ، فتفضل بتحليلها وفحص تركيبها ، وقد وضع مذكرة بالنتائج التي توصل اليها في هذا الموضوع يجدها القاريء في آخر الكتاب ، وقد كانت هذه المذكرة موضوع محاضرة القاها على أعضاء نادي القلم العراقي في جلسته المنعقدة في يوم ٧ ايلول ١٩٤٨ .

ل ـ مصب النهروان في دجلة

كان النهروان في حوالي أواخر القرن الثالث الهجري ينتهي الى « طسوج النهروان الاسفل » فيصب في الجانب الشرقي لنهر دجلة في جنوب الكوت

الحالية بشيء يسير ، فلما أخذ يضمحل شيئاً فشيئاً قلّت المياه فيـــه بحيث انها لم تصل بعد ذلك الى أبعد من « جبّل » . أما في آخر عهده فـكان يقف عند « جرجرايا » فيصب في دجلة في جوارها . وكان ابن سرابيون أول من أشار الى ان النهروان ينتهي الى جنوب الكوت الحالية بقوله : «ان النهروان بعد أن يمر الى اسكاف بني الجنيد وهي مدينة في جانبين والنهر يشقها يمر بين قرى متصلة وضياع مادة الى أن يصب في دجلة أسفل ماذرايا بشيء يسير في الجانب الشرقي » . أما مدينة « ماذرايا » فقد وصفها ياقوت بقوله انها « قرية فوق واسط من اعمال فم الصلح مقابل نهر سابس والآن قد خرب اكثرها اخبرني بذلك جماعة من أهل واسط ... وقد ذكر الجهشياري في كتاب الوزراء قال استخلف أحمد بن اسرائيل وهو يتولى ديوان الخراج للحسن بن عبد العزيز الماذرائي من طسوج النهروان الاسفل » . وقد عين اليعقوبي موقع مدينة « ماذرايا » ما بين « جبّل » و « المبارك » وذكر انها منزل اشراف العجم قديمة »[1] . وقد ايد ابن رسته وصف ابن سرابيون حول مصب النهروان في اسفل جبّل بقوله : « ويخرج النهروان من جبال ارمينية ويمر بباب صلوى ويسمى هناك تامرا ويستمد من القواطيل فاذا صار بباجسرى سمي النهروان ويصب في دجلة اسفل جبّل » .

ويغلب على الظن ان مدينة « ماذرايا » كانت تقع في مكان ما غير بعيد من مدينة الكوت الحالية ولعلها كانت في موضع مدينة الكوت نفسه ، ونميل الى الاعتقاد بان النهر القديم الواقع في جنوب الكوت المعروف اليوم بالسن ، وهو النهر الذي لعب دوراً مهماً في حصار الكوت في الحرب العالمية الاولى ، هو من بقايا ذنائب النهروان في أول أدوار مصبه في دجلة ، كما ان النهر القديم الذي يسير على

---

(١) راجع « البلدان » طبعة النجف ص ٨٣

محاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة في شمـــال الكوت ، وهو النهر الذي يسير في وسطه طريق بغداد ـ الكوت الحالي لمسافة حوالي اثني عشر كيلومتراً ، هو من بقايا ذنائب النهروان أيضاً .

وهناك مايدل على أن النهروان بعد أن تحوّل مجرى دجلة من الجهة الشرقية التي كان يسير فيها نحو «المذار» و«المبدسي» الى الجهة الغربية صوب «الكش» في صدر الاسلام مدّت ذنائبه نحو عقيق دجلة الشرقي لارواء الأراضي الواقعة عليه ، ففتحت عدة فروع من ذنائب النهروان من قرب مصبه في جوار « ماذرايا » وسيّرت على محاذاة مجرى دجلة الشرقي المندرس لارواء أراضيه الزراعية . ولنا في الآثار الحالية لمجرى النهروان وضفافه العالية في ذنائبه عند « السن » من الادلة الـكافية على ان النهروان وسّع في زمن العرب في ذلك القسم لشق فروع جديدة منه تسير نحو دجلة العوراء للغرض المذكور[1] .

اما حول مصب النهروان بعد ذلك في «جرجرايا» فقد أشار المسعودي الى ذلك في كتاب التنبيه (ص ٥٣) بقوله : « ان النهروان بعد أن يمر بعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد يصب الى دجلة بناحية جرجرايا» . وقد ثبت ان «جرجرايا» كانت تقع في جوار صدر « نهر الشاعورة » الحالي وان « نهرى ابي جلاج » و « سمّر » الذين يأخذان من دجلة في هذا المـكان ويمتدان في شبه جزيرة « الدبوني » الحالية هما من جملة الفروع المتشعبة من ذنائب النهروان في آخر عهده (راجع المرتسم الذي يبين الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان عليه في العهد العباسي) .

م ـ الطسوجان « بادرايا » و « باكسايا »

هذا فيما يختص بطساسيج النهروان الثلاثة ، « طسوج النهروان الاعلى »

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٤٢٥ — ٤٢٦

و « طسوج النهروان الاوسط » و « طسوج النهروان الاسفل » ، اما فيما يختص بالطسوجين « بادرايا » و « باكسيا » فالثابت انهما كانا يقعان في موضعي « بدرة » و « بكساية » الحاليين الواقعين بالقرب من الحدود الايرانية العراقية، وقد احتفظا باسميهما الاصليين اللذين كانا يعرفان بهما في العهد العباسي . وقد جاء في معجم ياقوت وفي المراصد ان «باكسايا » و « بادرايا » طسوجان كل منهما مجاور للآخر يقعان بين « البندنيجين »[1] ونواحي واسط في أقصى النهروان . وأشار اليعقوبي الى ان الطريق الذي يسلك اليهما من واسط هو الطريق الذي يتشعب من « المبارك » الواقعة على الضفة الشرقية من مجرى دجلة القديم مقابل « قرية نهر سابس »[2] . أما الطريق الحالي الذي يؤدي اليهما فهو الطريق الحالي الذي يتشعب من الكوت ويسير نحو « بدرة » والطريق الذي يتشعب من « شيخ سعد » ويسير الى « باكسايا » ، واذا دققنا موضع قرية « شيخ سعد » بالنسبة الى مجرى دجلة القديم اتضح لنا انها لا تبعد كثيراً عن موضع « المبارك » القديمة (راجع المرتسم الذي يبين الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان عليه في العهد العباسي) .

وقد ظهر لنا ان طسوج «بادرايا» كان يشتمل على منطقة « بدرة » الحالية بما فيها منطقة « زرباطية » و «جصان» الحالية التي تروى من « كلال بدرة »، وقد اشتهر « طسوج بادرايا » منذ القديم حتى يومنا هذا بجودة تموره وعلى الاخص التمر القسب اليابس ، ولعل التمر المعروف الآن باسم « التمر البيدراية »

---

(١) يعتقد ان « البندنيجين » كانت تقع في منطقة مندلي الحالية وقد وصفها ياقوت بقوله انها « بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد وقيل ان البندنيجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان بل كل واحدة منفردة لا ترى الاخرى لكن نخل الجميع متصلة واكبر محلة فيها يقال لها باقطنايا وبها سوق ودار الامارة ومنزل القاضي ثم بويقيا ثم سوق جميل ثم فلشت » .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بقرية « نهر سابس » في ص ٤٤٩

كان قد سمي منذ القديم بهذا الاسم نسبة الى « بادرايا » وقد وصف ياقوت «بادرايا» بقوله انها «طسوج بالنهروان وهي بليدة بقرب باكسايا بين البندنيجين ونواحي واسط منها يكون التمر القسب اليابس الغاية في الجودة واليبس ويقال انها أول قرية جمع منها الحطب لنار ابراهيم عليه السلام». أما طسوج «باكسايا» فيقع في منطقة « بكساية » الحالية التي تروى من النهر المسمى« نهر وادي » ، وهو النهر الذي ينبع في جبال ايران فيمر ببكساية ومن ثم ينتهي الى دجلة فيصب فيها في نقطة تقع على بعد حوالي ١٥ كيلومتراً من شمال قرية « شيخ سعد » الحالية ، ويعرف هذا النهر أيضاً باسم « الجبّاب » عند مصبه في دجلة.

وقد ذكر ابن خرداذبة ان الطسوجين « بادرايا » و « باكسايا » يقسمان الى سبعة رساتيق، وبيادرها مائتان وسبعة بيادر تشتمل على أربعة آلاف وسبعمائة كر من الحنطة وخمسة آلاف كر من الشعير ، هذا عدا ثلثمائة ألف وثلاثين ألفاً من الورق .

الفصل الحادي عشر

النهروان في عهد انحطاطه

١ - تمهيد

شرحنا في الفصول المتقدمة ما كان عليه وضع النهروان في العهد العباسي الزاهر، وخلاصة ما قلناه ان «القاطول الاعلى الكسروي» المتفرع من «الدور» كان يروي الأراضي العليا الواقعة بينه وبين مجرى دجلة القديم ، وهي المنطقة التي كانت تعرف بـ « طسوج بزرجسابور » ، وذلك بفضل السد الغاطس الواقع في ذنائبه والذي كان يحجز كل المياه الصيفية فيحولها الى تلك الأراضي[1] ، كما ان القاطول الاسفل (قاطول ابي الجند المسمى اليوم نهر القائم) ، وهو النهروان الرئيسي بصدريه الصيفي والشتوي ، كان يروي الأراضي الوسطى والسفلى الواقعة على جانبي النهروان والتي تمتد من نهر العظيم حتى مدينة الكوت الحالية[2] . وفي هذا الدور الزاهر كان ينتفع بمياه أنهر « العظيم » و « ديالى » و « الزاب الصغير » كلها في موسم الصيهود لأرواء أراضي العظيم وديالى ، وذلك بفضل السدين المنشأين على النهرين ، ديالى والعظيم ، عند جبل حمرين[3] . هذا في موسم الصيهود ، أما في موسم الفيضان فكان القاطولان ، الأعلى والأسفل، يتحدان بمجرى واحد جنوب السد الغاطس الكائن في ذنائب القاطول الأعلى،

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالقاطول الكسروي في ص ١٥١ و ٢٠٤ والبحث الخاص بطسوج بزرجسابور في ص ١٨٢ و ٢٠٨ و ٣٥٥

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بقاطول أبي الجند (نهر القائم) في ص ١٤٧ و ٢١٢ و ٢٣٦

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بهذين السدين في ص ١٠٩ و ١٦٢ و ٣٨٤

فتسير مياههما في هذا المجرى الموحد (مجرى النهروان) الى أن تصل الى قرب قصبة الكوت الحديثة فتنتهي الى دجلة هناك ، كما كان بعض مياه فيضان نهر ديالى يجري الى النهروان من خلال السدّ الذي في جبل حمرين فينصب في النهروان قرب بعقوبا[1] . وفي الوقت نفسه كانت مياه النهروان الزائدة تصرف الى دجلة في موسم الفيضان عن طريق الجدول المسمى « جدول ديالى » ، وهو الجدول الذي كان يتفرع من الضفة اليمنى للنهروان في نقطة تقع جنوب « مدينة النهروان » بقليل ويصب في دجلة جنوب مدينة بغداد قرب مصب نهر ديالى الحالي[2] . وكان مجرى ديالى ، الذي يقطع جبل حمرين ويجتاز سد ديالى في ذلك المكان ثم ينتهي الى النهروان ، يعرف باسم « تامرّا » ، كما ان مجرى النهروان نفسه بين مصب « تامرّا » عند بعقوبا وبين صدر « جدول ديالى » في جنوب « مدينة النهروان » كان يعرف باسم تامرّا أيضاً[3] .

ولسوء الطالع لم يدم ذلك العصر الذهبي الذي شاهدته البلاد في القرون الثلاثة الاولى من العهد العربي طويلاً ، إذ بدأ التفسخ والوهن يدبّان في جسم المملكة فظهر تأثيرهما بعد أواسط القرن الثالث للهجرة ، نتيجة لتقلّص نفوذ الخلفاء وسيطرتهم على شؤون المملكة ، الأمر الذي أدى أخيراً الى انهيار مشاريع الري في القطر كله . وهنا يدخل دور انحطاط النهروان الذي يبدأ في حوالي أواخر القرن الثالث الهجري (أوائل القرن العاشر الميلادي) وينتهي باضمحلال ذلك المشروع العظيم نهائياً بعد احتلال المغول للعراق في القرن الثالث عشر الميلادي .

---

(١) راجع ما تقدم في ص ١٦٠

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بجدول ديالى المذكور في ص ٣٨٥

(٣) راجع ماتقدم في ص ٣٨٣ — ٣٨٤

٢ ـ انهيار « سد ديالى » القديم ونتائجه

ان أول حادث وقع في هـذا الدور هو انهيار السد القائم على نهر ديالى في جبل حمرين ، وهو السد الذي كانت تحوّل من أمامه مياه ديالى الى جداول الري ، وبالاخص منها مجرى الروز الذي كان يسحب معظم مياه الفيضان فيصبها في « منخفضات مريجة » ومنها الى دجلة جنوب مدينة الكوت الحالية عن طريق « هور الشويجة »[1] . وقد وقع هذا الحادث الخطير حوالي السنة ٣٠٠ هجرية (٩١٢ الميلادية) فأدى الى توسع مجرى تامرا (مجرى ديالى الاعلى) الذي يمتد بين موقع السد في جبل حمرين ومصبه في النهروان عند بعقوبا ، كما أدى الى تخرّب مجرى النهروان في القسم الممتد بين بعقوبا وصدر « جدول ديالى » الذي يتفرع من الضفة اليمنى للنهروان جنوب « مدينة النهروان » ويصب في دجلة جنوب بغداد ، وقد انتهى ذلك أخيراً الى اتصال مجرى تامرّا الاعلى بجدول ديالى الأسفل فتكوّن بذلك المجرى المعروف اليوم بنهر ديالى ، وهو النهر الذي يصب في دجلة جنوب بغداد بقليل . وهكذا فقد رجع نهر ديالى الى مجراه الاصلي الذي كان يسير فيه قبل انشاء السد في جبل حمرين وقبل انشاء مشروع النهروان الذي يسير بين سامراء والكوت . وكانت نتائج ذلك وخيمة بالنسبة الى سكان نهر ديالى من جهة والى سكان النهروان من الجهة الثانية ، لان انهيار السد أدى أولاً الى انقطاع المياه الصيفية عن أكثر الجداول التي كانت تتفرع من نهر ديالى من أمام السد والتي كانت تروي الاراضي الواقعة على جانبي نهر ديالى بين جبل حمرين والنهروان ، ومن جملتها مجرى الروز الذي كان يسحب معظم مياه ديالى في موسم الفيضان فيصبها في دجلة جنوب الكوت ، ثم أدى الى فصل النهروان عن قسمه الأعلى الذي يستمد مياهه من القواطيل من قرب سامراء .

وهكذا بعد ان كانت طساسيج ديالى في أوائل القرن الثالث الهجري

---

(١) راجع ما تقدم في ص ١٥٩ و ٣٨٠—٣٨٢ و ٣٩٤—٣٩٦

(٢٠٤ هـ) في مقدمة الطساسيج المذكورة في قوائم جباية السواد ، وبعد ان كانت لها كورة خاصة بها ، أعني « استان شاذ قباذ »[١] ، أصبحت على حين غرّة أرضا قاحلة بعد انهيارسد ديالى في أواخر ذلك القرن ، فهجرها سكانها وغطتها الرمال إلا ما كان واطئاً من الأراضي المجاورة لنهر ديالى فقد زرعت بعد بذل جهد كبير ، ولذلك انقطع ذكر طساسيج ديالى التي في « كورة شاذقباذ » ، أي « الدسكرة » » و « جلولاء » و « جللتا » و « الذيبين » و « سلسل » و « مهروذ » و « براز الروز » في قائمة جباية السواد لسنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) ، وهي قائمة علي بن عيسى وزير المقتدر كما قرأها فون كريمر[٢] ، أما القسم الواقع فوق جبل حمرين ، وهو « طسوج روستقباذ » ، فاستمرت جبايته لان القسم الشمالي هذا لم يتأثر بانهيار سد ديالى المذكور .

هذا ما يختص بجداول نهر ديالى ، أما ما يختص بالنهروان فبعد ان انقطعت عنه مياه القواطيل بنتيجة انهيار سد ديالى جرت محاولة في بادىء الأمر لتحويل مياه ديالى اليه وذلك بطريق مجرى تامرا الذي يجري بين جبل حمرين والنهروان ، على ان تصرف مياه الفيضان التي تدخل في النهروان الى نهر دجلة بطريق « جدول ديالى » الذي يتفرع من الضفة اليمنى للنهروان جنوب « مدينة النهروان » وينصب في دجلة جنوب مدينة بغداد[٣] ، إلا ان هذه المحاولة لم تجد نفعاً لأن مجرى النهروان لم تكن له سعة كافية لاستيعاب كل مياه فيضان ديالى التي يرتفع تصريفها في بعض الفيضانات العالية الى ما يقرب من ثلاثة آلاف متر مكعب في الثانية . وكان طبيعياً ان يؤدي غزو مياه ديالى لمجرى النهروان الى تمزيق واحتلال القسم الممتد بين بعقوبا وصدر « جدول ديالى » القديم ثم « جدول

---

(١) راجع البحث الذي تقدم عن « كورة شاذ قباذ » في ص ٣٨٠ — ٣٨٣

(٢) راجع « تاريخ التمدن الاسلامي » لجرجي زيدان ، الجزء الثاني ، ص ١٠٧

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى ديالى وعلاقته بالنهروان في الصفحة ٣٨٣

ديالى » نفسه الذي يتصل بنهر دجلة جنوب بغداد . وهكذا تكوّن مجرى نهر ديالى الحالي فشطر النهروان شطرين ، الشطر الأعلى الذي يستمد مياهه من القواطيل وتنتهي فروعه الى الجانب الغربي لنهر ديالى ، قرب مدينة بغداد ، والشطر الثاني الذي يبدأ من نهر ديالى وينتهي الى قرب الكوت ، وهو القسم الذي انقطعت عنه المياه على أثر اختراق نهر ديالى للنهروان وشقه مجرى خاصاً به ينتهي الى دجلة .

٣ـ « مصنعة السهلية » على ديالى

وكان لا بد من القيام بمشروع لايصال المياه الى النهروان الاسفل بعد انقطاعها عنه بغية تأمين استمرار الزراعة والسكنى فيه ، وقد رأى الخبراء بأن أفضل طريقة يمكن معها تحقيق ذلك هو تحويل بعض مياه ديالى الى ذلك القسم من النهروان والاكتفاء بهذه المياه بعد أن أصبح ايصال مياه دجلة الى النهروان عن طريق القواطيل متعذراً . وعلى هذا الأساس انشأوا سداً من الآجر على مجرى ديالى الجديد في جوار فوّهة « جدول ديالى » القديم الذي كان يتفرع من النهروان من جنوب « مدينة النهروان » أو في نفس الموضع الذي يقع عليه ناظم صدر ذلك الجدول ، وقد انشيء هذا السد بفتحات ذات أبواب خشبية تسد في موسم الصيهود لتحويل مياه ديالى كلها الى النهروان ويفتح بعضها في موسم الفيضان لصرف المياه الزائدة الى دجلة عن طريق جدول ديالى القديم الذي يصب في دجلة جنوب بغداد ، وهو الجدول الذي حلّ محله مجرى ديالى بعد انهيار السد الذي في جبل حمرين .

وقد وصف ابن عبد الحق في معجمه السد المذكور مطلقاً عليه اسم « مصنعة » وهو الاصطلاح العربي لمثل هذه السدود الحاجزة التي تحجز بها المياه لتحويلها

الى الجداول الفرعية أو لخزنها[١]، وقد عرفت هذه المصنعة فيما بعد بأسم «مصنعة السهلية». ومما ذكره ابن عبد الحق ان السد كانت له أبواب تسد عند قلة المياه لتحويل مياه ديالى الى مجرى النهروان وتفتح عند زيادتها لسحب بعض المياه الفائضة وصبها في دجلة جنوب بغداد بطريق جدول ديالى القديم ، وقد عيّن موضع المصنعة بالقرب من « مدينة النهروان » . وهذا نص ما ذكره في مادة النهروان، قال : « النهروان نهر يأخذ من تامرّا قد كان على فوهته مصنعة ذات أبواب تسد عند قلّة المياه وتفتح عند زيادته ترد الماء عليه ومدنه وقراه باقية الى الآن لكن ليس فيها أحد لانقطاع الماء عنه بسبب خراب المصنعة التي كانت ترد الماء عليه حتى لم يبق لها أثر وكان على فوهته قرية كبيرة ومدينة فيها سوق كبير وعالم كثير كانت تعرف بالنهروان خربت في زماننا وخلى أهلها عنها » .

وهكذا فقد أصبح النهروان الذي يمتد بين ديالى والكوت يعتمد في ايراده المائي على نهر ديالى (تامرا) بعد أن كان يستمدّ مياهه من دجلة بطريق القواطيل، كما انه أصبح دخول مياه ديالى اليه متوقفاً على صمود «مصنعة السهلية» السالفة الذكر أمام تيار المياه . وباتصال مجرى ديالى اليه (تامرا) بالنهروان صار مجرى تامرا الرئيسي الذي يبدأ عند منابعه في جبال كردستان وينتهي الى أواخر النهروان قرب الكوت يعرف باسم « النهروان» ، والدليل على هذا ان ابن حوقل لما وضع خارطته في حوالي سنة ٣٦٧ هـ رسم مجرى النهروان باعتباره يمتد من حدود اذربيجان وحدود الجبل فيترك مدن قصر شيرين وخانقين وجلولاء والدسكرة الى يساره ثم يصل الى مدينة النهروان وهي على جانبيه ومنها الى

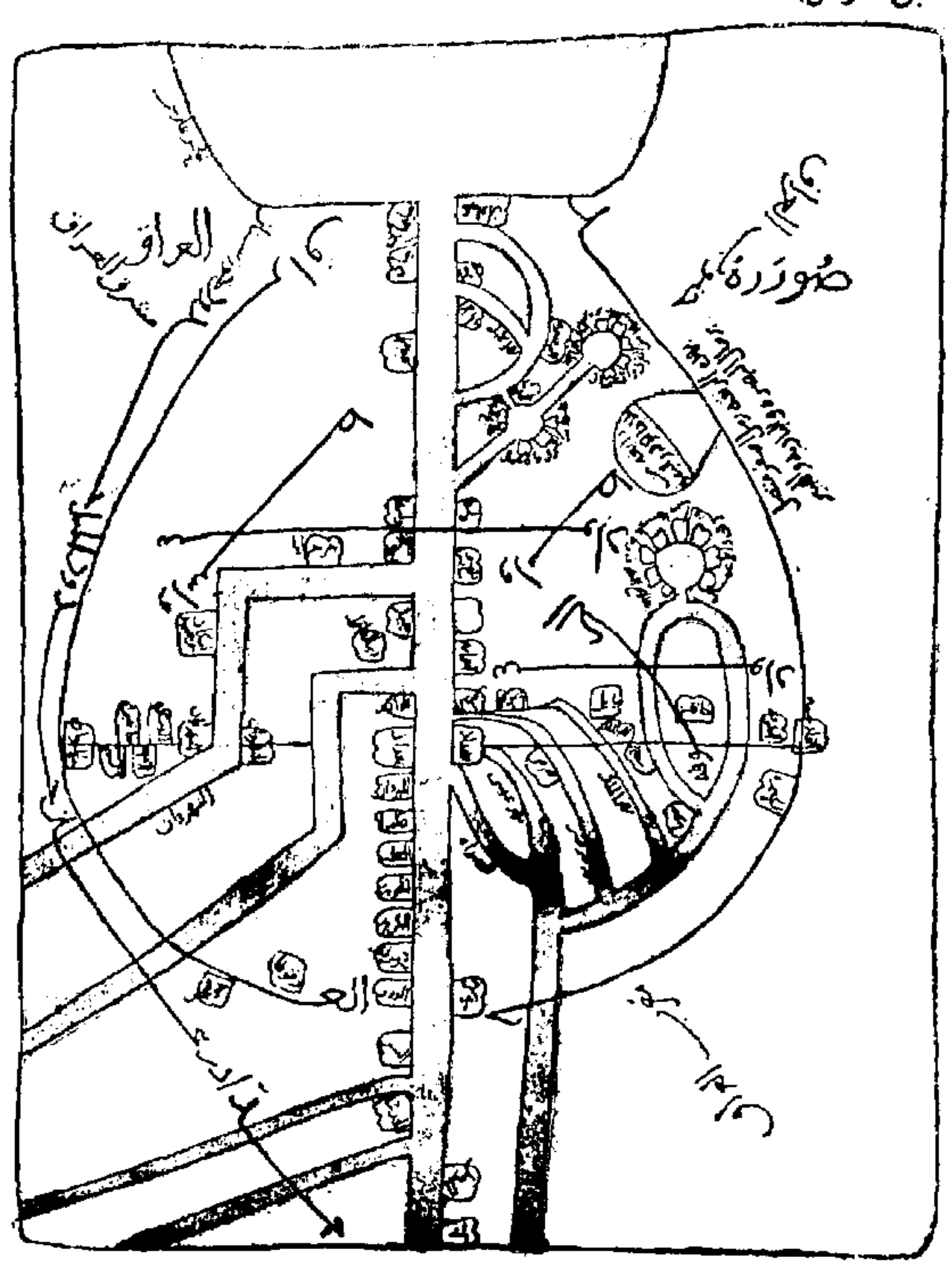
---

(١) جاء في معجم ياقوت في صدد اصطلاح «المصنعة» ما يلي : « قال المفسرون في قوله تعالى (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) المصانع الابنية ... وقال بعضهم هي احباس تتخذ للماء واحدها مصنعة ومصنع ويقال للقصور أيضاً مصانع .

قال لبيد :

بكينا وما تبلى النجوم الطوالع   وتبلى الديار بعدنا والمصانع

اسكاف بني جنيد وجرجرايا الواقعتين على جانبه الايسر حتى ينتهي الى دجلة عنـد فم الصلح مقابل نهر سابس[١] (راجع الرسم رقم ٢٣ « صورة العراق » لابن حوقل) .



رسم رقم ٢٣ — صورة العراق لابن حوقل

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بعصب النهروان في دجلة في ص ٤٦٤

اما تاريخ انشاء « مصنعة السهلية » فان المصادر التاريخية كلهـا تؤيد بأن سد ديالى الذي في جبل حمرين كان عامراً في أواخر القرن الثالث الهجري وان النهروان كان يستمد مياهه في ذلك الوقت من دجلة بطريق القواطيل التي في جوارسامراء ، فضلاً عن بعض مياه فيضان ديالى التي كانت تسال اليه من خلال السد الذي في جبل حمرين[1] . وقد ورد ذكر « مصنعة السهلية » لأول مرة في عهد خلافة الراضي (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ = ٩٣٤ ـ ٩٤٠م) في حوادث بجكم ومحمد بن رائق في سنة ٣٢٦ هـ ، فقد جاء في ذكر هذه الحوادث انه لما قدم بجكم التركي من واسط وهو متجه نحو بغداد كان محمد بن رائق يستعد للقائه وقتاله فبعث من يبثق نهر النهروان الى درب ديالى ، أي انه أرسل من يكسر « مصنعة السهلية » ، إلا ان ذلك لم يمنع بجكم من الاستمرار في زحفه على بغداد حيث نصب على نهر ديالى جسراً عبر عليه وقد عبر بعض اصحابه سباحة فانهزم ابن رائق وصار الى عكبرا[2] .

٤ ـ أهمية « مصنعة السهلية » بالنسبة الى مياه النهروان

نستخلص مما تقدم ان « مصنعة السهلية » انشئت في أواخر القرن الثالث

(١) انظر بصورة خاصة ما كتبه ابن سرابيون حوالي عام ٢٩٠ هـ وما كتبه ابن رسته حوالي الوقت نفسه وهما يؤيدان ان اتصال القواطيل بالنهروان ومدها اياه بالمياه في ذلك الوقت ، ومما كتبه الأخير قوله : « ويخرج النهروان من جبال ارمينية ويمر بباب صلوى ويسمى هناك تامرا ويستمد من القواطيل فاذا صـــار بباجسرى سمي النهروان ويصب في دجلة أسفل جبل » ويقصد هنا بنهر تامرا مجرى ديالى الذي يمتد بين السد في جبل حمرين والنهروان قرب بعقوبا . ونعيد الى ذهن القارىء ما سبق وشرحناه من ان تسمية تامرا كانت تشتمل عدا هـــذا القسم من ديالى القسم من النهروان الذي يمتد بين مصب تامرا في النهروان قرب بعقوبا وبين مخرج جدول ديالى من النهروان جنوب « مدينة النهروان » .

(٢) راجع ياقوت (مادة النهروان) ، كذلك كتاب مسكويه الجزء الاول ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥

الهجري (أوائل القرن العاشر الميلادي) ، ولعلها بنيت في أوائل حكم المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ ـ ٩٣٢م) ، اذ يلاحظ من قائمة جباية السواد لسنة ٣٠٦ هـ ان المصنعة كانت قائمة في ذلك الوقت بدليل ان النهروانات الثلاثة كانت مجباة حينذاك . ويروي ياقوت ان البلد بقي خراباً لمدة اربع عشرة سنة وذلك بعد ان تخرّبت المصنعة في عهد بجكم (سنة ٣٢٦ هـ) «حتى فني أهله بالغربة والموت الى ان قيّض الله معز الدولة أبا الحسين أحمد بن بويه الديلمي (٣٢٠ ـ ٣٥٦ هـ = ٩٣٢ ـ ٩٦٧ م) فسد درب ديالى بعد ان سدّ مراراً فانقلع ووقع الناس منه في شدة فلما قضى الله سدّه عاش اليسير ممن بقي من أهله وتراجعوا اليه» . ويظهر ان معز الدولة قد انتهى من عمله في اعادة انشاء «مصنعة السهلية» في سنة ٣٤٥ هـ إذ ذكر مسكويه ان معز الدولة خرج في تلك السنة «بنفسه الى النهروانات فسد بثقاً بها وكانت النهروانات قد بطلت وكذلك بادوريا فلمّا سد بثوقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقي عشرين رطلاً بدرهم فقالت العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه»[1] .

وقد روى ياقوت نقلاً عن ابن الجراح انه «لما وردنا ناصر الدولة الحسن ابن حمدان الى بغداد في سنة ٣٣١ هـ مستولياً على تدبير الامور بها أطلق عشرين ألف دينار للنفقة على بثق النهروان بالسهلية» . ثم أشار الى رواية ابن الجراح التالية : «وكنا في هذا الموضع بحضرة ناصر الدولة وجرى ذكر هذا البثق بحضر من يواخي وكان عبيد الله بن محمد الكلواذاني صاحب الديوان حاضراً وخاصموا فيه وفيما يرتفع باصلاحه من نواحيه وهي النهروانات الثلاثة وجاذر والمدينة العتيق وشرقي كلواذا والاهواز فقال الكلواذاني وهو في الديوان منذ اربعين سنة هذه بلدان يرتفع منها للسلطان الف الف درهم وخمسمائة الف درهم» . ويستدل من هذا ان العائد المذكور كان يحصل عليه من هذه

---

(٣) كتاب مسكويه ، الجزء الثاني ، ص ١٦٥

المنطقة في سنة ٢٩١ هـ أي قبل انهيار سد ديالى حين كانت تروى من القواطيل ومجرى ديالى (تامرا) .

ويستفاد مما ذكره المؤرخون ان « سد السهلية » كان مصدر قلق شديد لدى رجال الحكم ، فكانوا يبعثون من يعتمدون عليهم الى موقع السد لصيانته والاشراف على تحكيمه ، وكان هؤلاء ملزمين بالمقام هناك حتى ينتهي موسم الفيضان ، وندوّن فيما يلي رواية حكاها مسكويه في صدد العمل على تحكيم سد السهلية في سنة ٣٦٩ هـ تدلنا بجلاء على عظم اهتمام رجال الحكم بهذا السد ومراقبتهم الشديدة للقائمين بتحكيمه والاشراف على صيانته ، قال : « كان بين بثق السهلية وبين مدينة النهروان مدى قريب وكان هناك قبة مبنيّة على السكر وكان المتكلفون بالمقام على السكر يسكنون فيها ويعنم عليهم الذهاب الى جسر النهروان حتى مرة قيل انه لما سد المطهر بن عبد الله بثق السهلية رتب عليه ابراهيم المعروف بالأغرّ وأمره بالمقام عليه ومواصلة تمليته الى حين انقضاء المدود . فأقام ابراهيم على هذا السكر زمناً طويلاً وكان له منزل بجسر النهروان وبينه وبين السكر مدى قريب وكان يخشى الذهاب الى منزله ولو لدخول الحمام حتى مرة ارسل عضد الدولة أحد خواصه الى السكر وأمره أن يمضي على جمازة جمل ويقصد سكر السهلية ويدخل الى القبة التي على ظهر المروحة فان وجد ابراهيم الأغرّ هناك اعلمه انه سيجازى على خدمته وطول ملازمته وادفع اليه هذا الكيس ففيه الف درهم ليصرفه في نفقته وان لم يجده وكان قد دخل الى داره بجسر النهروان فاقصده واهجم عليه في منزله وخذ رأسه واحمله . ولما وجده على السكر ترك الكيس بيده فحمد الله على ذلك »[1] .

وكان الخلفاء يذهبون أحياناً الى موقع « السهلية » للاشراف على تحكيم السد

(١) كتاب « مسكويه » الجزء الثالث ص ٦٩ — ٧٠ .

بانفسهم، فروى لنا الصولي في احداث سنة ٣٣٠ هـ ان الخليفة ذهب بنفسه «الى بثق النهروان يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر ربيع الأول فصلى عليه فما انصرف جنده حتى تهوّر السكر وعاد البثق الى حاله »[1] .

وقد روى ابن الجوزي حادثة اخرى تدلنا على اهتمام اولياء الأمر بتحكيم « سد السهلية » خلاصتها انه لما كان فخر الملك مشرفاً على سكر بثق النهروان وقع رجلان في الخسف فطرح التراب والقصب عليهما فهلكا . واليك ما كتبه في هذا الصدد قال : « وفي يوم الاربعاء سادس صفر سنة ٤٠٣ خرج فخر الملك الى بثق اليهودي[2] بالنهروان فعمل فيه حتى احكمه وأخذ بيده باقة قصب فطرحها فوافقه الناس وحملوا التراب على رؤوسهم ووقع في بعض الخسوف والفوارات رجلان من السوادية فطرح التراب والقصب عليهما فهلكا وكان فخر الملك ساهراً ليلته قائماً على رجله والرجال يعملون حتى ثبت السكر ثم رتب العمال في كل رستاق وعمر البلاد فارتفع في تلك السنة بحق السلطان بضعة عشر الف كر وخمسون الف دينار »[3] .

وروى ياقوت في أخبار أحمد بن علي البتي انه عمل في فخر الملك وهو يسد بثق النهروان قصيدة يصف فيها السكر قال فيها :

إذا أتاه الماء من جانب   عاجله بالسد من جانب

فقال له هذا والله ايها الاستاذ بارد واعاده فحكى البيت وتأمله وقال نعم

---

(١) كتاب « الاوراق » الجزء الثاني ، ص ٢٢٥

(٢) يلاحظ هنا ان ابن الجوزي سمى سد السهلية باسم « اليهودي » واصل ذلك جاء سهواً أو يحتمل ان هناك مكاناً في منطقة « مصنعة السهلية » كان يسمى باسم « اليهودي » ، لأنه لم يكن في ذلك الوقت (أي في سنة ٤٠٣ هـ) أي سكر على النهروان يسترعي مثل هذا الاهتمام غير « سد السهلية »

(٣) راجع « المنتظم » الجزء السابع ص ٢٦٠

والله هو بارد وجمل يعوج على نفسه ويكرّر الانشاد مستبردا له فضحك الملك منه وقطع الانشاد ولم يتممه[١] .

يتضح مما تقدم ان مصنعة السهلية عدّت بمثابة المقياس الذي يقاس به ازدهار النهروان أو خرابه والمفتاح الذي تقفل به المياه عن مجرى ديالى فتتحول الى النهروان ، ويروي المؤرخون حوادث كثيرة حول انهيار المصنعة واعادة انشائها ، وأهم ما ذكر في هذا الصدد الاعمال التي قام بها مجاهد الدين بهروز بين سنة ٥٣٤ وسنة ٥٤٠ هـ ، فقد بنى بهروز السكر مرات عدة حتى انه انفق عليه في سنة ٥٣٦ هـ سبعين الف دينار وبنى قرية قرب السكر سماها المجاهدية « وبنى لنفسه تربة هناك ووصل السلطان عقيب فراغه وجريان الماء في النهر فقعد هو والسلطان في سميرة وسارا في النهر المحفور وفرح السلطان بذلك وقيل انه كاتبه في تضييع المال فقال له فقد انفقت عليه سبعين الف دينار انا اعطيك اياها من ثمن التبن وحده ... » وقد قيل ان بهروز كان لا يزال يعمل على سد بثق النهروان الى أن مات في سنة أربعين وخمسمائة . ويقول ابن الجوزي في هذا الصدد : « ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فمن الحوادث فيها أنه بدأ بهروز يعمل سكر النهروانات فبناه دفعتين وهو يتفجر ثم استحكم في الثالثة وما زال يعمل عليه الى ان مات في سنة أربعين »[٢] .

وقد عزا البعض من المؤرخين العرب موت بهروز الى قيامه باصلاح النهروان واعادة انشاء « سد السهلية » ، ذلك انه ما شرع أحد في هذا العمل إلا مات قبل انجازه ، فكتب القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) في كتابه « آثار البلاد واخبار العباد » في هذا الصدد قال : — « النهروان كورة واسعة بين بغداد

---

(١) « معجم الادباء » الجزء الاول ص ٢٣٩ — ٢٤٠

(٢) كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » لأبن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ ج ١٠ ص ٨٤ ، ٩٥ ، راجع أيضاً كتاب « مختصر مرآة الزمان » طبعة جامعة شيكاغو ص ١١٢ .

وواسط في شرقي دجلة كانت من أجل نواحي بغداد واكثرها دخلاً واحسنها منظراً وابهاها نخراً اصابتها عين الزمان نخربت بسبب الاختلاف بين الملوك السلجوقية وقتال بعضهم بعضاً وكانت ممر العساكر فجلى عنها أهلها واستمر خرابها والآن مدنها وقراها تلال والحيطان قائمة ثم بعد خرابها من شرع في عمارتها من الملوك مات قبل تمامها حتى اشتهر ذلك واستشعر الملوك من تجديد عمارتها وتطيروا بها الى زمن المقتفى (٥٣٠ ـ ٥٥٥ ﻫ = ١١٣٩ ـ ١١٦٠ م) فاراد بهروز الخادم عمارتها فقالوا له ما شرع في عمارتها أحد إلا مات قبل تمام عمارتها فشرع في عمارتها غير ملتفت الى هـذا القول فمات أيضاً قبل تمامها فبقيت على حالها الى زماننا هذا » .

وتلى اعمال بهروز اهمال « المصنعة السهلية » مما أدى الى خراب النهروان نهائياً ، ويظهر انه بقي على هذا الحال منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا[1] . وقد أيد ذلك ابن الأثير الذي كتب في أواخر القرن السادس الهجري بقوله : « وفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة شرع مجاهد الدين بهروز في عمل النهروانات سكر سكراً عظيماً يرد الماء الى مجراه الاول (أي الى النهروان) وحفر مجرى الماء القديم وخرق اليه مجراة تأخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكر وبقي السكر في البر لا ينتفع به أحد ولم يتعرض أحد الى ردّه الى مجراه عند السكر الى وقتنا هذا »[2] . وقد ذكر ياقوت أيضاً بأن « مصنعة السهلية » انهارت منذ ذلك الوقت مما ادى الى خراب منطقة النهروان نهائياً ، فقال : « والنهروان الآن (٦٢٦ ﻫ) خراب ومدنه وقراه تلال يراها الناس بها

---

(١) جاء فيما كتبه الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ ﻫ في كتاب « شذرات الذهب » (ج ٤ ص ١٤) ان السد الذي كان قد اصلحه بهروز عاد فانبثق في سنة ٥٤٦ ﻫ ولعله بقي على هذا الحال منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا .

(٢) ج ١١ ، ص ٥١

والحيطان قائمة وكان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضاً في أيام السلجوقية إذ كان كل من ملك لا يحتفل بالعمارة إذ كان قصده ان يحوصل ويطير وكان أيضاً في ممر العساكر فجلا عنه اهله واستمر خرابه وقد استشأم الملوك أيضاً من تجديد حفر نهره وزعموا انه ما شرع به أحد إلا مات قبل تمامه ...»

وقد كتب أيضاً في مادة « اسكاف بني الجنيد » في نفس المعنى، قال : «واسكاف بني الجنيد الآن خراب بخراب النهروان منذ ايام الملوك السلجوقية كان قد انسد نهر النهروان واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم وتطرقها عساكرهم فخربت الكورة باجمعها » .

٥ ـ موضع « مصنعة السهلية »

اما موضع « مصنعة السهلية » فعلى الرغم من انه لم يبق له أي أثر في الوقت الحاضر إلا ان الزراع القاطنين في منطقة « صفوة » واقفون على موضع السد الاصلي ، وهو الموضع المعروف اليوم باسم « قنطرة البغال » ، وهذا يقع على مجرى ديالى القديم المسمى « شط الاعمى » ، على بعد حوالي كيلومترين ونصف كيلومتر من جنوب غربي موضع « مدينة النهروان » وحوالي ثلاثة كيلومترات من شمال غربي « إمام أبي عرّوج » (راجع الرسم رقم ٢٩) . والمصدر الوحيد الذي يمكن الاستناد اليه حول هذا البناء هو ما كتبه المستر فيليكس جونس قبل حوالي مائة عام حين كان مجرى ديالى يسير في اتجاه موقع السد ، أي في اتجاه شط الاعمى ، وقد سماه «سد بلداي » نسبة الى التلول المعروفة حتى يومنا هذا باسم « تلول الولداية »، وهي التلول الواقعة على الضفة الغربية لنهر ديالى على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات من جنوب غربي موقع السد[1]، ويتضح من

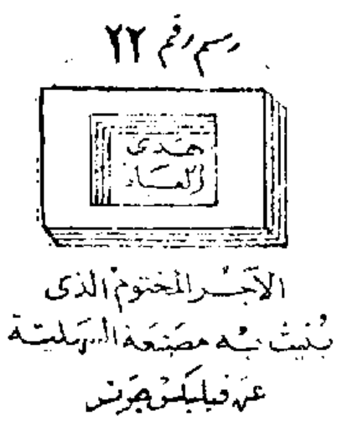
---

(١) تقع « تلول الولداية» المذكورة في شرق الطريق العام الذي يسير بين تل محمد وبعقوبا على مسافة حوالي كيلومترين منه أمام عرب حسن حمزة التي تقع غربي الطريق المذكور .

ذلك ان فيليكس جونس حرّف التسمية بالنقل لان التسمية الصحيحة ينبغي ان تكون « سد الولداية » اذا اردنا تسمية السد باسم المنطقة التي يقع فيها .

ويظهر ان السد كان مبنياً بالآجر المختوم إذ رسم فيليكس جونس صورة الختم الذي كان على الآجر الذي بني منه السد ، ويتضح من ذلك ان كلتي « هدى العباد » كانتا قد ختمتا على الآجر مما يثبت لنا بصورة أكيدة ان البناء عربي . ومن سوء الصدف انه لم يبق أي أثر للسد في الوقت الحاضر حيث غطته الاطيان التي ترسبت فوقه في مجرى ديالى القديم المندرس (شط الاعمى) ، على ان الاهلين يؤيدون بأن السد كان يقع على شط الاعمى في الموقع المبين في الرسم رقم (٢١)، كما انهم يؤيدون بانه كان مبنياً بالآجر المختوم (راجع الرسم رقم ٢٢)[١] .

رسم رقم ٢٢



الآجر المختوم الذى
بُنيت به مضيعة النهلية
عن فيليكس جونس

وقد ذكر المستر فيليكس جونس في هذا الصدد ان البناء قد يظهر لأول وهلة بأنه يتألف من سدين منفصلين عن بعضهما ، إلا ان الواقع هو ان هناك ترميمات اجريت على السد مما يحمل المرء على الظن بأن البناء يتكوّن من سدين مستقلين على حين انه لم يكن إلا سداً واحداً فقط .

وقد يكون من المفيد ان نشير في هذا الصدد الى ان طريق خراسان العام بين بغداد « ومدينة جسر النهروان » قد تحوّل اتجاهه بعد انهيار سد ديالى

---

(١) راجع «منتخبات من سجلات حكومة بومباي ـ السلسلة الحديثة رقم ٤٣ سنة ١٨٥٧ ، ص ٤٦ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٨٢ .

الواقع في جبل حمرين ، أي بعد ان شقت مياه ديالى طريقها الى النهروان ومن ثم الى جدول ديالى القديم الذي ينتهي الى دجلة جنوب بغداد ، فأخذ الطريق يسير نحو « سد السهلية » ثم بعد أن يعبر من فوق السد يتجه نحو مدينة جسر النهروان[١] .

٦ ـ محاولة اعادة انشاء « سد السهلية » على عهد مدحت باشا

وفي زمن الاتراك العثمانيين ، أعني سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩ م) إذ كان مدحت باشا والياً في بغداد ارتأى سد نهر ديالى من قرب موضع «سد السهلية» القديم لتحويل بعض مياهه الى النهروان والاستفادة من مياهه لارواء أراضي النهروانات القديمة ، ولا شك ان آثار «سد السهلية » القديم هي التي اوحت الى مدحت باشا القيام بهذا العمل ، وهو عبارة عن اعادة احياء المشروع القديم . ولكن السد الذي انشيء بالحطب والتراب لم يقو على مقاومة تيار الفيضان ، فلما صار موسم الفيضان جرفه التيار وعادت المياه تجري في المجرى الاصلي الذي ينتهي الى دجلة .

أما الموضع الذي اختاره مدحت باشا لانشاء السد فيه فيقع في جوار التل المعروف اليوم باسم « عرقوب صنكر » حيث يلتقي هنالك النهروان بحافة نهر ديالى اليسرى وهو التل الكائن في منتصف المسافة بين موضع «مصنعة السهلية» وموضع « مدينة النهروان » . ولا تزال آثار الحفريات التي اجريت في مجرى النهروان في هذا المكان لتحويل المياه اليه ماثلة للعيان تشاهد على الضفة اليمنى للنهروان بالقرب من حافة نهر ديالى (راجع الرسم رقم ٢١) .

---

(١) راجع الرسم رقم ٢١ الذي يبين اتجاه الطريق قبل انهيار سد ديالى في جبل حمرين واتجاهه بعد انهيار السد ، راجع أيضاً البحث المتقدم الخاص بطريق خراسان العام في ص ٣٨٨

٧ ـ انهيار سد العظيم ونتائجه

هذا فيما يختص بـ « سد ديالى » القديم ومصيره ، اما فيما يختص بـ « سد العظيم » فانه وان انتهى الى مصير سد ديالى نفسه أيضاً ، إلا ان هناك احتمالاً قوياً بأن انهياره كان تدريجياً وانه لم يتم نهائياً حتى اواخر القرن الثاني عشر الميلادي (حوالي اواخر القرن السادس الهجري) ، وذلك نتيجة لتصدع حصل فيه قبل الانهيار النهائي بمدة ، مما يدل على ان القسم الأعلى للنهروان ، وهو القسم الذي يسحب المياه من نهر دجلة في جوار سامراء ويمتد الى حد نهر ديالى ، بقي عامراً مدة من الزمن (حوالي ثلاثة قرون) بعد انهيار سد ديالى ، أي انه استمر على سحب المياه من دجلة خلال هذه المدة التي تقع بين أواخر القرن الثالث وأواخر القرن السادس الهجري .

ويظهر ان « سد العظيم » انشيء بالأصل على القعر الصلب دون ان يقام له أســاس داخل القعر نظراً لتكوّن القعر من طبقة حجرية صلبة تنزل في الارض الى عمق كبير، وانظهور طبقات باطنية رخوة تحت الطبقة الحجرية الصلبة (Soft sub strata) أدت الى تسرب المياه الجوفية من خلال تلك الطبقات (Percolation) ، وكانت نتيجة ذلك ان حصل تصدع في السد أدى الى انهياره . ويستدل من التآكل الحاصل في الواجهة الامامية لدعاميات الناظم الواقع في صدر « نهر روذان » ، وهو الناظم المبني بالآجر[١] ، ان السد بقي قائماً بصورة مهملة وبدون صيانة مدة طويلة قبل انهياره نهائياً .

وهناك من يظن ان السد خرّب عمداً أثناء الحروب الاهلية التي لازمت العهد العباسي الأخير بغية قطع المياه عن أراضي العظيم من جهة واغمار وادي العظيم من الجهة الاخرى ، وهو الوادي الذي يخترق النهروان فيشطره شطرين ،

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بنهر روذان في ص ١٦٣ و ١٦٥ .

وبذلك يتم قطع المياه عن قسم النهروان الأسفل الذي يمتد شرق العظيم . ويعتقد فيليكس جونس ان السد خرب عمداً خلال الحروب والغزوات التي انتابت البلاد في العهد العباسي الأخير بغية قطع المياه عن النهروان الذي كان يعتبر من أهم الحصون الدفاعية في ذلك الزمن ، بل أهم مشروع يموّن منطقة دجلة الشرقية بأسرها بمياه الري .

وكان لانهيار سد العظيم وانسياب مياه نهر العظيم الى عقيقه القديم الذي ينتهي الى دجلة نتائج خطيرة بالنسبة الى مجرى نهر دجلة ، إذ ساعدت مياه فيضان نهر العظيم ومعها مياه نهر الزاب الصغير التي كانت تنصب في نهر العظيم[(١)] على تحول عقيق دجلة من اتجاهه الغربي الذي يمر بالعلث وعكبرا الى اتجاهه الحالي شرقاً، وقد سبق ان ذكرنا الدور الذي لعبه «نهر القورج» في هذا التحول وكيف اصبح نهر دجلة يسير في وسطه . والظاهر ان مياه نهر العظيم أخذت تنصب في بادىء الأمر في مجرى دجلة الغربي الذي يمر بالعلث وعكبرا مخترقة المجريين ، النهروان والقورج ، ثم صارت تنصب في عقيق « القورج » نفسه بعد انبثاق سد القورج ودخول مياه فيضان دجلة فيه (راجع اللوحة رقم ٣ مقابل الصفحة ٢١٦ واللوحة رقم ٦ مقابل الصفحة ١٩٢)[(٢)] .

---

(١) نستدل من دراساتنا ان مياه نهر الزاب الصغير كانت متصلة بنهر العظيم وقد كانت مياه فيضان نهر الزاب الصغير تنصب في نهر العظيم شمال سد العظيم بواسطة الجدولين « العباسي » و« الفيل » المتصلين بوادي زغيتون الذي يمتد بين نهر الزاب الصغير ونهر العظيم وينتهي الى نهر العظيم شمال موقع السد بقليل . وكانت تحوّل هذه المياه مع مياه نهر العظيم الفائضة الى « بحيرة الشارع » حيث كانت تخزن لاغراض الري (راجع البحث الذي تقدم عن سد العظيم القديم في الصفحة ١٦٢ وفي رسالتنا الثانية من رسائل مشروعات الري الكبرى ـ خزان بحيرة الشارع المطبوعة في مطبعة المعارف سنة ١٩٤٨) .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « نهر القورج » في ص ٢١٢ .

٨ ـ تحوّل مجرى دجلة ونتائجه

ويمكننا ان نتصور الاضرار الفادحة التي نجمت من جراء انهيار « سد العظيم »، فقد كان نذير الموت المحتم لمنطقة شرقي دجلة بأسرها ، إذ جفت المنطقة القائمة على جانبي العظيم والتي كانت تروى من مياه النهرين ، العظيم والزاب الصغير ، من الفروع المتشعبة من أمام « سد العظيم » الواقع في جبل حمرين ، كما جفت منطقة النهروان بأسرها بعد ان اخترقت مياه نهر العظيم مجرى النهروان فشطرته شطرين ، القسم الصدري والقسم الاسفل .

وقد تلى هذا الحادث حادث آخر كان من الخطورة بحيث قضى على مشاريع منطقة ري سامراء كلها قضاء مبرماً ، واعني بذلك تحوّل مجرى دجلة من عقيقه الغربي الذي كان يسير في اتجاه العلث والحظيرة وعكبرا واوانا ومسكن الى المجرى الشرقي الحالي الذي يتجه نحو « مجرى القورج » القديم ويسير نحو « الضلوعية » و « السندية » الحاليتين ، وهو التحوّل الذي أدّى الى انخفاض مستوى مياه دجلة الصيفي حوالي تسعة أمتار بحيث انقطعت المياه الصيفية عن النهرين ، القاطول الاعلى الكسروي والقاطول العربي الاسفل أو نهر القائم[1] .

وهكذا غرق النهروان فانقطعت المياه عن صدره الواقع في جوار سامراء بعد ان اخترقه مجرى نهر العظيم من الشمال واخترقه نهر ديالى من الجنوب ، وقد تم كل هذا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، فقبر بذلك مشروع النهروان نهائياً وبقي مقبوراً منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا (راجع اللوحة رقم ٦ مقابل الصفحة ١٩٢ والتفاصيل التالية الخاصة بتاريخ تحوّل مجرى دجلة).

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى دجلة القديم في ص ١٧٢ .

ويظهر ان هناك محاولة قام بها ولاة الامور في الأيام الاخيرة من تحوّل مجرى دجلة لرفع مستوى دجلة بغية سحب المياه الصيفية الى صدر القاطول الاعلى الكسروي ، فقد انشئت سنون (سدود حجرية) وسط عقيق النهر أمام صدر القاطول المذكور عند « الدور » لا تزال آثارها تظهر بصورة جلية في النهر في موسم الصيهود وتسمى « الحراقيات » ، إلا ان تلك المحاولة لم تجد نفعاً بعد ان تمزّق مجرى النهروان وانقطعت المياه عن صدره الرئيسي جنوب سامراء .

ويلاحظ ان كل من كتب عن هـذا الموضوع من الباحثين والمؤرخين الفنيين تصور بأن تحول مجرى دجلة من الجهة الغربية الى اتجاهه الحالي في الجهة الشرقية كان نتيجة لانهيار « سد نمرود » ، على حين انه لم يعد هناك ثمة سد لينهار لأن « سد نمرود » فقد علائمه الاصلية كسد صحيح بمرور الزمن حتى صار جزء من الأراضي المرتفعة على شاطيء النهر الايسر . لذلك فان الأمر الذي وقع فعلاً هو ان بعض تفرعات مجرى النهر في جنوب موضع سد نمرود القديم[1]، وهي التفرعات التي تبتعد عن المجرى الرئيسي ثم تعود اليه جنوباً ، أخذت تنساب نحو الشرق في باديء الأمر ثم توسعت هـذه التفرعات حتى وجدت طريقاً الى مجرى القورج المنخفض فتجمعت مياه دجلة فيه الأمر الذي أدى الى تحوّل مجرى النهر الى ذلك الاتجاه[2] . ويشاهد الكثير من مثل هذه التفرعات في مجرى النهر في تلك المنطقة ، إذ نجد في بعض الامكنة عدة تشعبات يشكل كل منها نهراً قائماً بنفسه وبعد ان تدور هذه التشعبات مسافة بضعة كيلومترات تعود فتلتقي بالمجرى الرئيسي جنوباً . ومن الامور المألوفة في هذه المنطقة تحوّل المجرى الرئيسي من شعبة الى اخرى وان الاراضي التي يتركها

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بسد نمرود في الصفحة ١٦٧ .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بنهر القورج في الصفحة ٢١٢

المجرى على ضفتي عقيق النهر بنتيجة هذه التحولات تكوّن أخصب وأوسع المزارع في تلك المنطقة وتسمى « الحويان » ومفردها « حاوي » .

وقد وقع المؤرخون والباحثون في ارتباك واضطراب عند بحثهم الموضوع فنهم من قال ان تحوّل مجرى النهر وقع على أثر انهيار « سد نمرود » بنتيجة فيضان دجلة العظيم الذي وقع في سنة ٦٢٩ الميلاديه[1] فأدى ذلك الى تحوّل مجرى دجلة الى مجراه الشرقي الحالي ، ومنهم من قال ان « سد نمرود » خرّب عمداً من قبل الجيش الروماني في القرن الرابع الميلادي خلال غزواته على مملكة فارس ، كما ان هناك فريقاً آخر يرى ان « سد نمرود » انهار في الفترة التي تخللت القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي على أثر الاضطرابات التي اعقبت الفتح المغولي . كل هذا يدل على ان الباحثين في هذا الموضوع كانوا بعيدين كل البعد عن الحقيقة ، لا سيما وان هناك أدلّة وشواهد قاطعة تؤيد بأن التحوّل وقع حوالي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن السادس الهجري) ، وذلك بنتيجة دخول مياه دجلة الى « نهر القورج » واحتلالها ذلك النهر كما تقدم وصفه . وأهم دليل على ذلك ان المستنصر قام بتوسيع نهر دجيل وفتح فروعاً منه في المدة الواقعة بين سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) و ٦٤٠ هـ (١٢٤٦ م) لارواء المدن والاراضي التي هجرها مجرى دجلة الغربي القديم بعد تحوّله الى اتجاهه الشرقي الحالي ، وان الفرع الذي انشأه من ضفة دجيل اليسرى لايصال المياه الى بساتين بلد والحظيرة ، وهو الفرع الذي لا يزال يسمى « بنهر المستنصر » ، يسير في بعض اقسامه في وسط عقيق دجلة القديم وسيأتي البحث عن ذلك فيما يلي .

ومن مروّجي النظرية القائلة بتحوّل دجلة في سنة ٦٢٩ الميلادية فيليكس

---

(١) حول المراجع عن هذا الفيضان انظر كتابنا « المصادر عن ري العراق » ص ١٥١ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٩ .

جونس ، فقد ذكر ان « سد نمرود » جرف بفيضان دجلة العظيم الذي وقع في تلك السنة فأدى ذلك الى تحول نهر دجلة إلى مجراه الشرقي الحالي ، ويرى المستر جونس ان هذا التحول سبّب تلاشي المشاريع والمنشئات القديمة كلها ، بضمن ذلك النهروان ، فهام الوف وربما ملايين من الناس تاركين المنطقة الزراعية التي كانت تأويهم بعد أن أصبحت فجأة أرضاً جرداء على أثر انهيار السد متجهين نحو ضفاف مجرى دجلة الشرقي الجديد[١] . ويميل المستر لاين الى الاعتقاد بأن السد خرّب عمداً من قبل الجيش الروماني المنسحب وذلك على عهد الامبراطور جوليان (٣٦٣ م) بغية تخريب منطقة جداول الري الواقعة غربي مجرى دجلة وتحويل تلك المنطقة الى صحراء قاحلة فتكون بمثابة حاجز صحراوي على الحدود الرومانية في ارمينيا فتعيق حركة الغزاة[٢] . أما لي سترانج فيرى ان مجرى دجلة في هذا القسم بدأ يتحوّل الى المجرى الشرقي منذ القرن العاشر الميلادي وقد تم تحوّله نهائياً في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، على حين ان السير ويليم ويلكوكس بعد ان أيد في كتابه « اعادة احياء مشاريع الري القديمة على نهر دجلة » المطبوع في سنة ١٩٠٣ رأي فيليكس جونس القائل بتحوّل دجلة في سنة ٦٢٩ ، عاد فذكر في تقريره عن «ري العراق» المطبوع في سنة ١٩١١ ان سد نمرود انهار في الفترة الواقعة بين القرن الثالث عشر الميلادي والقرن الرابع عشر الميلادي ، وذلك على أثر الاضطرابات التي اعقبت الفتح المغولي ، الأمر الذي أدى الى تحوّل نهر دجلة من عقيقه الغربي الى مجراه الشرقي الحالي[٣] .

أما حقيقة الامر فهي ان التحوّل وقع في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي

---

(١) راجع «النبعات في جوار سور الميديين» من سجلات حكومة بومباي لسنة ١٨٥٧ ص ٢٨٥—٢٨٦ .

(٢) راجع كتابه « قضايا البابليين » ص ١٢٢—١٢٨ .

(٣) راجع البحث المتقدم في الصفحة ١٢٣ .

(أواخر القرن السادس الهجري) ودليلنا على هذا أن بنيامين التطيلي لما زار «حربى» و« عكبرا »كان نهر دجلة لا يزال يجري في مجراه الغربي القديم صوب المدينتين المذكورتين ، على حين ان الحوادث تثبت لنا بأن النهر أخذ يجري في مجراه الشرقي الحالي على عهد المستنصر، إذ قام المستنصر بتوسيع مشروع نهر دجيل الذي كان موجوداً من قبل، فأنشأ القنطرة المشهورة المعروفة اليوم باسم « جسر حربى»[1] على مجرى دجيل الرئيسي، كما انه حفر الفرع الذي ينتهي الى بساتين بلد والحظيرة في الجهة الشرقية من دجيل، وهو الفرع الذي سمي باسمه (نهر المستنصر) فيسير في بعض اقسامه في وسط عقيق دجلة الغربي[2] . ولما كانت زيارة بنيامين التطيلي لحربى وعكبرا بين سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) و ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م)[3]، ولما كانت قنطرة نهر دجيل قد انشئت في سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م)، وهي القنطرة التي يرجح انها انشئت في نفس الوقت الذي انشيء فيه فرع المستنصر، فانا نستدل من ذلك بأن مجرى دجلة تحوّل في فترة الستين سنة بين سنة ١١٧١ م (٥٦٧هـ) وسنة ١٢٣١ م (٦٢٩ هـ) ، أي حوالي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن السادس الهجري) . وأول من أشار الى حادث تحوّل عقيق دجلة الى اتجاهه الشرقي الحالي ابن عبد الحق صاحب كتاب « مراصد الاطلاع » الذي وضع معجمه بعد وقوع التحوّل بحوالي قرن واحد ، فذكر في مادة عكبرا « ان عكبرا كانت من الجانب الشرقي على شاطيء دجلة فلما استحالت دجلة الى جهة الشرق صارت دجلة تحتها تسمى الشطيطة » ، الأمر الذي يدل على ان المجرى الغربي القديم عرف باسم « الشطيطة» بعـــد وقوع التحوّل الى الجهة الشرقية الحالية وهو لا يزال يعرف بهذا الاسم الى يومنا هذا .

---

(١) راجع البحث التالي الخاص بمشروع نهر دجيل في هذا الفصل .

(٢) راجع البحث المتقدم عن نهر دجيل في ص ١٩٤ و ص ٢٠١ .

(٣) يستخلص لي سترانج ان بنيامين التطيلي زار بغداد في سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م).

وكان من نتائج تحوّل مجرى دجلة الى الجهة الشرقية الحالية ان هبط منسوب المياه في نهر دجلة فانقطع الماء عن صدر القاطول الاعلى الكسروي كما انقطع عن صدر القاطول الاسفل (نهر ابي الجند) ، وهكذا انتهت حياة النهروان الطويلة الحافلة بالاعمال الجليلة والمشروعات العمرانية الفريدة ، فهجرته الالوف من الناس تاركة وراءها آثاراً وأطلالاً تندب حظ ذلك الوادي العظيم وأهله . وتدل المناسيب على ان الهبوط الذي حصل في مستوى نهر دجلة بنتيجة تحوّل المجرى عن عقيقه الغربي القديم الى الاتجاه الشرقي الحالي يتراوح بين الثمانية أمتار والعشرة أمتار ، بدليل ان منسوب قعر صدر القاطول الأعلى الكسروي ومنسوب قعر صدر القاطول الأسفل (نهر أبي الجند) يعلوان الآن مستوى دجلة الصيفي الحالي حوالي ثمانية الى عشرة امتار أيضاً[1] .

٩ - مشروع نهر دجيل

وكان طبيعياً ان يبذل رجال الحكم جهودهم لمعالجة الوضع الخطير الذي تركته حادثة تحوّل مجرى دجلة ، لان نتائج التحوّل المذكور لم تقتصر على موت منطقة النهروان حسب بل شملت جدب المنطقة الواقعة على الضفة الشرقية لمجرى دجلة القديم ، وهي المنطقة التي تقع فيها مدائن « العلث » و « بلد » و « الحظيرة » و « عكبرا » و « أوانا » و « صريفين » و « بصرى » وغيرها من المدن والقرى[2] ، وقد عولج الوضع بأعادة تنظيم نهر دجيل القديم لايصال المياه الى هذه المنطقة بعد تحوّل مجرى دجلة عنها ، وهو المشروع الذي لا يزال يستفيد الزراع من القسم الاعلى من مجراه في موسم الشتاء وقد احتفظ باسمه القديم الى الآن حيث لا يزال يعرف باسم « نهر الدجيل » .

---

(١) راجع البحث المتقدم في ص ٣٥ و ١٧٢ .
(٢) ارجع البحث المتقدم الخاص بالمدن والقرى على مجرى دجلة القديم في ص ١٨٣ ـ ٢٠٢

أما تاريخ انشاء نهر دجيل فان هناك ما يدل على ان المشروع يرجع الى عهد قديم ولعلـه يرجع الى عهد كسرى أنوشروان ، وهو العهد الذي انشيء فيه « سد العاث » و « نهر القورج »[1] ، وكان صدره آنذاك يتفرع من ضفة نهر دجلة اليمنى في نقطة تقع فيجوار « تل مسعود » الحالي ، غير بعيد عن صدر فرع دجلة الغربي وسد نمرود القديم ، وتعرف اليوم آثار المجرى الذي يبدأ من هذا الصدر بأسم « عرقوب النهروان » . وكان نهر دجيل يروي المنطقة الواقعة على الضفة الغربية من مجرى دجلة الغربي القديم كلها ، وهي المنطقة التي تمتد بين بغداد وبلد (راجع الرسم رقم ٢ب مقابل ص ٩٦ واللوحة رقم ٢ مقابل ص ١٥٢ واللوحة رقم ٦ مقابل ص١٩٢) ، فـكان النهر ينقسم عند موضع « إمام الخضر » الواقع على بعد حوالي خمسة كيلومترات من جنوب شرقي « تل مسعود » الى فرعين رئيسيين ، يسير أحدهما في الاتجاه الجنوبي الشرقي نحو « قرية سميكة » الحالية ، مخترقاً ناحية « مسكن » القديمة حتى يصل الى مدينة بغداد الغربية ، ويسير الآخر في الاتجاه الغربي الجنوبي ، متبعاً أثر النهر القديم المسمى اليوم « عرقوب الفرحاتية » ، وهو الفرع الذي كان يسير وسط الجزيرة الواقعة بين النهرين ، دجلة والفرات ، ويمتد جنوباً حتى يصل الى جوار « نهر الكصاوي » الذي يتفرع من نهر الصقلاوية الحالي .

وكان يعرف الفرع الأول في العهد العربي بأسم « نهر بطاطيا » ، وكان هذا النهر من أهم الانهر الرئيسية التي كانت تمد مدينة بغداد الغربية بالمياه السيحية ، فـكان بعد أن يخترق « طسوج مسكن » ماراً بمدينة « مسكن » ينتهي الى « طسوج قطربل » ومنه الى « محلة الحربية » ويفنى هناك . وكان يتفرع من « نهر بطاطيا » هذا عدة فروع تنتهي الى « محلة الحربية » في شمـال مدينة بغداد الغربية . ويصف لنا ابن سرابيون المتوفى حوالي أواخر القرن الثالث الهجري « جدول بطاطيا » وفروعه المنتهية الى مدينة بغداد بتفصيل قال ما هذا

---

(١) راجع البحث المتقدم في ص ٢١٧ و ٢٢١ .

نصه : «ومن أنهار الحربية نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطيا أوله من أسفل فوّهة دجيل بستة فراسخ يمر فيسقي ضياعاً وقرى ويمر في وسط مسكن ويصب في الضياع ويفنى فيها . ويحمل منه نهر أسفل جسر بطاطيا بشيء يسير يجيء نحو مدينة السلام فيمر على عبارة قورج قنطرة باب الانبار ثم يدخل بغداد من هناك فيمر في شارع باب الانبار ويمر في شارع الكبش ويفنى هناك .

« ويحمل من نهر بطاطيا نهر اسفل من النهر الأول يجيء نحو بغداد فيمرّ على عبّارة يقال لها عبارة الكرخ بين باب حرب وباب الحديد ويمر فيدخل بغداد من هناك ويمر في شارع دجيل الى مربّعة الفُرس فيحمل منه هناك نهر يقال له نهر دكان الابناء ويفنى هناك . ويمر النهر الكبير من مربّعة الفرس الى قنطرة أبي الجون فيحمل منه هناك نهر إلى كتّاب اليتامى الى مربعة شبيب ويصب هناك في نهر الشارع سنذكره . ثم يمر النهر الكبير من قنطرة أبي الجون الى شارع قصر هاني ثم يمر إلى بستان القس ويصب في النهر الذي يمر بشارع القحاطبة .

« ويحمل من نهر بطاطيا نهر أوله من قناة الكرخ يجيء الى بغداد ويمر على عبارة قورج على قنطرة باب حرب ويدخل بغداد من هناك ويمر في وسط شارع باب حرب إلى شارع دار ابن أبي عون ويجيء إلى مربعة أبي عباس ثم يجيء إلى مربعة شبيب فيصب فيه النهر الذي ذكرناه ثم يمر إلى باب الشام .

« وهذه الانهار التي في الحربية هي قنى تحت الأرض وأوايلها مكشوفة فافهم ذلك ان شاء الله تعالى » .

وأما بعد ان تحوّل نهر دجلة الى الشرق تاركاً مدائن الملك وحربى وبلد والحظيرة وعكبرا وغيرها الى يمينه على مسافة بعيدة عنه[١] فقد قام المستنصر [٢]

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بتحول نهر دجلة في ص١٧٧ و ٢٢٩

(٢) هو الخليفة « أبو جعفر المنصور المستنصر بالله » العباسي ، ابن الظاهر بأمر الله، وحفيد الناصر لدين الله . ولد سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) وبويع بالخلافة =

بتحويل صدر نهر دجيل الى الشمال ، وهو الصدر الحالي الواقع مقابل سور القادسية في جوار اطلال الاصطبلات (راجع الرسم رقم ٢٥ واللوحة رقم ٢ مقابل ص ١٥٢) ، وفتح فروعاً جديدة من جانبه الايسر لارواء المنطقة التي انقطعت عنها المياه بعد تحوّل مجرى دجلة عنها ، وهي فروع كان معظمها يتشعب من الضفة اليسرى لمجرى دجلة ثم لما تحوّل هذا المجرى عنها واتجه نحو الشرق تاركاً اياها الى جانبه الغربي فتحت لها صدور جديدة تستمد مياهها من الضفة اليسرى لنهر دجيل الذي كان يسير محاذياً الضفة اليمنى لمجرى دجلة الأصلي. وقد وسع المستنصر الفرع الشرقي من نهر دجيل الذي يسير نحو سميكة وينتهي إلى بغداد (نهر بطاطية) بحيث اقتضى انشاء جسر للعبور عليه فأقامه بالقرب من مدينة «حربى» لأهمية موقع هذه المدينة آنذاك ، وهو الجسر الذي لا تزال آثار الكتابة تحمل اسم المستنصر وتاريخ انشاء الجسر (راجع الرسم رقم ٢٤ وفيه رسم دقيق للجسر حسب تخطيط مديرية الآثار القديمة العامة)[1] .

= يوم وفاة ابيه في ثالث عشر شهر رجب سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) . فنشر العدل بين رعاياه ، وقرب اليه أهل العلم والدين ، وانشاء المساجد والمدارس والمارستانات والخانات للسابلة وفي طليعة ذلك المدرسة المستنصرية ببغداد ، وغير ذلك من المرافق العمرانية العامة . دامت خلافته زهاء سبع عشرة سنة أي الى وفاته في سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) اتولى الخلافة من بعده ابنه المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس ببغداد .

(١) يقع هذا الجسر على مجرى دجيل على ٢٢ كيلومتراً من صدره وعلى مسافة حوالي ٩٠ كيلومتراً من شمال بغداد بالقرب من أطلال « مدينة حربى » القديمة (راجع البحث المتقدم الخاص بمدينة « حربى » القديمة في الصفحة ١٩١) ، وهو يقع على الطريق العام بين بغداد وسامراء ، وقد انشيء على عرض مجرى النهر في خط يمتد من الشمال الى الجنوب . وللقنطرة أربع فتحات يبلغ عرض كل من الفتحتين الجانبيتين ٥٠ر٥ متراً وعرض كل من الفتحتين الوسطيتين ٨٠ر٥ متراً ، وهناك ثلاث فتحات صغيرة بين الفتحات الاربع الكبيرة عرض كل منها ٥٠ر١ متراً ، فيبلغ بذلك مجموع عرض مجرى الماء من تحت القنطرة ٦٠ر٢٢ متراً . اما مجموع طول الجسر فيبلغ ٥٤ متراً وعرضه ٨٠ر١١ متراً . وقد انشيء الجسر على طريقة العقادات الرأسية العربية الطراز (Pointed arches) بالآجر المفخور . وتجري مياه نهر دجيل الشتوية في الوقت الحاضر من تحت هذا الجسر ، وقد انشيء جسر جديد الى جانبه لعبور السيارات والناس عليه بغية المحافظة على بقايا الجسر الأثرية . وأهم ما في بقايا =

فيتضح مما تقدم ان نظرية دائرة الآثارالعراقية القائلة بأن تحوّل مجرى دجلة تم في أوائل عهد المستنصر وان المستنصر هو الذي انشأ نهر دجيل[1] لا يمكن الأخذ بها .

= هذا الجسر الكتابة التي على جبهتيه وهي تمتد على طوله من اعلاه لمسافة مائة متر تقريباً. وهذه هي : ـ

١ — الكتابة في الجبهة الغربية .

« بسم الله الرحمن الرحيم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيـــة فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . أمر بأنشاء هذه القنطرة المباركة تقرباً الى الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي أعدهـــا للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا سيدنا ومولانا الأمام امام المسلمين ووارث الانبياء والمرسلين وخليفة رب العالمين وحجته البالغة على الخلق أجمعين » .

٢ — الكتابة في الجبهة الشرقية :

« الذي أيد الله تعالى باعزاز نصره الدين وافترض طاعته على الحاضرين والبادين [واختصه من جليل بما] يعجز عنه حصر العادين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له في ارضه تمكين الوارثين ورفع مقدس اعماله الصالحات الى عليين ونشر بعدالته الزاهرة في آفاق الأرضين وأوضح للخلائق بولايته سبيل الرشاد ومنهج الحق المبين بن الامام السعيد البر التقي أبي نصر محمد الظاهر بأمرالله بن الامام السعيد الزكي الطاهر الولي أبي العباس الناصر لدين الله بن الامام السعيد الزكي أبي الحسن محمد المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ووارث الخلفاء الراشدين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وذلك في سنة تسع وعشرين وستمئة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه

ملحوظة : اختلف المؤرخون والكتاب في نقل هذه الكتابة ، فقد نقلها فيليكس جونس ونشرها في كتاب سجلات حكومة بومباي سنة ١٨٥٧ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦) ، كما نقلها الدكتور مصطفى جواد فنشرها في مجلة لغة العرب (مجلد ٨ ، ١٩٣٠ ، ص ٣٢٢—٣٢٣) ، ونقلها ايضـــاً السيد محمود شكري الالوسي في مخطوط بحوزة الاستاذ كوركيس عواد ، وأخيراً نقلتها دائرة الآثار فنشرتها في نشرتها عن جسر حربى المطبوعة في مطبعة الحكومة سنة ١٩٣٥ .وتختلف هذه النصوص بعضها عن بعض الأمر الذي حملنا على الرجوع الى الصور الفوتوغرافية المكبرة فنقلنا عنها النص المدون اعلاه ، وقد ساعدنا في تدقيقه الاستاذ السيد كوركيس عواد فشكراً له .

(١) انظر الصفحة ٦ من نشرة دائرة الآثار العراقية عن جسر حربى

والظاهر ان نهر دجيل كان لا يزال موجوداً في زمن ياقوت الذي دوّن معجمه في حوالي سنة ٦٣٢ هـ (١٢٢٦ م) بالشكل الذي كان عليه في عهد المستنصر، فوصفه بقوله ان دجيل « اسم نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء ، فيسقي كورة واسعة وبلاداً كثيرة منها أوانا وعكبرى والحظيرة وصريفين وغير ذلك ، ثم تصب فضلته في دجلة أيضاً ، ومن دجيل هذا مسكن[1] التي كان عندها حرب مصعب بن الزبير ومقتله » . وقد أيد ياقوت قوله هذا في كتابه « المشترك » ، فقال ان دجيل « نهر في أعلى بغداد مخرجه من دجلة قبالة القادسية (من الجانب الغربي بين تكريت وبغداد) دون سر من رأى وعليه كورة كبيرة مشتملة على مدن وقرى » . أما قول ياقوت ان نهر دجيل كان يصب في دجلة فقد صحّح ابن عبد الحق ذلك بقوله ان نهر دجيل كان يصب في « الطاهرية »[2] المعروفة بـ « خندق طاهر »[3] .

وقد اورد ابن بطوطة الذي كتب حوالي منتصف القرن الثامن الهجري (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) ذكر نهر دجيل أيضاً ، وذلك بمناسبة وصف رحلته من بغداد الى الموصل فقال : « خرجت من بغداد الى منزل على

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « طسوج مسكن » في ص ١٩١

(٢) ان « خندق طاهر » كان مصرفاً بين « نهر عيسى » ودجلة تصرف فيه المياه الزائدة التي تتجمع في الفروع المتشعبة من ذنائب « نهر عيسى » و« نهر عيسى » هذا هو النهر الذي كان يتفرع من نهر الفرات شمال الفلوجة فيقطع الأراضي التي بين الفرات ودجلة ويصب في الجانب الغربي من دجلة جنوب مدينة بغداد . وكان « خندق طاهر » يقع في محلة الحربية ، وهي المحلة التي كانت في شمالي بغداد الغربية (راجع كتابنا وادي الفرات الجزء الثاني ص ٣٦ — ٣٧) . ومما كتبه ابن عبد الحق في مادة « الطاهرية » قوله انها مغيض (مستنقع) لفضلات الماء من بين دجيل ومن نهر عيسى صار من أعاليه قناطر معقودة بالآجر بعدة أبواب ويرمى الى دجلة .

(٣) جاء في ياقوت ان « الطاهرية » قرية ببغداد يستنقع فيها الماء في كل عام اذا زادت دجلة فيظهر فيها السمك المعروف بالبني فيضمنه السلطان بمال وافر واسمكها فضل على غيره .

نهر دجيل وهو يتفرع عن دجلة فيسقي قرى كثيرة ثم نزلنا بعد يومين بقرية كبيرة تعرف بحربى مخصبة فسيحة » .

١٠ ـ الغزو المغولي ووقعة نهر دجيل

وقد لعب نهر دجيل دوراً خطيراً في تقرير مصير معركة ٩ ـ ١٠ المحرم من سنة ٦٥٦ هـ بين جيوش هولاكو وعساكر الخليفة المستعصم[١] ، وهي المعركة الحاسمة التي غيّرت مجرى تاريخ العرب وقضت على الخلافة العباسية وأدت إلى استيلاء المغول على العراق بأسره . ونظراً لأهمية المعركة في تاريخ العراق وما لها من اتصال بنهر دجيل رأينا ان نتطرق الى بيان موقعها وذكر حوادثها ، وخلاصة الحادثة ، كما رواها ابن الفوطي والوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، هي ان السلطان هولاكو لما قرر غزو العراق ارسل قسماً من جيوشه الى اربيل على ان يعبروا نهر دجلة في الموصل ويسيروا بمحاذاة ضفته الغربية حتى يصلوا الى بغداد الغربية ، وقد اتجه هذا الجيش بعد

(١) هو ابو احمد عبد الله المستعصم بالله ، آخر خلفاء الدولة العباسية ببغداد ، بويع له بالخلافة في سنة اربعين وستمائة ، وقد قتله المغول في سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨) . قال ابن الطقطقى في ذكر صفاته : « كان المستعصم رجلا خيراً متديناً لين الجانب سهل العريكة عفيف اللسان والفرج حمل كتاب الله تعالى وكتب خطاً مليحاً وكان سهل الاخلاق وكان خفيف الوطأة الا انه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش قليل الخبرة بامور المملكة مطموعاً فيه غير مهيب في النفوس ولامطلع على حقائق الامور وكان زمانه ينقضي اكثره بسماع الاغاني والتفرج على المساخرة وفي بعض الاوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة وكان اصحابه مستولين عليه وكلهم جهال من اراذل العوام .... وفي آخر ايامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول صحبة السلطان هولاكو فلم يحرك ذلك منه عزماً ولا نبه منه همة ولا احدث عنده هماً وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والاهمال ولم يكن يتصور حقيقة الحال في ذلك » .

عبوره نهر دجلة في الموصل نحو نهر دجيل[١]، فاخترق المنطقة الواقعة غربيه حتى وصل الى نهر عيسى الواقع في ذنائب نهر الصقلاوية الحالي ، فعسكر هناك ومن ثم وصل الى محلة الحربية الكائنة في شمال غربي الكاظمية الحالية في نقطة تقع على بعد فرسخ واحد من قنطرة باب البصرة، وهي القنطرة الواقعة في جوار موضع الجعيفر الحالية . وما ان تقدمت جيوش الخليفة لمقاتلة المغول حتى تظاهر المغول بالانكسار وفق خطة مرسومة فانسحبوا الى الشمال في الاراضي السهلة الواقعة غربي نهر دجيل فتبعهم جيش الخليفة مندفعاً بسكرة الانتصار الموهوم دون ان يلتفت الى جناحه الايمن الممتد على طول نهر دجيل شرقاً[٢] . وهكذا استمر جيش المغول في انسحابه وجيش الخليفة يتقدم الى الشمال وراءه ، وكلاهما يسيران في أراضي سهلة ليست فيها عوارض طبيعية يمكن احتماء جيش الخليفة بها في حالة هجوم مقابل من قبل المغول ، وأدركهما الليل فعسكر جيش الخليفة في موضع يقع في شمال النهر المسمى « نهر بشير » على بعد تسعة فراسخ من بغداد شمالاً . وقد وصف ابن الفوطي « نهر بشير » بقوله انه « بنز دجيل »[٣] ، كما وصف الوزير رشيد الدين فضل الله الهمذاني في كتابه « جامع التواريخ » الموضع الذي عسكر فيه جيش الخليفة بقوله انه « حيال الانبار قرب قلعة المنصور تحت المزرفة على بعد تسعة فراسخ من بغداد » .

---

(١) هذا ماذكره الهمذاني فيما يختص بالموضع الذي عبر فيه الجيش المغولي نهر دجلة ، الا ان ابن الطقطقي خالفه في ذلك فقال ان عسكر هولاكو المتوجه الى غربي دجلة عبر نهر دجلة من تكريت (راجع كتابه « الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » طبعة غريفزولد سنة ١٨٥٨ ص ٣٨٦) .

(٢) يستدل مما رواه ابن الفوطي عن هذه الواقعة ان الامير فتح الدين بن كر الذي كان يرافق الحملة قد أشار على قائد الجيوش ، وهو الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك ، بان يثبت مكانه ولا يتبع المغول فلم يصغ الى اشارته

(٣) ذكر الهمذاني هذه المنطقة فسماها « البشيرية » من نواحي دجيل .

ولقد تحرينا كثيراً في هذه المنطقة علّنا نعثر على نهر قديم باسم « نهر بشير » في بزايز نهر دجيل ، ولكننا لم نجد لهذا الاسم أثراً ، ونميل الى الاعتقاد بأن النهر القديم المتشعب من الضفة اليمنى لنهر دجيل بالقرب من التلول المعروفة اليوم باسم « تلول الناظري » والذي يمتد في الأراضي الواقعة بين النهرين، دجلة والفرات ، متجهاً نحو بزايز نهر الصقلاوية الحالي ، هو من آثار « نهر بشير » الذي ذكره ابن الفوطي . ويسير هذا النهر بموازاة النهر القديم المعروف اليوم باسم « نهر مسعود » من الناحية الشمالية متجهاً نحو الأراضي المنخفضة المعروفة اليوم باسم « أراضي الهورة » في جوار النهرين الكصاوي والعيساوية من فروع ذنائب نهر الصقلاوية الحالي ، وهي الأراضي التي يقع فيها تل الدير المسمى « دير الهورة »[1] . أما الموضع الذي عسكر فيه جيش الخليفة والذي وصفه الهمذاني انه « حيال الانبار قرب قلعة المنصور على تسعة فراسخ من بغداد » فيقع في جوار التلول المعروفة باسم « قبور الياسري » ، وهي التلول الواقعة وسط أراضي الجزيرة الممتدة بين النهرين ، دجلة والفرات ، على مسافة حوالي أربعين كيلومتراً من شمال مدينة بغداد . ويتفق هذا الموضع مع وصف الهمذاني حيث يقع حيال الانبار كما انه يقع بالقرب من « تل المنصور » الحالي الذي نعتقد انه موضع « قلعة المنصور » التي ذكرها الهمذاني ، وهو التل الكائن بالقرب من « امام منصور » على مسافة حوالي أربعة كيلومترات من جنوب غربي قرية الدجيل الحالية (سميكة)[2] وعلى بعد زهاء اثني عشر كيلومتراً من شمال شرقي « قبور الياسري » .

ويظهر ان قواد الجيش العباسي باتوا ليلتهم تلك في هذا الموضع ثملين بنشوة الانتصار الموهوم إذ لم يحسبوا حساباً لما كان يبيته لهم المغول من مكيدة لايقاعهم في الفخ ، فبينما كان جيش الخليفة غارقاً في نومه مغتبطاً بما عدّه نصراً

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بدير الهورة المذكور في ص ١٩٧ (حاشية ١) .

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بامام منصور المذكور في ص ١٩٨ .

كبيراً كان الجيش المغولي يتهيأ للهجوم الذي رسمت خطته من قبل ، ولما كان نهر دجيل الذي يؤلف ميمنة الجيش العباسي واقعاً تحت سيطرة المغول قام المغول بسده وتحويل مياهه كلها الى « نهر بشير » ففاض هذا النهر وغمر « اراضي المورة » المنخفضة الواقعة وراء الجيش العباسي فقطعت عليه خط الرجعة ، فلما باغته المغول بهجومه المفاجيء انكسر وكر راجعاً الى بغداد، فوجد نهر بشير قد فاض من الليل وملأ الصحراء ، فعجزت الخيول عن سلوكه ووحلت فيه ، فلم يخلص منه إلا من كانت فرسه شديدة ، والقى معظم العسكر نفسه في دجلة فهلك منهم خلق كثير ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على اقبح صورة، وتبعهم المغول يقتلون فيهم وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم ، ونزلوا بالجانب الغربي (من بغداد) وقد خلا من أهله » . هذا ما قاله ابن الفوطي في كتابه « الحوادث الجامعة » عن مصير هذه المعركة التاريخية التي مهدت السبيل الى هولاكو الذي كان قادماً من الجهة الشرقية فحاصر مدينة بغداد الشرقية حتى أتم احتلالها ، اما الهمذاني فقال : « ان عساكر المغول وصلت الى البشيرية من نواحي دجيل وكانت المياه كثيرة غزيرة في تلك المواضع فكسر المغول سدود المياه حتى غمرت الارض من وراء الجيش العباسي كلها ، وفي العاشر من المحرم في طلوع الشمس هجم المغول على الجيش العباسي ، وقتل ابن كر وأمير معه اسمه قراسنقر ، وقتل من عسكر الخليفة اثنا عشر الفاً عدا المتورطين في الطين ونجا الدويدار مع جماعة قليلة من العسكر فدخلوا بغداد »[1] .

ومما ساعد على اغمار الاراضي من وراء الجيش العباسي ان الموسم الذي وقع فيه هذا الحادث كان موسم شتاء ، إذ يوافق يوم الحادث (١٠ المحرم سنة ٦٥٦ هـ) ١٤ كانون الثاني سنة ١٢٥٨ م ويكون في منتصف الموسم المذكور . ومن المعلوم

---

(١) تفضل الاستاذ الدكتور مصطفى جواد فترجم لنا هذه النبذة عن النسخة الفارسية من كتاب الهمداني « جامع التواريخ » فشكراً له .

ان هطول الامطار في هذا الموسم يؤدي إلى ارتفاع مناسيب مياه النهرين ، دجلة والفرات ، فيعرّض أرض الدلتا كلها إلى خطر الغرق فيما إذا لم تتخذ تدابير واقية لدفع خطر الأنغار عنها . وقد جاء فيما ذكره ابن الفوطي ما يؤيد ان الموسم الذي وقع فيه الحادث كان موسم امطار ، إذ ذكر ان المغول لما احتلوا الجانب الشرقي من المدينة « قتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلول ، ووقعت الامطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم » ، واشار الى وجود الوحول في الطرق بقوله ان « عدد القتلى زادت عن ثمانمائة الف نفس عدا من ألقي من الاطفال في الوحول » .

وقد يكون من المفيد ان ندون هنا رواية ابن الطقطقي في كتابه «الفخري فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية » عن الواقعة المذكورة ، وكان معاصراً لها ، قال : « فحينئذ وقع الشروع في قصد بغداد وبث العساكر اليها . فتوجه عسكر كثيف من المغول والمقدم عليهم باجو إلى تكريت ليعبروا من هناك إلى الجانب الغربي ويقصدون بغداد من غربيها ويقصدها العسكر السلطاني من شرقيها . فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدر الى اعمال بغداد اجفل الناس من دجيل والاسحاقي ونهرالملك ونهرعيسى ودخلوا إلى المدينة بنسائهم وأولادهم حتى كان الرجل أو المرأة يقذف بنفسه في الماء ... فلما وصل العسكر السلطاني إلى دجيل وهو يزيد على ثلاثين الف فارس خرج اليه عسكر الخليفة صحبة مقدم الجيوش مجاهد الدين أيبك الدويدار. وكان عسكراً فيغاية القلة فالتقوا بالجانب الغربي من بغداد قريباً من البلد . فكانت الغلبة فى أول الأمر لعسكر الخليفة ، ثم كانت الكرة للعسكر السلطاني فأبادوهم قتلاً وأسراً وأعانهم على ذلك نهر فتحوه فى طول الليل فكثرت الوحول في طريق المنهزمين فلم ينج منهم إلا من رمى نفسه في الماء أو من دخل البرية ومضى على وجهه الى الشام . ونجا الدويدار في جمعية من عسكره ووصل إلى بغداد » . والذي يستفاد من هذا الوصف ان النهر

الذي أعان المغول على التغلب على عسكر الخليفة هو نهر بشير الذي ذكره ابن الفوطي واشار اليه ابن الطقطقي في موطن آخر نقلاً عن ابن أيدمر الذي شهد المعركة نفسها قال : « حدثني فلك الدين محمد بن أيدمر قال كنت في عسكر الدويدار الصغير لما خرج إلى لقاء التتر بالجانب الغربي من مدينة السلام في واقعتها العظمى سنة ست وخمسين وستمائة قال فالتقينا بنهر بشير من اعمال دجيل فكان الفارس منا يخرج الى المبارزة وتحته فرس عربي وعليه سلاح تام كأنه وفرسه الجبل العظيم ثم يخرج اليه من المغول فارس تحته فرس كأنه حمار وفي يده رمح كأنه المغزل وليس عليه كسوة ولا سلاح فيضحك منه كل من رآه ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ثم كان من الأمر ما كان » .

ومن غريب الصدف ان معركة مصعب بن الزبير مع عبد الملك بن مروان كانت قد وقعت في نفس موضع وقعة المغول المتقدمة قبل حوالي ستمائة عام ، وهي المعركة التي لقي فيها مصعب بن الزبير حتفه[1] . ويلاحظ أيضاً ان معركة البرسقي مع دبيس بن صدقة صاحب الحلة في سنة ٥١٦ هـ كانت قد وقعت في جوار الموضع نفسه إذ ذكر ابن الأثير ان «البرسقي ارسل الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة وأقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقي الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي »[2] .

١١ - نهر دجيل الحالي

ولم يبق من القرى والمدن الكثيرة التي كانت تقع على نهر دجيل في زمن ازدهاره إلا البلدتان «بلد» و « سميكة » ، وتسمى الاخيرة اليوم «الدجيل» .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذه المعركة في ص ١٩٠ — ١٩٩

(٢) راجع ابن الأثير الجزء العاشر ص ٤٢٢

أما النهر فقد بقي محافظاً على القسم الاعلى من مجراه وهو القسم الذي يمتد بين الصدر وبلدة « سميكة » طوال السبعة قرون ونصف قرن الاخيرة ، وان هذا القسم الذي يبلغ طوله حوالي خمسين كيلومتراً لا يزال يستخدم من قبل الزراع على الرغم من تراكم الترسبات فيه التي جعلت من مجراه نهيراً صغيراً لا تدخله المياه إلا في أعلى منسوب فيضان دجلة ، وقد أصبحت ضفافه تعلو القعر أكثر من عشرة أمتار في بعض الاماكن مما يجعل رفع الاطيان منه من أصعب الأمور، لذلك صار أصحاب بساتين « سميكة » يعتمدون على الاكثر على مياه الآبار في ارواء بساتينهم .

أما صدر نهر دجيل الحالي فيبدأ عند الحاوي « أراضي كبان » بالقرب من مضخة السيد عبدالقادر كال ، ويشاهد على مسافة قليلة الى الشمال صدر قديم يتفرع من نهر دجلة يعتقد انه مجرى الصدر الذي انشيء في زمن المستنصر ثم ابدل بالصدر الحالي بعد تراكم الترسبات في الصدر الأول وانطمار حوضه . ولعل مجرى الصدر الحالي هو المجرى الذي حفره والي بغداد مرتضى باشا حين عمر نهر دجيل في سنة (١٠٧١ هـ) إذ جاء في اخبار تلك السنة ان الوالي المذكور عمر نهر دجيل بعد ما كان دهراً خراباً واحدث في حربى خاناً وبستاناً وحماماً وجعلها وقفاً وجعل فيه كما كان سابقاً ثلاث خطب : خطبة في حربى وخطبة في بلد وخطبة في سميكة[1] . ويمتد مجرى الصدر القديم موازياً المجرى الحالي من الغرب مسافة حوالي ستة كيلومترات ثم يتصل بالمجرى الحالي في الموضع المعروف بالطرم ، وتسمى آثار هذا المجرى القديم « نهر الصخرية القديم » .

ويتفرع من ضفتي نهر دجيل الحالي عدة فروع قديمة لا يستفاد إلا من بعضها وهي الانهر الواقعة في جوار بلد وسميكة حيث يروي الاهلون مزارعهم

---

(١) « اصول التاريخ والأدب » (ج ٩ ص ٥٥) .

الشتوية منها . وأهم الفروع التي يستفاد منها في الوقت الحاضر الفرع الذي يخرج من الضفة اليسرى ، أعني الفرع الذي يتجه نحو مدينة بلد الحالية ، وهو « نهر المستنصر » ، فيستفيد منه الزراع لأرواء بساتينهم في موسم الشتاء عند دخول المياه الى نهر دجيل ، أما صدر هذا الفرع فيبدأ بالقرب من « إمام الخضر » في نقطة تقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات الى الجنوب من صدر دجيل الرئيسي ، ثم يمتد في الاتجاه الجنوبي الشرقي ، وبعد أن يسير حوالي سبعة كيلومترات يصل قرب « العلث » فيتركها الى جانبه الايسر ثم يسير في وسط مجرى دجلة القديم مسافة ثمانية كيلومترات اخرى حتى ينتهي الى بساتين بلد الحالية الواقعة شرقي مجرى دجلة القديم ، ويمكن مشاهدة آثار الفروع القديمة التي تتشعب من النهر المذكور ، حيث ينتهي بعضها الى مدينة الحظيرة القديمة الواقعة جنوب بساتين بلد الحالية ، وهـــذه لا تزال تسمى « أنهر الحظيرة » نسبة الى مدينة الحظيرة . كما أن نهر بلد المذكور لا يزال يسمى باسم « نهر المستنصر » مما يؤيد على انه حفر على عهد المستنصر ، ويسمى هذا الفرع بأسم « المستنصر الجديد » لتمييزه عن المجرى القديم أي « المستنصر القديم » الذي يتفرع من شمال شرقي المجرى الأول ، والمجرى القديم يسير شرقاً حوالي سبعـــة كيلومترات موازياً مجرى المستنصر الجديد قبل ان يتصل به . ونظراً لانقطاع المياه عن نهر دجيل في الموسم الصيفي فان أكثر أصحاب بساتين بلد يعتمدون في الوقت الحاضر على الآبار لأرواء بساتينهم ، على حين يعتمد البعض الآخر على سحب المياه من نهر دجلة لايصالها الى البساتين بطريقة الضخ .

وقد انشأت دائرة الري مؤخراً ناظماً ذا فتحة واحدة على « نهر المستنصر الجديد » في نقطة تقع على نحو ثلاثة كيلومترات من صدره الواقع بالقرب من « إمام الخضر » لضبط المياه فيه أثناء موسم الفيضان نظراً لانخفاض أراضي بلد ، ذلك الانخفاض الذي يعرّض تلك الأراضي الى خطر الغرق في الفيضانات العالية .

أما نهر المستنصر القديم فيستعمل مجراه في الوقت الحاضر لامرار مياه مضخة عجيل الياور فيه ، وهي المياه التي تسحب من نهر دجلة بواسطة الضخ فتنصب في وسط مجرى نهر المستنصر القديم ثم تعبر فوق نهر المستنصر الحديث (نهر بلد الحالي) في نقطة تقع في مقدم ناظم الري الجديد بقليل ، وبعد أن تعبر نهر دجيل في نقطة تقع على مسافة قليلة من جنوب صدر نهر المستنصر الجديد (نهر بلد) تتجه نحو أراضي الفرحاتية ، وهي أراضي واسعة كان يرويها نهر الفرحاتية القديم الذي كان يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجيل من أمام صدر نهر المستنصر والذي لا تزال آثار مجراه وآثار فروعه ممتدة على الضفة اليمنى لمجرى نهر دجلة القديم مسافة غير قليلة في قلب الجزيرة . وفي أراضي الفرحاتية تشاهد اليوم شجرة يرجع تاريخها الى زمن ازدهار مشروع نهر دجيل لا تزال في قيد الحياة ، وتسمى محلياً «شجرة العسل»، وبالاصطلاح الفني (Ticonella undulata) وهي شجرة ذات أزهار تتحمل العطش ، وقد سميت « شجرة العسل » « لمـــا يشاهده المرء من مادة عسلية في أسفل أزهارها[1] .

ويلاحظ أن تسمية نهر بلد بالمستنصر تسمية قديمة ترجع الى تاريخ انشائه وقد احتفظ النهر بها حتى يومنا هذا ، إذ ذكر ابن عبدالحق (٧٣٩ هـ) في مادة « عكبرا » أن بعد تحول مجرى دجلة القديم الى عقيقه الشرقي الحالي صار ما في شرقي المجرى القديم من أراضي من عمل نهر دجيل واستطرد قائلاً بأن نهر بلد « يسمى المستنصري لأن الامام المستنصر استخرج له نهراً يسقيه من دجيل ووقفه على آدر المضيف التي انشأها في محال بغـــداد لفطور الفقراء في شهر رمضانـــ » .

ولا تزال آثار الفروع المتشعبة من نهر دجيل ماثلة للعيان وهي تؤلف شبكة

---

(١) افادني بهذا الاستاذ السيد عبد الجبار بكره الخبير الزراعي في مديرية الزراعة العامة، فله مني الشكر .

من الجداول العالية القديمة على طرفي نهر دجيل القديم فتسير الفروع الشرقية نحو نهر دجلة والفروع الغربية نحو نهر الفرات ، ومن أهم هذه الجداول التي يقطعها الزائر في طريقه بين بغداد وبلد ، « الناظري » و « الكربوزي » و « الواويلي » و « الانهر الثلاثة » و « جويث » وغيرها (راجع اللوحة رقم ٢ مقابل الصفحة ١٥٢ واللوحة رقم ٦ مقابل الصفحة ١٩٢) ، وهذه الانهر كلها مندرسة عدا النهر الذي يتفرع من « إمام الخضر » ويسير نحو بساتين بلد الحالية فيستفيد الزراع منه في الوقت الحاضر إذ تجرى فيه المياه في موسم الفيضان فتروي بساتين بلد والاراضي المجاورة لها .

وخلاصة القول ان القسم الاعلى من نهر دجيل الذي يستفاد منه في الوقت الحاضر لارواء « بلد » و « سميكة » في موسم الفيضان هو آخر ما تبقى من مشروعات ري سامراء التي نبحث عنها في هذا الكتاب ، وهي المشروعات التي كانت تروي ما يقرب من ثلثي أراضي العراق الرسوبية الزراعية . ولا بد من القول في هذا الصدد بان هذه المنطقة العريقة في تاريخها المجيد والتي كانت في زمن ما مضرب الامثال في خصبها وخيراتها ، بفضل ازدهار المشاريع التي مر ذكرها ، قد اصبحت الآن أرضاً بلقعاً لا زرع فيها ولا ضرع ترتادها الذئاب والوحوش وتغزوها الرمال من كل صوب . نعم ، ان هذه المنطقة التي كانت رياضاً غناء بضعة عصور ، وموطناً للزراعة والعمران ، قد أصبحت قاحلة وأمست خراباً يباباً لا يمكن الوصول اليها دون قيادة ربان الصحراء . ولو كانت للآثار والاطلال لسان لوصفت لنا العز والرفاه اللذين كانا مخيمين على سكان تلك البقاع ، ولكن ذلك الصمت الرهيب الذي يسيطر على كل حواسنا والتاريخ المجيد الذي ترتسم سلسلة حوادثه في مخيلتنا حين نزور هذه الاطلال يغني عن النطق ، ففيه عتاب ، وفيه لوم ، وفيه مطالبة ، وفيه مناداة . نعم ، عتاب ولوم لتقاعسنا عن واجبنا ، أما المطالبة والمناداة فهي مطالبتنا بالعمل لاحياء موات هذه الأرض المباركة ، فهل نحن ملبون النداء ومجيبون للمطالبة ؟ ...

الفصل الثاني عشر

امكانيات مشروعات الري القديمة في سامراء

١ – نهر ......

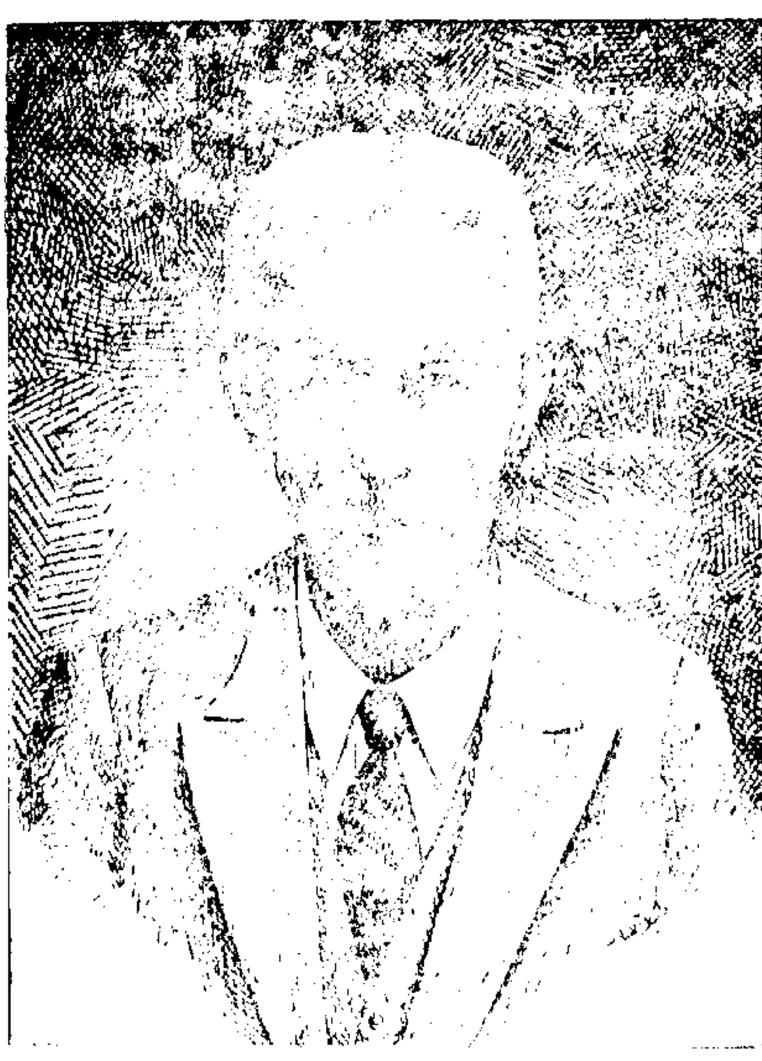
ننتقل الآن من عالم التاريخ الذي حدثنا عن أعمال العصور الغابرة وآثارها الخالدة لندخل الى عالم الحقيقة ، متخذين من تلك الدروس التاريخية البليغة عبرة نعتبر بها في حياتنا العملية ، ومستمدين من مناهل الحقائق التاريخية ما نستعين به في احياء موات هذه الأرض المباركة واعادة مجدها الغابر باحياء مشاريعها القديمة على أساس فني يتلائم وأحدث ما وصل اليه علم الهندسة في العالم الجديد ، فنكون قد استفدنا من تاريخ ماضينا في تحقيق بناء حاضرنا ومستقبلنا .

ويجدر بنا أن نعيد إلى الاذهان في هذا الصدد ما صرح به الخبير المعروف السير ويليم ويلكوكس في أحد مؤلفاته عن ري العراق إذ قال : « ان العراق في غنى عن تخطيط جديد لشق الترع وفتح الانهر فان في الآثار الباقية من الدور العباسي كفاية لتنظيم شؤون الزراعة والري في العراق ... وان مشروع الاعمار الوحيد الذي قام به العرب في الدلتا كان نسخة طبق الأصل لما قام به مردوخ » . بهذه الروح شرع السير ويلكوكس في دراسة ري العراق وتنظيم المشاريع التي اقترحها لتوسيع الزراعة فيه وتنمية ثروة البلاد ، فقد اعتمد على الاسس التي وضعها القدماء واستفاد من دراسة مشاريع الري القديمة في البلاد متخذاً اياها دليلاً ارشده الى وضع منهجه الشامل لاصلاح ري

العراق[١]، ولا شك أن في ذلك حكمة بليغة يحسن بنا ان نستنير بها، لربط صلتنا

---

(١) كان السير وليم ويلكوكس مشاوراً فنياً في وزارة الاشغال العمومية في تركيا وقد اوفدته الحكومة العثمانية الى العراق لدراسة شؤون الري فيه ورفع تقرير اليها عن المشروعات الممكن تحقيقها، فقدم العراق ومعه عدد من المهندسين في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٠٨ وبعد أن مكث زهاء سنتين ونصف السنة في العراق وانجز التحريات الفنية المطلوبة رفع تقريراً مفصلاً بتاريخ ٢٦ آذار من سنة ١٩١١ الى نظارة النافعة في الحكومة العثمانية ومعه أربعة وثمانون خارطة للاراضي وتصاميم المشاريع المقترحة. وقد طبع هذا التقرير عدة طبعات كانت الاخيرة منها انجزت سنة ١٩١٧ بعد ان أضيف اليها مقدمة مطولة عن مستقبل الري في العراق وقد سبق ان نشرها السير وليم ويلكوكس في مجلة الشرق الادنى لسنة ١٩١٦.



(السير وليم ويلكوكس ١٨٥٢ — ١٩٣٢ م)

ان الاعمال الرئيسية التي انجزت من بين مشروعات الري التي اقترحها السير وليم ويلكوكس في تقريره المذكور قد انحصرت على انشاء نواظم الهندية، عدا... انشاء بعض النواظم لصدور الجداول التابعة لها، أما مشروع بحيرة الحبانية الذي بوشر به فقد ==

عاضينا من جهة ، ولتوسيع معلوماتنا التاريخية عن مشاريع البلاد من جهة أخرى ، تلك المشاريع التي قامت عليها أقدم المدنيات البشرية المعروفة حتى الآن.

ولا نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا ان مشروعات الري القديمة في منطقة سامراء كانت تمثل المنهج الأساسي الخاص بالسيطرة على مياه دجلة بأسرها وضبطها قدر المستطاع ، فقد كانت صدور الانهر كلها تقع في مبتدأ اراضي الدلتا ، وكانت تنظم في هذا الموضع مياه دجلة وتوزع على الأنهر الرئيسية التي تمتد على ضفتي نهر دجلة ، كالـ« نهروان» و « الاسحاقي » و « دجيل » ، وكانت هذه الانهر تسحب قسماً كبيراً من مياه فيضان دجلة فتأخذ بها الى مناطق الاهوار الجنوبية . ونقطة الضعف في منهج هذه المشاريع هي ان هذه المشاريع قد اقتصرت على شق الانهر الواسعة لسحب أكبر كمية ممكنة من مياه الفيضان وتحويلها الى الأراضي المنخفضة في الجنوب ، ومع ان هذه الطريقة كانت تخفف خطر الفيضان إلى حدّ ما ، إلا انها كانت تهدّد الاماكن المعمورة الواقعة على طريق هذه الانهر بالغرق في معظم الاحيان ، كما انها في الوقت ذاته كانت تذهب بالمياه الفائضة إلى الاهوار ومنها إلى البحر دون أن يستفاد منها لاغراض الخزن والاستغلال في موسم شحة المياه ، هذا باستثناء مشروع الخزان الذي كان قد أقيم في بحيرة الشارع وهو المشروع الذي كان يستهدف خزن مياه النهرين ، الزاب الصغير والعظيم ، في البحيرة المذكورة بغية تزييد مياه النهروان الصيفية بارجاع مياه الخزن اليه عن طريق «وادي السدة» الحالي[1]. والظاهر ان الاقدمين مهما كانوا

= اوقفت الاعمال فيه على أثر نشوب الحرب العالمية الاولى التي كانت السبب المباشر في اهمال مشاريع ويلكوكس وتوقف سلسلة اعماله التي باشرها (حول قناطر الهندية ومشروع بحيرة الحبانية راجع كتابنا « وادي الفرات » بجزئيه الاول والثاني) .

وكان السير وليم ويلكوكس قبل مجيئه الى العراق يعمل في مصر لمعالجة شؤون الري هناك ووضع تصميم خزان اسوان ؛ ذلك المشروع الحيوي العظيم الذي يعتبر من أعظم المشاريع العمرانية التي انجزت في الشرق بالنظر لما دره على مصر من الخيرات الكثيرة .

(١) راجع البحث المتقدم الخاص ببحيرة الشارع ووادي السدة في ص ١٦٢ـ١٦٧ وص ٢٠٥ والبحث التالي الخاص بـ « مشروع سد العظيم وخزان بحيرة الشارع » في هذا الفصل .

قد بلغوا في تقدمهم العمراني، فانهم لم يستطيعوا اقامة الخزانات الاصطناعية الضخمة التي تستوجب انشاء السدود العالية ، أي الخزانات التي تحمي البلاد من خطر الغرق من جهة وتزوّد المزارع الصيفية بالمياه في موسم الشحة من جهة اخرى .

ولا يخفى ان الطبيعة قد اختصت أنهر العراق بالتباين الشديد في تجهيزاتها المائية في مختلف المواسم ، لان معدل تصريف مياه الرافدين ، دجلة والفرات ، في اشهر الفيضان العالي يبلغ نحو ٥٠٠٠ متر مكعب في الثانية ، على حين ينخفض هذا التصريف الى نحو عشر هذه الكمية في موسم الصيهود خلال أشهر الصيف . ويختلف أيضاً الحد الادنى لتصريف المياه في موسم الصيهود في مختلف السنين ، ففي ايلول من سنة ١٩١٥ مثلاً بلغ تصريف المياه في نهر دجلة ٦٥٠ متراً مكعباً في الثانية مقابل ١٥٠ متراً مكعباً في الثانية في الشهر نفسه من سنة ١٩٣٠ . كما ان كمية المياه السنوية التي تجري في دجلة والفرات تتباين تبايناً كبيراً بين سنة واخرى بقدر ما تختلف المقادير الشهرية في مختلف المواسم ، فمثلاً كانت كميات مياه الرافدين في سنة ١٩٣٠ لا تزيد على ٢٢ ملياراً من الامتار المكعبة على حين انها بلغت في سنة ١٩٤١ حداً أعلى قدره ثمانون ملياراً من الامتار المكعبة .

وهكذا نرى ان عدم الانتظام في التجهيز الطبيعي للمياه يعرّض الأراضي الزراعية لخطر الفيضان في كثير من الاحيان ، على حين انه يحرمها من الكميات الوافية في أشهر الصيف ، الأمر الذي يجعل انشاء القناطر الحاجزة على عرض مجاري الانهر لرفع مناسيب المياه أمامها في موسم الصيهود واقامة خزانات لدرء أخطار الفيضانات وخزن المياه الزائدة للاستفادة منها لاغراض الري في موسم شحة المياه من أهم الاعمال الرئيسية التي ينبغي انجازها لتنظيم شؤون الري في القطر العراقي .

أما المشروعات التي من هذا القبيل فقد اقتصرت حتى الآن على الفرات دون

دجلة ، وان العمل جار في الوقت الحاضر لتهيئة مشروع بحيرة الحبانية الذي يؤمن استخدام بحيرة الحبانية بشكل فني لتخفيف وطأة فيضان نهر الفرات وذلك بتحويل مياه الفيضان العالي اليها ، وعندها يصبح في الامكان استخدام البحيرة كخزان تخزن فيه المياه في موسم الفيضان ، على أن تماد هذه المياه الى حوض نهرالفرات في الموسم الذي تشح فيه المياه للاستفادة منها لاغراض الري . وعلى هذا يصح القول بأن قضية معالجة فيضان الفرات تكاد تكون قد بلغت مرحلتها الاخيرة حيث سيكون مشروع الحبانية بعد اتمامه من المشاريع الواقية من شرور فيضان الفرات من جهة والمزيدة لايراد الفرات الصيفي من الجهة الاخرى . على ان هناك أمامنا اعمالاً أخرى ينبغي انجازها بعد اكمال خزان الحبانية وهي المشاريع اللازمة لاستثمار مياه التخزين التي ستتوفر في نهرالفرات في موسم الصيهود .

وقبل أن نبحث عن مشروعات نهر دجلة قد يكون من المفيد أن نطرح السؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارىء ، وهو « لماذا اقتصرت الأعمال على نهر الفرات دون دجلة ؟ .. ولماذا لم يباشر بأي مشروع مماثل لمشروع بحيرة الحبانية على نهر دجلة ؟... » والجواب على ذلك :

١ ـ ان الطبيعة وهبت الفرات ، دون دجلة ، منفذاً طبيعياً ، ذلك هو بحيرة الحبانية الواقعة على الضفة اليمنى من نهرالفرات في الجنوب الشرقي لمدينة الرمادي ، وهي تؤلف منخفضاً واسعاً تبلغ كمية المياه التي يمكن خزنها فيه حوالي مليارين ونصف المليار من الأمتار المكعبة .

٢ ـ ان مشروع الحبانية على نهر الفرات قديم يرجع إلى ما قبل آلاف السنين ، وكان قد اقترحه ويلكوكس وباشر بانجازه فعلاً ، إلا أن الحرب العالمية الاولى حالت دون اكماله واتمت الحكومة العراقية انجاز القسم الاكبر منه.

٣ ـ ان استيعاب نهر دجلة للمياه في موسم الفيضان يبلغ أكثر من ضعف

استيعاب نهر الفرات ، الأمر الذي يجعل كافة المشروعات الكبرى على مجرى الفرات أقل منها على نهر دجلة ، الى سهولة انجاز مشروعات الفرات للاسباب نفسها .

٤ ـ ان الفضل الأول في تحقيق مشروع الحبانية يرجع إلى اهتمام السلطات البريطانية به لما فيه من الفوائد العسكرية والستراتيجية ، ولا سيما وأن بحيرة الحبانية تجاور مطار سن الذبان ومعسكره .

٥ ـ ان مشروع الحبانية كان من ضمن المشاريع التي أنجزت تحت عوامل سياسية في مختلف الظروف والأدوار ، وذلك لعدم وجود خطة أو سياسة عامة بنطاق واسع تتناول تقدم وتوسع أمور الري في القطر كله ، وعلينا أن نشكر هذه المؤثرات التي كانت السبب المباشر للاهتمام بالمشروع [1] .

يتضح مما تقدم أن مشكلة الفيضان في نهر دجلة أكثر تعقداً وأصعب حلاً منها في نهر الفرات ، هكذا كانت في العصور الغابرة ولا تزال كذلك إلى الآن . وقد يصح لنا أن نقسم معالجة مشاكل نهر دجلة إلى طريقتين : الطريقة الأولى وهي المعالجة العامة التي تشتمل على انشاء مشروع جسيم واحد يعالج مشكلة الفيضان ومشكلة قلة المياه الصيفية في آن واحد ، فينشأ خزان واسع يستوعب مياه الفيضان كلها على أن تعاد المياه المخزونة إلى حوض النهر في موسم الصيهود ، والطريقة الثانية هي طريقة انشاء مشاريع متعددة على روافد دجلة فتنشأ خزانات على كل من هذه الروافد لتحويل مياه الفيضان اليها وخزنها للاستفادة منها في موسم شحة المياه باعادتها إلى دجلة حسب مقتضى الحاجة ، وهذه هي الطريقة التي اتبعها الأقدمون في معالجة مشاكل نهر دجلة . أما الطريقة الأولى فقد حبذها بعض الخبراء لأنها تحل مشاكل دجلة كلها مرة واحدة ، وقد اتجهت

(١) راجع البحث الخاص بمشروع الحبانية في كتابنا « وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية » ، الجزء الأول ، مطبعة الحكومة في بغداد ـ ١٩٤٤ .

النية مؤخراً الى دراسة امكانيات مشروعين ضخمين من هذا النوع ، وهما « مشروع خزان الثرثار » و « مشروع خزان الفتحة » ، وفيما يلي بحث موجز عن كل من هذين المشروعين .

٢ ـ مشروع وادى الثرثار

يقع وادي الثرثار في الجزيرة الكائنة بن النهرين ، دجلة والفرات ، مبتدئاً في سفوح جبل سنجار الذي يمتد على الحدود الشمالية الغربيــة للعراق ويسير مسافة ٣٠٠ كيلومتر تقريباً في الاتجاه الجنوبي بميل قليل نحو الشرق ، ويكاد يكون موازياً في امتداده لنهر دجلة ، ثم ينتهي الى منخفض طبيعي واسع يتوسط منطقة ما بين النهرين الكائنة ما بين أطلال الاصطبلات على نهر دجلة وقصبة هيت على نهر الفرات ، ويقال لهذا المنخفض « منخفض وادي الثرثار » أو « بحيرة الثرثار » .

يتألف المنخفض من وحدتين رئيسيتين الأولى تسمى « بحيرة الرفيعي » وهي تقع على بعد حوالي ٤٦ كيلومتراً من جنوب غربي أطلال الاصطبلات ، ويساوي منسوب قاعها ٤٢ متراً فوق معدل سطح البحر ، وتشكل الثانية منخفضاً واسعاً يقع على بعد ٥٠ كيلومتراً من أطلال الاصطبلات في الجهة الشمالية الغربية من « بحيرة الرفيعي » ويقال له « جب العبيد » . وقد وجد أن مستوى قاع هذه الوحدة الثانية في طرفها الجنوبي يبلغ نحو ثلاثة أمتار تحت معدل سطح البحر . ويتضح من ذلك أن ميل الأراضي يسير من « بحيرة الرفيعي » باتجاه الشمال الغربي فيستمر في الهبوط في ذلك الاتجاه ماراً بالمنطقة المنخفضة المعروفة بالمالحة حتى يصل إلى أوطأ نقطة من الوادي عند « جب العبيد » ، وهي المنطقة الملحية التي يؤخذ منها الملح في الوقت الحاضر .

وتدل خرائط المسح المتوافرة على أن مساحة منخفض وادي الثرثار أو « بحيرة الثرثار » تبلغ أكثر من الفي كيلومتر مربع بمنسوب ٦٥ متراً فوق

معدل سطح البحر ، كما تدل المستويات على امكانية املاء البحيرة الى هـذا المنسوب بدون حاجة الى انشاء سدود حوالي البحيرة لخزن المياه فيها . أما كمية الاستيعاب فتقدر بثمانين مليار من الامتار المكعبة تقريباً فيما اذا تم املاء البحيرة الى أقصى حد الاستيعاب أي إلى حد منسوب ٦٥ متراً ، وبذلك نجرؤ على القول بأن بحيرة الثرثار تكوّن أكبر خزان في العالم من حيث كمية الاستيعاب ، هذا اذا لاحظنا أن « خزان بولدر » الواقع في الولايات المتحدة الاميركية والذي يعتبر أكبر خزان في العالم يستوعب حوالي ٣٨ ملياراً من الأمتار المكعبة من المياه كحد أعظم .

وقد وضعت عدة مقترحات ترمي الى استخدام « بحيرة الثرثار » لتخفيف وطأة الفيضان في نهر دجلة وذلك بتحويل قسم من مياهه إلى البحيرة المذكورة ، كما وضع أخيراً اقتراح يرمي ، علاوة على استخدام البحيرة لغرض تخفيف وطأة فيضان دجلة ، إلى استغلال البحيرة كخزان تخزن فيه مياه الفيضان ثم يعاد قسم من هذه المياه إلى النهرين ، دجلة والفرات ، في موسم شحة المياه لتموينهما بالمياه الكافية بغية توسيع الزراعة على النهرين المذكورين . وقد يكون من المفيد ، قبل أن نبحث في هذه المقترحات ، أن ندوّن فيما يلي ما توصلنا اليه من معلومات عن تاريخ الثرثار والمشروعات التي كان قد أقامها الاقدمون عليه .

أ ـ وادي الثرثار :

يستدل مما دوّنه المؤرخون من العرب ان وادي الثرثار كان نهراً واسعاً يتكوّن في منطقة جبل سنجار من مياه الأودية المنحدرة من سفوح الجبال في تلك المنطقة ، وهي الجبال التي تمتد على طول الحدود الشمالية للعراق من جهة الغرب ، فيسير وسط الجزيرة الواقعة ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، موازياً لهما ، وبعد أن يمر بمدينة « الحَضَر » [1] يصب في دجلة في جوار تكريت .

(١) راجع البحث التالي الخاص بمدينة « الحضر » في هذا الفصل

وتدل الآثار التي تعقبناها في القسم الأسفل من وادي الثرثار أن هناك فرعاً كان يتجه نحو نهر الفرات ويصب فيه بالقرب من قلعة « أم الرؤوس »[1]، أي ان نهر الثرثار كان ينشطر في قسمه الأسفل إلى شطرين يسير أحدهما إلى الجنوب الشرقي فيصب في دجلة قرب تكريت ، ويسير الشطر الثاني نحو الجنوب الغربي فيصب في الفرات قرب « قلعة أم الرؤوس » المذكورة .

وقد أطلق البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) على نهر الثرثار اسم « الحفر » ، وقال انه « خندق حفره كسرى بين دجلة والفرات وهو الذي أشار اليه الأخطل في شعره بقوله :

حتى اذا قلت وركن القصيم وقد   شارفن أو قلن هذا الخندق الحفر »

إلا أن ليس هناك ما يؤيد ذلك حيث انه لم يسبق أن نوّه بذلك أحد غيره على ما نعلم .

ويشير المؤرخون إلى أن نهر الثرثار كان يتموّن من مياه نهر الخابور أيضاً ، إذ كان قد أقام الاقدمون سداً على الرافد الشرقي لنهر الخابور الذي ينبع في منطقة نصيبين ، وهو الرافد الذي كان يعرف بـ « نهر الهرماس » (وبالآشوري

---

(١) تقع هذه القلعة الأثرية على الضفة الشرقية لنهر الفرات على بعد ٣٥ كيلومتراً من شمال غربي الفلوجة (راجع خارطة مشروعات الري الكبرى على نهر دجلة)، وهي عبارة عن ساحة مربعة محاطة بسور ضخم مبني بأكبر أنواع اللبن القديم . ويبلغ طول ضلع الساحة زهاء (١٥٠) متراً ، أما السور فيعلو مستوى أرض الساحة ثمانية أمتار تقريباً ويبلغ سمكه نحو خمسة أمتار . وتشبه هذه القلعة من حيث تصميمها والمادة التي استخدمت في بنائها وهي اللبن ذو الحجم الكبير قلعة الناي القديمة الواقعة في وسط أراضي الفرقة شرقي نهر العظيم (راجع البحث المتقدم الخاص بقلعة الناي هذه في ص٢١٤) . وكان على حسب قول الأهلين قد عثر على مقبرة في هذه القلعة وجدت رفات الموتى فيها داخل أواني من الفخار مما يشير الى احتمال كون البناء يرجع الى العهد الفرثي لأن الفرثيين كانوا يتبعون هذه الطريقة في دفن الموتى .

خرميش)، ويعرف اليوم بنهر الجغجغ ، وبفضل هذا السد الذي كان يعرف بأسم « سكّير العباس »[1] ، حوّلت مياه هذا الرافد إلى نهر الثرثار الاستفادة منها في ارواء منطقة «الحضر» ومزارع منطقة الجزيرة الواقعة ما بين النهرين، دجلة والفرات . أما اليوم فلم يبق من نهر الثرثار غير عقيقه القديم الواقع في جنوب سنجار فتملأه مياه السيول المنحدرة من جبل سنجار في الشمال ومياه السيول التي تنصب فيه من طرفيه في موسم الامطار فقط ، وقد خرب مشروع « سكّير العباس » فانقطعت مياه الخابور عن الثرثار . هذا ما وقع في صدر الثرثار ، أما في الذنائب فقد خرب مصبه في دجلة والفرات لعوامل طبيعية أدت إلى ظهور خسف هناك توسع حتى شكل بحيرة عميقة وسط جزيرة ما بين النهرين أخذت تسحب مياه الثرثار كلها ، هذه هي بحيرة الثرثار الحالية التي تقدم ذكرها وسيأتي البحث عن كيفية تكوينها وتاريخ ظهورها .

وقبل البحث عن تاريخ وادي الثرثار قد يكون من المفيد أن نبحث عن نهر الخابور الرئيسي وعن نهر الجغجغ ، وهو نهر الهرماس الذي كان مشروع سكّير العباس عليه ، وذلك لما لهذين النهرين من علاقة تاريخية بمشروع نهر الثرثار نفسه .

ب — نهر الخابور

يقع نهر الخابور داخل حدود الجمهورية السورية الحالية وينبع في منطقة الحدود الشمالية منها ويعد ان يجري جنوباً مسافة زهاء (٢٨٠) كيلومتراً في هذا الاتجاه يصب في الضفة اليسرى لنهر الفرات عند قرية « البصيرة » من أراضي لواء الفرات الواقعة على مسافة ٥٤ كيلومتراً من جنوب مدينة « دير الزور » وعلى بعد ١٧٥ كيلومتراً الى الشمال من الحدود العراقية السورية.

---

(١) كلمة « سكير » تصغير السكر ، وهو السد الذي يقام على مجرى النهر .

ويتكوّن النهر من رافدين رئيسيين أولهما ، وهو الرافد الشرقي ، ينبع في منطقة « نصيبين » و « القامشلي » (وتقع الاولى في تركيا والثانية في سوريا) ويعرف بأسم نهر الجغجغ ، والثاني ، وهو الرافد الغربي الذي ينبع في منطقة « رأس العين » يكوّن مجرى نهر الخابور الرئيسي ، وبعد أن تخترق أودية هذين الرافدين الجبال الوعرة الممتدة من الشرق إلى الغرب تتحد كلها عند مدينـــة « الحسكة » في مجرى واحد يجري جنوباً حتى يصب في نهر الفرات .

ويتراوح تصريف مياه نهر الخابور في موسم الصيهود في الوقت الحاضر من ٣٥ متراً مكعباً إلى ٣٨ متراً مكعباً في الثانية ، أي حوالي سدس معدل ايراد الفرات الصيفي ، أما في موسم الشتاء فهو يتراوح من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مترمكعب في الثانية ، وقـــد قدّر معدل تصريفه السنوي الحالي بحوالي ٥٢ متراً مكعباً في الثانية ، أي أن مجموع كمية مياهه السنوية يبلغ حوالي ١ر٦ ملياراً من الامتار المكعبة .

ومن أهم المدن السورية الحالية القائمة على نهر الخابور مدينة « الحسكة » الكائنة على ضفته الغربية عند ملتقى فرع « نصيبين » الشرقي بفرع « رأس العين » الغربي . والحسكة اليوم مركز لواء الجزيرة في سوريا تضم مايتوف على ١٥ ألف نسمة . وهناك قصبة « رأس العين » ، وهي ناحية لمركز لواء الحسكة، تقع على منبع الرافد الغربي لنهر الخابور ، وهو نهر الخابور نفسه ، وعلى طريق السكة الحديدية وتبعد عن الحسكة بنحو ٩٠ كيلومتراً ، وكانت تسمى سابقاً « قطف الزهور » لكثرة مافيها من رياض وزهور ويبلغ عدد سكانها سبعة آلاف نسمة تقريباً ، كما ان هنالك مدينة « القامشلي » الواقعة على ضفاف نهر الجغجغ وعلى خط قطار الشرق السريع الحديدي، وهي من أهم المدن السورية، ويزيد عدد سكانها على ثلاثين الف نسمة (راجع خارطة مشروعات الري الكبرى على نهر دجلة) .

ونهر الخابور من أقدم الروافد التي تصب في الفرات وقد جاء ذكره في كتابات الاغريق إذ اطلقوا عليه اسم « خابوراس » (Chaboras) ، واطلق العرب عليه اسمه الحالي ، ومن المدن التي ازدهرت عليه في العهد العربي ، حسب ما ذكرها المؤرخون من العرب « العبيدية » و « تفنينير العليا » و « وتفنينير السفلى » و « الجحشية » و « الجدل » و « طابان » و « سكّير العباس » و« عرابان » و« قُدَيْن » و«الشمسانية» و« شاعا » و« الصوّر » و «الفدير» و « ماكسين » . ومن المدن التي رسمها ابن حوقل في خارطة صورة الجزيرة « العبيدية » و « تفنينير » و « الجحشية » و « طابان » و « سكّير العباس » و« عرابان » (راجع ص ٨٦) . ولا تزال أطلال معظم هذه القرى والمدن ماثلة للعيان وهي لا تزال إلى الآن تعرف بأسمائها الاصلية مثل« قُدَيْن» و«الصوّر» و « الشمسانية » و « عرابان » و « طابان » و « الجدل » و « الجحشية » وغيرها من المدن والقصبات والقرى (راجع خارطة مشروعات الري الكبرى على نهر دجلة) ، كما انه لا تزال آثار السدود المنشأة على نهر الخابور ماثلةللعيان حتى يومنا الحاضر ، منها تل سكرة وعبيان وتل الرمان وسبع سكور وتنينير والتف وجرمز ومركدة والشمساني والحمى ودوارين وقد أصبح بعضها مضرباً للامثال كما جاء بلسان العامة :

خيروني بين حمى ودوارين فاخترت دوارين وقلبي بالحمى عالق[1]

وفي الدراسات التي قامت بها مصلحة الري السورية تبين لها ان المساحات الممكن ارواؤها فيما بين « رأس العين » و « الحسكة » في أعالي الخابور ـ فيما اذا انشئت لها السدود اللازمة ـ تبلغ حوالي ١٥٠٫٠٠٠ دونم عراقي (مشارة)،

---

(١) راجع كتاب ديسو الفرنسي عن تاريخ طوبوغرافية سوريا القديمة وعنوانه : —
« Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale » par Rene' Dussaud, Paris, 1927.

وقد باشرت في عام ١٩٤٣ بتنظيم هذا القسم ففتحت جدولاً على الضفة اليسرى من النهر يبلغ طوله ٤٠ كيلومتراً ، وانجز الناظم الرئيسي لهذا الجدول الذي يروي ما يقارب الاربعين الف دونم (مشارة) على أساس تصريف ٤٫٥ من الأمتار المكعبة في الثانية . ومن المشروعات المقترح اقامتها على نهر الخابور لزيادة مياهه مشروع خزن مياه الفيضان في منطقة الفدغمي ، ما بين هضاب مرقدة البزالتية حيث يسهل انشاء سد بارتفاع ٢٠ متراً وطول ٤ كيلو مترات يستوعب خزانه ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه ، مما يسهل تزويد النهر في موسم الارواء بتصريف اضافي قدره خمسون متراً مكعباً في الثانية وابلاغ المساحات القابلة للأرواء من هذا المشروع الى زهاء مليون دونم عراقي (مشارة)[1] .

أما نهر الجغجغ ، وهو نهر الهرماس القديم ، فينبع في الاراضي التركية ويدخل إلى الأراضي السورية في جوار نصيبين ويصب على نهر الخابور قرب الحسكة ، ويبلغ طول مجراه زهاء ١٢٠ كيلومتراً وقد كان تصريفه الصيفي في الماضي يبلغ خمسة امتار مكعبة في الثانية في عام ١٩٣٩ ثم قلت مياهه فانخفض التصريف إلى مترين ونصف المتر المكعب في الثانية وذلك على أثر قيام الاتراك بمشاريع ري عليه ضمن حدودهم ، وتستخدم هذه الكمية كلها لارواء منطقة القامشلي وما جاورها حتى انه لا يبقى في مجرى النهر أية كمية من المياه في موسم الصيف اعتباراً من موضع تل براك ، ويبلغ تصريف مياهه في موسم الفيضان في الوقت الحاضر عشرة أمتار مكعبة في الثانية كحد أعظم .

ومن أهم الأودية التي تنصب في نهر الجغجغ وادي الردّ وهو ينبع من جهة الشرق فيتألف من عـــدة أنهر وأودية منها وادي رميلة ، ووادي خنزير ، ووادي دميرقيو ، ووادي العباس ، ووادي الجراحي . ويختلط وادي الردّ على

(١) راجع « الثروة المائية في سوريا » للمهندس الدكتور صبحي مظلوم ص ٦ و ص ١٨—٢٠

نهر الجغجغ قرب قرية تل براك ، ولا يستفاد من هذا الوادي في ارواء الأراضي لعمق مجراه ولعدم استعمال آلات الضخ لرفع مياهه .

ج ـ تاريخ وادي الثرثار

وصف المؤرخون العرب نهر الثرثار ومشروع « سكّير العباس » على نهر الهرماس ، وهو المشروع الذي كان يموّن نهر الثرثار الذي يمر بمدينة الحضر بالمياه ، فذكر البلاذري المتوفي سنة ٢٧٩ هـ نهر الثرثار بقوله انه « نهر ينزع من هرماس نصيبين ويفرغ في دجلة بين السكُحَيْل[1] ورأس الأيّل »[2] .
ووصف ابن سرابيون ، وكان من المعاصرين للبلاذري ، النهرين ، الثرثار والخابور ، وكذلك «سكير العباس» على نهر الهرماس ، قال : «ويصب الى الفرات أيضاً نهران يجتمعان في موضع واحد يقال لأحدهما الخابور وللآخر الهرماس فأول الخابور من مدينة رأس العين من عين الزاهرية وأول الهرماس من ارض نصيبين من موضع يقال له طور عبدين والهرماس نهر نصيبين يمر فيسقي الضياع والبساتين ويخرج من العمارة الى البر ويمر الخابور فيسقي ضياع رأس العين ثم يجتمع هو والهرماس في البرية والهرماس منصب فيه فيصير نهراً واحداً والغالب عليه الى مصبه الخابور فيمر فيسقي الضياع التي في شمال قرقيسيا ويصب في الفرات بقرقيسيا في الجانب الشرقي ويخرج من الهرماس أيضاً نهر يقال له الثرثار أوله من عند

---

(١) ذكر ياقوت الحموي « السكحيل » بقوله « السكحيل موضع بالجزيرة وكان فيه يوم للعرب ... قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف السكحيل مدينة عظيمة على دجلة بين الزابين فوق تكريت عن الجانب الغربي ذكر ذلك في رحلة المعتضد لحربه خمارويه في سنة ٢٧١ واما الآن فليس لهذه المدينة خبر ولا أثر . » ويحتمل أن تسمية الجبال الممتدة غربي دجلة ما بين الفتحة والشرقاط بأسم « مكحول » مشتقة من كحيل الأصلية الواقعة في هذه المنطقة وقد حرفت مع الزمن فسماها الناس « مكحول » .

(٢) راجع كتاب البلاذري « أنساب الأشراف » ، الجزء الخامس ، طبعة القدس ص ٣٢٢ .

سكير العباس يمر في وسط البرية ويصب في دجلة أسفل من تكريت بعد أن يمر بالحضر ويقطع جبل بارمّا »[1] . ويصف ابن سرابيون نهر الثرثار في موطن

---

(١) يقول ياقوت أن « بارما بكسر الراء وتشديد الميم جبل بين تكريت والموصل وهو الذي يعرف بجبل حمرين يزعمون انه محيط بالدنيا قال ابو زيد وجبل بارما تشقه دجلة عند السن والسن في شرقي دجلة فتجري بحافتيه وفي الماء منه عيون للقار والنفط وجبل بارما يمتد على وسط الجزيرة مما يلي المغرب والمشرق حتى يتصل بكرمان وهو جبل ماسبذان، و بارما أيضاً قرية في شرقي دجلة الموصل واليها نسب السن فيقال سن بارما».

ويقع هذا السن في موضع « الفتحة » الحالي حيث يقطع جبل حمرين نهر دجلة فيؤلف مضيقاً عميقاً تجري دجلة فيه ، ولا تزال توجد الى الآن عيون للقار والنفط والكبريت في موضع « الفتحة » كما كان عليه الحال في عهد ياقوت .

أما جبل بارما الذي يقصده ابن سرابيون فهو جبل سنجار الحالي الذي كان نهر الثرثار يمر من حده الغربي عند موضع « الجبة » الحالي . وتوجد اليوم قرية مهجورة في الحد الشمالي من جبل سنجار الحالي الى الشمال الشرقي من مدينة سنجار على بعد (٢٥) كيلومتراً منها تسمى (برانا) ، والارجح ان هذه التسمية محرفة عن الكلمة « بارما » الاصلية (راجع خارطة مشروعات الري الكبرى على نهر دجلة).

ولا يخفى ان جبل حمرين الذي يعتبره ياقوت « جبل بارما » نفسه يؤلف اليوم سلسلة من التلول تخترق المنطقة الواقعة شمالي العراق ، فتبدأ من شمال هور الحويزة ممتدة نحو الشمال الغربي على محاذاة الحدود الايرانية العراقية ، تاركة منطقة العمارة الى الجنوب منها ، وبعد أن تصل الى المنطقتين بكسايا وبدرة تسير نحو نهر ديالى فتقطعه عند قرية المنصورية حيث يقع سد ديالى القديم (راجع البحث المتقدم الخاص بهذا السد في ص (١٠٩) ، وهو الموضع الذي يقع فيه سد ديالى الثابت الحالي ، ثم تمتد هذه الجبال الى نهر العظيم فتقطعه عند سد العظيم القديم (راجع البحث المتقدم الخاص بهذا السد في ص١٦٢) ، ومن ثم تسير هذه السلسلة الى نهر دجلة فتقطعه في موضع الفتحة المتقدم ذكره وتمتد الى الشرقاط حيث تنخفض عندها . ثم تعود مرة اخرى فتظهر في غربي منطقة الموصل فتمتد الى جهة مدينة سنجار ومنها الى قرب نهر الخابور ضمن الأراضي السورية فتنتهي هناك ثم تظهر مرة اخرى غربي نهر الخابور فتمتد في الاراضي الواقعة بين نهر الخابور ونهر البليخ . ومن المعلوم ان هذه السلسلة من الجبال التي يطلق عليها اسم « جبل حمرين » بوجه عام تسمى باسماء تختلف باختلاف اسماء المناطق التي تمر بها ، فالجبال التي تمر بين الفتحة والشرقاط مثلا تعرف باسم « مكحول » لمرورها من منطقة « كحيل » القديمة ، والجبال التي تمر من سنجار تسمى « جبال سنجار » والقسم الذي يصل الى قرب « الجبة » يسمى « جبل جبه » ، =

آخر بقوله : «ويصب الى دجلة نهر يقال له الثرثار أوله من الهرماس نهر نصيبين يمر فيقطع جبلاً معترضاً له ويجيء في البرية ويمر بالحضر ويجيء في برية سنجار ويصب في دجلة فوق مدينة تكريت بفرسخين في الجانب الغربي » . وقال ابن رسته، وهو أحد المعاصرين لأبن سرابيون :« ويخرج الهرماس من طور عبدين وينصب في الخابور ويخرج الثرثار من الهرماس ويمر بالحضر وينصب في دجلة[1]».
وقد أشار البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ الى الثرثار بقوله انه « نهر بالجزيرة يصب من الهرماس الى دجلة » .

فيلاحظ مما تقدم ان ابن سرابيون كان متردداً في تعيين موضع مصب الثرثار بالقياس الى نهر دجلة لانه بعد ان ذكر انه يصب في أسفل تكريت عاد فقال انه يصب فوقها بفرسخين كما تقدم . وقد شاركه في هذا التردد ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ إذ قال وهو يصف الثرثار : « ويتشعب من الهرماس نهر الثرثار ويمر بالحضر في برية سنجار ويصب في دجلة أسفل من تكريت وقيل فوق تكريت بفرسخين »[2] . ويحتمل ان أباالفداء نقل ذلك عن ابن سرابيون الذي الف كتابه قبل اكثر من أربعة قرون . ومما يدل على ارتيابه في ذلك أيضاً انه عاد فقال في موطن آخر من كتابه نفسه ان الثرثار يصب في دجلة عند تكريت[3] . واعتبر ياقوت مصب الثرثار في أسفل تكريت ، أما المؤرخون الآخرون فلم يتطرقوا الى تعيين موضع مصبه بالضبط وانما اقتصر وصفهم على

= اما سلسلة الجبال الواقعة غربي نهر الخابور فتسمى « جبل عبد العزيز » ، وهكذا كان جبل سنجار قد اطلق عليه اسم « جبل بارما » لمروره من منطقة كانت تعرف بهذا الاسم ، والارجح ان قرية « برانا » التي تقدم ذكرها كانت في منطقة بارما التي نسب اليها جبل بارما .

(١) راجع كتابه « الاعلاق النفيسة » طبعة ليدن ص ٩٠

(٢) راجع كتابه « تقويم البلدان » ، طبعة باريس الفرنسية ، ص ٥٥

(٣) راجع نفس المصدر ص ٥٢

ذكر انتهائه الى دجلة فقط . ويمكن ان نستخلص من كل هذا ان الثرثار كان يصب في دجلة في مكان ما من منطقة تكريت في جوار مدينة تكريت .

وكان نهر الثرثار لا يزال يستمد مياهه من نهر الهرماس ويصب في دجلة في زمن ياقوت الحموي الذي وصفه في أوائل القرن السابع الهجري (٦٢٦ هـ) ، حيث ذكر انه رآه غير مرّة وفضلات مياه نهر الهرماس تنصب اليه ، إلا انه يشير في الوقت نفسه الى أن المياه لم تجر فيه إلا اذا كثرت الامطار وفاضت السيول، مما يدل على ان مشروع « سكير العباس » لم يعد يستفاد منه استفادة تامة كما كان عليه من قبل[1] ، ولعل ذلك كان ناجماً إما عن اهمال السكر نفسه أو عن وقوع تطورات طبيعية في منابع نهر الهرماس بنضوب مياه العيون في نصيبين ، وربما كان الشق الثاني السبب المباشر لأن « نهر الهرماس » (نهر

---

(١) وصف ياقوت وابن عبد الحق الثرثار كما يأتي : « الثرثار واد عظيم بالجزيرة يمد اذا كثرت الامطار فأما في الصيف فليس فيه الا مناقع ومياه حامية وعيون قليلة ملحة وهو في البرية بين سنجار وتكريت كان في القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بنو تغلب منهم وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة ولهم في ذكره اشعار كثيرة رأيته انا غير مرة وتنصب اليه فضلات من مياه نهر الهرماس وهو نهر نصيبين ويمر بالحضر مدينة الساطرون ثم يصب في دجلة أسفل تكريت ويقال ان السفن كانت تجري فيه وكانت عليه قرى كثيرة وعمارة فأما الآن فهو كما وصفت ، وأصله من الثر وهو الكثير قاله الكوفيون كما قالوا في مل تململ وفي الضح حر الشمس الضحضاح وله أشباه ونظاير » .

وقد أشار ياقوت الى نهر سماه نهر الحشاك تنطبق عليه الاوصاف التي دونها عن نهر الثرثار نفسه مما يدل على ان الثرثار كان يعرف بهذا الاسم أيضاً . واليك ما ذكره عن نهر الحشاك هذا ، قال : « الحشاك هو واد أو نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات يأخذ من الهرماس نهر نصيبين ويصب في دجلة قال الاخطل :

أضحت الى جانب الحشاك جيفته ورأسه دون اليحموم فالصور

وقال بعضهم الحشاك وتل عبدة عند الثرثار كانت فيه وقعة لتغلب على قيس ».

الجفجغ الحالي) الذي ينبع في جوار نصيبين لم يتجاوز تصريف مياهه في الوقت الحاضر مترين ونصف المتر المكعب في الثانية صيفاً وعشرة امتار مكعبة في الثانية شتاءً كما تقدم بيانه ، على حين اننا نقرأ كثيراً عن حوادث انفجار الاراضي في منابع الهرماس في منطقة نصيبين وعن انشاء سدود محكمة هناك للمحافظة على المزارع من الغرق ، فقد ذكر ياقوت في مادة (الهرماس) ان الروم كانوا قد سدّوا العين التي ينبع منهـا نهر الهرماس بالحجارة والرصاص ولم يفسحوا المجال إلا لكمية قليلة من مياه هذه العين لتجري الى النهر خوفاً من غرق مدينة نصيبين . ويضيف الى ذلك قوله ان المتوكل فتح منها شيئاً يسيراً فغلب الماء عليه مما اضطره أن يعيد البناء الى ما كان عليه ، واليك ما كتبه ياقوت في هذا الموضوع قال : « الهرماس وهو نهر نصيبين مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ مسدودة بالحجارة والرصاص وانما يخرج منها الى نصيبين من الماء القليل لأن الروم بنت هذه لحجارة عليها لئلا تغرق هذه المدينة ، وكان المتوكل لما دخل هذه المدينة صار اليها وأمر بفتحها ففتح منها شيئاً يسيراً زيادة على ما هو عليه فغلب الماء عليه غلبة شديدة حتى أمر باحكامه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص والى الآن هذه العين في أعلى المدينة وفاضل مائها يصب الى الخابور ثم الى الثرثار ثم الى دجلة قال ذلك أحمد بن الطيب الفيلسوف » . وذكر ياقوت أيضاً في مادة (نصيبين) ان نصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على مايذكر أهلها أربعون ألف بستان بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة أيام وبين دنيسر يومان عشرة فراسخ وعليها سور وكانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه اياها ... ونصيبين مدينة وبئة لكثرة بساتينها ومياهها . »

ووصف القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ مدينة نصيبين ومياهها وبساتينها بنفس المعنى بقوله انها « مدينة عامرة من بلاد الجزيرة بقرب سنجار وهي كثيرة

المياه والاشجار والبساتين مسورة ولها مهندز ذكر أن لها ولقراها أربعين الف بستان[1] » .

وأشار اليعقوبي إلى ان نهر الهرماس « نهر عظيم » ، ذاكراً مدينة نصيبين بقوله انها « مدينة عظيمة كثيرة الانهار والجنات والبساتين ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب ، افتتحها غنم بن عياض الغنمي (عياض بن غنم الفهري) في خلافة عمر (رض) سنة ثماني عشرة[2] » .

ويستفاد مما دوّنه المؤرخون ان المياه في فرع الخابور كانت غزيرة أيضاً ، فقد وصف ابن حوقل منابع الخابور في رأس العين بقوله ان « مدينة رأس العين فيها من العيون ما ليس ببلد من بلدان الاسلام وهي اكثر من ثلثمائة عين ماء جارية وتجتمع هذه المياه حتى تصير نهراً واحداً ويجري على وجه الأرض فيعرف بالخابور » .

د ـ الثرثار بين تغلب وقيس

وقد لعب الثرثار دوراً خطيراً في الحوادث التي وقعت في صدر الاسلام وما اعقبه من وقائع تاريخية دوّنها المؤرخون من العرب في كتبهم ، فقد كانت منطقة الثرثار من مناطق العراق الخصبة المزدحمة بمزارعها وبساتينها وكرومها ، وكانت تسكنها قبيلتان من القبائل العربية العريقة في عروبتها ، هما قيس وتغلب، وكانت الحرب سجالا بينهما حول السيطرة على هذا الوادي الخصيب سيطرة تامة. ومن جملة ما سرده لنا المؤرخون من حوادث مهمة وقائع « يوم الثرثار الاول»

(١) كتاب « آثار البلاد واخبار العباد » ص ٣١٣

(٢) كتاب « البلدان » طبعة النجف ص ١١٩

و « يوم الثرثار الثاني » و « يوم السكير » و « يوم الفُدَيْن »[1] و « يوم الكُحَيْل » ، وكان النصر حليف قيس تارة ولتغلب طوراً ، قال أحد الشعراء في هزيمة قيس في وقعة « يوم الثرثار الاول » من حوادث سنة ٧٠ الهجرية :

لما رأونا والصليب طالعاً ومارس جيش وسما تقما
والخيل لا تحمل دارعا والبيض في اعاننا قواطعا
خلّوا لنا الثرثار والمزارعا وحنطة طيسا وكرما يانعا

وقد وصف ابن الأثير وقعة « يوم السكير » في حوادث السنة نفسها بقوله: «والسكير على الخابور يسمي سكّير العباس ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب والنمر يزيد بن هوبر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت تغلب والنمر وهرب عمير الى جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب:

وافلتنا يوم السكّير ابن جندل على سابح عوج اللبان مثابري

وقال ابن صفار :

صبحناكم بهن على سكّير ولاقيتم هنـاك الاقورينا »

وقال في ذكر هزيمة تغلب أيضاً : « والمعارك بين الحَضْر والعتيق من أرض الموصل اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب وقال ابن صفار :

ولقد تركنا بالمعارك منكم والحضر والثرثار اجساداً جثا »

ويظهر ان مساكن تغلب كانت على الجهة الغربية من الثرثار وهي الجهة التي تمتد إلى نهر الفرات حيث ذكر أحد الشعراء في وصف مساكن تغلب قائلاً :

ولتغلب حيّ بشط الفرات جزائرهـا حول ثرثارها

---

(١) وصف ياقوت « الفدين » بقوله انها قرية على الخابور ، ولا تزال آثار هذه القرية ماثلة للعيان وتعرف الآن باسم « اطلال فدين » ، وتقع هذه الاطلال على الجانب الغربي من نهر الخابور على مسافة زهاء اربعين كيلومتراً من شمال مصبه في الفرات .

٥ - نهر الهرماس ومشروع سكير العباس

بحثنا فيما تقدم عما دوّنه المؤرخون من العرب عن مشروع سكّير العباس القديم ، وهو مشروع السد الذي كان قد اقيم على نهر الهرماس (نهر الجغجغ أو نهر نصيبين الحالي) لتحويل مياهه الى نهر الثرثار ، وبقي علينا الآن ان نبحث عن موضع سكّير العباس بالنسبة الى نهر الهرماس (نهر الجغجغ) وعن الغاية التي كان يحققها ، أي انه هل كان سداً اعتيادياً يقتصر على تحويل مياه نهر الهرماس الى نهر الثرثار حسب ، أم أنه كان سداً يرمي الى انشاء خزان امامه ثم تحويل المياه المخزونة الى الثرثار ؟ ... أما فيما يتعلق بالموضوع الاول فلا يوجد دليل قاطع يمكن الاستناد اليه في تعيين موضع السد بصورة مضبوطة ، لأن الوضع الطوبوغرافي لهذه المنطقة قد تطور تطوراً مهماً بعد خراب مشروع سكير العباس ، وذلك بتأثير عوامل التعرية (Erosion) ، وهي التخريبات التي احدثتها السيول والاودية الكثيرة المنتشرة في هذه المنطقة ، بحيث لم يبق أثر واضح للنهر الذي كان يسير بين نهر الهرماس والثرثار ، وفضلاً عن ذلك ان الموضع لم يحتفظ بتسميته الاصلية للاستدلال بها . لذلك فدليلنا الوحيد الذي يمكن الاستناد اليه في تعيين موضع « سكير العباس » هو الروايات التاريخية على ان نقبل منها ما تدعمه مناسيب الاراضي الحالية والاوضاع الطوبوغرافية الراهنة .

ومن الغريب ان يعتبر كل من سارة وهرزفلد (Sarre and Herzfeld) ان سكير العباس يقع في موضع « الشدّادة » الحالي ، الواقع على نهر الخابور ، على مسافة ٤٥ كيلومتراً أسفل الحسكة ، وقد شاركهما الأب بوازبار (Poisebard) في هذا الرأي . ومما لا بد من الاشارة اليه في هذا الصدد هو ان سارة وهرزفلد وكذا الأب بوازبار الذي جاء في اعقابهما قد استقروا الى هذا الرأي دون أن يراعوا أوصاف المؤرخين أو الاوضاع الطوبوغرافية

الحالية ، لأن أقوال المؤرخين كلها تشير الى أن (سكير العباس) كان على نهر الهرماس ، وهو الرافد الشرقي لنهر الخابور الذي ينبع في منطقة نصيبين ويلتقي بالخابور عند الحسكة ، أي النهر المعروف اليوم بأسم نهر الجغجغ ، وعليه ان البحث عن سكير العباس على نهر الخابور بازاء هذا الاجماع على تعيينه على نهر الهرماس لا يؤدي الى الاستنباط الصحيح . وفضلاً عن ذلك ان الاوضاع الطوبوغرافية في موضع « الشدّادة » لا تساعد على الاعتقاد بأمكان تخزين مياه الخابور في مثل هذه المنطقة وتحويلها الى وادي الثرثار أو اقامة سد تحويلي فيها لغرض تحويل مياه نهر الخابور الى الثرثار ، لأن منطقة « الشدادة » واطئة بالقياس الى الأراضي المجاورة لها شرقاً ، وهي الأراضي التي ينبغي اجتيازها لتحويل مياه الخابور الى نهر الثرثار ، فبينما يبلغ منسوب منطقة الشدادة من ٣٠٠ الى ٣٠٥ أمتار فوق سطح البحر نجد ان الأراضي الواقعة الى الشرق ترتفع الى حوالي ٣٣٠ متراً .

ولننتقل إذن الى منطقة نهر الجغجغ الحالي (أي نهر الهرماس القديم) للتحقيق فيها عن موضع سكّير العباس ، ونبدأ بدراسة نهر الجغجغ نفسه : يتكوّن نهر الجغجغ كما أسلفنا من المنبع الرئيسي في منطقة نصيبين ومن عدة أودية تنبع كلها في الحدود الشمالية الشرقية بين سوريا وتركيا ، ثم تتحد في مجرى رئيسي يلتقي بنهر الخابور الذي ينبع من رأس العين عند الحسكة . وقد سبق ان ذكرنا أيضاً ان « وادي الردّ » هو من أهم الاودية التي تنصب في نهر الجغجغ قبل أن يلتقي بنهر الخابور ، ومن المهم ذكره في هذا الصدد ان أحد الانهر الذي يتكون منه « وادي الردّ »[1] يسمى « نهر العباس » ، والارجح ان سكّير العباس الذي اقيم على نهر الهرماس سمي كذلك نسبة الى نهر العباس الذي يحتمل انه احتفظ باسمه القديم إلى الآن .

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٥٢٠ — ٥٢١

أما العباس الذي نسب اليه نهرالعباس وسكير العباس المذكوران فلا نعلم عنه شيئاً ، إلا انه ورد في ترجمة أبي حسان المقلد صاحب الموصل في « وفيات الاعيان » لابن خلكان ان هناك قصراً ما بين سنجار ونصيبين يعرف بقصر العباس بن عمرو الغنوي كان قد نزله معتمد الدولة ابن المقلد ، وقد وصف هذا القصر بكونه مطلاً على بساتين ومياه كثيرة . وليس ثمة ما يثبت أو ينفي ان نهرالعباس وسكير العباس قد نسبا الى العباس هذا أو لعباس غيره ، على ان هناك أمراً قد يصح الاستدلال به على ان نهرالعباس وسكيرالعباس منسوبين الى العباس صاحب القصر المذكور وهو ان المنطقة التي يقع فيها القصر هي نفس المنطقة التي يقع فيها نهر العباس وسكير العباس . واليك ما دوّنه ابن خلكان عن العباس صاحب القصر المذكور قال : « وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بني سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبدالملك ابن مروان الحكمي وكان يتولى اليمامة والبحرين وسيّره المعتضد بالله لحرب القرامطة في أول أمرهم فقاتلوه وكسروه وأسروه ثم أطلقوه فرجع الى المعتضد ودخل بغداد ليلة الأحد لاحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين وقال ابو عبد الله العظمي الحلبي في تاريخه الصغير مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين وثلثمائة » .

ويجوز لنا أن نستخلص مما تقدم ان سكيّر العباس كان يقع في مكان ما من نهر الجغجغ في القسم الذي يقع إلى جوار التقائه بالخابور ، أي في جوار منطقة الحسكة نفسها ، ومن المرجح انه لا يبعد كثيراً عن موضع « سبع سكور » ، ولعل « سبع سكور » نفسها ومعناها « سبعة سدود » جزء من سكير العباس . وقد بقي علينا الآن أن نسأل عما اذا كان السد الذي على نهر الجغجغ سداً اعتيادياً تقتصر مهمته على تحويل مياه النهر الى الثرثار أو كان سداً يحجز المياه لخزنها في حوض نهر الجغجغ لمد نهرالثرثار بها في موسم شحة الايراد المائي ؟... والجواب على هذا هو ان هناك دلائل طوبوغرافية تدل على ان السد لم يكن سداً

تحويلياً فقط وانما كان يستخدم لخزن المياه في حوض نهر الجغجغ ولا سيما في حوض وادي الردّ لمد نهر الثرثار بها في موسم الصيهود . وتدلنا مناسيب هذا الحوض على ان المنطقة الواقعة داخل الاراضي السورية في الزاوية التي تحدها الحدود الشمالية الشرقية بين سوريا وتركيا من جهة الشمال والحدود الجنوبية الشرقية بين سوريا والعراق من جهة الجنوب الشرقي والتي تبلغ مساحتها اكثر من ستة آلاف كيلومتر مربع كان يستخدم قسم منها لخزن المياه ، ونعتقد ان المساحة التي كان يشغلها الخزان لم تقل عن ألف كيلومتر مربع . ولا تزال آثار هـذا الخزان باقية الى الآن في حوض وادي الردّ حيث يشكل هذا الحوض منخفضاً واسعاً تحيط به مرتفعات تعلوه بما يقرب من ثلاثين الى اربعين متراً . وقد سبق أن أشرنا الى ان حوض نهر الجغجغ واطيء بالقياس الى الأراضي المجاورة بحيث لا يستفاد منه في الارواء السيحي[1] . ونظرة خاطفة الى الخارطة الطوبوغرافية العامة تـكشف لنا أن منطقة حوض نهر الجغجغ تؤلف خزاناً طبيعياً تحيط به الجبال من كل أطرافه ، فتحده جبال سنجار العراقية من جهة الجنوب وجبال تركيا من الشمال والشرق ، كما تحده المرتفعات الواقعة بين حوض نهر الجغجغ وحوض نهر الخابور من جهة الغرب ، فتصب فيه السيول المنحدرة من تلك المرتفعات والجبال وتـكوّن بهذا شبه بحيرة تصلح لخزن المياه فيها فيما اذا انشيء سد على نهر الجغجغ يمتد في الجهة الجنوبية الغربية بين « تل كوكب » و« جبل جمبه » الذي يقع على الحد الغربي لجبل سنجار (راجع خارطة مشروعات الري الكبرى على نهر دجلة) . ونميل الى الاعتقاد بأن السد انشيء في هذا الموضع نفسه لسد نهر الجغجغ من جهة وسد الثغرة الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من الجهة الاخرى بغية حصر المياه في هذه البحيرة وخزنها فيها ثم اطلاقها الى نهر الثرثار بالقرب من « تل كوكب » . وتدل المستويات على ان أوطأ منسوب في البحيرة يبلغ

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٥٢٠ — ٥٢١

حوالي ٣٥٠ متراً فوق سطح البحر على حين ان مستوى سفوح الجبال الواقعة في جهة الحدود السورية العراقية الى الجنوب من البحيرة ومستوى سفوح الجبال الواقعة في جهة الحدود السورية التركية الى الشمال من البحيرة تبلغ حوالي ٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، أي ان فرق المنسوب بين قعر البحيرة وسفوح الجبال المحيطة بها يبلغ ١٥٠ متراً تقريباً . اما المرتفعات الواقعة غربي البحيرة وهي المرتفعات التي تفصل حوض نهر الجغجغ عن حوض نهر الخابور فتبلغ حوالي اربعمائة متر ، أي ان فرق المنسوب بين قعر البحيرة والمرتفعات المذكورة يبلغ خمسين متراً تقريباً . ويلاحظ ان بحيرة الخاتونية الحالية كانت داخل الخزان في حدوده الجنوبية ، والظاهر ان هذه البحيرة هي نفس البحيرة التي رسمها ابن حوقل في في خارطته « صورة الجزيرة » (راجع ص ٨٦) وسماها « بحيرة المنخرق » وقال انه لم يعرف قعرها ولا يعلم كمية مائها حيث لم يتوصل أحد الى معرفة قرارها .

هذا فيما يتعلق بسكير العباس ، اما فيما يتعلق بالنهر الذي كان ينقل المياه من حوض نهر الهرماس (نهر الجغجغ) الى الثرثار فيظهر لنا ان صدره كان يبدأ عند السد قرب « تل كوكب » الحالي فيمر الى الغرب من « جبل جمبه » ، وهو الجبل الذي اطلق عليه ابن سرابيون اسم « جبل بارما[1] » ، ومن ثم ينحدر الى الجنوب الشرقي حتى يصل الى الحدود العراقية في جوار « تل صفوك » من شماله . وتل صفوك هذا تل مرتفع يشغل مساحة واسعة مما يدل على انه كانت في هذا الموضع ابنية مهمة على الجانب الايمن من النهر . وبعد ان يدخل النهر داخل الحدود العراقية تتفرع منه عدة فروع من جانبه الايمن منها الفرع الذي يمتد الى الجنوب باتجاه وادي البديع الحالي على محاذاة الحدود العراقية السورية

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٥٢٢

لارواء الاراضي المنخفضة الواقعة في الزاوية التي بين النهرين ، الخابور والفرات ، وهي أراضي الروضة وما يليها من مواطيء جنوباً . وقبل ان يتصل النهر بنهر الثرثار يتفرع من جانبه الايمن فرع آخر يسير إلى الجنوب أيضاً في أرض الجزيرة الواقعة بين الحدود العراقية السورية ونهر الثرثار ، وكان يبدأ هذا النهر من قرب تل أم زنابير فيمر ببئر أبي عباس وينتهي الى المنخفضات الواقعة الى الجنوب متبعاً بذلك أثر وادي عباس الحالي[1] . وبعد ذلك يتصل النهر بنهر الثرثار بطريق وادي أم الزنابير الذي يصب في الثرثار . وتشاهد اليوم تلول أثرية منتشرة في هذه المنطقة بصورة كثيفة مما يدل على انها كانت مزدحمة بالعمران والسكان . وقد أزالت السيول المنحدرة من سفوح « جبل چمبه » و« جبل سنجار » علائم هذا النهر بعد خراب مشروع سكّير العباس ، وكانت هذه السيول تنصب في النهر نفسه على جانبه الايسر عندما كان يؤدي مهمة نقل المياه الى الثرثار .

و ـ مدينة الحضر القديمة

وقد اكتسب نهر الثرثار أهمية بعد أن اقيمت على ضفافه مدينة الحَضْر القديمة ، وهي المدينة التي لا تزال جدران بقايا ابنيتها الضخمة ماثلة للعيان على جانبه الايمن ، فهي تقع وسط جزيرة ما بين النهرين على مسافة ٥٠ كيلومتراً من قلعة شرقاط (عاصمة اشور القديمة) في شمالها الغربي ، ويحيط بها الجدب اليوم من كل صوب لانقطاع مياه الثرثار عنها نتيجة لخراب مشروع سكّير العباس المتقدم .

والحضر امارة قديمة كانت تعرف بأسم «حطارا» وسماها العرب الحضر، ومن

---

(١) يحتمل ان وادي عباس وبئر أبي عباس سميا بهذه التسمية نسبة الى العباس الذي نسب اليه سكير العباس و نهر عباس على نهر الجنجبخ (راجع ما تقدم في ص ٥٢٨ ــ ٥٣٠).

ملوكها برشميا الذي حكم في القرن الثاني الميلادي وهو لما جرت الحرب في سنة ١٩٤ بين نيجر وسبتيميوس ساويرس الرومانيين ساعد الأول على الثاني بان ارسل اليه قسماً من جيشه[١] . وقد بحثت بعثة المانية في آثار « الحضر » في السنتين ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ، ونشرت نتائج بحثها في أول كتاب وضعته باللغة الالمانية لتعريف المدينة اجمالا[٢] ، ثم عادت البعثة إلى الحضر سبع مرات اخرى من كانون الأول سنة ١٩٠٧ الى آذار ١٩١١ فتجولوا فيها بضعة أيام وكان في صحبتهم مرة الفيلق المرسل لمحاربة عرب شمر فكانت نتيجة هذه الزيارات تتمة وصف الحضر في كتاب جديد نشر في سنة ١٩١٢[٣] ، وهذه لباب الكتابين كما شرحها الأب سبستيان زنزفال اليسوعي ، قال : [٤].

« كانت الحضر مدينة محصنة لم يستطع فتحها القيصران طرايان سنة ١١٧ وسبتيميوس ساويرس سنة ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، وكانت هذه المدينة كغيرها من مدن الشرق على شكل بيضوي يزيد قطره على كيلو مترين ، وكان يحيط بالبلد سور منيع فيه المداخل الكبيرة والدعائم المتينة ، اما المدينة فكانت حسنة البناء فيها الطرق الرحبة والشوارع والساحات والمدافن والهيا كل ، ولا سيّما القصر الملكي الذي كان موقعه على التقريب في الوسط . وكان للمدينة فضلاً عن سورها سور آخر يطيف بها ويبعد عن السور الداخلي نحو ٤٠٠ متر مبنياً على شكله . فكان مجمل مدينة الحضر يأخذ بمجامع القلب بحسنه وحصانته .

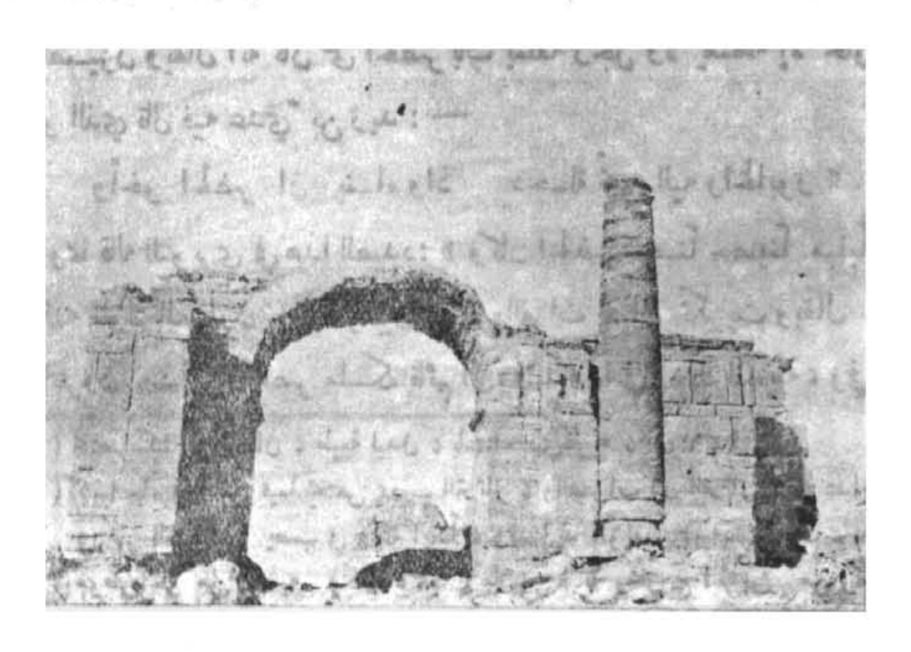
« وقد وجهت البعثة الالمانية معظم اهتمامها الى درس آثار البلاط الملكي

---

(١) راجع « تاريخ كلدو وآثور » تأليف ادي شير ج ١ ص ١٧٩ .
(٢) راجع كتاب : W. Andrae : Hatra I Teil, 1908
(٣) انظر الجزء الثاني من كتاب الحضر للمؤلف نفسه .
(٤) راجع مجلة المشرق سنة ١٩١٢ ، ص ٥٠٩ ـــ ٥٢٢ .

وكان مبنياً على شكل مستطيل قائم الزوايا واجهته من الشرق الى الغرب طوله ٤٥٠ متراً في عرض نحو ٣٢٠ متراً وكان البناء يتألف من قسمين أكبر فأصغر . فالقسم الاكبر كان يتركب من باحة كبيرة يدخل اليها من باب فخيم شرقاً امامه من الخارج مذبح كبير. أما القسم الصغير فكان يفصله عن القسم السابق حائط وأبنية شتى وفيه قصران قصر عظيم كان يسكنه عادة الملك ثم قصر صغير يرجّح انه كان يقضي فيه فصل الصيف. وكان هناك أيضاً بركتان كبيرتان ومبان اخرى وكان للقصر الكبير واجهة بديعة تمتد على طول مئة متر وفيها سبعة مداخل مقوّسة الشكل جليلة تزيّنها التماثيل الكاملة أو النصفيّة بارزة . وكان داخل البلاط مقسماً إلى أربعة أقسام واسعة . وكان خلف هذا القصر بناء آخر مربع يرجّحون كونه هيكلاً لآلهم الشمس » .

وقد ذكر ياقوت وابن عبد الحق مدينة الحضر أيضاً ووصفها الثاني بقوله : « الحضر اسم مدينة بأزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات وهي مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها ويقال كان فيها ستون برجاً كباراً



بقايا مدينة الحضر

وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار بأزاء كل برج قصر وإلى جانبه حمّام ومرّ بها نهر الثرثار وكان نهراً عظيماً عليه قرى وجنان ومادته من الهرماس نهر نصيبين وتصب فيه أودية كثيرة ويقال ان السفن كانت تجري فيه فأما في هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور وآثار تدل على عظم وجلالة ... وأخبرني بعض أهل تكريت انه خرج يتصيد فانتهى اليه فرأى فيه آثاراً وصوراً في بقايا حيطان وكان يقال لملك الحضر الساطرون... وفيه يقول عديّ بن زيد :

وأرى الموت قد تدلّى من الحضر على رب ملكه الساطرون »

فأيد ذلك ابن الفقيه، أحد العلماء في أواخر القرن الثالث للهجرة بقوله :[١]

« وبأزاء تكريت في البرية مدينة الحضر على برية سنجار وبينها وبين دجلة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين الفرات خمسة عشر فرسخاً وهي مبنية بالحجارة البيض بيوتها وسقفها وأبوابها وهي على تل ولها ستون برجاً كبارا وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار على رأس كل برج قصر وأسفله حمّام وقد حمل عليها نهر الثرثار ويشق المدينة ثم يخرج على حافتي الثرثار القرى والجنان والثرثار يخرج من سنجار ويصب في الفرات ويحمل عليه السفن[٢] وكان ملك الحضر الساطرون ثم الضيزن ويقال انه كان على الحضر باب يغلقه رجل ولا يفتحه إلا خلق كثير وهو الذي قال فيه عديّ بن زيد : —

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور » .

ومما قاله النويري في هذا الصدد: « وكان الحضر حصناً حصيناً مبنياً بالرخام يسكنه ملوك الضيازن . وهو بين دجلة والفرات بحيال تكريت ويقال أن بانيه الساطرون. وذكر أن قصر ملكه قائم الى وقتنا هذا في وسط المدينة ، وفي وسطه

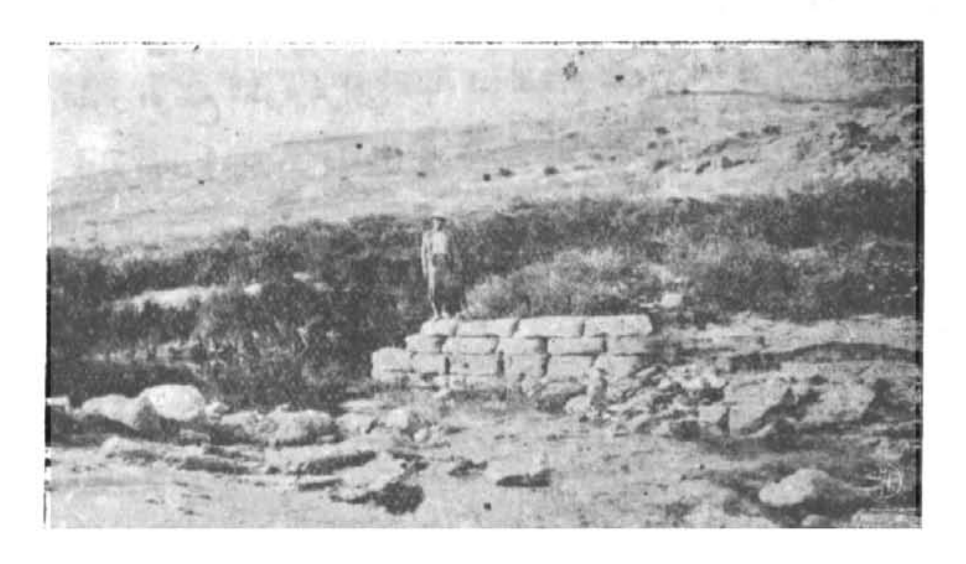
(١) مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ، باعتناء دي‌غويه ، ص ٢٢٩ .

(٢) كذا جاء في النص فيما يختص بمصب الثرثار ، والصواب أن الثرثار كان، عدا انصبابه في نهر الفرات ، يصب في دجلة ايضاً ، وقد أيد المؤلف نفسه ذلك حيث عاد فقال في موطن آخر من كتابه (ص ١٣٥) ما يلي : « ويخرج الخابور من رأس العين ويستمد من الهرماس ويصب في الفرات ويخرج الثرثار من الهرماس ويمر بالحضر ويصب في دجلة » .

هيكل مربع مبني بالصخر وفيه صور دقيقة المعاني حكي أن سابور حاصره أربع سنين فلم يقدر عليه » [١] .

يتضح مما تقدم أن نهر الثرثار كان نهراً واسعاً يوم كانت مدينة الحضر عامرة إذ كانت تسير السفن فيه لنقل البضائع وتأمين المواصلات بين الحضر ومنطقة سنجار ، ويظن أن الاحجار الضخمة التي نشاهد بقاياها بين اطلال الحضر كانت قد نقلت من المناطق الجبلية في الشمال في الوسائط النهرية عن طريق الثرثار . ومما يؤيد ذلك أن حوض مجرى الثرثار يبلغ عند الحضر زهاء ثلثمائة متر عرضاً ويزيد على تسعة أمتار عمقاً . ونستخلص من ذلك أن مقدار تصريف المياه فيه لم يكن ليقل عن ألف الى ألف وخمسمائة متر مكعب في الثانية في حالة الفيضان (راجع رسم مقطع نهر الثرثار عند الحضر) .

ولا تزال تشاهد بقايا الجسر القديم الذي كان قد أقيم على نهر الثرثار عند مدينة الحضر ، فهو يقع على مسافة نحو ثلاثة كيلو مترات من شمال المدينة بالقرب من مصب وادي زغلة الكائن في الجانب الأيسر من الثرثار ، ولم يبق من آثاره إلا جزء قليل من جناحه الأيمن حيث يشاهد في التصوير الفوتوغرافي التالي .



بقايا الجسر القديم على نهر الثرثار عند مدينة الحضر

(١) « نهاية الأرب في قانون الأدب » ، الجزء الأول ، الطبعة المصرية ، ص ٢٦٧ .

ذ — بحيرة الثرثار — تكوينها ، تأريخها

قلنا أن مياه نهر الهرماس كانت قد انقطعت عن الثرثار بعد خراب مشروع سكير العباس ، ذلك المشروع الذي كان يضمن خزن المياه في منابع نهر الجغجغ ويعد الثرثار بها في موسم الصيهود لأيصالها الى مدينة الحضر وحقولها ، وهو ما حدث في أعالي الثرثار ، اما قسمه الأسفل فقد ظهر فيه تطوّر املته الطبيعة، وهو ظهور خسف في المنطقة الواقعة في جنوب مصبه في دجلة ، مما أدى الى تحوّل مياه الثرثار كلها بما فيذلك مياه السيول المنحدرة نحوه الى الخسف المذكور سالكة اتجاه المجرى الذي كان ينتهي الى الفرات ، ذلك الخسف هو بحيرة الثرثار التي نشاهدها اليوم في وسط جزيرة ما بين النهرين ، دجلة والفرات ، ما بين سامراء على نهر دجلة وهيت على نهر الفرات .

ويتضح من ذلك أن نهر الثرثار بعد أن كان يصب فضلة مياهه في دجلة والفرات أخذ بعد ظهور البحيرة في ذنائبه يصب مياهه فيها . والظاهر أن معالم الفرع الذي كان يصب في نهر دجلة في جوار تكريت قد زالت تماماً بعد أن تكوّنت في المنطقة التي كان يمر بها عدة أودية بفعل السيول والأمطار مما أدى الى تطور الوضع الطوبوغرافي فيها، اما الفرع الذي كان ينتهي الىالفرات بالقرب من قلعة أم الرؤوس[1] فقد احتل المسيل المؤدي الى البحيرة قسمه الأعلى ولا تزال آثار قسمه الأسفل ماثلة للعيان يمكن تتبعها من عند قلعة أم الرؤوس الى مسافة أكثر من عشرين كيلو متراً وسط الصحراء الواقعة ما بين بحيرة الثرثار ونهر الفرات ، وذلك على الرغم مما تعترضه من أودية في عدة نقاط .

ولابد من الاشارة هنا الىأن تكوّن مثل هذه البحيرات فيالمناطق الصحراوية هو من الأمور الشائع حدوثها ، فلدينا أمثلة عدة تشيرنا الى حدوث مثل هذه

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بقلعة أم الرؤوس في ص ٥١٦ .

البحيرات في صحاري نجد وفي صحاري العراق ، ففي نجد مثلاً نجد عدة بحيرات من هذا النوع في صحراء الخرج الواقعة الى الجنوب من الرياض، وهي البحيرات التي تستغل الحكومة السعودية مياهها في الوقت الحاضر لأرواء الارض الزراعية المجاورة بعد أن اقامت عدة مكائن للضخ على هذه البحيرات لرفع مياهها الى الارض المذكورة [١] . وقد اتيح للمؤلف ان يقوم بدراسة خاصة لهذه البحيرات إذ كانت الحكومة العراقية قد أوفدته على رأس بعثة فنية لدراسة

(٢) تقع منطقة الخرج هذه على بعد زهاء ٧٥ كيلو متراً من جنوب شرقي الرياض ، وتوجد فيها خمس بحيرات منها أربع بحيرات تقع في الخرج نفسه الى الجنوب من اليمامة ، أما الخامسة فتقع في الأراضي الصحراوية الواقعة الى الجنوب من منطقة الخرج على بعد زهاء مئة كيلو متر عنها وتسمى « خفس دغري ». وأم بحيرات الخرج ثلاث ، وهي تعرف بـ « عين الضلع » و « عين سمحة » و « عين أم خيسة » . وتبعد عين سمحة بمسافة ٢٤٠ متراً عن عين الضلع شمالا في حين أن عين أم خيسة تقع في جنوب غربي عين الضلع على مسافة ١٣٢٠ متراً عنها. وتتصل هذه البحيرات بعضها ببعض عن طريق مجاري المياه الجوفية . وتبلغ مساحة كل منها أكثر من أربعة آلاف متر مربع أما عمق الماء فيها فيناهز ٤٠٠ قدم (١٢٢ متراً) (أنظر تصوير احدى هذه البحيرات وتصوير النهر الذي ينقل مياه الضخ الى الأراضي الزراعية) .



منطقة الخرج في نجد — الجانب الشرقي من عين أم خيسة

امكانياتها وقد رفع تقريرين حول ذلك من ناحية الري بعد أن قامت البعثة بمسح تلك المنطقة . [(١)]

وللعوامل الطبيعية دور بارز في تكوين هذه البحيرات ولاسيما العامل الجيئولوجي منها الذي يتوقف مفعوله على خواص التربة وطبقات الصخور وعلى كميات المياه الجوفية وحركتها ، فتبدأ المرحلة الاولى في تأثير المياه الجوفية على طبقات الصخور الكائنة في جوف الارض فتحدث تفاعلاً كيمائياً يؤدي الى ذوبان تلك الصخور الجوفية مما يسبب إنشقاقاً أو انخسافاً في الارض ، وبكلمة أصح إن ذوبان الصخور الجوفية يحدث انزلاقاً في كتل الطبقات الارضية أو زلات صخرية تعرف جيئولوجيا باصطلاح (Fractures) فتحصل من نتيجة ذلك تكون البحيرات العميقة . وهناك عوامل اخرى تساعد على وقوع هذه الظواهر



منطقة الخرج في نجد
المؤلف على ضفة الجدول الذي ينقل
مياه الضخ الى المزارع

(١) راجع تقرير المؤلف « ري أراضي الخرج في نجد » المنشور في مكة المكرمة سنة ١٩٣٩ ، وراجع أيضاً تقرير البعثة الأميركية الزراعية الموفدة الى المملكة العربية السعودية المؤرخ في شهر آذار من عام ١٩٤٣ المطبوع باللغتين الانكليزية والعربية في القاهرة بمطبعة مصر سنة ١٩٤٣ (ص ٥ و ١٢٣) .

مقطع وادي الثرثار عند مدينة الحضر

ري سامراء في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسه

المسافة بالامتار	المنسوب
٠	١٠,٠٠٠
١٠,٠٠	٨,٦٩٢
٢٠	٧,٥
٢٥	٦,٦٩
٣٥	٥,٣٢٢
٤٧	٤,٥٤٠
٦٠	٤,٢١٥
٧٥	٤,٢٧٥
٩٠	٤,١٦٥
١١٠	٤,١٨٥
١٢٥	٤,٢٠٥
١٣٥	٤,٨٣٥
١٣٥,٨	٢,٨٣٥
١٥٨,٨	١,٣٩٥
١٦٢,٨	٠,٨٧٨
١٦٥,٦	٠,٠٥
١٧٣,٦	٠,٣٥
١٧٨,٠	١,٥٥٥
١٨٤,٥	٢,٣٠
١٩٥,٢	٤,٣٦٨
١٩٩,٢	٣,٨١٥
٢٠٩,٠	٣,٦٥٠
٢٢٤,٢	٣,٦٠٥
٢٣٩,٢	٣,٨٤٠
٢٥٤,٢	٤,٤٠
٢٦٩,٢	٤,١٦٠
٢٧٩,٢	٤,١٤٠
٢٨٣,٢	٥,٩٤٠
٢٩٥,٢	٩,٦٩٠

الطبيعية كالزلازل والهزات الارضية والبراكين وغيرها من العوامل التي تساعد على حدوث الانفلاق في الطبقات الأرضية وظهور المياه الجوفية في الفجوات التي يحدثها هذا الانفلاق . وتوجد دلائل وآثار تؤيد مفعول هذه التأثيرات في القطر النجدي فقد ورد في الحديث عن بلد مسيلمة الكذاب في منطقة الخرج انها من مواضع الزلازل والفتن . وفضلاً عن ذلك ان المناخ الذي يسود فيه الاختلاف العظيم بين درجتي الحرارة العليا والسفلى قد يساعد على احداث الانفلاق في الصخور بسبب حدوث الامتداد والتقلص في طبقات الصخور ، فيترك الهوات والفجوات في جوف الارض . ويعزو البعض حصول مثل هذه المنخفضات الى تأثير التعرية الريحية (Weathering Processes) ؛

ولعل خير مثال لتأثير هذه العوامل في طبقات الصخور مانجده من الانفلاقات الارضية الداخلية في مواقع كثيرة من صحراء نجد حيث نشاهد الخسافات في الطبقات الارضية الجوفية تمتد مسافات طويلة تحت الارض لأعماق كبيرة فتكوّن ما يشبه الانفاق الارضية تتجمّع فيها مياه الامطار أو الينابيع . وقد عثرنا على كهفٍ من هذا النوع وسط الصحراء على الطريق التي بين «الكويت»

عين الدحل في صحراء نجد على طريق الكويت ــ الرياض

و « الرياض » على مسافة زهاء ٢٠٠ كيلو متر من «الكويت» يسمى «الدَّحْل» ، أي النقب الضيق في اعلاه والواسع في الاسفل (أنظر تصوير فوهــة كهف الدحل المذكور)، فيدخل المرء من فوهة هذا الكهف فيزحف في داخله للوصول الى منبع الماء في منتهاه فيرتوي منه .

وربما كان أحدث حادث من هذا النوع وقع داخل الاراضي العراقية هو الانخساف الارضي الذي ظهر في البادية العراقية الجنوبية في شهر آذار من سنة ١٩٤٤ في جوار مخفر شرطة « الشبچة » الواقع على طريق الحج البري على مسافة ١٦٠ كيلومتراً من مدينة النجف ، وفيما يلي بعض التفاصيل التي حصل عليها ممن كانوا على مقربة من الحادث في أوائل مراحله ، وقد دونها جيئولوجي الحكومة في تقريره عن الحادث[١] كما يأتي : —

« حدثت هزة أرضية مساء ٤ — ٥ آذار ١٩٤٤ وعلى أثرها ظهرت الفوهة الارضية الأمر الذي استوجب استغراب عائلة من العوائل البدوية التي كانت مخيمة عندئذ بمفردها على مسافة بضعة مئات من الامتــار من محل الفوهة . وعندما انهارت الارض لأول مرة شعر بهزة عنيفة وصوت هائل ظهر على أثرهما ثقب صغير في الارض انبعثت منه غمامة ترابية . واستمر الانهيار والدوي والاهتزاز طوال الليلة كلها وقد شعر بذلك افراد الشرطة المقيمون في مركز الشرطة المجاور لمحل الحادث . وعند الصباح أخذت الفوهة بالتوسع وكان عندئذ من الممكن مشاهدة الماء في قعرها وهو يتحرك بصورة دائمية بنتيجة الانهيارات التي كانت تتكرر بين حين وآخر .

« لقد دام الانهيار الشديد لمدة شهر واحد أخذت بعدها الحالة بالاستقرار

---

(١) راجع التقرير الذي رفعه جيئولوجي الحكومة في شهر مايس سنة ١٩٤٤ وعنوانه « حدوث هزة أرضية في البادية الجنوبية وتكوين وهدة تحتوي على ماء »

نسبياً الأمر الذي يمكن تفسيره بلا ريب بوجود كهف واسع من كهوف ما تحت الأرض المغطاة بطبقات سميكة من الترسبات الفريلنية وقد وصل في هذه المرحلة انهيار سقفه الى النهاية تقريباً .

« لقد اتضح من القياسات المأخوذة في شهر آذار من قبل جيئولوجي احدى شركات النفط الذي اتفق وجوده بالقرب من محل الحادث ان أبعاد الفوهة هي كما يلي : ـ

العمق ٩٠ قدماً على وجه التقريب .

القطر ١٢٠ » » » »

« وفي ١٧ و ١٨ و ١٩ من شهر أيار سنة ١٩٤٤ زار جيئولوجي الحكومة هذا الموقع وكنتيجة لهذه الزيارة اضاف المعلومات التالية الى وصفه عن منخفض الشبيجة : ـ

« كانت جدران الفوهة عمودية . اما من حيث المظهر الخارجي فكانت الفوهة مستديرة . وقد ظهر من قياسها بأن قطرها يبلغ ٩٨ قدماً بينما يلغ ارتفاع الجدران لغاية سطح الوحدة ٨٦ قدماً وهذا هو أيضاً ارتفاع سوية الماء في الفوهة ، وعلى هذا الأساس يكون حجم الصخرة التي غارت تحت الارض ١٣¼ مليون قدم مكعب أو ٣٧٦٫٠٠٠ طن وزناً » .

وختم جيئولوجي الحكومة تقريره عن هذا الحادث بقوله : « وهناك كثير من الانفلاقات والتجاويف والفوهات الأرضية تظهر في مناطق البادية الكلسية في العراق وسبب وجودها أو توسعها يرجع الى عوامل الذوبان المستمر بسبب وجود المياه الجوفية ، وقد تتوسع هذه الفوهات في بعض الاحيان إلى حد كبير نتيجة للهبوط أو للانخساف الارضي الذي يرافق الذوبان المذكور . ويجدر بنا ان نذكر في هذا الصدد ان هذه المياه الجوفية متأتية في الأصل دون ما ريب من سقوط الامطار في مناطق البادية المجاورة لها ، مع العلم ان ارتفاع المطر السنوي يبلغ بضعة بوصات فقط ، وليس من المعقول ان ننسب مصدر هذه

المياه الجوفية الى مياه الفرات الكائنة على مسافة بعيدة منها »

ولا شك في أن بحيرة الثرثار قد تكوّنت على هذه الصورة أيضاً ، أي بذوبان الصخور الجوفية ثم هبوط سطح الأرض وحدوث الفوّهة نتيجة لذلك. وقد ذكر الخبير الجيولوجي في تقريره المرفوع عن النواحي الجيولوجية لمنخفض الثرثار في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٨ ان بحيرة وادي الثرثار تقع على أحد خطوط الانفلاقات التي تتصل بالطبقات الجيولوجية في جنوب افريقيا، وهي الطبقات التي تمتد من الشمال الى الجنوب والتي تبدأ في منطقة فلسطين ولبنان حتى تنتهي الى كينيا . وقد ثبت ان الانفلاقات التي في العراق والتي نشاهد أثرها في منخفض الوديان وفي سلسلة المنخفضات الواقعة الى الشمال الغربي من خليج البصرة وكذلك في المنخفضات الواقعة في البادية الجنوبية في السلمان والشبجة تتصل بالطبقات الجيولوجية المارة الذكر . ويرى هذا الخبير أيضاً ان هناك احتمالاً بأن عوامل التعرية الريحية كان لها بعض المفعول في تكوّن القشرة السطحية من منخفض وادي الثرثار . وهو يميل الى الاعتقاد بأن ظهور تجدد في السطوح الخارجية للبحيرة يدل على ان هناك احتمالاً بأن عملية الهبوط الارضي لا تزال مستمرة في القسم الواقع في وسط البحيرة ولكن بصورة بطيئة. ويضيف الى ذلك قوله ان ذلك يدل على ان الانفلاقات في طبقات أرض البحيرة لا تزال ظاهرة كما ان مفعولها لا يزال مستمراً[1].

هذا فيما يختص بكيفية تكوّن بحيرة الثرثار ، أما فيما يختص بتاريخ تكوّنها فليس هناك دلائل قاطعة يمكن الاستناد اليها في تعيين ذلك بالضبط ، غير اننا نعلم بأن البحيرة لم تكن قد تكوّنت بعد في عهد ياقوت الحموي الذي انتهى من

(١) راجع تقرير الخبير الجيولوجي المستر آر ريس ويليمس عن الدراسة الجيولوجية لمشروع وادي الثرثار المرفوع الى وزارة الاقتصاد في شهر كانون الثاني ١٩٤٨ .

وضع معجمه في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، وهو الذي وصف نهر الثرثار بقوله انه يصب في دجلة في جوار تكريت ، كما اننا نعلم أيضاً بأن البحيرة لم تكن موجودة في عهد ابن عبد الحق الذي دوّن معجمه في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وهو المعجم الذي جاء مصححاً لما دوّنه ياقوت من أوصاف جغرافية من قبل ، فقد أيد ما ذكره ياقوت من أنّ نهر الثرثار ينصب في دجلة في جوار تكريت[1] ، لذلك نستطيع القول بصورة جازمة ان البحيرة قد تكوّنت في وقت ما من العصور التي تلت عهد ابن عبد الحق . ولما كان مثل هذا التكون ترافقه عادة الزلازل والعوامل البركانية فلا بد ان تكون البحيرة قد تكوّنت بنتيجة زلزال حدث فيما بعد عهد ابن عبد الحق أو بنتيجة سلسلة زلازل حدثت حوالي ذلك الوقت وأدت الى هبوط الأرض وحدوث الفوّهة ، ثم توسعت الفوهة على مر الزمان حتى صارت على شكلها الحاضر . ويقول الخبير الجيولوجي في تقريره الذي رفعه الى الحكومة العراقية عن الثرثار في شهر كانون الثاني ١٩٤٨ ، وهو التقرير المتقدم ذكره ، ان هناك ما يدل على ان الهبوط في طبقات أرض البحيرة لا يزال مستمراً .

وبقي علينا ان نقتبع حوادث الزلازل في العراق خلال الفترة التي تلي القرن الثالث عشر الميلادي ، فأهم حادث سجله المؤرخون من الافرنج من هذا النوع هو حادث الزلزال الذي وقع في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي (سنة ١٤٢٩ م = ٨٣٣ هـ) ، وقد كان هذا الزلزال من الشدة بحيث أدى إلى غور مدينة برمتها تحت الأرض بعد أن حدثت فوهة هائلة ابتلعت تلك المدينة[2] . وهناك حادثان آخران الاول وقع في سنة ١٦٤٩ والثاني في سنة ١٦٦٦ الميلادية أي بعد الحادث الأول بأكثر من قرنين. ومما ورد في وصف الحادث الثاني انه كان

---

(١) راجع ما تقدم في ص ٥٢١ — ٥٢٤

(٢) راجع : La Science pour tous, No. 25 du 21 Juin 1879.

قد وقع في جوار منطقة الموصل وانه كان من الشدة بحيث أدى إلى تخريب خمس مدن و ٤٥ قرية[١] . والارجح ان بحيرة الثرثار ظهرت لأول مرة بنتيجة زلزال سنة ١٤٢٩ ثم استمر توسعها بنتيجة حوادث الزلازل التي وقعت خلال القرون الاربعة التالية . ومن جملة هذه الحوادث التي دوّنها المؤرخون الغربيون حوادث الزلازل التي وقعت في السنوات ١٦٨٠ و ١٧٦٩ و ١٨٦٤ و ١٨٦٥ و ١٨٦٦ و ١٨٦٧ .

ع - المقترحات الخاصة باستخدام بحيرة الثرثار في مشروعات الري

لقد وضعت عدة مقترحات عن كيفية استخدام بحيرة الثرثار للاستفادة منها في مشاريع الري ويمكن تقسيم هذه المقترحات إلى قسمين ، الأول ينحصر في معالجة اخطار فيضان دجلة ويقتصر على استخدام البحيرة لغرض تحويل مياه الفيضان اليها فقط ، والثاني يحقق علاوة على معالجة اخطار فيضان دجلة خزن المياه في البحيرة على أن تعاد إلى النهر في موسم الصيهود بغية زيادة ايراده المائي وتوسيع الزراعة عليه .

وكان أول من اقترح استخدام بحيرة الثرثار لغرض تحويل مياه فيضان نهر

---

(١) أنظر المراجع التالية : —

1. "Catalogue of Destructive Earthquakes A.D. 7 to A. D. 1899, By John Milne, British Association for Advancement of Science, 1911, P. 33.
2. A. Sieberg : Erdbebengeographic Handbuch der geophysik, Band Iv, lieferung 3, Berlin, 1932, Tableau 153 (page 803).
3. Alexis Perry : Memoire Sur les Tremblements de Terre dans la Peninsule Turco - Hellenique et en Syrie, publie par L' Academie Royale des Sciences de Belgique, Tome xxIII, 1840 - 1893,

دجلة اليها السير ويليم ويلكوكس الذي اقترح في تقريره المرفوع الى الحكومة العثمانية في سنة ١٩١١ تحويل القسم الكبير من مياه فيضان دجلة الى البحيرة لدرء أخطار فيضان نهر دجلة. وعلى الرغم من عدم استطاعة هذا الخبير البريطاني مسح بحيرة الثرثار مسحاً كاملاً لسبب النزاع الذي كان دائراً بين القبيلتين شمر والدليم في تلك المنطقة أثناء وجوده فيها سنة ١٩١٠، فانه تمكن من اجتياز الاراضي الكائنة بين الفرات ودجلة، ماسحاً مستويات الاراضي التي تمتد بين ضفة نهر دجلة وبحيرة الثرثار، حتى توصل الى تعيين منسوب قعر البحيرة وهو المنسوب البالغ ثلاثة أمتار تحت سطح البحر، وقد دلت المسوح الأخيرة على صحة هذا المنسوب. وبعد تدقيق مناسيب مياه فيضان دجلة وفحص الجرف الأيمن لنهر دجلة في المنطقة المقابلة لبحيرة الثرثار تمكن من وضع تخطيط تقريبي للترعة التي اقترح فتحها بين ضفة دجلة اليمنى وبحيرة الثرثار لتحويل مياه فيضان النهر الى البحيرة.

أما الترعة التي اقترح السير ويليم ويلكوكس فتحها بين نهر دجلة وبحيرة الثرثار فتبدأ في نقطة تقع في جوار (اصطبلات) وتمتد على خط مستقيم مسافة حوالي خمسين كيلومتراً في الاتجاه الجنوبي الغربي حتى تنتهي الى بحيرة الثرثار عن طريق بحيرة الرفيعي. وقد اقترح السير ويليم ويلكوكس إقامة سد على نهر دجلة مقابل سور القادسية لرفع منسوب مياه الفيضان هناك من مستوى (٥٦) متراً الى (٦٢) متراً فوق سطح البحر. ويلاحظ أن اعمال مسح المرتفعات التي قام بها السير ويليم ويلكوكس لم تمتد الى نهاية منخفض الثرثار، ولهذا فان الاتجاه الذي اقترحه كان تقريبياً وتمهيدياً على أمل أن يقوم بالتحريات الدقيقة فيما بعد لتعيين الخط الملائم للترعة. (راجع الخارطة التي تبين الاتجاهات المقترحة لترعة المدخل الى بحيرة الثرثار).

والأمر الذي لابد من التنويه عنه هو أن السير ويليم ويلكوكس كان أول من أدرك امكانيات بحيرة الثرثار لتصريف مياه فيضان نهر دجلة اليها، كما أنه

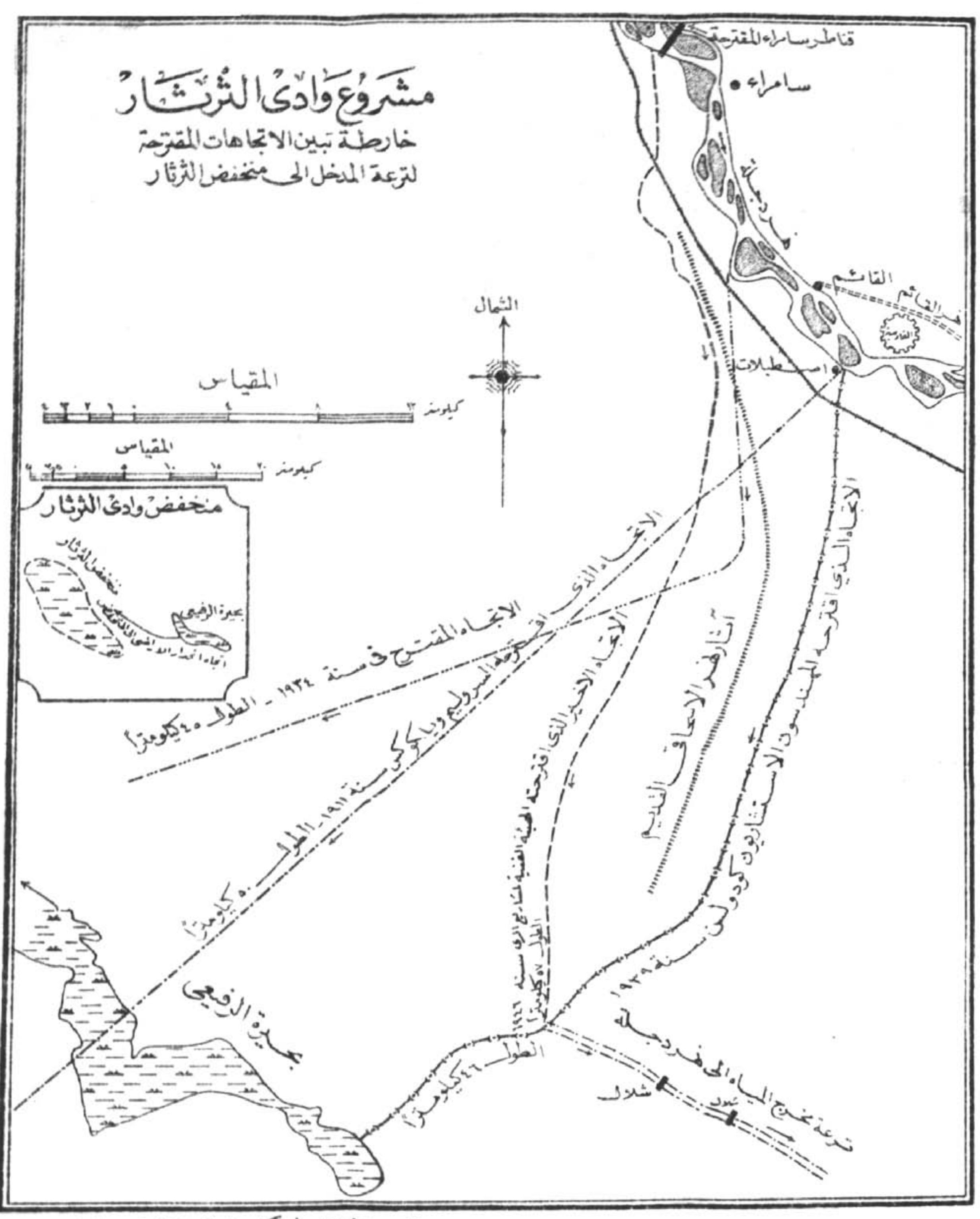
كان أول من أشار الى أن منسوب قاع منخفض الثرثار يقع تحت مستوى سطح البحر . أما فيما يختص بامكانيات منخفض الثرثار كخزان لخزن المياه وإرجاعها الى النهر في موسم الصيهود فلم يكن لديه مجال لدراسة هذه الناحية .

وقد قدر السير ويليم ويلكوكس كلفة مشروع وادي الثرثار فيما إذا افترض امكان استخدامه كخزان لأغراض الري باثنين وعشرين مليون پاون ، منها عشرة ملايين لكلفة انشاء خزان في منخفض الثرثار وتحويل مياهه الى نهر الفرات ، وقد ذكر في هذا الصدد أن عملية انشاء الخزان في منخفض الثرثار وإرجاع مياهه الى دجلة في موسم الصيهود تبرر صرف مبلغ عشرة ملايين دينار أخرى[1] . ولا شك أن المبلغ المذكور ، أي مبلغ الاثنين والعشرين مليون پاون ، مبلغ جسيم جداً بالنسبة الى الوضع في ذلك الوقت ، الأمر الذي كان يجعل التفكير بانجاز مثل هذا المشروع ضرباً من الخيال والاحلام . ولا يخفى أن العمل الذي كان قدر له السير ويليم ويلكوكس اثنين وعشرين مليون پاون في وقته لا يمكن أن تعين كلفته اليوم بأقل من تسعين مليون پاون على أقل تقدير ، الأمر الذي يجعل القيام بمثل هذا المشروع في الوقت الحاضر ضرباً من الخيال أيضاً .

وقد أعقب مشروع ويلكوكس عدة دراسات لمنطقة الثرثار وامكانياتها ، فقامت مديرية المساحة العامة في سنة ١٩٢٧ بمسح خاص للمنطقة الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من سامراء ، وقد شمل هذا المسح قسماً كبيراً من الاراضي التي يمر بها خط السير ويليم ويلكوكس ، إلا أنه لم يمتد الى منخفض الثرثار . وفي ضوء هذا المسح رفعت مديرية الري العامة اقتراحاً في سنة ١٩٣٦ يرمي الى انشاء ترعة بحجم يستوعب تصريفاً قدره ١٠٠٠ م^3 في الثانية لتحويل بعض مياه

---

(١) راجع تقرير ويلكوكس عن ري العراق (الطبعة العربية) ص ٩—١٠ و ص ١٥ و ٣٠ كذلك لوحة رقم ٢ ولوحة رقم ٨٠ من اللوحات المرفقة مع التقرير المذكور .



رى سامراء في عهد الخلافة العباسية - للدكتور احمد سوسه

فيضان دجلة الى منخفض الترثار ، وقد درست أربعة اتجاهات مختلفة لتخطيط الترعة ، خطان يقعان شمال خط السير وبايم وباكوكس وخطان يبدآن من شماله وينتهيان الى جنوبه ، وقد وقع الاختيار على أحد الخطين الأولين ويبلغ طوله ٤٥ كيلومتراً تقريباً . أما مقطع الترعة المقترحة فكان عرض قاعها ٢٤ متراً وعمق الماء فيها ١٢ متراً وانحدارها بنسبة ٢٠ سنتيمتراً للكيلومتر الواحد . وقد خمن مجموع الحفريات بمقدار ٣٦٫٩٠٠٫٠٠٠ متر مكعب . أما كلفة المشروع بما فيه الناظم فقد خمنت آنئذ بمبلغ يتراوح بين المليونين والاربعة ملايين دينار .

وأعقب ذلك مسح آخر قامت به شعبة مشاريع الري الكبرى في مديرية الري العامة في سنة ١٩٣٩ ، وفي ضوء هذا المسح إقترح المهندسون الاستشاريون « كود وواسن وفوغانلي » في لندن انشاء ترعة بحجم يستوعب تصريفاً قدره ٢٥٠٠م٣ في الثانية لتحويل بعض مياه فيضان دجلة الى منخفض الثرثار ، على أن تبدأ هذه الترعة من اصطبلات وتمتد الى الجنوب الغربي وتنتهي الى الطرف الجنوبي الشرقي من بحيرة الرفيعي . (راجع الخارطة التي تبين الاتجاهات المقترحة لترعة المدخل الى منخفض الثرثار) . ويبلغ طول هذه الترعة حوالي ٤٦ كيلومتراً وتقرب كمية الحفريات المطلوبة لحفرها من ٧١ مليون متر مكعب ، ولتحقيق ذلك اقترح إقامة سد حاجز على نهر دجلة في اصطبلات لرفع مستوى مياه فيضان دجلة خمسة امتار . وقد قدرت تكاليف هذا المشروع بمبلغ ٤٫١٤٣٫٠٠٠ دينار ، منها (١٫٣٣١٫٠٠٠) دينار كلفة انشاء السد الحاجز على دجلة والأعمال المتعلقة به . ويلاحظ أن سعر المتر المكعب من الحفريات قدر بثلاثين فلساً عند اجراء هذا التخمين .

أما فيما يتعلق باستخدام بحيرة الثرثار لخزن المياه وارجاعها الى نهر دجلة في موسم الصيهود فلم يجدوا في هذه الناحية امكانيات تستحق مواصلة دراستها[1].

(١) راجع تقرير المهندسين الاستشاريين السادة « كود وواسن ومتشال وفوغانلي » في لندن المؤرخ في ١٢ نيسان ١٩٤٠ حول مشاريع تخفيف وطأة الفيضان والخزن على انهر العراق

وقد تطرق السير مردوخ مكدونلد الى هذه الناحية من مشروع الثرثار ، فذكر في التقرير الذي رفعه بتاريخ ١٤ آب ١٩٤٥ ، وهو التقرير الذي أبدى فيه رأيه عن مشروع تنظيم مياه الفرات ودجلة للمهندس العراقي السيد واهي سفيان ، ما يأتي :

« على العراق ان يعالج مشكلتين رئيسيتين عندما يضطلع بالسيطرة على النهرين ، دجلة والفرات : المشكلة الاولى تختص بنوع التدابير العملية الممكن اتخاذها لمنع الخطر على الارواح والاملاك الناتج من الفيضانات العالية والمشكلة الثانية تبحث في الاعمال التي تهيء مياه الري في الوقت المناسب من السنة لزيادة انتاج المحاصيل . ويمكن في بعض الأحيان معالجة المشكلتين في عمل واحد أي تحقيق الغرضين، السيطرة على الفيضان وتهيئة المياه لغرض الري في مشروع واحد. على ان الظاهر من المعلومات الاحصائية المتوفرة ان ذلك يتعذر تطبيقه عملياً بالنسبة الى نهر دجلة . ونقول هذا مستندين الى خبرتنا عن دراسات عديدة تختص بمعالجة مشكلة الفيضان وامور الري في العراق . ويصعب علينا ان نفهم كيف ان هذه البحوث كلها لم تحو إلا شيئاً قليلاً عن بحيرة الثرثار وعن امكانياتها في معالجة مشكلة فيضان دجلة مع انه يمكن أن يقام فيها أحسن مشروع يحقق هذه الناحية .

« ويلاحظ ان هناك ميلاً للاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة التي يمكن معها استخدام بحيرة الثرثار هي أن يجعل منها خزان يستفاد منه لأغراض الري وذلك بعد أن يتم املاء البحيرة الى حافتها العليا بعد مرور سنوات كثيرة وبذلك تكون الفائدة من استخدام البحيرة مزدوجة ، ولا شك ان الاستفادة من البحيرة بهذه الصورة أمر مرغوب فيه إذا أمكن تطبيقه ، ولكن عدم امكان استخدامها بهذه الطريقة يجب أن لا يحول دون الاستفادة منها في الوقاية ضد اخطار الفيضان ... وبدون الحصول على معلومات أوفى بكثير مما لدينا في الوقت

الحاضر لا نستطيع ان نجزم ما إذا يمكن الانتفاع بصورة عملية من سد يشاد على نهر مثل دجلة لتحقيق الفائدة المزدوجة وهي السيطرة على الفيضان وخزن المياه لأغراض الري في آن واحد . ».

ط ـ المقترحات الاخيرة الخاصة باستخدام بحيرة الثرثار كخزان لاغراض الري

يتضح مما تقدم ان الدراسات التي انجزت لغاية سنة ١٩٤٥ دلت على ان امكانيات بحيرة الثرثار تنحصر في إمكان استخدامها لتحويل مياه فيضان دجلة اليها فقط، أي انها تنحصر في استخدامها كمنفذ لمياه الفيضان فقط . وعلى الرغم من ان السير وليم ويلكوكس وبعده المهندسون الاستشاريون كود وولسن وفوغان لي وكذلك السير مردوخ مكدونالد لم يجدوا فيها من الامكانيات في هذه الناحية ما يبرر اجراء دراسة دقيقة لتحقيق هذا الغرض ، فان المستر هيك، الخبير الذي استقدمته الحكومة العراقية في سنة ١٩٤٦ لدراسة مشروعات الري في العراق، قد جذبته بحيرة الثرثار جذباً كلياً فاختارها من دون المواضع الاخرى واعتبرها المصدر الوحيد الذي يحقق الضالة المنشودة باستخدامها لانقاذ مدينة بغداد من خطر الفيضان من جهة وخزن المياه لأغراض الري من الجهة الاخري . وقبل ان يقوم بدراسة دقيقة للبحيرة رفع تقريراً تمهيدياً حول امكانيات بحيرة الثرثار كمنفذ لمياه الفيضان وكخزان لاغراض الري[1] ، وان هذا التقرير رغم صفته التمهيدية فقد وضع بشكل جذاب يستميل القارىء كل الاستمالة ويجعله واثقاً من ان بحيرة الثرثار تضمن حل مشاكل نهر دجلة كلها وتحقق الغايات المأمولة . وكان الأجدر بهذا الخبير أن يؤجل رفع تقريره في هذا الموضوع الى ما بعد

---

(١) راجع تقرير المستر هيك ، رئيس الهيئة الفنية لمشاريع الري الكبرى ، المؤرخ في ٣٠ ـ ٥ ـ ٩٤٦ حول مشروع خزان الثرثار ، وقد بحثنا عن هذا التقرير في مقال نشرناه في مجلة « عالم الغد » في عددها الصادر في ١٥ تشرين الأول ١٩٤٦ ص ٣ — ٨ .

قيامه بالدراسة الدقيقة اللازمة ، إذ ثبت بعد مدة وجيزة أن الأرقام التي استند اليها كانت بعيدة كل البعد عن الواقع كما سنرى .

ويتلخص المشروع الذي اقترح في هذا التقرير التمهيدي فيما يأتي : —

يشتمل المشروع المقترح على ثلاثة أعمال رئيسية ، الأول انشاء قناطر (Barrage) على نهر دجلة في نقطة تقع على بعـــد حوالي خمسة كيلومترات من شمال مدينة سامراء لتأمين رفع مناسيب مياه النهر هناك إلى خمسة أمتار تقريباً فوق مستوى مياه الفيضان البالغ حوالي ٦٤ متراً فوق سطح البحر، على أن تستخدم هذه القناطر في المستقبل لتوليد قوة كهربائية تقدر بما لا يقل عن ١٤٠٠٠ حصان ، وقد قدّرت كلفة انشاء هذه القناطر بـ ١٫٦٠٠٫٠٠٠ دينار . أما العمل الثاني فعبارة عن حفر ترعة واسعة على الجانب الأيمن من نهر دجلة من أمام موضع القناطر مباشرة فتسير متجهة نحو الجنوب الشرقي وتنتهي الى بحيرة الثرثار بعد ان تكون قد قطعت مسافة حوالي ٥٧ كيلومتراً في ذلك الاتجاه . وأما العمل الثالث فهو حفر ترعـــة اخرى بطول حوالي ٦٥ كيلومتراً لتعاد بواسطتها المياه التي تخزن في البحيرة الى نهر دجلة في موسم شحة المياه في النهر المذكور ، على أن يبدأ بأخذ المياه من البحيرة بعد أن يتم املاؤها الى منسوب ٦٥ متراً فوق سطح البحر . وقد قدّرت كمية استيعاب البحيرة في هذا المنسوب بأربعين مليارا من الامتار المكعبة منها ٢٦٫٥ مليارا ، وهي الكمية الواقعة بين منسوب ٦٥ ومنسوب ٣٨٫٥ ، اعتبر امكان استغلالها لأغراض الري بارجاعها الى نهر دجلة في موسم الصيهود .

وقد اعتبر عند وضع اقتراح هذا المشروع ان اعظم تصريف للنهر في موسم الفيضان يمكن أن يبلغ إلى حد ١٠٫٠٠٠ م٣ في الثانية[1] ، فاقترحت طريقتان

---

(١) اجري قياس مدى فيضانات نهر دجـــلة في ضوء فيضاني سنتي ١٩٤١ و ١٩٤٦ ، وهما يمثلان اعلى الفيضانات المسجلة منذ سنة ١٩٠٦ ، فقد قدر مجموع تصريف مياه=

لتحويل بعض هذه المياه الى بحيرة الثرثار ، الأولى أن يحوّل ٣٠٠٠ م^{٣} في الثانية الى البحيرة والثانية ان يحوّل ٧٠٠٠م^{٣} في الثانية اليها . وقــد قدّرت كمية الأعمال الترابية المطلوبة لحفر ترعة تحمل ٣٠٠٠ م^{٣} في الثانية بـ ٥٢ مليوناً من الامتار المكعبة بكلفة أربعة ملايين ونصف مليون دينار تقريباً بضمنها كلفة الناظم في صدر الترعة على أساس اعتبار سعر الحفر ٨٠ فلساً للمتر المكعب ، كما انه قدرت الأعمال الترابية المطلوبة لحفر ترعة تحمل ٧٠٠٠ م^{٣} في الثانية بـ ٩٤ مليوناً من الامتار المكعبة بكلفة سبعة ملايين ونصف المليون دينار .

هذا فيما يتعلق بترعة المدخل إلى بحيرة الثرثار أما فيما يتعلق بترعة المخرج التي تعيد مياه المخزن إلى نهر دجلة فقد اقترحت طريقتان أيضاً لاعادة المياه المخزونة إلى نهر دجلة ، الأولى أن تنشأ ترعة تستوعب تصريفاً قدره ٢٥ م^{٣} في الثانية بكلفة مليون دينار تقريباً والثانية أن تنشأ ترعة تستوعب تصريفاً قدره ٦٠٠ م^{٣} في الثانية بكلفة حوالي مليونين ونصف المليون من الدنانير .

ويتضح مما تقدم أن مجموع كلفة المشروع في حالة اقتصاره على انشاء ترعة المدخل الى بحيرة الثرثار بحجم يستوعب قدره ٣٠٠٠م^{٣} في الثانية وانشاء ترعة المخرج لارجاع مياه الثرثار الى دجلة بحجم يستوعب تصريفاً قدره ٢٥٠م^{٣} في الثانية يبلغ زهاء سبعة ملايين ونصف المليون دينار . أما مجموع كلفة المشروع الواسع المشتمل على انشاء ترعة المدخل بحجم يستوعب تصريفاً قدره ٧٠٠٠م^{٣} في الثانية وانشاء ترعة المخرج بحجم يستوعب تصريفاً قدره ٦٠٠ م^{٣} في الثانية فيبلغ زهاء اثني عشر مليون دينار .

= نهر دجلة في فيضان سنة ١٩٤١ بعشرة آلاف متر مكعب في الثانية ، زهاء ٨٥٠٠ منها كانت تمر أمام مدينة بغداد وحوالي ١٧٠٠ مترمكعب في الثانية من الثغرات التي احدثت على الجهة الشرقية في الأسداد الشمالية لتحويل بعض المياه منها الى ديالى ، كما قدر مجموع تصريف مياه نهر دجلة في فيضان سنة ١٩٤٦ بحوالي ٩٥٠٠ مترمكعب في الثانية .

وقد أشار التقرير الى إمكان تحويل بعض مياه خزان الثرثار الى نهر الفرات اذا أريد تزييد مياهه الصيفية بانشاء ترعة طولها ٩٥ كيلومتراً تقريباً تمتد في في الصحراء الواقعة بين بحيرة الثرثار ونهر الفرات . وقدرت كلفة هذه الترعة بـ ٤٥٠٫٠٠٠ دينار إذا أنشئت الترعة بحجم يستوعب تصريفاً قدره ١٣٠ متراً مكعباً في الثانية ، و بـ ٩٥٠٫٠٠٠ دينار إذا ما أنشئت الترعة بحجم يستوعب تصريفاً قدره ٢٤٠ متراً مكعباً في الثانية .

وقد انتقد هذا المشروع من ناحية مواطن الضعف فيه ، فهو لم يستند الى معلومات فنيـة دقيقة فيما يتعلق بكلفة الاعمال وبكمية استيعاب بحيرة الثرثار وبمساحة البحيرة ، هذا إلى أن التقرير أهمل معالجة الناحية الجيئولوجية التي تتوقف عليها معرفة نسبة الرشح والامتصاص داخل البحيرة بعد امتلائها بالمياه ، كما أنه ضرب بآراء الخبراء السالفين كلها عرض الحائط ، وهي الآراء التي تعتبر امكانيات بحيرة الثرثار محدودة من حيث ناحية خزن المياه .

وبعد مضي ما يقارب السنتين على التقرير المذكور تقدم المستر (هيك) بتقرير جديد حول المشروع نفسه ، وهو التقرير المرقم ٣١ والمؤرخ في ٩ مايس ١٩٤٨ ، وقد جاءت فيه مقترحات جديدة مستندة الى التحريات التي اجريت بعد تقديم التقرير الاول . وقد دلت هذه التحريات على أن كمية استيعاب بحيرة الثرثار تبلغ ٧٨ مليارا من الامتار المكعبة بمنسوب ٦٥ متراً فوق سطح البحر، أي ضعف الكمية المشار اليها في التقرير الاول ، هذا كما أن التحريات المذكورة دلت على أن مساحة بحيرة الثرثار تبلغ حوالي ٢٥٠٠ كيلومتر مربع اذا ما امتلأت الى حد المنسوب المذكور ، أي بزيادة ١٥٠٠ كيلومتر مربع عما ذكر في التقرير الاول . وعلى هذا الاساس وضع مشروعان جديدان لاستخدام بحيرة الثرثار كمنفذ للفيضان وكخزان لأغراض الري في آن واحد ، وقد صمم هذان المشروعان على أساس أن أعلى ما يحتمل أن يصل اليه فيضان نهر دجلة هو ١٤٫٠٠٠ م٣ في الثانية بدلاً من الـ ١٠٫٠٠٠ م٣ في الثانية التي كان قد استند اليها في وضع

مشروع سنة ١٩٤٦ ، هذا على أن يجري تحويل ٩٠٠٠ر٩٠م^3 إلى بحيرة الثرثار في حالة بلوغ الفيضان الحد ١٤٠٠٠ر١٤م^3 في الثانية ، وبهذا يحدد التصريف الذي يمر في مجرى النهر من أمام بغداد بـ ٤٠٠٠م^3 في الثانية فقط .

ويتضمن المشروع الاول انشاء قناطر على نهر دجلة تمرر تصريفاً قدره ٤٠٠٠م^3 في الثانيـة كحد أعظم بكلفة ٧٠٠٠٠ر٧٠٠ دينار وكذلك انشاء ترعة طولها ٦٤ كيلومتراً تفتح من شمال موضع القناطر لتحويل ١٠٠٠٠ر١٠م^3 في الثانية من تصريف الفيضان الى بحيرة الثرثار في حالة حدوث فيضان يؤدي الى بلوغ تصريف النهر ١٤٠٠٠ر١٤م^3 في الثانية . وقد صممت الترعة على أساس انشاء منفذين ، المنفذ الاول يجري حفره لاستيعاب ١٥٠٠م^3 في الثانية ويتوقع أن يزداد هذا التصريف الى ٣٥٠٠م^3 في حالة بلوغ الفيضان أقصاه ، والمنفذ الثاني يوجه الى الصحراء المجاورة بدون أية حاجة الى الحفر على أن يستوعب هذا المنفذ ٦٥٠٠م^3 في الثانية ، فتجتمع مياه هذا المسيل مع مياه المنفذ الاول في نقطة تقع على مسافة ثمانية كيلومترات من صدره ثم تجري مياه المنفذين الى البحيرة بعد أن يجري حفر ترعة تقطع الاراضي المرتفعة المجاورة الى البحيرة الواقعة بين الكيلومتر ٥٥ و ٦٤ من الترعة . ويشتمل هذا المشروع أيضاً على انشاء ترعة لارجاع المياه التي تخزن في البحيرة الى نهر دجلة بعد امتلائها الى منسوب ٥ر٦٢ متراً على أن تصمم هذه الترعة على أساس تصريف ٢٧٠ متراً مكعباً في الثانية في باديء الأمر ، واقترح استخدام مياه الخزن الى عمق ٥ر١٢ متراً بين منسوب ٥ر٦٢ متراً ومنسوب ٥٠ متراً ، وهو العمق الذي يستوعب ٢٢ مليارا من الامتار المكعبة . وقد خمنت كلفة هذا المشروع كما يلي : —

دينـــار	
٣٦٥٧٠٠ر٣	كلفة انشاء قناطر على دجلة تستوعب ٤٠٠٠م^3 في الثانية مع كلفة انشاء ناظمين لصدري المنفذين المؤديين الى البحيرة يستوعبان ١٠٠٠٠ر١٠م^3 في الثانية .

دينـار	
٧ر٢٤٩ر٢٠٠	كلفة حفر ترعة المدخل لاستيعاب مياه المنفذين المؤديين الى البحيرة البالغة ١٠ر٠٠٠م٣ في الثانية .
١ر٩٩١ر٤٠٠	كلفة انشاء ترعة المخرج لارجاع مياه البحيرة الى نهر دجلة مع كلفة انشاء الناظم في صدر هذه الترعة في حالة استيعابها ٢٧٠م٣ [illegible] .(ملحوظة: قدرت كلفة هذه الترعة في حالة انشائها لاستيعاب ٦٠م٣ في الثانية بـ ٥ر٩٨٢ر١٠٠ دينار) .
١٢ر٧٢٦ر٣٠٠	المجموع

أما المشروع الثاني المقترح فيشتمل على المشروع الاول المتقدم نفسه مع اضافة تأسيسات خاصة عليه لتوليد تيار كهربائي على ترعة المخرج على أن ينشأ هذا المشروع بمراحل على الشكل التالي :ـ

١ ـــ المرحلة الاولى : تشتمل على تأسيس الخزان حسب تصميم المشروع الاول وإنشاء ترعة المخرج بسعة ٢٧٠ متراً مكعباً في الثانية مع تأسيسات لتوليد قوة كهربائية قدرها ٢٤٠٠٠ كيلوات بكلفة ١٤ر٠٦٧ر٧٠٠ دينار.

٢ ـــ المرحلة الثانية : تشتمل على توسيع ترعة المخرج لتستوعب تصريفاً قدره ٦٠٠ متر مكعب في الثانية وإنشاء تأسيسات لتوليد قوة كهربائية قدرها ٦٦ر٠٠٠ كيلوات وهـذا يؤدي الى ابلاغ كلفة المشروع ١٧ر٤٧٨ر٣٠٠ دينار .

٣ ـــ المرحلة الثالثة : تشتمل على توسيع ترعة المخرج لتستوعب تصريفاً قدره ٨٠٠ متر مكعب في الثانية وإنشاء تأسيسات لتوليـــد قوة كهربائية قدرها ٨٨ر٠٠٠ كيلوات وهـــذا يؤدي الى ابلاغ كلفة المشروع ١٩ر٨٤٥ر٧٠٠ دينار .

ى - رأينا فى مشروع الثرثار

ان مشروع بحيرة الثرثار رغم ما ينطوي عليه من محسنات لا يخلو من الصعوبات فيما إذا اريد استغلاله كخزان لاغراض الري وتوليد القوة الكهربائية، ولما كانت الخطة الواجب اتباعها في انشاء مشروعات الري تقضي بلزوم الاتجاه نحو المشاريع التي تضمن الفائدتين ، فائدة التخفيف عن وطأة الفيضان وفائدة خزن المياه لأغراض الري في وقت واحد ، فينبغي توجيه اهتمامنا الى مثل هذه المشاريع التي تحقق الفائدتين المذكورتين بنجاح مضمون . ومن أهم المشاكل التي تجابه في مشروع استخدام بحيرة الثرثار كخزان لأغراض الري المشكلة المتعلقة بالناحية الجيولوجية، إذ يحتمل ان تتسرب المياه التي تحوّل الى بحيرة الثرثار الى جوف الأرض بواسطة التشققات في طبقات أرض البحيرة ، الأمر الذي يجعل املاء البحيرة الى المنسوب المطلوب لغرض الخزن ، أي إلى منسوب ٦٥ متراً فوق سطح البحر ، صعباً ان لم يكن متعذراً . وهناك أمثلة لمشروعات صممت لخزن المياه في أودية من نوع بحيرة الثرثار ثبت فشلها لتعذر احتفاظ تلك الاودية بالمياه داخل احواضها ولظهور تشققات في طبقات الأرض تسربت من خلالها المياه الى جوف الأرض أو الى البحر في بعض الاحيان . ومن جملة هذه المشروعات مشروع لخزن المياه كان قد اقيم على أحد الأودية في انكلترا على استناد ان طبقات الصخور في حوض الوادي ملائمة لخزن المياه والاحتفاظ بها ، إلا ان بعد انشاء السد وامتلاء الخزان بالمياه تسربت معظم هذه المياه من خلال التشققات الصخرية داخل الوادي، ولم تجد المحاولات لسد هذه التشققات بالخرسانة نفعاً حيث كانت الفوهات التي ظهرت في حوض الخزان تبتلع صبات الخرسانة بتأثير ضغط المياه دون ان تترك لها أثراً يذكر .

وأثبت دليل على أن حوض بحيرة الثرثار لم يكن من نوع الاحواض التي يساعد تكوينها الجيولوجي على الاحتفاظ بالمياه لأغراض الخزن انه على الرغم

من انصباب مياه الاودية التي تنحدر من جبال سنجار كلها في وادي الثرثار ، وعلى الرغم من انصباب السيول على جانبي وادي الثرثار ما بين سنجار والبحيرة في حوض الثرثار أيضاً ، وهي السيول التي تنتهي مياهها كلها الى البحيرة ، لم يبق في حوض البحيرة كمية تذكر من المياه ، مما يدل على ان معظم المياه التي تدخل الى البحيرة تتسرب الى جوف الأرض عن طريق مجاري المياه الجوفية .

وقد ثبت ان المنطقة الواقعة الى الشرق من البحيرة ، أي المنطقة التي تخترقها ترعة المدخل المقترحة، وهي الترعة التي تحوّل مياه فيضان دجلة إلى بحيرة الثرثار ، تسودها طبقات جصيّة قابلة للذوبان ، وقد وجد ان هناك صعوبة تعترض انشاء ضفاف الترعة المذكورة في القسم الأخير الواقع الى جوار البحيرة لوجود مواد جصيّة في التربة التي يمر منها ذلك القسم ، وقد اقترح ازالة هذه المواد بنقلها من مواضعها إلى خارج المنطقة التي تمر منها الترعة ونقل اتربة خالية من تلك المواد من منطقة أخرى بعيدة لانشاء الضفاف بها[1] . هذا كان المنطقة الواقعة الى الجنوب الشرقي من البحيرة تكثر في تربتها طبقات جصيّة أيضاً ، إذ ظهر بعد انشاء مشروع جدول الصقلاوية ان معظم المياه التي سوّقت الى شاخة الدايمية أو شاخة الكصاوي المتفرعة من النهر المذكور[2] تسرّب الى

---

(١) راجع تقرير الهيئة الفنية لمشروعات الري الكبرى المرقم ٣١ والمؤرخ ٦ مايس سنة ١٩٤٨ ص ١٨ .

(٢) يتفرع جدول الصقلاوية المذكور من الضفة اليسرى لنهر الفرات في نقطة تبعد ١٤ كيلومتراً من شمال مدينة الفلوجة ويروي الأراضي المنحدرة في اتجاه منخفض عقرقوف الذي ينتهي الى غربي مدينة بغداد . ويسير هذا الجدول في اتجاه مجرى الكرمة القديم مسافة (١٧) كيلومتراً ثم يتفرع الى فرعين ، الفرع الشمالي المعروف باسم جدول علي السليمان والفرع الجنوبي المعروف باسم جدول ابراهيم العلي . أما شاخة الكصاوي المشار اليها اعلاه فتتفرع من الضفة اليسرى لفرع علي السليمان وقد انشئت لأرواء الاراضي السهلة الواقعة في الطرف الشمالي للمشروع (راجع كتابنا « وادي الفرات » الجزء الثاني ص ٥٣) .

جوف الأرض داخل الشاخة ، وعلى هـــذا قامت دائرة الري بعدة محاولات لمعالجة الوضع فاقترح في بادىء الامر فرش قعر الجدول بأتربة تنقل من منطقة أخرى بعيدة ، ثم بذلت مجهودات اخرى لأيقاف تسرب المياه الى جوف الارض، إلا أن هذه المحاولات لم تجد كلها نفعاً الأمر الذي اضطر الجهات المختصة الى اهمال هذه الشاخة نهائياً وكذلك اهمال الاراضي التابعة لها التي تقدر بزهاء (٣٩٠٠٠) مشارة . ويتضح مما تقدم ان هناك احتمالاً كبيراً بأن هذه المواد الجصية موجودة في المنطقة التي تقع فيها بحيرة الثرثار ، وإن تعرّض هذه المواد إلى المياه وذوبانها يؤديان إلى حدوث تشققات في طبقات أرض البحيرة فتجد المياه طريقاً للتسرّب من خلالها .

ومن المعتقد أن مستوى المياه الموجودة في قعر بحيرة الثرثار في الوقت الحاضر يمثل مستوى المياه الجوفية في تلك المنطقة أيضاً مما يجعل كميات المياه التي يمكن أن تحوّل إلى البحيرة ، سواء أكان ذلك من نهر دجلة أو من أي مصدر آخر ، أن تتسرّب عن طريق مجاري المياه الجوفية، فلم يدع ذلك مجالاً لارتفاع منسوب المياه في حوض البحيرة الى مافوق مستوى المياه الحالية في قعر البحيرة . وإذا ما قارنا وضع بحيرات الخرج في نجد ، وهي البحيرات المبحوث عنها فيما تقدم[1] ، بوضع بحيرة الثرثار وجدنا ان هذه البحيرات قد احتفظت بالمياه في داخلها الى عمق ما يزيد على مائة متر ، وكانت كلما سحبت منها كمية من المياه دخلتها مياه جوفية من جميع أطرافها لتحل محلها وبذلك بقي مستوى سطح المياه ثابتاً دون تغيّر مهما بلغ السحب ، وقد ثبت لنا ذلك بعد نصب مكائن ضخ كبيرة على تلك البحيرات وسحب كميات كبيرة من مياهها لأرواء مزارع الخرج المجاورة . وكل هذا يدلنا على أن مستوى سطح المياه في بحيرات الخرج في نجد

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذه البحيرات في ص ٥٣٩

يمثل مستوى المياه الجوفية ولا يمكن أن يزاد هذا المنسوب مهما يضاف إلى البحيرة من مياه كما انه لا يمكن أن يخفض مهما بلغ السحب ، وكذلك فاذا فرضنا ان منسوب المياه في قعر بحيرة الثرثار يمثل مستوى المياه الجوفية في تلك المنطقة فمن المحتمل جداً أن يبقى هذا المنسوب ثابتاً مهما يضاف إلى البحيرة من المياه ، أو من المحتمل أن يرتفع هذا المنسوب إلى حد معيّن إذا ما حوّلت كميات كبيرة من المياه الى البحيرة ثم يهبط حتى يرجع الى المستوى الاصلي .

وأهم ما يتبادر الى الذهن في هذا الصدد هو أن كمية الاتربة التي كانت تؤلف حجم المنخفض الحالي قبل حدوثه ، وهي الكمية البالغة حوالي ثمانين مليارا من الامتار المكعبة من الصخور ، لا بد أن تكون قد جرفتها المياه الجوفية ونقلتها الى أماكن بعيدة ، فاذا كان لهذه المجاري الجوفية من القوة بحيث تجرف هذه الكمية الهائلة من الاتربة تحت الأرض فما الذي يحول دون جرفها لكميات المياه التي تحوّل الى المنخفض تحت الأرض أيضاً ؟ ...

ولما كانت بحيرة الثرثار تكوّنت نتيجة لانخساف طبيعي في الارض كما تقدم شرحه[1] فلا بد من وجود تشققات في الطبقات الجيولوجية قد تؤدي الى تسرّب المياه التي تخزن في البحيرة الى جوف الأرض اذا ما أمكن املاء البحيرة الى ارتفاع ٦٥ متراً فوق سطح البحر وحصل الضغط الشديد الذي يسببه هذا الامتلاء على تشققات الطبقات الجوفية . ولا يخفى ان الدراسة الجيولوجية للخزان لم يباشر فيها بعد وهذه قد تستغرق مدة طويلة قبل التوصل الى نتيجة حاسمة حول هذا الموضوع . غير أن الخبير الجيولوجي المستر ويليمس الذي قام بدراسة تمهيدية للناحية الجيولوجية من مشروع بحيرة الثرثار ذكر في تقريره المؤرخ في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ ، الى ان هناك احتمالاً قوياً بأن ضائعات

(١) راجع ماتقدم في ص ٥٣٨ — ٥٤٦

المياه بنتيجة التسرّب (Seepage) داخل بحيرة الثرثار ستكون كبيرة بدرجة تحول دون ارتفاع المياه داخل البحيرة الى المنسوب المطلوب وذلك مهما كانت كمية المياه التي تحوّل الى البحيرة ، ثم أضاف الى أن هناك ما يدل على أن منسوب المياه الملحية في قعر البحيرة يمثل مستوى المياه الجوفية (Water Table) في منطقة الثرثار ، الأمر الذي يؤدي الى احتمال تسرب كافة المياه التي تضاف فوق هذا المنسوب الى داخل المجرى الجوفي ، وعلى هذا يميل الى الاعتقاد بأن كمية المياه المطلوبة لاملاء البحيرة وايصال المياه فيهـــا الى المنسوب المطلوب ستكون غير محدودة ولا يمكن لفيضانات دجلة مهما كانت كبيرة أن تضمن إملاء البحيرة . هذا الى ان هناك ما يدل على ان طبقات الارض داخل بحيرة الثرثار لا تزال في هبوط مستمر وان حالتها الجيولوجية لم تستقر بعد .

وقد اعتبر المستر هيك في تقريره الاخير عن مشروع الثرثار ان الضائعات التي ستحصل في بحيرة الثرثار من جراء التبخّر والتسرّب الداخلي بعد امتلائها الى منسوب ٦٥ متراً فوق سطح البحر سوف لا يتجاوز عمق مترين ونصف متر في السنة الواحدة ، كما انه اعتبر امكان املاء البحيرة الى اقصى حدها البالغ ٦٥ متراً فوق سطح البحر خلال اربع سنوات بعد البدء بتحويل مياه فيضان دجلة الى البحيرة . إلا أن ذلك لا يستند الى أي دليل نظراً لما يعترض عملية املاء البحيرة من العوائق كما تقدم ونظراً للتباين الكبير في كمية المياه السنوية التي تجري في دجلة بين سنة واخرى مما يجعل أمر تعيين مدة معينة لاملاء البحيرة فيها صعباً ان لم يكن متعذراً .

كل هذا يحملنا على التمسك بالرأي القائل بوجوب حصر الاستفادة من بحيرة الثرثار في دفع أخطار فيضان نهر دجلة فقط لما يعتور مشروع الخزن من مشاكل وعوائق مختلفة وقد اتينا على بعض هذه العوائق فيما تقدم ، لهذا نرى أن يقتصر العمل على انشاء القناطر على دجلة في شمال سامراء بكلفة مليون دينار

وانشاء منفذ من أمام هذه القناطر لتحويل مياه فيضان دجلة الى بحيرة الثرثار بأقل كلفة ممكنة ، على أن لا يتجاوز مجموع كلفة هذا المشروع الثلاثة ملايين دينار أو الاربعة ملايين دينار . ولا بد أن نشير في هذا الصدد الى ان القناطر المقترح انشاؤها على دجلة ستستخدم ليس لتحويل مياه فيضان دجلة الى بحيرة الثرثار حسب وانما لرفع منسوب مياه دجلة في موسم الصيهود أيضاً لتحويلها الى جدول النهروان على الضفة اليسرى من دجلة والى جدولي الدجيل والاسحاقي على الضفة اليمنى بعد توفر مياه اضافية في نهر دجلة إذا ما انشئت خزانات في الشمال . ونرى ان المصلحة تقضي بوجوب المباشرة بهذا المشروع في أقرب وقت لتخفيف خطر الفيضان عن مدينة بغداد وعن المزارع الواقعة في شمالها وجنوبها .

وقد اطلعنا مؤخراً والكتاب ماثل للطبع على تقرير مؤرخ في ٨ كانون الاول سنة ١٩٤٨ وضعه المهندسون الاستشاريون السادة كود وفوغان لي وفرانك وكويتر عن مشروع وادي الثرثار ، وقد اشترك معهم السير ويليم هالكرو وشركاؤه في وضعه ، وقد جاء هذا التقرير مؤيداً وجهة نظرنا تماماً حيث أشار بصورة صريحة ان المشروع ملائم للسيطرة على الفيضان سيطرة تامة ولكنه غير ملائم كمشروع لخزن المياه لاغراض الري لعدة عوائق فنية خطيرة، ومن المحتمل ان يؤثر تأثيراً سيئاً على نظام مجرى نهر دجلة (رجيم النهر) فيما إذا استخدم كخزان لاغراض الري . ولما كان قد اعتبر بأن المطلب الفوري والمستعجل هو السيطرة على نهر دجلة لانقاذ بغداد من الفيضان الذي يهددها بصورة مستمرة ، ولما كان المهندسون الاستشاريون قد ارتأوا ضرورة صيانة العاصمة صيانة تامة بتكاليف معتدلة على أن يقام بذلك في فترة معقولة من الزمن، فقد اقترحوا وضع تصميم لمشروع وادي الثرثار بشكل بسيط للسيطرة على الفيضان فقط بكلفة لا تتجاوز الستة ملايين ونصف مليون دينار على أن يجري توسيع

الاعمال الخاصة بخزن المياه لاغراض الري فيما بعد إذا مست الحاجة الى ذلك بانشاء سدود على أنهر الزاب الكبير والزاب الصغير وديالى، وبذلك يتسنى عزل السيطرة على الفيضان عن عمليات الري عزلاً تاماً مما يحول دون الاضطرار الى استخدام المصلحة الواحدة على حساب المصلحة الاخرى. وقد اضاف المهندسون المذكورون الى ذلك قولهم ان التوصيات هذه تمثل رأيهم الذي توصلوا اليه بعد دراسة دقيقة من كل الوجوه، وهو ان السيطرة على الفيضان تعد من الامور المستعجلة جداً وينبغي ان يقام بالاعمال اللازمة لتحقيقها بأسرع وقت دون أن تعرض مصالح الري للخطر في المستقبل . وقد ختموا تقريرهم باستعراض الصعوبات الكثيرة التي تعترض مشروع استخدام الثرثار كخزان لاغراض الري ، فذكروا ان مناسيب المياه العالية التي تتطلبها مختلف مراحل الخزن المقترحة تشكل خطراً جسيماً على بغداد في حالة انهيار الضفاف الواقعة في الجانب الايسر من ترعة المدخل ، كما انهم اعتبروا ان املاء المنخفض إلى المنسوب المطلوب لامكان استخدام المياه لاغراض الري يستغرق مدة طويلة ، وبهذا يبقى نهر دجلة خلال هذه الفترة متعطشاً الى المياه فيترك ذلك تأثيراً سيئاً على نظام مجرى النهر . وقد تطرق المهندسون الاستشاريون الى مسألة توليد القوة الكهربائية فذكروا انها ليست ذات أهمية كبرى في مشروع يستهدف بالدرجة الاولى تخفيف وطأة الفيضان ومع ذلك يمكن توليد القوة الكهربائية في القناطر التي ستقام عند النهر ولكن بنطاق ضيق .

٣ ـ مشروع خزان الفتحة

تقدم البحث ان هنالك طريقتين يمكن اتباعها لمعالجة مشاكل نهر دجلة ، الاولى المعالجة العامة التي تتناول انشاء مشروع جسيم واحد على نهر دجلة تعالج فيه مشاكل الفيضان ومشكلة قلة المياه الصيفية في آن واحد ، والثانية

هي طريقة انشاء مشاريع متعددة على روافد دجلة . وقد بحثنا عن مشروع بحيرة الثرثار ، وهو أحد المشروعين المقترحين في حالة اتباع الطريقة الاولى ، ونبحث فيما يلي عن خزان الفتحة ، وكان هذا المشروع قد اقترحه لأول مرة أحد مهندسي الري العراقيين قبل اكثر من عشر سنوات ، وهو يشتمل على انشاء سد عال على نهر دجلة في مضيق الفتحة الواقع على بعد حوالي ٢٠٠ كيلومتر من شمال بغداد ، أي المضيق الذي تقطع فيه جبال حمرين نهر دجلة ، على أن يقام خزان واسع في حوض نهر دجلة نفسه أمام السد شمالاً فتخزن فيه المياه ثم تعاد الى النهر في موسم شحة المياه .

وكان قد اقترح في هذا المشروع انشاء السد بارتفاع ٦٠ متراً تقريباً واقامة الخزان بسعة ١٢ ملياراً من الامتار المكعبة ، إلا أن المشروع الاخير الذي اقترحته الهيئة الفنية لمشاريع الري واثبتته في تقريرها المرقم ٣٨ والمؤرخ في ١٩ آب ١٩٤٨ يتناول انشاء سد بارتفاع ٧٥ متراً ويحقق خزن ٢٤ ملياراً من الامتار المكعبة ، على أن يكون السد سداً ترابياً على نمط سد فورت بيك (Fort Peck Dam) على نهر المزوري في الولايات المتحدة الاميركية . ويمتد الخزان في وسط حوض نهر دجلة الى مسافة اكثر من مائة كيلومتر شمالا فيغمر الشرقاط والقيارة ، كما انه يمتد الى حوض نهر الزاب الصغير عند مصبه في دجلة الى مسافة حوالي ثلاثين كيلو متراً شمالاً . وقد صمّم السد حسب المشروع الاخير بعرض ٣٠ متراً في قمته وبتسريح ١ في ٥ في المقدم وبتسريح ١ في ٥ر٨ في المؤخر. واختير موقع للسد في نقطة تقع على بعد حوالي سبعة كيلومترات من شمال المضيق لعدم وجود اسس مناسبة له عند المضيق الذي تكثر فيه عيون الكبريت والقار، الامر الذي يجعل ضرورة تمديد طول السد الى ٥ر٣ كيلومتراً تقريباً. ويشتمل هذا المشروع أيضاً على انشاء ثلاثة انفاق بسعة ١٣٣٣م^{3} في الثانية تبدأ من الضفة اليمنى للخزان في شمال السد فتمر من تحت جبل حمرين لتصب في

دجلة جنوب السد، على أن تماد مياه الخزان الى نهر دجلة في موسم الصيهود عن طريق هذه الانفاق . كما ان المشروع يشتمل على فتح مجرى واسع مكشوف (Spillway) يبدأ من الضفة اليسرى للخزان في شمال السد بسعة ٦٠٠٠م³ في الثانية ليأخذ مياه الفيضان الزائدة الى نهر دجلة جنوب السد . ويضمن هذا المشروع امرار تصريف ثابت قدره ٨٠٠ م³ في الثانيــة في نهر دجلة في موسم الصيهود ، كما انه يحدد تصريف الفيضان في نهر دجلة جنوب السد بـ ٣٥٠٠ م³ في الثانية فقط (راجع خارطة مشروعات الري الكبرى على نهر دجلة) . أما فيما يختص بتوليد التيار الكهربائي من القوى المائية فان ارتفاع السد يساعد على توليد قوة كهربائية تقدر بـ ٣٧٨ر٠٠٠ كيلواط مقابل ٨٨ر٠٠٠ كيلواط في مشروع الثرثار ، غير ان طول الاسلاك الكهربائية إلى بغداد سيكون (٢١٠) كيلومترات مقابل (٦٠) كيلومتراً في مشروع الثرثار .

وقد قدّرت كلفة هذا المشروع بـ ٢٤ مليون دينار إلا انها اعتبرت كلفة باهضة بالقياس الى كلفة مشروع الثرثار ، وقد أشار تقرير الهيئة الفنية المار الذكر إلى ان تحقيق هذا المشروع يتطلب اجراء تحريات خاصة عن طبيعة موقع السد من الناحية الجيئولوجية. وقد قدّرت تـكاليف هذه التحريات بـ ٦٢ر٠٠٠ دينار ، وقد أوصى بعدم القيام بها لأن المشروع اعتبر من حيث الاساس غير عملي ، ولا سيما وقد سبق للمهندسين الاستشاريين السادة كرد وولسن وميتشل وفوغان لي أن أجروا تحريات في عام ١٩٤٠ للتأكد مما إذا كان يمكن تشييد سد بنائي في هــذا الموقع وكانت نتيجة دراستهم غير مشجعة على الاستمرار في دراسة المشروع إذ وجدوا انه غير عملي لعدم وجود اسس ملائمة لانشاء سد عال عليها ، وقد اتفقت الهيئة الفنية لمشاريع الري والمهندسين الاستشاريين في هذا الصدد ، وعلى هذا الأساس صرف النظر عن المشروع .

ونرى في صدد هذا المشروع إن مشروعاً ضخماً كمشروع سد الفتحة المقترح

هو أبعد من أن يتلائم مع اوضاعنا حتى ولو سلمنا جدلاً بأن الاحوال الجيئولوجية تساعد على امكان القيام به ، فالعراق لم يصل بعد إلى درجة يستطيع معها ان يستخدم ٢٤ ملياراً من الامتار المكعبة من المياه مرة واحدة، ولا ان يستهلك قوة كهربائية بالمقدار الذي تولده قوة المياه من هذا المشروع ، كما ان كلفة هذا المشروع لا تتلائم مع وضعنا الاقتصادي العام هذا إلى الاخطار الجسيمة بل الكارثة الكبرى التي قد تحلّ بالبلاد من جراء انهيار السد بعد امتلاء الخزان ، وهذا يحتمل أن يحدث بنتيجة الزلازل أو القصف الجوي ، ونستطيع ان نقدّر مدى الكارثة اذا ما تصورنا نزول ٢٤ ملياراً من الامتار المكعبة من المياه نحو جنوبي العراق بما في ذلك بغداد نفسها مرّة واحدة .

٤ ـ مشروعات الري على روافد دجلة وفوائدها

يتضح مما تقدم ان معالجة مشاكل نهر دجلة باتباع الطريقة الأولى ، أي طريقة انشاء مشروع جسيم واحد على نهر دجلة تعالج فيه مشاكل الفيضان ومشاكل قلة المياه الصيفية في آن واحد غير ملائمة بالنسبة للمشروعين المقترحين (مشروع الثرثار ومشروع الفتحة) ، وبعد تتبع عميق ودراسة الموضوع من كل نواحيه توصلنا إلى ان خير طريقة لمعالجة مشاكل دجلة هو اتباع الطريقة الثانية ، أي الطريقة التي سلكها أسلافنا في تنظيم الري في هذه البلاد ، وهي طريقة انشاء خزانات وسدود متعددة على الروافد التي تنصب في دجلة . وفي هذه الطريقة فوائد كثيرة يمكننا ان نجملها فيما يلي : ـ

١ — يمكن انجاز المشاريع المتفرّقة على الروافد في وقت قصير بحيث يتسنى الاستفادة منها في تخفيف وطأة فيضان دجلة وفي زيادة الانتاج الزراعي بخزن المياه بأقل وقت ممكن، على حين ان مشروعاً كمشروع خزان الثرثار أو كمشروع الفتحة قد يستغرق مدة انجازه ما لا يقل عن عشر سنين على أقل تقدير .

وعلى فرض ان الدراسات تدل على امكان تحقيق مثل هذا المشروع فان البلاد لا بد من أن تبقى خلال هذه المدة الطويلة معرضة إلى أخطار الفيضانات المتتالية ومحرومة من المياه الاضافية المطلوبة في مواسم الصيف .

٢ — يمكن انجاز هذه المشاريع بكلفة قليلة تتناسب واقتصاديات البلاد دون مجابهة صعوبات مالية قد تؤدي إلى التقيد بقروض خارجية وما شابه ذلك، ولا سيما اذا وزعت الاعمال وفق منهج معيّن لمدة خمس أو عشر سنوات .

٣ — يمكن الحصول على الفوائد الاقتصادية المتوقعة من مشاريع الري بعد المباشرة بها بمدة قليلة ، وفي مثل هذه الحالة يمكن بيع الاراضي الاميرية التي سيتم احياؤها أو اشراك الزراع الذين يستفيدون من المشاريع بتكبد قسم من الكلفة بنسبة استفادتهم من هذه المشاريع .

٥ـ مشروع سد ديالى وخزان هور الشويجة

ونبدأ أولاً بالمشاريع التي نقترحها على نهر ديالى ، وأولها مشروع اعادة انشاء سد ديالى القديم[1] ، على أن يجري تحويل مياه فيضان نهر ديالى من أمام السد وتحويل بعض مياه فيضان نهر دجلة من جنوب بغداد إلى بحيرة الشويجة لاستخدامها كخزان يموّن نهر دجلة في جنوب الكوت بالمياه الاضافية في موسم الصيهود ، وهو المشروع الذي اقترحناه في سنة ١٩٤٧ ونشرنا تفاصيله في كتيّب طبع في السنة نفسها بعنوان « مشروعات الري الكبرى ـ خزان هور الشويجة[2] » . وفيما يلي خلاصة هذا المشروع : ـ

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذا المشروع في ص ١٥٩

(٢) طبعت هذه النشرة في مطبعة المعارف وتحتوي على تفاصيل المشروع المقترحة مع خارطة مفصلة تبين هذه الاقتراحات .

١ — يرمي هذا المشروع إلى تحويل بعض مياه الفيضان في ديالى أو كلها عند جبل حمرين وكذلك تحويل بعض مياه فيضان دجلة من جنوب بغداد إلى هور الشويجة الواقع في جوار الكوت ، على أن يستخدم هذا الهور كخزان تخزن فيه المياه لارجاعها إلى نهر دجلة جنوب قناطر الكوت في موسم شحة المياه، ومن مميزات هذا الهور ان كمية الاملاح في مياهه محدودة مما يضمن الاستفادة من هذه المياه في أغراض الري .

٢ — وقوام المشروع شق ترعة من الجانب الايسر لنهر ديالى من شمال سد ديالى الثابت الحالي الواقع في جبل حمرين فتحوّل اليها مياه فيضان ديالى لسوقها الى منخفضات مريجة الواقعة شرقي جدول الروز الحالي ومنها إلى هور الشويجة بعد امتلاء هذه المنخفضات . وهذا هو المجرى القديم الذي كانت تسير فيه مياه فيضان ديالى[1] يوم كان سد ديالى القديم عامراً وجدول النهروان زاهراً يمتد بين سامراء والكوت .

٣ — ويمتد هذا المجرى بين نهر ديالى وهور الشويجة لمسافة حوالي ١٨٠ كيلومتراً، ويبلغ الهبوط فيه إلى ما يقارب الخمسين متراً مما يساعد على جريان المياه بصورة طبيعية دون حاجة إلى حفريات ، على أن تشق ترعة تبدأ من نهر ديالى وتمتد إلى مسافة بضعة كيلومترات فقط . ولا شك في أن مرور المجرى بمنخفضات مريجة سيساعد على ترك المياه معظم غرينها في هذه المنخفضات قبل أن تصل إلى هور الشويجة ، وبذلك يحافظ على كمية الاستيعاب في الهور لمدة طويلة .

٤ — ويستوعب خزان هور الشويجة خمسة مليارات من الامتار المكعبة ، أي أكثر من ضعف ما يمكن خزنه في خزان الحبانية ، فيما اذا تم املاؤه الى

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى الروز القديم في ص ٣٨٠ ـ ٣٨٢ و ٣٩٤ـ٣٩٦

منسوب ١٩ متراً فوق سطح البحر ، وتبلغ مساحة الهور في هـذا المنسوب ٢٢٠٠ كيلومتر مربع . ويحتاج الخزان لتأمين املائه الى هذا الحدّ إقامة سداد وافية بطول خمسة وستين كيلومتراً على الحدود الجنوبية للخزان قرب الكوت ، ومن المفيد ان تقام هذه السداد على اساس استخدامها كسداد لضفة نهر دجلة اليسرى في تلك المنطقة أيضاً ، حيث تقع حدود هور الشويجة الجنوبية محاذية تماماً للضفة المذكورة .

٥ — وأهم فوائد هذا المشروع هو انقاذ مدينة بغداد من خطر فيضان ديالى الذي كان ولا يزال يهددها من جهة الشرق ، كما حدث فعلاً في حادث غرق معسكر المنيدي مرتين في السنتين ١٩٤٢ و ١٩٤٧ ، ثم المحافظة على قناطر الكوت والمزارع التي بين بغداد والكوت من خطر فيضان دجلة الى حد كبير ، والاستفادة في الوقت نفسه من مياه الخزن لتموين منطقة العمارة بالمياه في موسم شحة المياه وتأمين الملاحة على نهر دجلة بين الكوت والبصرة في ذلك الموسم . وينبغي بعد توفير المياه في نهر دجلة في جنوب الكوت في موسم الصيهود تحويل القسم الاعظم من مياه نهر دجلة الطبيعية إلى شط الغراف من مقدمة قناطر الكوت ، وهـذا يستوجب انجاز مشروع شق اقنية الغراف وتنظيم جداوله مع انشاء ناظم الحي وغيره من الاعمال المطلوبة للاستفادة من مياه الخزن في ارواء اكبر مساحة ممكنة من الأراضي على هذا النهر . وكذلك ينبغي النظر في أمر انشاء قناطر على نهر دجلة بالقرب من العمارة ليتسنى توزيع المياه على جداول العمارة بالمناسيب اللازمة .

٦ — ومن جملة فوائد هذا المشروع انه سيخفض كلفة مشروع النهروان ويسهل أمر انجازه حيث سيفسح المجال بعد تحويل مياه ديالى عن مجراه الحالي لمد جدول النهروان في طريقه بين سامراء والكوت دون حاجة إلى انشاء عبارة

لامرار الجدول فوق مجرى ديالى ، وهي العبّارة التي لا بد من انشائها فيما إذا استمر مجرى ديالى في حوضه الحالي .

٧ – واذا فرضنا ان المشروع سيصمم على اساس املاء الهور الى منسوب ١٨ متراً فقط مما يحدد كمية الخزن الى حوالي ثلاثة مليارات وربع المليار من الامتار المكعبة ، واذا اعتبرنا ان ضائعات الامتصاص والتبخر تبلغ متراً مكعباً واحداً من الماء لكل متر مربع واحد من مساحة سطح مياه الهور ، كانت الضائعات حوالي ٧ ر ١ من المليار ، وعندئذ تكون صافي الكمية التي يمكن الاستفادة منها لأغراض الري مليار ونصف مليار متر مكعب من الماء . واستناداً إلى تقدير كلفة المشروع التي تبلغ حوالي ٠٠٠ر٧٥٠ دينار تصبح كلفة كل ألف متر مكعب من الماء المعد لأغراض الري خمسمائة فلس فقط مقابل كلفة دينار ونصف للألف متر مكعب من الماء في خزان الحبانية . وتكون الكلفة أقل من ذلك فيما إذا صمم المشروع على أساس إملاء الهور إلى ١٩ متراً وذلك في حالة تحويل بعض مياه فيضان دجلة اليه من شمال الكوت .

٨ – ولا تتجاوز كلفة هذا المشروع الـ ٠٠٠ر٧٥٠ دينار أو ٠٠٠ر٩٠٠ دينار على أكثر تقدير ويمكن انجازه خلال سنة واحدة فيما إذا استعملت المكائن وبوشر بالعمل في كل أقسام المشروع في وقت واحد .

٩ – ان الأراضي التي يتناولها المشروع ممسوحة وكل ما نحتاج اليه لانجاز المشروع هو الدقة في التصميم والجرأة والاقدام للبت في الأمر والتوجيه الرشيد لاكمال العمل .

ونرى ان أول عمل تقضي المصلحة بوجوب المباشرة به فوراً هو استخدام بحيرة الشويجة كخزان تحول اليه مياه فيضان نهر دجلة من أمام قناطر الكوت ، ثم تعاد هذه المياه إلى نهر دجلة في جنوب الكوت في موسم الصيهود لتموين منطقة العمارة بالمياه ، على أن يحول معظم مياه نهر دجلة الصيفية الطبيعية الى الغراف

من أمام القناطر ، وبذلك نكون قد ضمنّا تموين المنطقتين ، الغراف والعمارة ، بالمياه في موسم الصيهود باجر زهيد ، كما اننا نكون قد حافظنا على المزارع بين بغداد والكوت من اخطار الفيضان الى حدٍ بعيد وحققنا وقاية قناطر الكوت من خطر الفيضان أيضاً ، على أن تكون المرحلة الثانية تحويل ثلثي مياه فيضان ديالى من أمام سد ديالى الثابت الحالي إلى بحيرة الشويجة وذلك بتنظيم سعة الفتحة على اساس سحب ثلثي كمية مياه نهر ديالى في موسم الفيضان ، وبهذه الوسيلة يمكن تأمين المياه للمزارع التي تروى بالمضخات من نهر ديالى في الجزء الواقع بين سد ديالى الثابت الحالي ومصب ديالى في دجلة جنوب بغداد . وتكون المرحلة الثالثة سد مجرى نهر ديالى عند جبل حمرين تماماً وتحويل مياه فيضان ديالى جميعها الى جهة الشويجة ، وهي المرحلة التي تصبح من متطلبات مشروع جدول النهروان الذي يستوجب تحويل نهر ديالى عن مجراه الحالي ليتسنى مدّ الجدول الى الجنوب أي كما كان عليه قديماً . هذا مع العلم ان الاراضي الواقعة على ديالى بين بعقوبة و بغداد والتي تروى الآن بالمضخات من مجرى نهر ديالى شتاءً ستروى كلها سيحاً من جدول النهروان بعد انجازه كما كانت تسقى في الزمن القديم من فروع النهروان . أما كلفة المشروع في مرحلته الأولى التي تقتصر على تحويل مياه دجلة الى بحيرة الشويجة واستخدامها كخزان لخزن المياه ومن ثم اعادتها الى نهر دجلة جنوب الكوت فهي كما يلي : -

	دينـــار
كلفة انشاء سدود في الحدود الجنوبية لهور الشويجة على أساس اعتبار سعر المتر المكعب من الاعمال الترابية (١٠٠) فلس	١٠٠,٠٠٠
كلفة تكسية السداد بالحجر	١٠٠,٠٠
كلفة انشاء ناظم في المدخل	٧٠,٠٠٠
كلفة انشاء ناظم للمخرج الذي تعاد به مياه البحيرة الى نهر دجلة	٥٠,٠٠٠
	٣٢٠,٠٠٠

٦ - مشروع « سد جبل طارق » على نهر ديالى ومخزانه قزلرباط

لقد اجريت عدة تحريات لتعيين موقع ملائم لانشاء سد في اعالي نهر ديالى بغية توفير المياه الكافية لارواء منطقة ديالى في الموسم الصيفي ، وهي المنطقة التي تعد من اخصب الاراضي الزراعية في الدلتا لانها من أحسن المناطق لزراعة الاشجار المثمرة في العراق ، ولا سيما الحمضيات منها التي تأتي في الدرجة الاولى بين الفواكه الاخرى أهمية . ودلت التحريات على امكان تحقيق هذا الخزان في موقعين ملائمين ، الاول في الوادي المنبسط الواقع في منطقة قزلرباط الى الشمال من جبل حمرين ، والثاني في المضيق المسمى مضيق دربنديخان ، وفيما يلي بحث مجمل عن كل من هذين المشروعين :

يشتمل المشروع الاول على انشاء سد على نهر ديالى بارتفاع حوالي ٢٥ متراً (بين منسوب ٧٠ و ٩٥ فوق سطح البحر) في نقطة تقع على مسافة حوالي ثمانية كيلومترات الى الشمال من سد ديالى الثابت الحالي وسط المضيق الذي يشكله نهر ديالى عند اختراقه جبل حمرين . ويؤدي هذا السد الى تكوّن خزان واسع في الوادي المنبسط الواقع فوق مضيق جبل حمرين ويستوعب زهاء نصف مليار من الامتار المكعبة من الماء ، وهو يؤدي الى غمر (١٥) قرية ومساحة ٥٥ كيلومتراً مربعاً من الأراضي الزراعية في تلك المنطقة ، كما انه يؤدي الى وجوب تحويل مسافة ١٧ كيلومتراً من خط السكة الحديدية عن منطقة الخزان . ويسمى موضع السد بأسم « جبل طارق » وعلى هذا اطلقوا على المشروع اسم « سد جبل طارق » . ويمتد هذا الخزان الى داخل حوض نهر ديالى نفسه في مسافة ١٥ كيلومتراً الى الشمال كما انه يمتد الى داخل حوض « نهر كوردره » ، وهو النهر الذي يصب في الضفة اليسرى من نهر ديالى في نقطة تقع على مسافة حوالي خمسة كيلومترات من شمال موقع السد ، الى مسافة عشرة كيلومترات من فوق مصبه ، ويمتد في داخل « نهر نارين » أيضاً الى مسافة ١٥ كيلومتراً

ايضاً ، ونهر نارين هذا يصب في الضفة اليمنى من نهر ديالى مقابل مصب نهر كوردره . وقد وضع المهندسون الاستشاريون في لندن «كود وولسن وميشيل وفوغان لي» تفاصيل هذا المشروع في سنة ١٩٤٠ وقدروا كلفته بما يقارب ال ١٫٨٠٠٫٠٠ دينار[1] ، عدا المبلغ المطلوب للتعويض عن الأراضي والقرى التي سيغمرها الخزان .

وهناك تصميم آخر اقترحه المهندسون الاستشاريون المذكورون أيضاً وهو يرمي إلى انشاء خزان أصغر حجماً من الخزان المذكور على الجهة اليمنى من نهر ديالى في وادي نهر «نارين» فوق مصبه في ديالى بقليل ، ويتضمن هذا المشروع انشاء سد ترابي على عرض وادي مجرى نارين طوله زهاء سبعة كيلومترات وارتفاعه تسعة أمتار تقريباً لحجز المياه في مقدم السد الى منسوب ٩٨ متراً فوق مستوى سطح البحر وتشكيل خزان في حوض نهر نارين نفسه يستوعب زهاء ربع مليارمتر مكعب من الماء ، على أن يملأ هذا الخزان من نهر ديالى بواسطة ترعة تستمد الماء من الضفة اليمنى لنهر ديالى في نقطة تقع على بعد ٢٠ كيلومتراً من مقدم موقع سد جبل طارق . ويغمر هذا الخزان ست قرى مع مساحة من الأرض الزراعية قدرها ٣٩ كيلومتراً مربعاً في تلك المنطقة . وقد قدّرت كلفة هذا المشروع عدا المبالغ المطلوبة للتعويض عن مساحة ٤٥ مشارة من الأراضي الزراعية وسبع قرى سيغمرها الخزان بما يقارب ٧٠٠٫٠٠٠ دينار .

ويعتقد انه في الامكان انشاء خزان صغير آخر من هذا النوع أيضاً على الضفة اليسرى من نهر ديالى في وادي الرافد «كوردره» فوق مصبّه في ديالى إلا ان امكانياته ستكون أقل منها في وادي نهر نارين المار الذكر .

---

(١) راجع تقرير المهندسين الاستشاريين كود وولسن وميشيل وفوغان لي عن المشاريع الخاصة بدرء أخطار الفيضان وبخزن المياه على أنهر العراق المؤرخ في ١٢ نيسان سنة ١٩٤٠ .

وقد اقترحت «الهيئة الفنية لمشروعات الري الكبرى» مؤخراً انجازمشروع « سد جبل طارق » على أن ينشأ السد بارتفاع ٣٦٫٥ متراً (بين منسوب ٧٠ ومنسوب ١٠٦٫٥ متراً فوق سطح البحر) وطول ١٧٢٦ متراً على أن يكون أعلى حد لمستوى الخزن أمام السد ٩٩ متراً فوق سطح البحر لاستيعاب ٠٫٩ من المليار من الامتار المكعبة من المياه . وقد صمم السد على أساس انحدار ١ في ١¾ في المقدم وانحدار ١ في ٢ في المؤخر . واقترحت الهيأة المذكورة عند وضع تصميم المشروع فتح نفق في الجانب الايسر بمنسوب ٧١ متراً في القعر لارجاع مياه الخزان الى نهر ديالى بواسطته كما اقترحت انشاء مسيل(Spillway) منظم بخمس فتحات حجم كل منها (٢٠ × ٦ متراً) لتحويل مياه الفيضان الزائدة التي تجري فوق منسوب ٩٧٫٥ متراً الى النهر من وراء النفق . أما كلفة هذا المشروع فقد قدرت بحوالي أربعة ملايين دينار .

٧ـ مشروع «سد دربندیخان» في أعالي نهر ديالى و« خزان مله بوره »

أما المشروع الثاني المقترح في أعالي نهر ديالى بغية خزن المياه وتزييد ايراد نهر ديالى الصيفي، فهو يشتمل على انشاء سد في مضيق دربنديخان الواقع في القسم الاعلى من نهر ديالى ، وهو القسم المسمى « نهر سيروان » على أن تخزن المياه أمام هذا السد داخل حوض النهر المذكور[1] . ونهر سيروان هو الرافد الرئيسي

(١) لقد استبدلت الهيئة الفنية لمشروعات الري تسمية دربنديخان بأسم « بله بورة » نسبة الى قرية بهذا الاسم تقع في منطقة الخزان ، الا اننا لم نر هناك داعياً لهذا التغيير في التسمية ولا سيما وان السد يقع في مضيق دربنديخان . وقد دلت تحققاتنا على ان اسم هذه القرية التي نسبت اليها تسمية السد الجديدة هو « مله بورة » وليس « بلة بورة » ، ومعنى كلمة مله الكردية رقبة أما كلمة بورة فمعناها لون الخاكي وبذا تكون معنى « مله بورة » رقبة جبل بلون الخاكي ، وقد لاحظنا ان الجبل المجاور يدعى « مله بو » . وعلى هذا نرى ان من المرجح ان تقتصر تسمية « مله بورة » هذه على الخزان فقط .

لنهر ديالى الذي ينبع في منطقة السليمانية ومنطقة حلبجه فيتكون من فرعين رئيسيين ، الفرع الغربي ينبع بالقرب من السليمانية ويسمى هناك جم چقلاوة ، أي وادي چقلاوة ، وبعد أن يسير مسافة بضعة كيلومترات الى الجنوب الشرقي يحمل اسم « آوي تانجرو » ، أي مياه تانجرو ، ويمتد بعد ذلك الى الجنوب بميل قليل إلى الغرب حتى يصل إلى جوار حلبجة حيث يصبح على بعد خمسة عشر كيلومتراً منها. وبعد أن يترك حلبجة الى يساره يواصل سيره الى الجنوب الغربي مسافة عشرة كيلومترات حتى يلتقي بالفرع الشرقي المسمى « نهر شيخ ميدان»، وهو الفرع الذي ينبع في ايران من شرقي الحدود العراقية الايرانية ، وبعد أن يتحد الفرعان ، « آوى تانجرو » و « شيخ ميدان » ، بمجرى واحد يحمل النهر اسم « نهر سيروان » فيجتاز جبال دربنديخان في المضيق المقترح انشاء السد فيه ، ثم يسير نحو الجنوب حتى يلتقي في جنوب قرهغان بنهر الوند أو نهر خانقين الذي ينبع في الاراضي الايرانية فيتكون منهما نهر ديالى ، وهو النهر الذي يصب في دجلة جنوب بغداد بعد ان يقطع سلسلة جبال حمرين مجتازاً مدينة بعقوبا التي يتركها إلى يساره .

ويقع السد المقترح انشاؤه على نهر سيروان في مضيق دربنديخان في نقطة تقع على بعد حوالي سبعة كيلومترات من جنوب غربي ملتقى فرع شيخ ميدان بفرع آوي تانجرو المار الذكر . وقد تبين بعد أن فحصت الصخور التي يتكوّن منها المضيق انها لا تصلح لانشاء سد عليها يزيد ارتفاعه على ستين متراً . ويمتد الخزان الذى يتكون أمام هذا السد إلى مسافة زهاء ٢٥ كيلومتراً إلى الشمال من موضع السد في داخل حوض «فرع آوي تانجرو» كما انه يمتد الى مسافة ستة كيلومترات تقريباً داخل حوض « فرع شيخ ميدان » شرقاً . وتكون مساحة الخزان السطحية بعد ان يمتلىء الى الارتفاع الذي تقدم حوالي ٢٥ كيلومتراً مربعاً، ويتراوح عرض سطح الخزان في داخل حوض نهر آوى تانجرو وحوض

نهر شيخ ميدان من كيلومتر واحد إلى ثلاثة كيلومترات . وقد قدّرت كمية استيعاب الخزان بين منسوب ٣٧٢ ، وهو منسوب قعر النهر ، ومنسوب ٤٣٣ وهو حد الخزن المقترح ، بحوالي ٦٥٠ مليون متر مكعب من الماء أي حوالي ٦٥ر٠ من المليار من الامتار المكعبة .

وعلى هذا الاساس وضع تصميمان التصميم الأول يشتمل على انشاء سد من الخرسانة بارتفاع ٧٧ متراً (بين منسوب ٤٤٩ر٢ ومنسوب ٣٧٢ متراً فوق سطح البحر) على أن تسال مياه الفيضان الزائدة من فوق السد على سطح التسريح الخلفي بعد امتلاء الخزان الى حد قمة السد ، أي إلى حد منسوب ٤٤٩ر٢ متراً فوق سطح البحر . وقد جعل لمسيل المياه فوق السد أربع فتحات ذات أبواب دائرية(Radial Gates) بحجم ٢٠ × ٧ متراً لكل فتحة،وقد صمّم السد على أساس انشاء ثمانية منافذ في اسفله لتفريغ الخزان في موسم الصيهود على أن تكون مبطنة بصفائح حديدية (Steel Lined Conduits)، ونظمت هذه المنافذ بصفين الصف الأعلى يحتوي على أربعة منافذ بمنسوب ٣٩٦ متراً والصف الأسفل يحتوي على أربعة منافذ بمنسوب ٣٨٤ متراً ، على أن تجهز هذه المنافذ بتربينات خاصة لتوليد القوة الكهربائية . ويبلغ سمك بناء السد من الاسفل ٦٥ متراً ويتقلص هذا السمك إلى عشرة أمتار في القمّة . أما عرض المضيق عند السد فيبلغ حوالي ٦٠ متراً من الأسفل وأربعمائه متر من أعلاه . واقترح انشاء ثلاثة تحاويل موقتة في وسط الوادي على الجانب الايسر للنهر بحجم ٤ × ٥ متراً وبمنسوب ٣٧٢ متراً في القعر .

أما التصميم الثاني فيشتمل على انشاء سد من الصخور (Rock Fill Dam) بارتفاع ٨٨ متراً (بين منسوب ٣٧٢ و ٤٦٠ متراً) يبلغ سمكه من الأسفل ٢٤٠ متراً ويتقلص حتى يصل الى عشرة أمتار في القمة ، وجُعل تسريح السد في

المقدم ٨ر٠ الى ١ والتسريح في المؤخر ٧ر١ الى ١ ، واقترح في هذا التصميم انشاء نفق في الجانب الأيمن للنهر قطره ٥ر٨ متراً لاستخدامه في تفريغ الخزان في موسم الصيهود وانشاء مسيل (Spillway) باربع فتحات خلف النفق لتحويل مياه الفيضان الزائدة من أمام السد الى مؤخره ، على أن تجري المياه من فوق المسيل المذكور بعد أن تصل الى منسوب ٤٥١ متراً فوق سطح البحر. ويؤمن هذا المشروع توايد ٠٠٠ر٣٠ كيلواط من القوة الكهربائية على بعد ١٦٠ ميلاً من بغداد . أما كلفة هذا المشروع فقد قدرت بحوالي سبعة ملايين دينار .

أما فيما يختص بخزن بعض مياه فيضان نهر ديالى في اعالي النهر بغية الحصول على مياه اضافية الى مشروعات ديالى في الموسم الصيفي ، فنرى ان اوضاعنا الحالية لا تساعد على انجاز أي من المشروعين الكبيرين ، « مشروع سد جبل طارق » و « مشروع سد دربندیخان » ، وعلينا ان نحصر اهتمامنا لانجاز مشروع صغير يقتصر على خزن كمية من المياه بقدر ما يكفي لسد حاجة مزارع ديالى الآنية المياه في موسم الصيهود على ان يصحب ذلك بعض التوسع الزراعي ، ويمكن تأمين ذلك بانشاء خزان صغير على نهر نارين لخزن ربع مليار من الامتار المكعبة من المياه بكلفة لا تزيد على مليون ونصف المليون من الدنانير حسب الاسعار الحالية .

٨ ـ مشروع سد العظيم وخزانه بحيرة الشارع

لقد انتهينا من البحث عن المشاريع على نهر ديالى ، وهو الرافد الاسفل لنهر دجلة ، ونبحث الآن عن نهر العظيم ، وهو الرافد الذي يتكون من تجمع مياه الاودية والسيول التي تنزل من اعالي الجبال الواقعة ما بين نهر ديالى في الشرق ونهر الزاب الصغير في الغرب، فينزل من جهة نهر الزاب الصغير متجهاً نحو الجنوب الشرقي فيسير موازياً جبل حمرين من ناحيته الشمالية ، وبعد ان يتلقى مياه

« وادي كركوك » و« طاورق چاي » و « آق‌صو » ، وهي الأودية التي تنحدر من الشمال الى الجنوب، ينحرف الى الجنوب قاطعاً جبل حمرين عند السد القديم الذي كان قد اقامه الاقدمون في المضيق هناك[١] ، ومن ثم يخترق الاراضي الرسوبية الواقعة بين جبل حمرين ونهر دجلة حتى يصب في الضفة اليسرى لنهر دجلة في نقطة تقع على بعد زهاء اربعين كيلومتراً من جنوب سامراء . وتقدّر مساحة حوض التغذية الذي يتغذى منه نهر العظيم بزهاء ١١٠٠٠ كيلومتر مربع ضمن حدود العراق ، وتقدّر كمية تصريفه بحوالي (٤٠٠) الى (٥٠٠) متر مكعب في الثانية في موسم الامطار وتكاد لا تذكر في الصيف .

وقد دلّت تحرياتنا على أن الاقدمين كانوا قد أقاموا سداً على نهر الزاب الصغير في شمال صدر نهر الحويجة الحالي[٢] لرفع مناسيب المياه هناك وتحويلها عن طريق نهري العباسي والفيل القديمين الى نهر العظيم في وسط الوادي المعروف اليوم بأسم وادي زغيتون . ولا تزال آثار هذا السد ماثلة للعيان على ضفتي نهر الزاب الصغير في جوار « قرية كراو » الواقعة على الضفة اليمنى للنهر على بعد زهاء خمسة كيلومترات من شمال صدر الحويجة الحالي . وكان نهر العباسي يتفرع

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بسد العظيم المذكور في ص ١٦٢

(٢) يشتمل مشروع الحويجة المذكور على جدول الذي يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الزاب الصغير في محل تفرع نهر العباسي القديم الواقع على بعد ثلاثين كيلومتراً من جنوب آلتون كوبري و ٥٥ كيلومتراً من شمال مصب النهر في دجلة ، ويسير الجدول في بعض اقسامه في وسط نهر العباسي القديم والبعض الآخر بموازاته حتى اذا ما قطع مسافة حوالي ٢٩ كيلومتراً تفرع الى ثلاثة فروع رئيسية ، الفرع الغربي والفرع الجنوبي والفرع الشرقي . وقد انشيء في صدر الجدول الرئيسي ناظم بفتحة واحدة عرضها خمسة امتار وارتفاعها ١٫٦ متراً لامرار تصريف قدره ١٥ متراً مكعباً في الثانية كحد اقصى . اما مساحة الاراضي السيحية التي تعتمد على هذا المشروع فيبلغ مجموعها زهاء ٢٢٠٫٠٠٠ مشارة وهي موزعة على أساس أحواض .

من الضفة اليسرى لنهر من أمام السد مباشرة فيسير الى وادي النفط ثم ينتهي الى وادي زغيتون الذي يصب في نهر العظيم . وكان هذا الصدر يستعمل في الموسم الصيفي عند شحة المياه فيروي أراضي الحويجة ثم ينتهي الى العظيم لأرواء أراضي العظيم حيث تحجز أمام سد العظيم فتحوّل الى أراضي الغرفة والعيث على جانبي نهر العظيم ما بين جبل حمرين والنهروان . وكان نهر الفيل الذي يتفرع من جنوب « سد كراو » بحوالي ٢٥ كيلومتراً ويلتقي بمجرى نهر العباسي قرب صدر وادي زغيتون يستعمل في موسم الفيضان فقط لحمل مياه الفيضان الى أراضي الحويجة والى نهر العظيم . وكان يتفرع من الضفة اليمنى لنهر الزاب الصغير من أمام السد الى الشمال من قرية كراو قليلاً نهر يعرف اليوم باسم « نهر الحفر » فيمتد في الأراضي الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الزاب الصغير حتى يصل الى الضفة اليسرى لنهر دجلة مقابل الشرقاط .

والظاهر ان الاقدمين كانوا قد حوّلوا القسم الاعظم من مياه فيضان النهرين : الزاب الصغير والعظيم ، بعد اتحادها أمام سد العظيم القديم ، الى بحيرة الشارع الواقعة ما بين نهر دجلة ونهر العظيم في الزاوية الشمالية التي يكوّنهـا ملتقى نهر العظيم بنهر دجلة ، وكان يستفاد من المياه التي تخزن في هذه البحيرة في تزييد ايراد جدول النهروان عندما تشح المياه في نهر دجلة في موسم الصيهود ، وكانت تحوّل مياه البحيرة الى جدول النهروان عن طريق « وادي السدة » الحالي ، وهو الوادي الذي كان يعرف بأسم « وادي الراجع » . ولعل منشأ هذه التسمية يرجع الى ان الوادي المذكور كان يرجّع مياه البحيرة الى جدول النهروان فاطلق عليه اسم الراجع لقيامه بذلك[١] .

ونرى امكان اعادة انشاء السد القديم على نهر العظيم وتحويل مياه فيضان

---

(١) راجع ما تقدم في ص ١٦٣ (حاشية ١) و ص ٢٠٥

العظيم من امامه الى بحيرة الشارع كما كان عليه الحال قديماً ، كما نرى امكان اعادة انشاء « سد كراو » القديم وتحويل بعض مياه فيضان نهر الزاب الصغير الى نهر العظيم ومن ثم الى بحيرة الشارع أيضاً ، على أن تخزن هذه المياه في البحيرة لارجاعها الى نهر دجلة في موسم الصيهود بغية تزييد ايراده الصيفي أو استغلالها في تموين جدول النهروان بتحويلها اليه مباشرة فيما اذا اعيد انشاء ذلك الجدول. وفيما يلي خلاصة المشروع الذي نقترحه على النهرين العظيم والزاب الصغير : —

١ — يرمي هذا المشروع الى تحويل مياه فيضان نهر العظيم ، كلها الى بحيرة الشارع الواقعة في شمال شرقي سامراء بين دجلة والعظيم ، وكذلك تحويل بعض مياه فيضان نهر الزاب الصغير الى البحيرة المذكوره أيضاً ، وذلك عن طريق نهر العظيم على أن تستخدم هذه البحيرة كخزان تخزن فيه المياه لاغراض الري . ويرمي المشروع أيضاً الى ارواء الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي نهر العظيم بين جبل حمرين والنهروان ، وهي أراضي جسيمة تبلغ مساحتها حوالي ٦٥٠٫٠٠٠ دونم ، ارواءً سيحياً من مياه نهري العظيم والزاب الصغير .

٢ — ويصح لنا ان نقسم هذا المشروع الى تصميمين يمكن نعت أحدهما بالمشروع الخاص بدرء اخطار فيضان نهري العظيم والزاب الصغير وخزن مياههما في موسم الفيضان ، والثاني يؤمن — علاوة على ما تقدم — ارواء الأراضي الواقعة على جانبي نهر العظيم بالطريقة السيحية .

٣ — وقوام المشروع الأول انشاء سد ترابي بارتفاع ستة الى سبعة امتار على نهر العظيم في نفس الموضع الذي يقع فيه سد العظيم القديم أو في المضيق الذي يقع على بعد بضعة امتار من جنوب السد ، ثم فتح ترعة من أمام السد تبدأ من صدر نهر البت القديم الذي يتفرع من الجانب الايمن لنهر العظيم فتحول بها مياه فيضان العظيم الى بحيرة الشارع بطريق منخفض السيحة ووادي

أم غربان ثم وادي عسيلة الذي يصب في بحيرة الشارع عند حدها الجنوبي الشرقي ، ويمكن فتح هذه الترعة دون انشاء ناظم في صدرها .

٤ ـ وتبلغ المسافة التي تمتد من نهر العظيم إلى بحيرة الشارع حوالي أربعين كيلومتراً ، ويهبط المنسوب في نهاية هذه المسافة ما يقرب من ثلاثين متراً ، وهذا يساعد على جريان المياه في الاودية المنحدرة الى البحيرة بصورة طبيعية دون حفر مجرى خاص لتحويل المياه الى البحيرة فيما اذا فتحت الترعة من نهر العظيم لمسافة بضعة كيلو مترات في الصدر فقط .

ان مرور مجرى المياه في منخفض السيحة قبل أن ينصب في بحيرة الشارع سيساعد على ترك المياه بعض موادها الغرينية في ذلك المنخفض قبل ان تصل إلى البحيرة ، وبذلك سيحافظ على كمية الاستيعاب في البحيرة مدة طويلة .

٥ ـ ويشتمل هذا المشروع الاول أيضاً على اعادة حفر نهر العباسي القديم الذي يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الزاب الصغير مقابل قرية كراو لتحويل بعض مياهه في موسم الفيضان إلى نهر العظيم عن طريق وادي زغيتون ، ومن ثم تحوّل المياه الى بحيرة الشارع من أمام سد العظيم المقترح عن طريق الترعة المقترح فتحها بين نهر العظيم والبحيرة .

٦ ـ وتبلغ المسافة التي تمتد بين نهر الزاب الصغير و نهر العظيم (عن طريق وادي زغيتون) حوالي ١٤٠ كيلومتراً . وتساعد المستويات على انسياب المياه في هذه المسافة بصورة طبيعية دون حفر مجرى خاص لتحويل المياه إلى نهر العظيم فيما إذا فتحت الترعة من نهر الزاب الصغير لمسافة بضعة كيلومترات في الصدر فقط .

٧ ـ وتبلغ كمية استيعاب بحيرة الشارع ما يقرب من المليار الواحد من الامتار المكعبة من المياه فيما إذا امتلأت الى منسوب ٦٠ متراً فوق سطح البحر ، ويستوجب هذا الاملاء انشاء سداد واقية في الحد الجنوبي للبحيرة لحفظ المياه داخلها . وهنالك مجال لزيادة هـذا الاستيعاب إذا تمت تعلية السداد الواقية

المقترحة في الحد الجنوبي للبحيرة . وطبيعة أراضي البحيرة تساعد على خزن المياه ثم اعادتها الى نهر دجلة أو إلى مجرى النهروان بطريق « وادي السدة » .

٨ ـ أما التصميم الثاني الذي يحقق ارواء أراضي العظيم ، علاوة على تحويل مياه فيضان النهرين العظيم والزاب الصغير إلى بحيرة الشارع ، فيستلزم انشاء السد على نهر العظيم بارتفاع يتراوح من ١٣ متراً إلى ١٥ متراً ليتسنى حجز المياه أمامه ورفع مناسيبها ثم تحويلها الى الأراضي الزارعية الواقعة على جانبي العظيم ، ومع ان كلفة هذا السد المرتفع تبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف كلفة السد المنخفض المقترح في المشروع الأول فان انشاء السد المرتفع يقلل من عمق الترعة المقترح فتحها ما بين نهر العظيم وبحيرة الشارع بحيث تنخفض كمية الحفريات فيها إلى ربع الكمية الاصلية في المشروع الاول ، وبذلك يمكن صرف المبلغ الذي يوفّر من الحفريات في انشاء السد المرتفع .

٩ ـ ان انشاء السد الى ارتفاع يتراوح من ١٣ متراً إلى ١٥ متراً يؤمن خزن كمية من المياه في داخل حوض نهر العظيم تقدر بحوالي عشرة ملايين متر مكعب من المياه ، كما انه يؤمن رفع مناسيب المياه من أمام السد لتحويلها إلى أراضي العظيم ، وهذا يستلزم اقامة ناظم في صدر الترعة التي تأخذ مياه الفيضان من أمام السد إلى بحيرة الشارع لمنع تسرب الميـــاه التي تجري أمام السد إلى البحيرة ، ولتأمين ايصال المياه إلى أراضي العظيم بصورة دائمة يقترح انشاء سد غاطس على نهر الزاب الصغير في جوار صدر نهر العباسي لتأمين تحويل مياه الزاب الصغير إلى نهر العظيم في موسم الصيهود ، وبذلك يستفيد جدول الحويجة الحالي الذي يتفرع من الزاب الصغير في ذلك الموضع من هذا السد أيضاً حيث يؤمن تجهيزه بالمياه في الموسم الصيفي .

١٠ ـ أما كلفة المشروع الأول فتبلغ حوالي المليون دينار وأما كلفة المشروع الثاني فتبلغ حوالي الـ ١٫١٥٠٫٠٠٠ دينار ، ولما كان الفرق بين كلفة

المشروعين الأول والثاني ضئيلاً وبالنظر الى الفوائد الكثيرة التي تجنى من المشروع الثاني الذي يؤمن ارواء أراضي العظيم الواسعة علاوة على تحويل مياه فيضان العظيم والزاب الصغير إلى بحيرة الشارع يقترح ترجيحه على المشروع الأول . وندرج ادناه كلفة كل من المشروعين للمقارنة : ـ

أ ـ كلفة المشروع الأول الذي يشتمل على دره أخطار الفيضان وخزن المياه فقط .

فلس	دينـــار	
—	٦٠ر٠٠٠	سد ترابي على نهر العظيم بارتفاع ستة إلى سبعة امتار مع جدار داخلي (Core Wall)
—	٢٥٠ر٠٠٠	ترعة بين نهر العظيم وبحيرة الشارع
—	٢٥٠ر٠٠٠	سداد في الحد الجنوبي لبحيرة الشارع
—	١٢٠ر٠٠٠	ترعة لتصريف المياه من بحيرة الشارع إلى دجلة أو إلى النهروان
—	٨٠ر٠٠٠	ناظم في صدر الترعة التي تصرف مياه البحيرة إلى دجلة أو إلى النهروان
—	٢٥٠ر٠٠٠	انشاء ترعة بين الزاب الصغير ونهر العظيم مع بناء ناظم في صدر الترعة
—	١ر٠١٠ر٠٠٠	

ب ـ كلفة المشروع الثاني الذي يشتمل على احياء أراضي العظيم علاوة على دره أخطار الفيضان وخزن المياه .

فلس	دينـــار	
—	٢٠٠ر٠٠٠	سد خرساني على نهر العظيم بارتفاع ١٣ إلى ١٥متراً.
—	٦٠ر٠٠٠	ترعة بين نهر العظيم وبحيرة الشارع
—	٢٥٠ر٠٠٠	سداد في الحد الجنوبي لبحيرة الشارع
—	١٢٠ر٠٠٠	ترعة لتصريف المياه من بحيرة الشارع إلى دجلة أو إلى النهروان
—	٨٠ر٠٠٠	ناظم في صدر الترعة التي تصرف مياه البحيرة إلى دجلة أو إلى النهروان
—	٢٥٠ر٠٠٠	ترعة بين نهر الزاب الصغير ونهر العظيم مع بناء ناظم في صدر الترعة
—	٢٠٠ر٠٠٠	سد غاطس على نهر الزاب الصغير
—	١ر١٦٠ر٠٠٠	

١١ ـ ان أهم فوائد المشروع الثاني هو تخفيف وطأة فيضان دجلة على مدينة بغداد وعلى المزارع الواقعة في جنوبها والاستفادة من المياه التي تخزن في بحيرة الشارع لتزييد ايراد نهر دجلة في موسم شحة المياه أو لاحياء مشروع جدول النهروان بتحويل مياه الخزان اليه مباشرة . وفضلاً عن ذلك فان هذا المشروع يؤمن ارواء أراضي العظيم الواسعة كما انه يخفض كلفة مشروع النهروان ويسهل أمر انجازه بحيث يفسح المجال (بعد تحويل مياه العظيم عن مجراها الحالي) لمد جدول النهروان في طريقه بين سامراء والكوت دون انشاء عبّارة لامرار الجدول فوق مجرى العظيم ، وهي العبارة التي لا بد من انشائها فيما اذا استمر مجرى العظيم في حوضه الحالي .

٩ ـ مشروع احياء جدول النهروان

ان أول من فكر باحياء النهروان في العصر الحديث هو السير ويليم ويلكوكس

إلا انه قد اقتصرت مقترحاته على احياء القسم الاسفل فقط ، وهو القسم الذي يمتد من نهرديالى الى الذنائب قرب الكوت ، وذلك باسالة مياه نهر ديالى الى ذلك القسم لارواء الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة بين بغداد والكوت. أما النهروان في أقسامه العليا التي تستمد المياه من نهر دجلة من قرب سامراء ، فكان يرى ان التفكير في احياء ذلك القسم مضيعة للوقت نظراً للكلفة العظيمة التي يتطلبها هذا العمل والصعوبات الكثيرة التي تعترضه .

وقد اقترح السير ويلكوكس ثلاث طرق لاتباعها في تحويل مياه ديالى الى جدول النهروان الاسفل ، الأولى انشاء قناطر بنائية على نهر ديالى في منطقة «صفوة» ، وهو الموضع الذي يترك فيه مجرى النهروان القديم نهر ديالى متجهاً نحو الشرق إلى جهة الكوت ، فتحبس مياه ديالى أمام القناطر في ذلك الموضع لتحويلها إلى جدول النهروان الأسفل ، وقد قدر تكاليف هذا المشروع الذي يشتمل على انشاء قناطر على نهر ديالى وحفر جدول النهروان الاسفل مع انشاء ناظم في صدره بـ(٢٠٣١٩٠) ليرة تركية . وقد اقترح انشاء أرضية القناطر بمنسوب ٣٠ متراً فوق سطح البحر على ان تؤمن هذه القناطر حجز المياه في نهر ديالى الى منسوب ٣٦ وعلى ان يكون الحد الاعظم لمنسوب الحجز ٣٨ متراً . اما الجدول فقد اقترح انشاءه في وسط النهروان القديم لمسافة ١٠٦ كيلومترات ، كما اقترح ان يكون قعر النهر بانحدار ١ في ٩٠٠٠٠ وبعرض ٢٠٠ متراً في بدايته ثم ينخفض في القسم الأخير إلى ١٥ متراً . وقد قدرت مساحة الأراضي المقترح ارواؤها سيحاً من هذا الجدول بـ ٢٠٠٠٠٠ هكتار أي ٧٠٠٠٠٠ مشارة على ان يزرع نصفها سنوياً بالمزروعات الشتوية (القمح والشعير) .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد هو أن مشروع ويلكوكس هذا هو نفس مشروع «مصنعة السهلية» الذي أقامه العرب في أواخر القرن الثالث الهجري لتحويل مياه نهر ديالى إلى النهروان الاسفل بعد ان انقطعت مياه دجلة عنه على

أثر انهيار سد ديالى القديم في جبل حمرين ، وهو الانهيار الذي أدى إلى فصل النهروان الأسفل عن القسم الأعلى من المجرى الذي يستمد مياهه من القواطيل من قرب سامراء[1] . كما ان مشروع ويلكوكس المذكور هو نفس المشروع الذي شرع مدحت باشا بانشائه ولكنه باء بالفشل[2] .

أما الطريقة الثانية فهي فتح جدول من نهر ديالى من قرب جبل حمرين أي من قرب صدر جدولي خريسان ومهروت الحالي، فيمتد هذا الجدول محاذياً للضفة اليسرى لنهر ديالى بين جدولي خريسان ومهروت لمسافة ٨٨ كيلومتراً حتى يلتقي بجدول النهروان الاسفل . ونظراً لارتفاع منسوب المياه في جبل حمرين يحتاج الجدول إلى اقامة عدة شلالات في مجراه قبل أن يتصل بمجرى النهروان الأسفل. وقد رجح السير ويليم ويلكوكس هـذه الطريقة على الاولى لسهولة انجازها دون ان يكون ثمة حاجة لانشاء قناطر على نهر ديالى . وقد قدرت كلفة انجاز هذا العمل بـ (١٥٣٢٢٠) ليرة تركية فقط ، وهي كلفة حفر الجدول الذي يتفرع من نهر ديالى وتوسيع جدول النهروان الاسفل .

وأما الطريقة الثالثة فهي نفس الطريقة الاولى التي تشتمل على احياء النهروان الاسفل بسحب المياه من نهر ديالى في صفوة مضاف الى ذلك تحويل مياه فيضان نهر ديالى من أمام سد جبل حمرين الى منخفض المريجة ومن ثم الى هور الشويجة حتى ينتهي الى نهر دجلة في جنوب مدينة الكوت، وهذه هي الطريقة التي اقترح انجازها ورجحها على الطريقتين المتقدمتين . وعلى حد قول السير ويليم ويلكوكس نفسه انه «اذا ما نفذ هذا المشروع يمكن عندئذ الاستفادة من مياه نهر ديالى

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع مصنعة السهلية في ص ٤٧٦ — ٤٨٤

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع مدحت باشا في ص ٤٨٤ ، كذلك انظر كتاب « تقسيم مياه ديالى » تأليف محمد توفيق آل ملا عبدان المطبوع بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٩٢٥ ، ص ٦ .

مرة ثانية كما كان يستفاد منها في زمن كورش . وسيكفي لتحويل المياه الى جدول النهروان الاسفل انشاء سدة ترابية عبر النهر في صفوة . واذا تم تحويل مجرى نهر ديالى فان تنفيذ مشروع النهروان لن يتطلب سوى نفقات قليلة جداً » . وقد قدرت كلفة هـذا المشروع بما فيه تحويل مجرى نهر ديالى بـ (١٢٠ر٨١٧ر١) ليرة تركية وكلفة الاعمال الزراعية لحفر السواقي والمبازل والمصروفات الاخرى غير المتوقعة بمليونين ليرة تركية فيكون مجموع الكلفة (١٢٠ر٨٩٧ر٣) ليرة تركية[1] .

يلاحظ من مقترحات ويلكوكس هذه ان مشروعه لاحياء النهروان قد اقتصر على احياء القسم الاسفل من الجدول فقط ، أي القسم الذي يبدأ من أسفل نهرديالى وينتهي قرب الكوت، على ان يأخذ هذا القسم مياهه من نهر ديالى في موسم الشتاء فقط ، أي من شهر تشرين الثاني الى تموز .

ومن الغريب ان يتقدم السير ويليم ويلكوكس بمثل هذا المشروع دون أن يراعي امكانيات خزن مياه فيضان نهر ديالى في هور الشويجة والاستفادة منها في تزييد ايراد دجلة الصيفي ودون ان يراعي ضرورة تأمين المياه الصيفية لمشروعه . فهل يصح ان ينفق مبلغ جسيم كالمبلغ الذي قدره ويلكوكس لكلفة مشروعه دون ان يؤمن في هذا المشروع الارواء الصيفي ؟ ... وكيف يضمن توفر مياه كافية في النهر في بدء موسم الزراعة الشتوية لارواء المزروعات الشتوية في ذلك الوقت ، ولا سيما بعد آن تكون الجداول التي على نهر ديالى قد سحبت حاجتها من المياه ؟ ...

---

(١) راجع تقرير السير ويليم ويلكوكس عن ري العراق (الطبعة العربية) ص ٦١ – ٦٥ و ٧٠ و ٧٢ واللوحات المرقمة ٢ و ٥ و ٩ و ١٥ و ١٦ و ٤٢ و ٤٥ و ٩٢ المرفقة مع التقرير .

يتضح من كل ذلك ان مقترحات ويلكوكس لاحياء النهروان لا تحقق الفوائد المطلوبة ولا يمكن ان يقتبس منها إلا القسم المتعلق بتحويل مياه فيضان ديالى الى هور الشويجة ، على ان يضاف الى ذلك مشروع لخزن هذه المياه في الهور المذكور واعادتها الى نهر دجلة في جنوب الكوت في موسم الصيهود . ذلك هو مشروع سد ديالى وخزان هور الشويجة الذي اقترحناه فيما تقدم[1].

١٠ ـ رأينا في مشروع احياء جدول النهروان

اما رأينا في مشروع احياء جدول النهروان فهو ان يعتبر هذا المشروع جزءاً متمماً لمشروع سد العظيم وخزان بحيرة الشارع الذي اقترحناه فيما تقدم[2] ، وذلك بتخصيص كافة المياه التي تخزن في بحيرة الشارع ، وهي مياه فيضان النهرين،الزاب الصغير والعظيم، لتموين جدول النهروان بها، على ان تحوّل مياه البحيرة الى جدول النهروان (القاطول الاعلى الكسروي) مباشرة بدلا من تحويلها الى نهر دجلة . وبعد ان تكون قد حولت مياه نهر العظيم عن مجراها الحالي الى بحيرة الشارع بمقتضى مشروع سد العظيم وخزان بحيرة الشارع الذي اقترحناه ، وبعد ان تكون قد حولت مياه نهر ديالى عن مجراها الحالي الى هور الشويجة بمقتضى مشروع سد ديالى وخزان هور الشويجة ، سوف يتسنى اعادة احياء مجرى النهروان القديم فيقطع في طريقه الى الجنوب مجرى العظيم ومجرى ديالى كما كان عليه في عهده القديم يوم كان مشروع سد العظيم القديم ومشروع سد ديالى القديم يؤمنان تحويل مياه النهرين ، العظيم وديالى ، عن مجريهما الاصليين . واحياء جدول النهروان على هذا الشكل لا يكلف اكثر من مليون دينار كحد اعظم لان الجدول المقترح

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذا المشروع في ص ٥٦٧

(٢) » » » » » » في ص ٥٧٧

يسير في نفس المجرى القديم في معظم اقسامه فيروي بذلك جميع الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة ما بين السندية والـكوت وجميع الأراضي على نهر ديالى ما بين بعقوبة وبغداد التي تروى الآن من المضخات، كما انه يروي سيحاً جميع الاراضي الواقعة في ذنائب جداول الخالص وخراسان وكنعان. وتقدر مساحة الأراضي التي ستستفيد من هذا المشروع بمليونين دونم عراقي (مشارة) على أقل تقدير.

١١ - مشروع احياء النهر الجعفري القديم

ونرى بمناسبة بحثنا عن احياء جدول النهروان ان نشير الى امكانيات النهر الجعفري القديم الذي تقدم البحث عنه في الفصل الثامن وذلك من حيث اعادة احيائه واستغلاله لارواء الأراضي المعروفة بحويجة سامراء والواقعة بين نهر دجلة وبحيرة الشارع سيحاً، وهذه تبدأ من جنوب تكريت وتنتهي الى وادي السدة، وهو الوادي الذي يأخذ من الحد الجنوبي لبحيرة الشارع وقد اقترحنا تحويل مياه البحيرة بواسطته إلى جدول النهروان[1].

لقد دلت تحرياتنا على انه في الامكان اعادة احياء النهر الجعفري والاستفادة من حفرياته القديمة التي تقدر بأكثر من سبعة ملايين متر مكعب من الاعمال الترابيـة، وذلك باجراء الحفريات الاضافية اللازمة في حوض النهر القديم، وتقدر كلفة هذه الحفريات القديمة بأكثر من مليون دينار على أساس الأسعار الحالية. وتدل المناسيب الطبيعية في نهر دجلة على انه يمكن سحب المياه من نهر دجلة الى الجدول المذكور في أوطأ حالات النهر في موسم الصيهود من دون حاجة الى انشاء قناطر على نهر دجلة لحجز المياه أمام الصدر ورفع مستواها.

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع احياء النهروان وتموينه بالمياه من خزان بحيرة الشارع المقترح في ص ٥٨٠ و ص ٥٨٨

ويبلغ طول المنطقة التي يمكن ارواءها سيحاً من المشروع الجديد المقترح حوالي ٥٥ كيلومتراً كما يبلغ معدل عرضها حوالي ٣٢ كيلومتراً، أي أن مساحتها تبلغ حوالي نصف مليون مشارة ، يضاف اليها الحويان التي على نهر دجلة والبالغة مساحتها حوالي ٥٠٫٠٠٠ مشارة[1]. واذا استخرجنا من هذه المساحة الاراضي الغير قابلة الزراعة والتي تقدر بحوالي ١٥٠٫٠٠٠ مشارة فتكون المساحة الممكن ارواءها سيحاً من المشروع المقترح حوالي ٤٠٠٫٠٠٠ مشارة .

وتقدر كلفة احياء ١٦٠٫٠٠٠ مشارة من هذه الاراضي على أساس اروائها رياً سيحياً مستديماً بـ ٢٠٠٫٠٠٠ دينار، على أن يوضع تصميم الجدول بعرض عشرة أمتار وعمق ١٫٧٥ متراً لسحب كمية عشرة أمتار مكعبة في الثانية من التصريف في موسم شحة المياه . ويمكن سحب ثلاثة أضعاف هذا التصريف في موسم الفيضان نظراً لارتفاع حافتي الجدول بما يساعد على امرار المياه فيه بعمق اكبر، وبذا يمكن توسيع الزراعة الشتوية في المشروع وابلاغها الى حد تشمل به كل مساحة الـ ٤٠٠٫٠٠٠ مشارة القابلة للزراعة في حويجة سامراء ، وذلك من دون كلفة اضافية في الحفريات على شرط ان ينشأ الناظم في صدر الجدول بسعة تستوعب التصريف الاضافي وعلى أن يوضع تصميمه على أساس المناسيب التالية :

منسوب مياه دجلة الحالي في موسم شحة المياه	١٠٠ متر	فوق سطح البحر
منسوب قعر الجدول المقترح في الصدر	٩٨٫٢٥ متراً «	«
منسوب قعر صدر الجدول القديم	١٠٥٫٢٦ متراً « «	«

وندرج ادناه تفاصيل كلفة المشروع المقترح : —

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذه الحويان في ص ٣٢٨

دينـــار	
١١١٫٠٠٠	الحفريات وقدرها ١٫١١٠٫٠٠٠ م³ من الاتربة بسعر ١٠٠ فلس للمتر المكعب
٤٠٫٠٠٠	كلفة انشاء الناظم الرئيسي في الصدر
٢٥٫٠٠٠	كلفة انشاء عبارات للاودية التي تعترض مجرى النهر
٢٤٫٠٠٠	كلفة انشاء الفروع والنواظم الفرعية
٢٠٠٫٠٠٠	

وقد علمنا بان هناك محاولة جرت في العهد العثماني لاحياء النهر الجعفري واستغلاله في ارواء أراضي سامراء ، وقد اجرى الكشف عليه مهندسون من الاتراك وقدّروا كلفة احيائه بسبعين الف ليرة تركية . ويظهر ان هذه المحاولة جرت على عهد السلطان عبد الحميد لالحاق هذه المنطقة بالاراضي السنية بعد احياء هذا الجدول ،ولعل جسامة المبلغ بالنسبة الى ذلك الوقت وبُعد المنطقة عن مركز العمران كانا السبب المباشر في العدول عن تحقيق هذا المشروع .

ويمتاز هذا المشروع في ناحيتين ، الاولى هي أن الاراضي التي يتناولها المشروع تؤلف بقعة جيدة تعد من أخصب أراضي العراق فيرويها الجدول الجعفري سيحاً دون حاجة الى إقامة قناطر على نهر دجلة لرفع مناسيب المياه ، أما الناحية الثانية فهي ان المنطقة التي يتناولها المشروع مرتفعة بالنسبة الى منسوب مياه فيضان نهر دجلة الأمر الذي يجعلها في مأمن من أخطار الفيضان، وبهذا يصبح نهر دجلة الذي يحدها من الغرب مبزلاً طبيعياً للمياه الزائدة التي تتجمع في الأراضي الزراعية بعد اروائها بصورة مستديمة . ولما كانت الأراضي التي يتناولها المشروع تنحدر من جهة الشرق نحو بحيرة الشارع الواطئة فتصبح بحيرة الشارع هذه مبزلاً طبيعياً آخر للمياه الزائدة من جهة الشرق، وهكذا تكون المنطقة التي يرويها المشروع مجهزة بوسائل الصرف الطبيعي من الغرب والشرق .

١٢ - مشاريع الخزن على نهر الزاب الصغير

ينبع نهر الزاب الصغير من شمال شرقي سلسلة جبل قنديل في ايران (ارتفاعها ٣٢٠٠ متر فوق سطح البحر) وبعد أن يسير في منابعه مسافة قليلة في الاتجاه الجنوبي الشرقي يتجه الى الجنوب الغربي فيدخل العراق بالقرب من دراز هور ومن ثم يسير في الاتجاه الشمالي الغربي حتى يصـــل الى مضيق دوبند ، وبعد أن يجتاز هذا المضيق ينعطف جنوباً متجهـاً نحو المضايق في « توربه » و « دوكان » و« كراو »، وبعـــد ذلك يجري في الاتجاه الجنوبي الغربي حتى يصب في نهر دجلة في مقدم الفتحة . وتقدر مساحـة الأراضي التي يتغذى منهـا النهر في مقدمـة آلتون كوبري



أحد المضائق على نهر الزاب الصغير

بحوالي ١٦٦٠٠ كيلومتر مربع . اما تصريفه فيبلغ في موسم الفيضان حوالي ١٥٠٠ م٣ في الثانية كحد أعظم .

وقد دلت التحريات التمهيدية على أن هناك مجالاً لانشاء سدود عالية في كل من مضايق « توربة » و « دوكان » و « كراو » ويجري الآن مسح خاص في

مضيق « دوكان » ومنطقة الخزان ليتسنى اعداد التصاميم والكشوف التمهيدية .

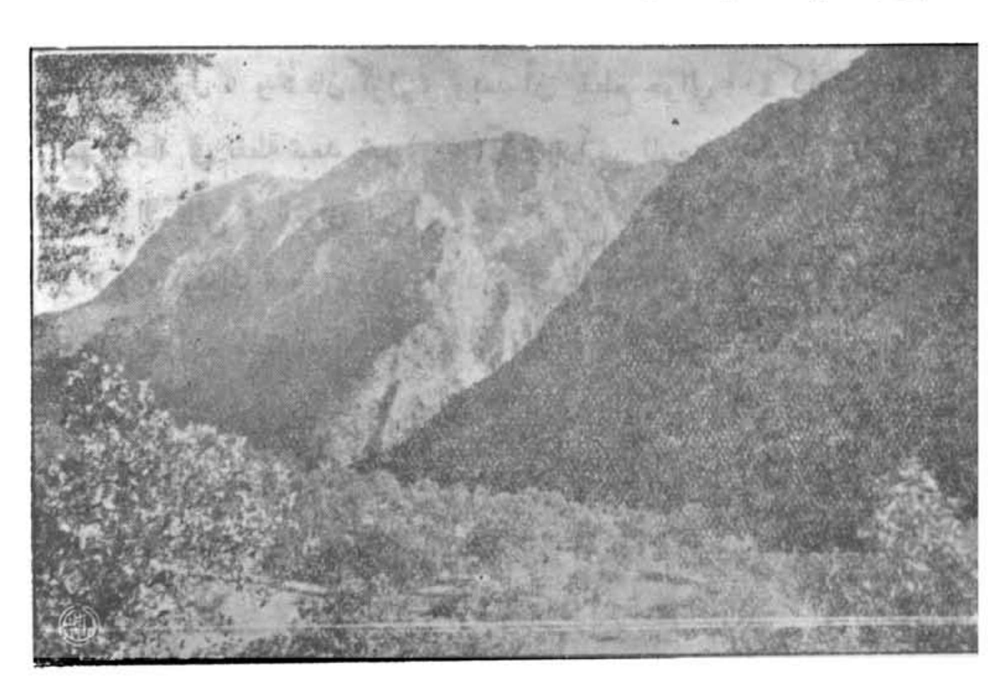
١٣ - مشاريع الخزن على نهر الزاب الكبير - خزان بخمة

ينبع نهر الزاب الكبير في الأراضي التركية في المنطقة الجبلية المحصورة بين « ارميوكول » و « فان كول » وبعد أن يقطع حوالي ٤٠٠ كيلومتر يتصل بنهر دجلة في نقطة تبعد نحو (٥٠) كيلومتراً من الموصل جنوباً . وتتصل في الجزء الكائن في العراق من النهر خمسة توابع مهمة وهي « روشمسديان » و « وروكوجك » و « روبار راوندوز » و « باستوره جاي » و « الخازر » . وهذه التوابع باستثناء الأخيرين منها تغذيها مناطق جبلية تكثر فيها الثلوج في موسم الشتاء ويرتفع بعض هذه الجبال إلى الاربعة آلاف متر فوق سطح البحر . أما « باستوره جاي » و « الخازر » فتقع منطقتا تغذيتهما في سفوح التلال فقط وأولها جاف إلا في الشتاء والربيع . وتقدر مساحة الأراضي التي يتغذى منها النهر بحوالي ٢٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع .

وقد يبلغ تصريف هذا الرافد في موسم الفيضان ما يزيد على الفي مترمكعب في الثانية في الفيضانات العالية وان معدل تصريفه السنوي يتراوح بين الـ ٥٠ والـ ٧٠ متراً مكعباً في الثانية ، وقد اجريت تحريات على النهر دلت على امكان انشاء سد حاجز على عرض النهر في المكان الضيق المعروف بمضيق بيخمة بغية حجز مياه الفيضان لتخفيف وطأته على نهر دجلة في الجنوب ، وفي الوقت نفسه تخزن كية من المياه للاستفادة منها في موسم قلتها لاغراض الري على نهر دجلة . ويمكن أن يكون هذا المشروع أيضاً مصدراً كافياً لتوليد طاقة كهربائية هائلة في المستقبل .

اما المنطقة التي ينتظر ان تغمرها المياه بنتيجة انشاء الخزان الموضوع البحث فهي عبارة عن شقة من الأرض من ضمنها النهر يتراوح عرضها بين (٦٠٠) متر

و (١٢٠٠) متر، وهذه تمتد الى مسافة (٥٠) كيلومتراً تقريباً على النهر نفسه والى (١٥) كيلومتراً على روبار راوندوز ، وهذه الشقة مقفرة باستثناء بقع صغيرة مزروعة منبثة هنا وهناك .



مضيق بيخمة على نهر الزاب الكبير

وقد اقترح المهندسون الاستشاريون السادة كود وولسن ومتشال وفوغانلي في تقريرهم المؤرخ في ١٢ نيسان سنة ١٩٤٠ انشاء سد في مضيق بيخمة المتقدم الذكر يتراوح ارتفاعه من ٧٠ الى ٨٠ متراً ،وقد قدرت كمية المياه المحتمل حبسها أمام هذا السد وخزنها لاستغلالها بعد زوال خطر الفيضانات لتغذية نهر دجلة بالمياه في ابان الموسم الصيفي بزهاء ٥ر١ من الميار من الامتار المكعبة . وأما كلفة المشروع فقدرت آنذاك بزهاء أربعة ملايين دينار في الاحوال الاعتيادية

ويؤيد الخبراء ان انشاء هذا الخزان سيساعد على ضبط فيضانات نهر دجلة في بغداد إلى حد كبير ، كما انه سيكون ذا قيمة عظيمة لامكان استغلال

ما يحبس فيه من المياه في المنطقة السيحية الجنوبية من نهر دجلة الواقعة بين سامراء والعمارة .

وقامت بعد ذلك الهيئة الفنية لمشروعات الري الكبرى بدراسة مفصلة للمشروع من الناحيتين الفنية والجيولوجية، فرفع رئيس هذه الهيئة المسترهيك تقريراً مفصلاً بنتيجة هذه الدراسة[1] اورد فيه مقترحات جديدة مبنية على ضوء الدراسة المذكورة وتتلخص هذه المقترحات كما يلي : -

- ١ - ان التحريات الجيولوجية المسهبة التي اجريت في موقع سد بيخمة والتي استمرت طيلة سنتين تحت اشراف الدكتور هيجن ، الخبير الجيولوجي ، دلت على ان طبيعة الصخور في الموقع الذي اختير في بادىء الامر غير ملائمة لانشاء سد عال فيها . وقد اختار الخبير المذكور موقعاً آخر يقع على بعد ٥٠٠ متر الى الشمال من الموقع الاول، والمضيق في الموقع الاخير اوسع منه في الموقع الاول، في حين ان طول السد يبلغ في الموقع القديم حوالي ٢٤٠ متراً في اعلاه يصبح في الموقع الجديد حوالي ٦٠٠ متر وهذا مما يزيد في تكاليف السد . وقد اقترح انشاء سد في الموقع الجديد بارتفاع مائة متر على ان يشيد على اساس امكان تزييد ارتفاعه فيما بعد إلى (١٢٠) متراً . وتبلغ سعة الخزن في حالة انشاء السد الواطيء (٩ر٩) من المليار من الامتار المكعبة في حين انها تبلغ (٦ر٣)من المليار من الامتار المكعبة فيما اذا انشيء السد العالي بارتفاع (١٢٠) متراً . أما كلفة انشاء المشروع في مرحلته الاولى فقد قدرت بزهاء تسعة ملايين دينار وحوالي ١٢ مليوناً من الدنانير في مرحلته الثانية .

وقد ارتأى المهندسون الاستشاريون السادة كود وولسن وفوغان لي في لندن امكان انشاء السد الواطيء البالغ ارتفاعه (١٠٠) متر في الموقع القديم

---

(١) راجع التقرير المرقم ٣٣ والمؤرخ في ٢٤ نيسان ١٩٤٨

اذ ذكروا في تقريرهم المؤرخ في ٨ كانون الأول ١٩٤٨ انه يجب ان يقام هذا المشروع عندما تظهر الحاجة الى مياه الري وقدروا كلفته بحوالي تسعة ملايين دينار . هذا واذا مست الحاجة الى مياه خزن اضافية لاغراض الري يجب النظر في امر انشاء سدود اخرى على نهري الزاب الصغير وديالى .

واننا نميل الى الاعتقاد بأن انشاء خزانات على النهرين ، الزاب الصغير والزاب الكبير ، يجب ان يكون في مؤخرة الاعمال التي اقترحناها لتنظيم امور الري على نهر دجلة ، ولا بأس في تهيئة التفاصيل الخاصة بانشاء خزان ببخمة على نهر الزاب الكبير ليتسنى المباشرة به قبيل اتمام منهج الاعمال المقترحة على انهر دجلة وديالى والعظيم والزاب الصغير . والارجح ان يقام سد ببخمة بارتفاع ثمانين متراً في البداية ثم يزاد ارتفاعه بعدئذ لتزييد كمية الخزن امامه ، وبذلك تكون قد هيئت كمية وافرة من المياه الصيفية في نهر دجلة لتموين منطقة نهري الاسحاقي ودجيل بالمياه ، وهي منطقة مابين النهرين التي تمتد من سامراء إلى بغداد والبالغة مساحتها زهاء ٨٠٠٫٠٠٠ دونم ، وكذلك توسيع الزراعة على النهر الجعفري والنهروان .

١٤ ـ الخلاصة

وقد يكون من المفيد قبل أن نختم هذا الفصل أن ندوّن خلاصة عن المشاريع التي اقترحناها فيما تقدم لتسهيل مراجعتها :

١ ـ يشتمل المشروع الأول على اقامة قناطر على دجلة في جوار سامراء وانشاء ترعة من أمام هذه القناطر لتحويل مياه فيضان دجلة إلى بحيرة الثرثار . ويؤمن هذا المشروع صيانة مدينة بغداد والمزارع الجنوبية القائمة على ضفتي نهر دجلة من خطر الفيضان . وتبلغ كلفته ثلاثة ملايين دينار أو أربعة ملايين دينار (راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع وادي الثرثار في ص ٥١٤ـ٥٦٣) .

-٢- أما المشروع الثاني الذي اقترحناه فهو مشروع سد ديالى وخزان هور الشويجة الذي يرمي إلى تحويل بعض مياه فيضان نهر ديالى أو كلها عند جبل حمرين وكذلك تحويل بعض مياه فيضان دجلة من جنوب بغداد إلى هور الشويجة الواقع في جوار الكوت ، على ان يستخدم هذا الهور كخزان تخزن فيه المياه لارجاعها إلى نهر دجلة جنوب قناطر الكوت في موسم شحة المياه . وينبغي بعد توفير المياه في نهر دجلة في جنوب الكوت في موسم الصيهود تحويل القسم الاعظم من مياه نهر دجلة الطبيعية الى شط الغراف من مقدمة قناطر الكوت، وهذا يستوجب انجاز مشروع شق اقنية الغراف وتنظيم جداوله مع انشاء ناظم الحي وغيره من الاعمال المطلوبة للاستفادة من مياه الخزن في أرواء اكبر مساحة ممكنة من الأراضي على هذا النهر ، وكذلك ينبغي النظر في أمر انشاء قناطر على نهر دجلة في جوار العمارة ليتسنى توزيع المياه على جداول العمارة بالمناسيب اللازمة . وتبلغ كلفة هذا المشروع بما فيه كلفة تنظيم مياه الغراف وانشاء قناطر العمارة زهاء مليوني دينار (راجع البحث المتقدم الخاص بهذا المشروع في ص ٥٦٧ - ٥٧١) .

-٣- يشتمل المشروع الثالث على انشاء خزان صغير في وادي «نهر نارين» فوق مصبه في ديالى بقليل بغية الحصول على مياه اضافية إلى مزروعات ديالى في الموسم الصيفي . ويتضمن هذا المشروع انشاء سد ترابي على عرض وادي مجرى نارين طوله زهاء سبعة كيلومترات وارتفاعه تسعة أمتار تقريباً لحجز المياه في مقدم السد وتشكيل خزان في حوض نهر نارين نفسه يستوعب زهاء ربع مليار متر مكعب من الماء ، على ان يملأ هذا الخزان من نهر ديالى بواسطة ترعة تستمد الماء من الضفة اليمنى لنهر ديالى . أما كلفة هذا المشروع فتبلغ حوالي مليون ولنصف المليون من الدنانير (راجع البحث المتقدم في ص ٥٧٣ و ٥٧٧).

- ٤ - يتضمن المشروع الرابع انشاء سد على نهر العظيم في نفس موضع

سد العظيم القديم وتحويل مياه فيضان نهر العظيم من أمام هذا السد إلى بحيرة الشارع ، كما يتضمن انشاء سد على نهر الزاب الصغير في جوار موضع « سد كراو » القديم وتحويل بعض مياه فيضان نهر الزاب الصغير من أمام هذا السد إلى نهر العظيم ومن ثم الى بحيرة الشارع أيضاً ، على ان تخزن هـذه المياه في البحيرة لارجاعها الى نهر دجلة في موسم الصيهود بغية تزييد ايراده الصيفي أو لاستغلالها في تموين جدول النهروان بتحويلها اليه مباشرة فيما اذا اعيد انشاء ذلك الجدول . ويرمي هذا المشروع أيضاً إلى ارواء الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي نهر العظيم بين جبل حمرين والنهروان ، وهي أراضي جسيمة تبلغ مساحتها حوالي ٦٥٠٫٠٠٠ دونم ، ارواءً سيحياً من مياه نهري العظيم والزاب الصغير . وتبلغ كلفة هذا المشروع زهاء مليون وربع المليون من الدنانير (راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع سد العظيم وخزان بحيرة الشارع في ص ٥٧٧ - ٥٨٤) .

- ٥ - أما المشروع الخامس فهو احياء جدول النهروان وذلك بتخصيص كافة المياه التي تخزن في بحيرة الشارع ، وهي مياه فيضان النهرين ، الزاب الصغير والعظيم ، لتموين جدول النهروان بها ، وبعد أن تكون قد حولت مياه نهر العظيم عن مجراها الحالي إلى بحيرة الشارع بمقتضى مشروع سد العظيم وخزان بحيرة الشارع الذي اقترحناه ، وبعد ان تكون قد حولت مياه نهر ديالى عن مجراها الحالي الى هور الشويجة بمقتضى مشروع سد ديالى وخزان هور الشويجة المقترح ، سوف يتسنى اعادة احياء مجرى النهروان القديم الذي يقطع في طريقه إلى الجنوب مجرى العظيم ومجرى ديالى ، وذلك كما كان عليه في عهده القديم يوم كان مشروع سد العظيم القديم ومشروع سد ديالى القديم يؤمنان تحويل مياه النهرين ، العظيم وديالى ، عن مجريهما الاصليين . ولا يكلف احياء جدول النهراون على هذا الشكل أكثر من مليون دينار كحد اعظم ، لان الجدول المقترح يسير في نفس المجرى

القديم في معظم أقسامه . وتقدر مساحة الأراضي التي تستفيد من هذا المشروع بمليوني دونم عراقي (مشارة) على أقل تقدير (راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع احياء النهروان في ص ٥٨٠ و ص ٥٨٨)

ـ ٦ ـ يعد المشروع السادس من أهم مشاريع الري التي ينبغي تحقيقها نظراً لقلة كلفته وسهولة انجازه من جهة ولكثرة فوائده باحياء أراضي زراعية جديدة واسعة من الجهة الاخرى . ويشتمل هذا المشروع على اعادة احياء النهر الجعفري القديم الذي انشأه المتوكل والذي يمتـــد بين الفتحة والدور ، وهو المعروف اليوم بنهر نايفه . ويروي هذا المشروع الاراضي المعروفة بحويجة سامراء والواقعة بين نهر دجلة وبحيرة الشارع سيحاً ، وهذه تبدأ من جنوب تكريت وتنتهي الى قرب نهر العظيم فتبلغ حوالي نصف مليون دونم عراقي ، وتقدر كلفة احياء ١٦٠ر٠٠٠ دونم من هذه الأراضي على أساس اروائها رياً سيحياً مستديماً بـ ٢٠٠ر٠٠٠ دينار (راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع احياء النهر الجعفري القديم في ص ٥٨٩)

ـ٧ـ أما المشروع السابع فهو مشروع خزان بيخمة على نهر الزاب الكبير ، ويأتي هذا المشروع في مؤخرة الاعمال التي اقترحناها لتنظيم امور الري على نهر دجلة ويشتمل على اقامة سد في مضيق بيخمة بارتفاع ثمانين متراً على نهر الزاب الكبير بغية حجز مياه الفيضان أمامه وخزنها للاستفادة منها في موسم الصيهود لاغراض الري على نهر دجلة على ان يزاد ارتفاع السد بعدئذ لتزييد كمية الخزن أمامه . ويمكن أن يكون هذا المشروع مصدراً كامناً لتوليد طاقة كهربائية هائلة في المستقبل . وبذلك تكون قد هيئت كمية وافرة من المياه الصيفية في نهر دجلة لتموين منطقة نهري الاسحاقي ودجيل بالمياه ، وهي منطقة ما بين النهرين التي تمتد من سامراء إلى بغداد والبالغة مساحتها زهاء ٨٠٠ر٠٠٠ دونم عراقي .

استدراكات وتصحيحات

الصفحة ٦٦

يضاف الى ما بعد كلمة (والخيس) الواردة في السطر العاشر ما يلي : ـ
وكانت تسمى أيضاً « دار السلطان » ، أي دار الحكم .

الصفحة ٧٣

تضاف الجملة التالية إلى ما بعد الجملة المضافة في ص ٢٨٤ ج : ـ
ونستخلص من تدقيق بقايا الجسر المذكور ان عرضه كان حوالي ١٦ متراً مما يدل على ضخامة بنائه وعظمة تصميمه.

الصفحة ٨٤

تضاف الحاشية التالية إلى ما بعد كلمتي (بقصر الجص) الواردة في السطر العشرين : ـ

جاء ذكر « قصر الجص » في رسائل الصابي (الجزء الأول طبعة لبنان لسنة ١٨٩٨) ص ٦٧ ، ووصف فيها بكونه بالجانب الغربي محاذياً لسر من رأى .

الصفحة ١٠٥

يضاف الى آخر الجملة المنتهية بكلمتي (أيام المتوكل) الواردتين في السطر الخامس من الصفحة ما يلي : ـ

ومما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد قال : « وبنى المتوكل قصوراً انفق عليها أموالاً عظاماً منها الشاه والعروس والشيداز والبديع والغريب والبرج وانفق على البرج الف الف وسبعمائة الف دينار »[1].

---

(١) راجع « تاريخ اليعقوبي » الجزء الثالث طبعة النجف ص ٢١٥

الصفحة ١١٣

أضاف الحاشية التالية إلى ما بعد كلتي (بالذراع السوداء) الواردتين في السطر الرابع : ـ

تساوي الذراع السوداء حسب التقدير المتفق عليه من قبل العلماء المحققين حوالي ٤٩ سنتمتراً .

الصفحة ١٢٩

تستبدل الجملة المبتدئة بكلمات (ولعل أهم التوسعات) الواقعة في السطر التاسع بالجملة التالية : ـ

لعل أهم التوسعات التي اجراها المتوكل هي الممتدة الى الجهة الشمالية حيث اختار مكاناً في تلك الجهـــة وبنى مدينة جديدة سماها المتوكلية أو الجعفرية ، وانتقل اليها ، أما الموضع الذي وقع اختياره عليه فيقال له « الماحوزة »، وهو الموضع الذي قيل ان المعتصم كان قد فكر في انشاء مدينة فيه . وتبدأ خرائب المتوكلية من آخر بناء المعتصم في الدور (دور العرباني)[1] الواقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات من شمال سامراء وتمتد مسافة حوالي خمسة عشر كيلومتراً شمالاً مابين نهر دجلة والقاطول الأعلى الكسروى . ويشاهد الزائر اليوم في أقصى الشمال من المدينة السور الضخم الذي كان يحيط بدار الخلافة وقصور المتوكل والدواوين الرسمية . ويبلغ مجموع طول هـــذا السور حوالي أربعة كيلومترات ونصف كيلو متر ، اما مساحة الاراضي في داخل السور فتبلغ حوالي ٥٤٠ دونماً عراقياً (مشارة) ، وهناك سور آخر يقع الى الجنوب من سور دار الخلافة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الكسروي اليمنى ونهر دجلة، فيفصل هذا السور دار الخلافة وقصور الخليفة عن مدينة المتوكلية الواقعة في الجنوب، وهي المدينة التي كانت تشتمل على قطائع قواد الجيش ودور الاعيان والسكان

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بدور العرباني في ص ٥٨ — ٥٩

والاسواق وغيرها من الابنية الخاصة والعامة والتي كانت تمتد جنوباً حتى تنتهي الى كرخ اشناس[1] .

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بكرخ اشناس في ص ٥٧

الصفحة ١٣٠

تستبدل الثلاثة اسطر الاخيرة من الصفحة وهي الاسطر المبتدئة بكلمات (في نهاية الشارع) بما يلي :-

في نهاية الشارع الاعظم وذلك في السور الذي يفصل دار الخلافة عن مدينة المتوكلية ، وهو السور الذي يمتد بين ضفة القاطول الكسروي الجنى ونهر دجلة (راجع اللوحتين ١ و ٢ والرسمين ٢ و ١٧)[1] .

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بالقطائع على الشارع الاعظم في ص ٦٥

الصفحة ١٣٧ ـ ١٤٠

تستبدل محتويات (المادة ط ـ جامع ابي دلف) بما يلي:-

تعد بقايا « جامع أبي دلف » القائمة الى الجنوب من منطقة دار الخلافة في الحد الشمالي من الشارع الاعظم من ابرز الخرائب في منطقة المتوكلية (راجع اللوحتين ٢ و٧ والتصاوير ٦ و ٧ و ٨) على ان الآراء اختلفت في تعيين تاريخ انشاء هذا الجامع ، فهل كان تابعاً لمدينة المتوكلية فيكون قد اقامه المتوكل أو كان قد انشيء قبل عهد المتوكل . أما الجامع فيشبه المسجد الجامع الكبير الذي بناه المتوكل في سامراء في أول طرق الحير شبهاً كبيراً ، فهو مستطيل الشكل أيضاً طول ضلعه الكبرى (الممتدة من الجنوب الى الشمال) ٢١٦ متراً وضلعه الصغرى (الممتدة من الشرق الى الغرب) ١٣٨ متراً فتكون مساحته السطحية

زهاء ٣٠٠٠٠ر٣٠ متر مربع. وفي وسط الجامع صحن مكشوف مستطيل أيضاً طول ضلعه الكبرى ١٥٦ متراً وضلعه الصغرى ١٠٤ أمتار فتكون مساحته السطحية ١٦٠٠٠ر١٦ متر مربع . وتحيط بالصحن من جوانبه الاربعة اروقة، وقد انشئت الى جانبه مئذنة ملوية الشكل أيضاً ذات مرقاة خارجية يبلغ ارتفاعها عن مستوى التبليط حتى القمة المتهدمة نحو ١٩ متراً (راجع خارطة جامع أبي دلف ـ حسب تخطيط كريزويل) .

ويبلغ عدد الاروقة في القسم القبلي سبعة عشر رواقاً في كل رواق خمسة أقواس تتجه من الجنوب إلى الشمال كما يبلغ عدد الاروقة في الضلع الشمالية المقابلة للقسم القبلي سبعة عشر رواقاً أيضاً يتألف كل رواق من ثلاث أقواس تمتد نحو الجنوب والشمال. ويبلغ عدد الاروقة في كل من الضلع الشرقية والضلع الغربية تسعة عشر رواقاً في كل رواق قوسان تمتد نحو الشرق والغرب .

ويبلغ عدد الابراج في جدران الجامع ٤٢ برجاً منها أربعة ابراج مستديرة تقع في الاركان الاربعة للجامع يبلغ قطر كل منها ٦٠ر٣ متراً . وفي الجدران ثمانية عشر باب تختلف سعة كل منها باختلاف الموقع من الحيطان ، فتبلغ سعة اكبرها ثلاثة أمتار وسعة أصغرها متراً واحداً ، ومن هذه الابواب ثلاثة في الضلع القبلية وثلاثة في الضلع الشمالية المقابلة للضلع القبلية وستة أبواب متناظرة في كل من الضلعين اللتين في الشرق والغرب .

ويحيط بالجامع سور خارجي يفصله عن جدران الجامع فضاء واسع في الشرق والشمال والغرب يبلغ عرضه ١٠٨ أمتار أما في الجنوب فينخفض عرض الفضاء الى ٣٠ متراً تقريباً . والسور مشيد باللبن ومكسو من وجهيه الداخل والخارج بكساء من الجص ثخين ومدعم بابراج نصف دائرية مشيدة باللبن والآجر ومكسوة بالجص أيضاً ، أما ثخن السور فيتراوح من ٦٠ر١ الى ٨٠ر١ متراً وقد دلت تحريات هرزفلد في سنة ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ان الضلع الكبرى تبلغ ٣٦٢ متراً

والضلع الصغرى ٣٥٠ متراً فتكون بذلك مساحة المسجد والزيادات التي في خارجه تربى على خمسين دونماً عراقياً . وقد تداعى معظم هذا السور واصبح بهيئة خطوط من كثبان إلا السور الشمالي الذي تقع أمامه المئذنة الملوية فانه لا يزال قائماً يصل علوه في بعض النقاط الى نحو سبعة امتار .

وتوجد داخل هذا السور بين جدران المسجد و بين السور آثار ابنية قديمة تدل على انه كانت حوالي المسجد أبنية للمدارس الدينية ولسكنى الطلبة الذين كانوا يسكنون هناك مثل الابنية التي شيدت في خارج مسجد سامراء بين السور الخارجي وجدران المسجد . وتشاهد آثار بناية واسعة مشيدة بالآجر واقعة خلف المحراب مباشرة يحتمل انها من جملة الأبنية المخصصة للغرض المذكور .

وقد اختلف المؤرخون في تعيين تاريخ انشاء هذا الجامع ، غير انه من المعلوم ان المنطقة التي يقع فيها كانت خالية من البناء في زمن المعتصم ، كما انه من المعلوم أيضاً ان الجامع يقع داخل مدينة المتوكلية في موضع متوسط بين ابنية دار الخلافة وقصور الخليفة من جهة وبين القطائع والدور من الجهة الاخرى ، وهو بذلك اقرب الى دار الخلافة منه إلى انحاء المدينة . فليس من المنطق اذن ان يكون قد انشيء هذا الجامع في زمن غير زمن المتوكل لأنه يكوّن جزءً لا يتجزأ من مدينة المتوكلية الجديدة . ولا شك انه انشيء ليحل محل جامع سامراء الكبير بعد ان تقرر نقل العاصمة الى المتوكلية . وكان ذلك امراً طبيعياً تدعو اليه الضرورة الماسة نظراً لبعد المسافة بين جامع سامراء الكبير ومدينة المتوكلية الجديدة البالغة حوالي ٢٥ كيلومتراً اذا ما قيست بين جامع سامراء واقصى الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية حيث تقع دار الخلافة وقصور الخليفة .

والدليل على ان جامع أبي دلف شيد في نفس الوقت الذي شيدت فيه مدينة

المتوكلية ليحل محل جامع سامراء الكبير ان هناك شارعاً واسعاً موازياً الشارع الاعظم من الغرب يبدأ من الحدود الجنوبية لمدينة المتوكلية وبعد أن يخترق أبنيتها ينتهي إلى الجامع المذكور . كما ان هناك ساحتان واسعتان الى الشمال والجنوب من الجامع تتفرع منهما الشوارع إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب، مما يدل على ان الجامع كان جزءً من تخطيط مدينة المتوكلية التي انشأها المتوكل . ومما يؤيد ذلك أيضاً قول البلاذري ان المتوكل احدث المتوكلية « وجعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز وبين القاطول المعروف بكسرى فدخلت الدور والقرية المعروفة بالماحوزة فيها ، وبنى بها مسجداً جامعاً » . فيستدل من ذلك ان مدينة المتوكلية كانت تشمل كل المنطقة التي تمتد على محاذاة نهر دجلة بين الدور (دور العرباني) من الجنوب وبين آخر حدود دار الخلافة من الشمال . ولما كان جامع أبي دلف يتوسط هذه المنطقة فلا مجال لتغيير رأينا القائل بأن جامع أبي دلف من عمل المتوكل ، وهو نفس الجامع الذي يشير اليه البلاذري ، ولا سيما واننا لم نعثر أثناء تحرياتنا للابنية الواقعة داخل السور الذي يضم دار الخلافة وقصور الخليفة على أي اثر لجامع أو مئذنة هناك . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان البحتري لما وصف مدينة المتوكلية أشار ضمناً الى وجود جامع فيها وإلى وجود منبر في الجامع اعتبره جديد الانشاء ، وان الأولياء كانوا يلتقون في فناء ذلك المنبر أثناء صلاتهم أيام الجمع ، فقال وهو يصف المتوكلية : ـ

وفسيحة الاكناف ضاعف حسنها ... برٌّ لهـا مفضٍ وبحر مترع

قد سرّ فيهـا الاولياء إذ التقوا ... بفناء منبرهـا الجديد فجمّعوا

ومما يؤيد ان الجامع المذكور هو جامع أبي دلف نفسه ان دائرة الآثار العراقية اهتدت أثناء تنقيباتها في أبنية الجامع إلى وجود محرابين هناك يقع أحدهما على ظهر الآخر، وعلى رأينا انه يحتمل ان الأول مشيد عند التأسيس وبعد اكمال تشييد الجامع وجدت ضرورة لتصغيره حيث انشيء منبر جديد يشغل

جزء من المحراب الاول . ولعل ذلك هو السبب الذي حمل البحتري على أن يطلق على المنبر اسم « المنبر الجديد » باعتبار انه انشيء بعد مضي بعض الوقت على انشاء الجامع (راجع خارطة جامع أبي دلف حسب تخطيط كريزويل)[١] .

(١) راجع البحث المفصل عن جامع أبي دلف في مجلة « سومر » ، المجلد الثالث ، الجزء الأول ، كانون الثاني ١٩٤٧ ، ص ٦٠—٧٦

الصفحة ١٥٠

يضاف الى الجملة المنتهية بكلمتي (المتبقى منه) الواردتين في السطر التاسع عشر من الصفحة الجملة التالية : ـ

ويصف لنا المنشي البغدادي في رحلته إلى شمال العراق برفقة المستر ريج المقيم البريطاني ببغداد في سنتي ١٨٢٠ و ١٨٢١ النصف الاسفل من هذا الصنم كما شاهده ، وذلك قبل ان قلعه الدكتور روس ، فسمي الموضع الذي كان فيه الصنم «النبقة» ، وهذا نص ما دوّنه في وصف الصنم المذكور وموضع «النبقة»، قال : ـ وفي جانب من القادسية في محل يقال له النبقة على شاطيء دجلة وهناك صنم كبير جداً في هيئة رجل من الحجر الاسود ، وقد هشم من وسطه الى اعلاه وكسر »[١] . ويقول الاستاذ المحقق السيد عباس العزاوي ان « النبقة » معروفة الآن بهذا الاسم ، غير اننا لم نهتد الى ما يؤيد ذلك ، والذي علمناه من تحقيقاتنا الشخصية أن الموضع يعرف باسم « الصنم » في الوقت الحاضر .

(١) « رحلة المنشي البغدادي » نقلها عن الفارسية الاستاذ المؤرخ عباس العزاوي طبعت في مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة سنة ١٩٤٨ ، ص ٨٩

الصفحة ١٩٦

يضاف إلى آخر الجملة المنتهية بكلمة (إلى الانبار) الواردة في السطر الاول من الصفحة : ـ

كما ان ابن الجوزي ذكر في «مختصر مناقب بغداد» (النسخة التي نشرها الاستاذ محمد بهجة الأثري ص ١١) ان المنصور أمر بعد ان اسس مدينته المدورة في سنة ١٤٦ هـ . (٧٦٣ م) « ان تمد قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة وجرها الى المدينة في عقود وثيقة محكمة بالآجر والصاروج وكانت القناة تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب وتجري صيفاً وشتاءً » .

الصفحة ٢١٢

يضاف الى ما بعد كلمتي (باسم «القورج») الواردتين في السطر الرابع عشر ما يلي : ـ

وكان هذا الجدول يتبع اتجاه مجرى دجلة الأصلي وهو المجرى الشرقي القديم الذي كان يسير نهر دجلة فيه قبل ان يحول الى الاتجاه الغربي[1] .

(١) راجع ما تقدم في ص ١٦٩

الصفحة ٢٢٩

يضاف الى آخر الجملة المنتهية بكلمتي (دورهم بالتخمين) الواردتين في السطر التاسع ما يلي : ـ

وقد روى ابن الجوزي أيضاً في كتابه « مختصر مناقب بغداد » (ص١٨) الحادث نفسه بقوله « ان دجلة زادت زيادة عظيمة في سنة اربع وخمسين في خلافة المقتفي لأمر الله وانفتح القورج واحاط الماء بالسور واشفت منه ثم عجزوا عن سدها . فانسمت فتهدم معظم محال بغداد فتقدم المقتفي بعمل

مسناة حول السور فعمل بعضها وتوفي . وولي المستنجد فعمل منها قطعة وتوفي وولي المستضيء فعمل بمقدار ما عمل في زمن الخليفتين » .

الصفحة ٢٤٢

تستبدل الاسطر من السطر التاسع الذي يبدأ بكلمة (والظاهر) إلى آخر السطر العشرين الذي ينتهي بكلمة (ابن المعتز) بما يلي : ـ

والظاهر ان منطقة القادسية هذه بما فيها القاطول الاسفل (مجرى القائم) كانت من أجل المتنزهات في زمن العرب ، فقد وصف الشعراء والكتاب حدائقها واديرتها بكثير من الاطراء ، وهذا «دير السوسي» الذي يقول فيه ابن المعتز : ـ

الصفحة ٢٧٣

يحذف السطران الاخيران من الصفحة أولهما يبدأ بكلمة (ويظهر) والثاني ينتهي بكلمة (الـكهريز) .

الصفحة ٣٠٩

تضاف الحاشية التالية إلى ما بعد كلمات (البيت رقم ١٥) الواردة في آخر السطر الثاني عشر : ـ

(١) قد يخطر الى ذهن المرء حين يتمعن بالبيت رقم ١٥ ان الدلفين المشار اليه في البيت المذكور كان دلفينا حيا داخل البركة ، هذا اذا ما اعتبرنا ان الاسماك التي كانت في البركة لم يتيسر لها ان تنظر الى ما هو خارج البركة . ويمكن ان يتصور المرء من محتوى البيت المذكور ان الدلفين كان في زاوية من البركة داخل حاجز من الزجاج بحيث ينظر الى الاسماك دون ان يتصل بها . ولما كان الدلفين يرجع الى فصيلة الحيتان وليس في شكله ما يبرر صنع تمثال له فان من المرجح ان الدلفين كان حياً داخل البركة كما تقدم .

الصفحة ٣٥٩

يضاف الى ما بعد كلمتي (طاووق الحاليتين) الواردتين في السطر الثالث ما يلي : —

وقد جاء ما يؤيد ذلك أيضاً وصف ياقوت وابن عبد الحق للقناية (بكسر أوله وتشديد ثانيه وبعد الالف ياء مثناة من تحت) فذكر الاول انها « نهر في سواد العراق من نواحي الراذانين عليه عدة قرى عن أبي بكر بن موسى » ثم أضاف الثاني الى ذلك قوله ان القناية « مسيل عميق كالوادي بين القاطول وتامراء قرب بعقوبا » . ومثل هذا ما جاء في مادة « جوخا » من معجم ياقوت إذ ورد فيها ان « الراذانين » يقعان في جوار خانقين وانها من ملحقات « كورة جوخا » الواسعة الواقعة بين خانقين وخوزستان .

الصفحة ٣٦٣

يضاف إلى ما بعد كلمة (بقليل) الواردة في السطر الثاني من الحاشية (٢) ما يلي : —

وقد ذكر المسعودي في كتابه التنبيه (ص ٥٣) ان قرية « باجسرى » كانت تقع على فرسخين من « دسكرة الملك » (راجع البحث التالي الخاص بالدسكرة في ص ٣٩١) .

الصفحة ٣٦٦

تضاف الجملة التالية الى ما بعد الجملة التي تنتهي بكلمة (رقم ١٨) الواردة في السطر الرابع عشر : —

واننا نميل الى الاعتقاد بأن نهر الفضل كان يتفرع من نهر الخالص بالقرب من مخفر شرطة خان البئر الحالي حيث لا تزال هناك آثار المقسم الذي كان يتفرع منه نهر الفضل، كما انه لا تزال آثار نهر الخالص الرئيسي ماثلة للعيان يمكن تتبعها في اتجاه النهر القديم المعروف اليوم بنهر الوزيرية الذي يسير في جهة الغرب نحو

« تلول باب الشام » ومن ثم نحو نهردجلة حيث ينتهي هناك في أسفل الراشدية. وليس شك ان « تلول باب الشام » هي من بقايا « قرية باب الشام » التي ذكرها ابن عبد الحق في المراصد بقوله انها «قرية صغيرة بالخالص قريبة من الرصافة». أما آثار نهر الفضل فيمكن تتبعها على موازاة الطريق العام بين بغداد وخان البئر حيث يشاهد هناك نهر قديم متجهاً نحو الجنوب مسافة بضعة كيلو مترات ثم تزول معالمه في الأراضي الواطئة من منطقة الوزيرية الحالية في جهة الاعظمية (راجع اللوحتين المرقمتين ٤ و ٦).

الصفحة ٣٧٥

تضاف الجملة التالية إلى ما بعد الجملة الثانية التي تنتهي بكلمة « نزلها » في السطر ١٨ من الصفحة : —

وقد عيّن اليعقوبي موقع «المدائن» على سبعة فراسخ من بغداد ، ووصفها بقوله : « والمدائن دار ملوك الفرس ، وكان أول من نزلها انوشروان وهي عدة مدن في جانبي دجلة فالجانب الشرقي فيه المدينة التي يقال لها العتيقة فيها القصر الابيض القديم الذي لا يدرون من بناه وفيها المسجد الجامع الذي بناه المسلمون لما افتتحت، وفي الجانب الشرقي أيضاً المدينة التي يقال لها اسبانبر وفيها ايوان كسرى العظيم الذي ليس للفرس مثله ، ارتفاع سمكه ثمانون ذراعاً وبين المدينتين مقدار ميل ، وفي هذه كان ينزل سلمان الفارسي (كنيته أبو عبدالله) وحذيفة بن اليمان وبها قبرهما ثم تلي هاتين المدينتين مدينة يقال لها الرومية التي يقال ان الروم بنتها لما غلبت على ملك فارس وبها كان أمير المؤمنين المنصور لما قتل أبا مسلم ، وما بين هذه المدن الثلاث متقارب الميلان والثلاثة الاميال ، في الجانب الغربي من دجلة مدينة يقال لها بهرسير ثم ساباط المدائن على فرسخ من بهرسير فما كان من جانب دجلة الشرقي فشربه من دجلة وما كان من جانب دجلة

الغربي فشربه من الفرات يأتي من نهر يقال له نهر الملك يأخذ من الفرات ، افتتحت هذه المدائن كلها سنة اربع عشرة افتتحها سعد بن أبي وقاص » .

الصفحة ٣٨٨

تضاف الجملة التالية إلى ما بعد الجملة الاولى التي تنتهي بكلمة (الى النهروان) الواردة في السطر السادس : —

وقد وصف المسعودي « نهر تامرا » بقوله انه يبدأ من جبال ارمينية وبلاد الصامغان فيمر بخانقين وبجلولاء وينتهي الى النهروان عند باصلوى ، وبعد ان يستمد مياهاً أخرى من « القواطيل » الآخذة من دجلة يسير جنوباً إلى « باجسرى » وهناك يسمى النهروان ، ثم يمر ببعقوبا ومدينة النهروان وجسر بوران وعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد ويصب الى دجلة بناحية جرجرايا. واليك نص ما كتبه في هذا الصدد قال : — « النهروان مخرجه من جبال ارمينية ويسر من بلاد آذربيجان وشهرزور وبلاد الصامغان ثم يجتمع وينتهي إلى الموضع المعروف بباصلوى ومما يلي جلولاء وخانقين من طريق خراسان فسمى هناك تامراء ويستمد من القواطيل الآخذة من دجلة ويصير الى الموضع المعروف بباجسرى على فرسخين من دسكرة الملك وهناك يسمى النهروان ويمر ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وعبرتا وبرزاطيا واسكاف بني الجنيد ويصب الى دجلة بناحية جرجرايا »[1]

(١) كتاب التنبيه الصفحة ٥٣

الصفحة ٤٢٤

يضاف الى آخر الحاشية (٢) المنتهية بكلمة (العمارة) ما يلي : —

اما منطقة المبدسي فلم نقف على ما يؤيد احتفاظها باسمها القديم ، غير اننا عثرنا في هذه المنطقة على نهر يسمى « نهر الدبيسي » ومن المحتمل ان تكون هذه التسمية تحريفا

الـكلمة « عبدسي » الاصلية . ويقع هذا النهر في جنوب « كيت » مباشرة وهو يأخذ من نهر « صايف » المنشعب من الضفة اليمنى لنهر دجلة في نقطة تقع على مسافة حوالي الـكيلومتر الواحد من « كيت » جنوباً . أما موضع تفرع نهر الدبيسي فـكائن في نقطة تقع على بعد كيلومتر واحد من صدر « نهر صايف » .

الصفحة ٤٣١

يضاف الى الجملة المنتهية بكلمة (السلطان) في السطر الثاني ما يلي : —

وقد أشار ياقوت في معجمه إلى قرية كبيرة على ضفـــة نهر دجلة في جنوب واسط أيضاً ، فسماها «باذبين» بكسر الباء الموحدة وباء ساكنة ، ووصفها بقوله انها « قرية كبيرة كالبلدة تحت واسط على ضفة دجلة ... منها جماعة من التجار المثريين ... ومنها جماعة من رواد العلم ... منهم ابو الرضا احمد بن مسعود بن الزقطر الباذبيني سمع من أبي البركات يحي بن عبدالرحمن بن حبيش الفارقي قاضي المارستان توفي سنة ٥٩٢ » .

الصفحة ٤٤١

تضاف الجملة التالية الى حاشية (١) :

ومن جملة القرى التي كانت في « كورة ميسان » والتي احتفظت باسمائها القديمة عدا قرية العزير المذكورة ، قرية تسمى « زكية » ، وهي القرية التي وصفها ياقوت بقوله انهـــا « قرية جامعة من اعمال البصرة بينها وبين واسط ... وقد نسب اليها نفر من أهل العلم عدادهم في البصريين عن الحازمي » . ولا تزال آثار هذه القرية ماثلة للعيان في جوار مزار العزير الحالي على مسافة عشرة كيلومترات منه شمالا وتسمى « زجية » (راجع خارطة الجزء الاخير من مجرى دجلة كما كان عليه في العهد العباسي) .

الصفحة ٥٠٠

تضاف الحاشية التالية بعد كلمة « مسعود » الواردة في السطر السابع : —

(١) يحتمل أن يكون « نهر مسعود » منسوباً الى مسعود بن سديد الدولة الذي يرجع عهـــده الى أواخر القرن الثامن الهجري حيث يفهم مما جاء في « التاريخ الغياثي » لغياث الدين عبد الله بن فتح الله البغدادي الموضوع في أوائل القرن العاشر الهجري ان مسعوداً هذا كان يشرف على الانهر التي تصل الى بغداد . فمن جملة ما جاء في الـكتاب المذكور في ذكر العمارات ما يأتي : — « ثم عمارة خواجة مسعود بن سديد الدولة ، وكان من أكابر بغداد فاسس مدرسة واسواقاً في غاية الحسن وقفاً على المذاهب الاربعة على صفة المستنصرية ... ولم يكن خواجه مسعود وزيراً وانما كان بيده رواضم المدينـــة لا غير » . (اصول التاريخ والآداب « مج ٣٢ ص ٢٨٩ — ٢٩٠) .

ملحوظة : أفادنا بهذا الاستاذ الدكتور السيد مصطفى جواد نقلا عن مخطوط كان قد اطلع عليه في مكتبة المرحوم الاستاذ الأب انستاس الـكرملي فشكراً له .

الصفحة ٥٩٠

تضاف الحاشية التالية بعد كلمتي « الطبقات الجوفية » الواردتين في السطر السابع عشر : —

ذكر لنا سعادة محمود بك السنوي انه كان قد تجول كثيراً في منطقة الثرثار ولا سيما في المنطقة التي يقع فيها منخفض الثرثار وذلك أثناء قيامه بواجبات وظيفته في العهد العثماني ، وكان قد لفت نظره أمر اختفاء المياه التي تنحدر الى المنخفض رغم كمياتها الهائلة ، وقد تحقق لديه بعـــد الاستفسار من سكنة تلك المنطقة وهم من قبائل شمر انه توجد وسط المنخفض « بواليع » مفردها « بالوعة » تتسرب اليها المياه ، وذلك ما يؤيد الرأي القائل بأن ضائعات المياه داخـــل بحيرة الثرثار ستكون كبيرة بدرجة تحول دون ارتفاع المياه داخل البحيرة الى منسوب الخزن المطلوب .

الملاحق

الملحق الأول

الحوادث المهمة الواردة ذكرها في هذا الكتاب وتواريخ وقوعها

التـاريخ	الحـادث
١٣٠٠ ـ ٦٠٦ ق. م . (العهد الآشوري)	انشاء سد نمرود على نهر دجلة واقامة جدار سيميراميس .
(حوالي أوائل العهد الميلادي)	تحوّل مجرى دجلة في قسمه الأخير من ناحية الغراف إلى جهة العمارة .
العهد الساساني (٢٢٦م ـ ٦٣٦م)	انشاء حصن القادسية المثمن لحماية صدر النهروان .
العهد الساساني (٢٢٦م ـ ٦٣٦م)	انشاء النهروان الرئيسي الاصلي وهو الذي عرف في زمن العرب باسم القاطول أو نهر أبي الجند والمعروف اليوم باسم « نهر القائم » .
(٣٦٣ م)	مقتل الامبراطور جوليان في جوار سامراء .
(٥٣١ ـ ٥٧٩ م)	انشاء القاطول الاعلى الكسروي على عهد كسرى انوشروان .
(٥٣١ ـ ٥٧٩ م)	انشاء « قناطر الخيزران » على نهر دجلة في جوار الكوت على عهد كسرى انوشروان .
(٥٣١ ـ ٥٧٩ م)	انشاء نهر القورج على عهد كسرى انوشروان .

التاريخ	الحادث
(٥٣١ ـ ٥٧٩ م)	انشاء نهر دجيل على عهد كسرى انوشروان .
٦ هـ (٦٢٧ م)	حدوث فيضان عظيم في نهر دجلة أدى الى تحول القسم الأخير من مجرى دجلة من جهة العمارة الى ناحية واسط .
٣٨ هـ (٦٥٨ م)	واقعة النهروان مع الخوارج .
٧٢ هـ (٦٩١ م)	وقعة مصعب بن الزبير مع عبد الملك بن مروان في منطقة دجيل .
٨٣ هـ (٧٠٢ م)	انشاء مدينة واسط من قبل الحجاج .
١٠٥ـ١٢٥ هـ (٧٢٣ـ٧٤٢م)ـ	اعادة انشاء « قناطر الخيزران » على عهد هشام بن عبد الملك من قبل خالد بن عبد الله القسري .
١٤٦ هـ (٧٦٣ م)	تأسيس المنصور مدينته المدورة في بغداد على الجانب الغربي من دجلة .
١٧٠ـ١٩٣ هـ (٧٨٩ ـ ٨٠٦م)ـ	انشاء قصر الرشيد على القاطول بسامراء .
١٧٠ـ١٩٣ هـ(٧٨٩ـ٨٠٦م)ـ	اعادة انشاء النهروان الرئيسي الأصلي في عهد الرشيد وتسميته « نهر أبي الجند » .
٢١٨ هـ (٨٣٣ م)	ارتقاء المعتصم عرش الخلافة ببغداد .
٢١٩ هـ (٨٣٤ م)	فيضان دجلة وتهديد مدينة بغداد بالغرق .

التـــاريخ	الحـــادث
٢٢١ هـ (٨٣٥ م)	انشاء مدينة المعتصم في القادسية قبل ذهابه إلى سامراء لاتخاذها عاصمة ملكه .
٢٢١ هـ (٨٣٥ م)	تأسيس مدينة سامراء العباسية في زمن الخليفة المعتصم .
٢٢١ـ٢٢٧ هـ (٨٣٥ ـ ٨٤٢م)ـ	انشاء مشروع نهر الاسحاقي من قبل المعتصم .
٢٢١ـ٢٢٧ هـ (٨٣٥ ـ ٨٤٢م)ـ	انشاء دار العامة والجوسق من قبل المعتصم .
٢٢١ـ٢٢٧ هـ (٨٣٥ ـ ٨٤٢م)ـ	انشاء جسر سامراء من قبل المعتصم .
٢٢٥ هـ (٨٣٩ م)	قتل الافشين وصلبه في سامراء .
٢٢٧ هـ (٨٤١ م)	وفاة المعتصم ودفنه في قصره الجوسق بسامراء .
٢٢٧ـ٢٣٢ هـ (٨٤٢ ـ ٨٤٧م)ـ	انشاء القصر الهاروني في عهد الواثق .
٢٣٢ هـ (٨٤٦ م)	وفاة الواثق ودفنه في قصر الهاروني بسامراء .
٢٣٢ هـ (٨٤٦ م)	ارتقاء المتوكل عرش الخلافة بسامراء .
٢٣٢ـ٢٤٥ هـ (٨٤٧ ـ ٨٥٩م)ـ	انشاء قناة المتوكل لنقل المياه من دجلة الى مدينة سر من رأى .

التـــاريخ	الحـــادث
٢٣٢ـ٢٤٥ هـ (٨٤٧ ـ ٨٥٩م)	— انشاء حير الوحوش في جنوب سامراء من قبل المتوكل .
٢٣٢ـ٢٤٥ هـ (٨٤٧ ـ ٨٥٩م)	— انشاء بركة البحتري في جنوب سامراء من قبل المتوكل .
٢٣٤ـ٢٣٧ هـ (٨٤٩ ـ ٨٥١م)	— بناء المسجد الجامع الكبير (جامع الملوية) بسامراء من قبل المتوكل .
بين سنة ٢٤٠ و ٢٤٥ هـ (٨٥٤ — ٨٥٩ م)	...... انشاء قصر بلكوارا في جنوبي سامراء .
٢٤٥ هـ (٨٥٩ م)	. . . . شروع المتوكل ببناء المتوكلية .
٢٤٥ـ٢٤٦ هـ (٨٥٩ ـ ٨٦٠م)	— انشاء جامع أبي دلف في المتوكلية من قبل المتوكل .
٢٤٥ـ٢٤٦ هـ (٨٥٩ ـ ٨٦٠م)	ـ انشاء القصر الجعفري في مدينة المتوكلية من قبل المتوكل .
٢٤٥ـ٢٤٧ هـ (٨٥٩ ـ ٨٦١م)	ـ انشاء المتوكل مشروع النهر الجعفري لايصال المياه الى المتوكلية .
١ المحرم ٢٤٧ هـ (٨٦١ م)	-- انتقال المتوكل على الله الى مدينة المتوكلية .
٣ شوال ٢٤٧ هـ (٨٦١ م)	— مقتل المتوكل ودفنه في القصر الجعفري بالمتوكلية

التـــاريخ	الحـــادث
٢٥٤ هـ (٨٦٨ م)	وفاة الامام علي الهادي (ع) في سامراء .
٢٥٥ هـ (٨٦٨ م)	أمر المهتدي بقتل السباع التي كانت في دار العامة بسامراء .
٢٥٦ هـ (٨٦٩ م)	مقتل موسى بن بغا .
٢٥٦ هـ (٨٦٩ م)............	مقتل صالح بن وصيف .
٢٥٦ـ٢٧٩ هـ (٨٧٠ ـ ٣٩٢م)	— انشاء قصر المعشوق بسامراء في عهد المعتمد.
٢٦٠ هـ (٨٧٣ م)	وفاة الحسن العسكري ابن الامام علي الهادي (ع) في سامراء .
٢٨٣ هـ (٨٩٦ م)	كري نهر دجيل من قبل المعتضد.
٢٩٠ هـ (٩٠٢ م)	خروج المكتفي من بغداد قاصداً سامراء وعزمه على الانتقال اليها ثم عدوله عن ذلك .
حوالي أواخر القرن الثالث الهجري (أوائل القرن العاشر الميلادي)	— انشاء مصنعة السهلية (سد السهلية) على نهر ديالى لتحويل مياهه الى النهروان .
حوالي ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) . . .	انهيار سد ديالى القديم في جبل حمرين .
٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م)	غرق الجانب الشرقي وبعض الجانب الغربي من مدينة بغداد من نهر القورج .

التاريخ	الحادث
٥٥٤ هـ (١١٥٩ م)	غرق مدينة بغداد الشرقية من الفورج .
أواخر القرن السادس الهجري (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي)	— تحوّل مجرى دجلة من عقيقه القديم غربي مدينة بلد الى مجراه الحالي في شرقيها .
حوالي أواخر القرن السادس الهجري (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي)	انهيار سد العظيم القديم نهائياً .
٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م)	انشاء باب غيبة المهدي .
٦١٤ هـ (١٢١٧ م)	غرق مدينة بغداد الشرقية من الفورج .
٦٢٣ـ٦٤٠هـ(١٢٢٦ـ١٢٤٦)	— انشاء نهر المستنصر الذي يتفرع من الضفة اليسرى لنهر دجيل وينتهي الى منطقة بلد .
٦٣٠ هـ (١٢٣١ م)	انشاء جسر حربى من قبل المستنصر .
٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م)	غرق القسم الشرقي من مدينة بغداد من الفورج والقسم الغربي من المدينة من دجلة .
٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م)	غرق القسم الشرقي من مدينة بغداد من الفورج والقسم الغربي من المدينة من دجلة .
٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)	الغزو المغولي على العاصمة العباسية في بغداد ووقعة نهر دجيل .

التــاريخ	الحــادث
١٠٧١ هـ (١٦٦٠ م)	حفر صدر جدول دجيل الحالي من قبل والي بغداد مرتضى باشا .
١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م)	تحوّل القسم الاخير من نهر دجلة من مجرى واسط الذي كان يسير فيه في أوائل العهد العباسي الى مجراه الحالي في جهة العمارة .
١٢٠٠ هـ (١٧٨٥ م)	انشاء الحضرة بسامراء برعاية الحاج مرزه محمد السلماس .
١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م)	انشاء سور سامراء من قبل زين العابدين بن السلماس .
١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)	طلاء قبة ضريحي الامام علي الهادي وولده حسن العسكري (ع) بالذهب من قبل السلطان ناصر الدين شاه .
١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)	محاولة اعادة انشاء سد السهليه على عهــد مدحت باشا .
(١٩٠٨ — ١٩١١ م)	قيام السير ويليم ويلكوكس بدراسة شؤون الري في العراق .
(١٩٣٤ — ١٩٣٩م)	انشاء قناطر الكوت الحالية على نهر دجلة .

الملحق الثاني

شرح خارطة مدينة المتوكلية

يمتاز اختطاط مدينة المتوكلية عن غيرها من المدن بثلاثة امور رئيسية ، أولها ان الاختطاط فيها جرى على أساس تصاميم دقيقة يتمثل فيها الفن الخططي والتنسيق، وقد تم ذلك قبل الشروع في الانشاء على نحو ما هو متبع اليوم في انشاء المدن الحديثة ، إذ ظهر لنا بأن اختطاط مدينة المتوكلية كان قد جرى على أساس تنسيق دقيق وتصاميم وخرائط مفصلة قبل المباشرة في بناء المدينة على خلاف ما كانت عليه الحال في انشاء مدينة المعتصم في سامراء ، وهي المدينة التي انشئت حسب مقتضى الحاجة الآنية دون الالتفات الى الناحية الهندسية الفنية . ويلاحظ ان المتوكل ادخل على مدينة المعتصم هذه اضافات وتوسيمات منسقة ذات صبغة فنية تحقيقاً لرغباته الشديدة في ان تكون عاصمته اعظم عاصمة في العالم ، ولكنه لم يقنع بهذه التوسعات ولا بهذه الاضافات فراح يسعى لانشاء مدينة جديدة على أرض بكر يخترقها نهر واسع تنطلق منه المياه سيحاً فتروي الحدائق الواسعة والمتنزهات الفسيحة وسواقي الاشجار على طول الشوارع من جانبيها وتموّن برك قصوره بالمياه ، وقد حقق رغبته هذه بتصميم اختطاط مدينة المتوكلية التي انشأها على أرض بكر في شمال سامراء المعتصم ثم تصميم النهر الجعفري لايصال المياه اليها سيحاً . واذا استثنينا مدينة المنصور المدورة التي كانت قد انشئت على هذه الصورة ، أي على أساس اختطاط فني وتصميم دقيق قبل البناء[1] ، أمكننا أن نجزم بأن مدينة المتوكلية هي أم مدينة

---

(١) يقول ابن الجوزي ان المنصور أحب ان ينظر الى تصميم اختطاط مدينته المدورة قبل الشروع في بنائها « فأمر ان تخط بالرماد واقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد وأمر ان يحفر الاساس على ذلك الرسم . » (راجع كتاب « مختصر مناقب بغداد » الذي نشره الاستاذ محمد بهجة الأثري ص٨).

عباسية خططت بصورة فنية دقيقـة ووضعت تصاميمها بطريقـة هندسية متناسقة قبل بنائها .

أما الامر الثاني الذي يمتاز به اختطاط مدينة المتوكلية فهو ان المدينة حوّطت بالمياه من جميع اطرافها بحيث أصبحت تؤلف شبه جزيرة يحدها نهر دجلة من جهة الغرب ونهر القاطول الاعلى الكسروي وفروعه من الشمال والشرق والجنوب ، كما ان المدينة زودت بنهر خاص ينبثق من نهر دجلة في اقصى الشمال وينتهي الى شوارعها ومنتزهاتها وحدائقها وبركها فيمدها بالمياه السيحية مما يفسح المجال للتنسيق والابداع والتفنّن .

وأما الامر الثالث فهو شارعها الرئيسي الذي يمتد على طول المدينة ، وهو الشارع الذي كان يعرف بالشارع الاعظم والذي يبلغ طوله حوالي عشرة كيلومترات وعرضه اكثر من مئة متر .

ومما يلفت النظر انه على الرغم من أهمية مدينة المتوكلية من حيث الفن الخططي الذي يتمثل في تصميمها فقد اهملت دراستها ولم يحاول المحققون ولا المؤرخون مسحها أو تنظيم خارطة حقيقية بشوارعها وتقسيماتها ، ومن الغريب ان العالم الالماني هرزفلد أهمل ادخال مدينة المتوكلية في الخارطة التقريبية التي وضعها لمدينة سر من رأى حسب وصف اليعقوبي ، وقد وقع في اغلاط كثيرة من جملتها انه ثبّت مواقع بعض قطائع المتوكلية في داخل مدينة سامراء على خارطته التقريبية المذكورة . وقد رأينا ان نتلافى هذا النقص البارز في دراسات سامراء فمسحنا مدينة المتوكلية ووضعنا خارطة حقيقية بشوارعها وابنيتها ومنطقاتها حتى قصورها وهي الخارطة التي يجدها القارىء في هذا الملحق .

اما المراجع التي استندنا اليها في تعيين مواقع القصور والقطائع والمنشئات فهي المصادر التاريخية العربية وأهمها وصف اليعقوبي الذي يعد أوثق المراجع في معرفة اختطاط المدينتين ، سر من رأى والمتوكلية ، لقرب عهده منهما ، غير ان ذلك

الوصف جاء متداخلاً بين مختلف الادوار دون تميز بين اختطاط مدينة سامراء وبين تقسيمات مدينة المتوكلية مما يجعل محاولة تعيين مواضع القطائع وتنظيم خارطة لمدينة المتوكلية استناداً الى هذا الوصف وحده بدون دراسة الآثار المتبقية وبدون مسح هذه الآثار مسحاً دقيقاً أمراً متعذراً . ذلك ماحدا بنا الى اجراء تحقيقات في المواقع الأثرية نفسها متتبعين آثار الانهر القديمة والابنية والاسوار والشوارع والأودية وغيرها من الآثار التي لا تزال ماثلة للعيان ، فاستندنا الى هذه التحقيقات التي جرت في ضوء المسح الدقيق بالاضافة الى ما كتبه المؤرخون من العرب عن المدينة في وضع الخارطة . ومما ساعدنا على انجاز هذه المهمة ان آثار الشوارع القديمة وآثار أسوار القصور وغيرها من بقايا الأبنية المهمة لا تزال ماثلة للعيان الامر الذي مكننا من تتبعها ورسمها على خارطة حقيقية مضبوطة ، ومن أهم العوامل التي سهلت علينا وضع الخارطة هي : ـ

١ ـ ان أكثر أبنية المتوكلية منشأة باللبن وقد احتفظت باختطاطها الاصلي دون ان تتسرب اليها الايدي لعدم امكان استفادة الناس من اللبن في الابنية، الأمر الذي جعل حدود الشوارع والقصور والابنية الرئيسية واضحة بحيث امكن تعيين اسماء الكثير منها من خلال وصف اليعقوبي وغيره من المؤرخين العرب .

٢ ـ ان المنطقة التي تقع فيها مدينة المتوكلية مرتفعة بالقياس الى نهر دجلة وان تربتها مؤلفة من حصى واحجار متكلسة ، وعلى هذا فهي غير معرضة الى الرطوبة ولا إلى الفيضان ، الامر الذي ساعد على احتفاظها بوضعها الراهن دون أن يتناولها تأثير الطبيعة خلافاً لما نجده في المناطق الجنوبية من العراق التي فقدت اكثر علائمها بفعل الفيضان والرطوبة .

٣ـ ان الابنية في سامراء والمتوكلية تقع في طبقة واحدة مكشوفة مما يسهل تتبع آثارها السطحية بيسر .

٤ ـ ان آثار الانهر القديمة في منطقة سامراء والمتوكلية لا تزال تحتفظ باختطاطها الاصلي لارتفاع ضفافها المتكونة من الاتربة الطينية التي كانت تستخرج من داخلها ، كما ان آثار المنشئات لا تزال ماثلة للعيان ما عدا القسم الواقع على حافة نهر دجلة وهو القسم الذي حفرته المياه نتيجة لتحوّل المجرى والتآكل الحاصل في الضفة .

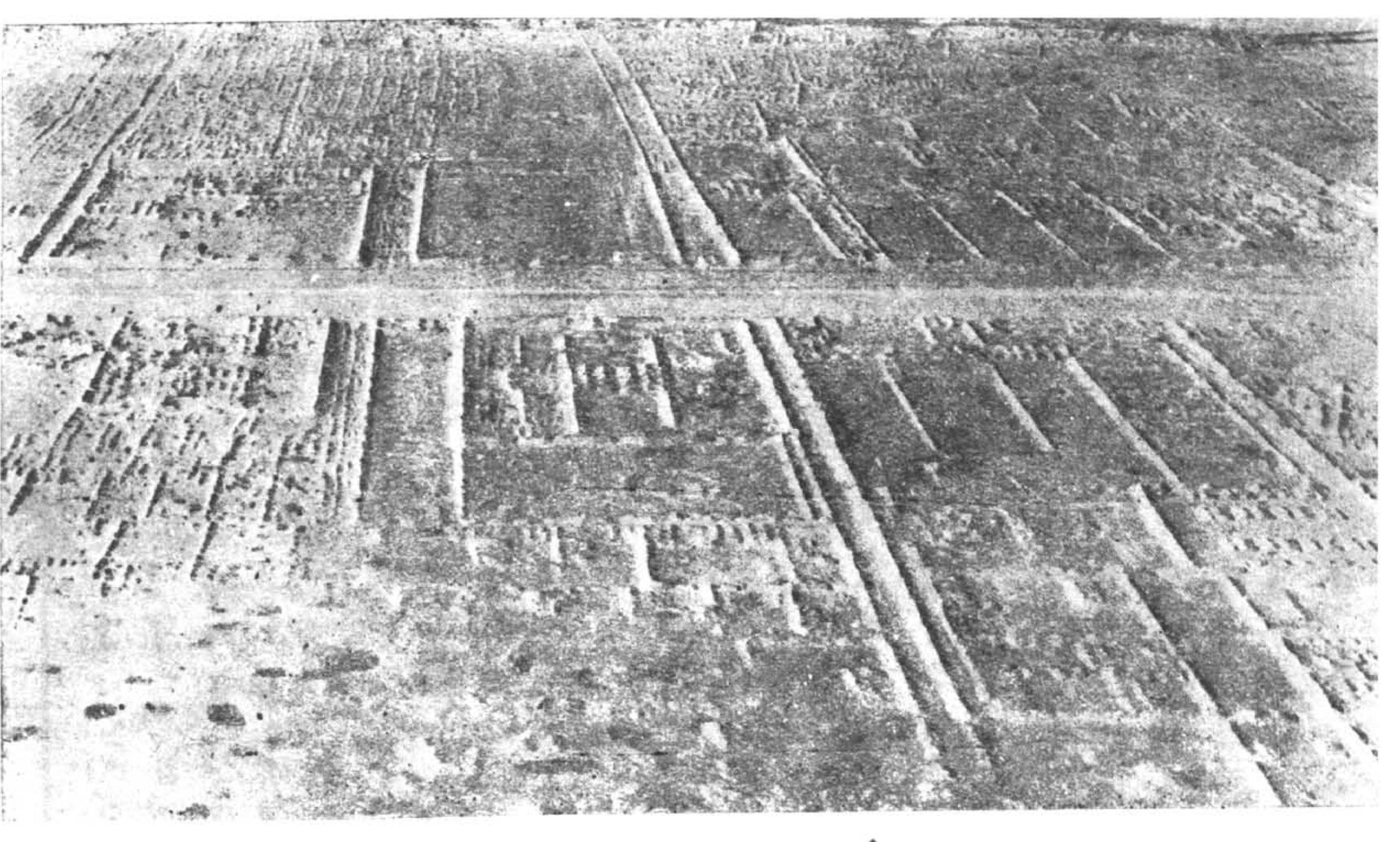
تبدأ مدينة المتوكلية من الحد الشمالي لمدينة المعتصم (سر من رأى) ، اي الحد الواقع على بعد زهاء عشرة كيلومترات من موضع سامراء الحديثة ، ثم تمتد على محاذاة الضفة اليسرى لنهر دجلة مسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً الى الشمال حتى تنتهي الى جوار صدر القاطول الاعلى الكسروي الذي يتفرع من نهر دجلة عند مدينة الدور الحالية . ويبلغ معدل عرض المدينة زهاء ثلاثة كيلومترات وبهذا تكون مساحة الارض التي تشغلها المدينة ٤٥ كيلومتراً مربعاً تقريباً ، أي حوالي ١٨٫٠٠٠ دونم عراقي .

ولتموين المدينة الجديدة بالمياه السيحية أخرج المتوكل نهراً من ضفة نهر دجلة اليسرى من نقطة تقع على بعد حوالي أربعين كيلومتراً من شمال مدينة تكريت ، ويسير هذا النهر على محاذاة دجلة جنوباً مسافة زهاء ستين كيلومتراً حتى يصل الى المتوكلية ، وقد سمي « النهر الجعفري » وانفق عليه ما يقرب من مليون دينار .

ويلاحظ ان المدينة صممت على أساس تخصيص القسم الجنوبي منها لسكنى الناس والأهلين بصورة عامة ، وكان يعرف هذا القسم باسم « دور العرباني » أو « دور عربايا »[1] ، وقد خططت شوارعه بصورة مستقيمة ومتوازية فتتجه الشوارع الطوال نحو الشمال تماماً والشوارع العرضيّة نحو الشرق والغرب . ويخترق هذا القسم من المدينة شارعان يمتدان على طول المدينة من الجنوب الى

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بدور عربايا في ص ٥٨ — ٥٩ .



الشارع الأعظم والخرائب التي على جانبيه (من الجو)

الشمال ، وكان يعرف الشارع الغربي ، وهو الشارع الرئيسي ، باسم « الشارع الاعظم » ، أما الشارع الشرقي فكان يسمى « شارع أبي أحمد » . وكان الشارع الأول متصلاً بشارع السريجة الذي كان قد انشيء في مدينة المعتصم كما كان الثاني متصلاً بشارع أبي أحمد الذي كان في مدينة المعتصم أيضاً . ويلاحظ ان القسم الساحلي من هذا الجزء من المدينة وهو القسم الواقع على ضفة نهر دجلة الى جهة الغرب كان قد خصص الى الفتح بن خاقان وابراهيم بن رياح ، وكان يسكن دار الفتح قبل انشاء مدينة المتوكلية أشناس التركي مولى المعتصم وكانت هذه الدار تعرف باسم « كرخ أشناس » في ذلك العهد[1] . ويبلغ عرض هذا القسم من المدينة حوالي ثلاثة كيلومترات كما يبلغ طوله المسافة نفسها (راجع خارطة مدينة المتوكلية التي انشأها المتوكل شمال سامراء) .

وبعد ان يتجاوز الشارع الاعظم « دور العرباني » ينعطف بميل قليل نحو الغرب ، ومن هنا يتوسط المدينة فيمتد بخط مستقيم مسافة ستة كيلومترات تقريباً نحو الشمال ، وتتفرع من جانبيه شوارع كثيرة بزوايا قائمة فتنتهي الشوارع الغربية الى الضفة الشرقية لنهر دجلة كما تنتهي الشوارع الشرقية الى الضفة الغربية لنهر القاطول الكسروي. ويبلغ عرض هذا الشارع حوالي مائة متر، ولا تزال آثار سواقي الاشجار على جانبيه ، وهي السواقي التي كانت تستمد المياه من النهر الجعفري ، ماثلة للعيان في معظم اقسامه . وكانت تقع قطائع قواد الجيش في هذا القسم من المدينة ، فكان لكل قائد قصر خاص يطل على دجلة وتمتد قطيعته من جانب قصره فتسير الى الشارع الاعظم ثم تستمر شرقاً حتى تنتهي الى ضفة القاطول الكسروي اليمنى . وقد وصف اليعقوبي هذه الاقطاعات فقال انها تقع في الشارع الاعظم وفي الدروب الى يمنته ويسرته (أنظر التصوير الجوي للشارع الاعظم وللخرائب التي على جانبيه) ، والقطائع التي ذكرها قطيعة

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بكرخ أشناس في ص ٥٧ .

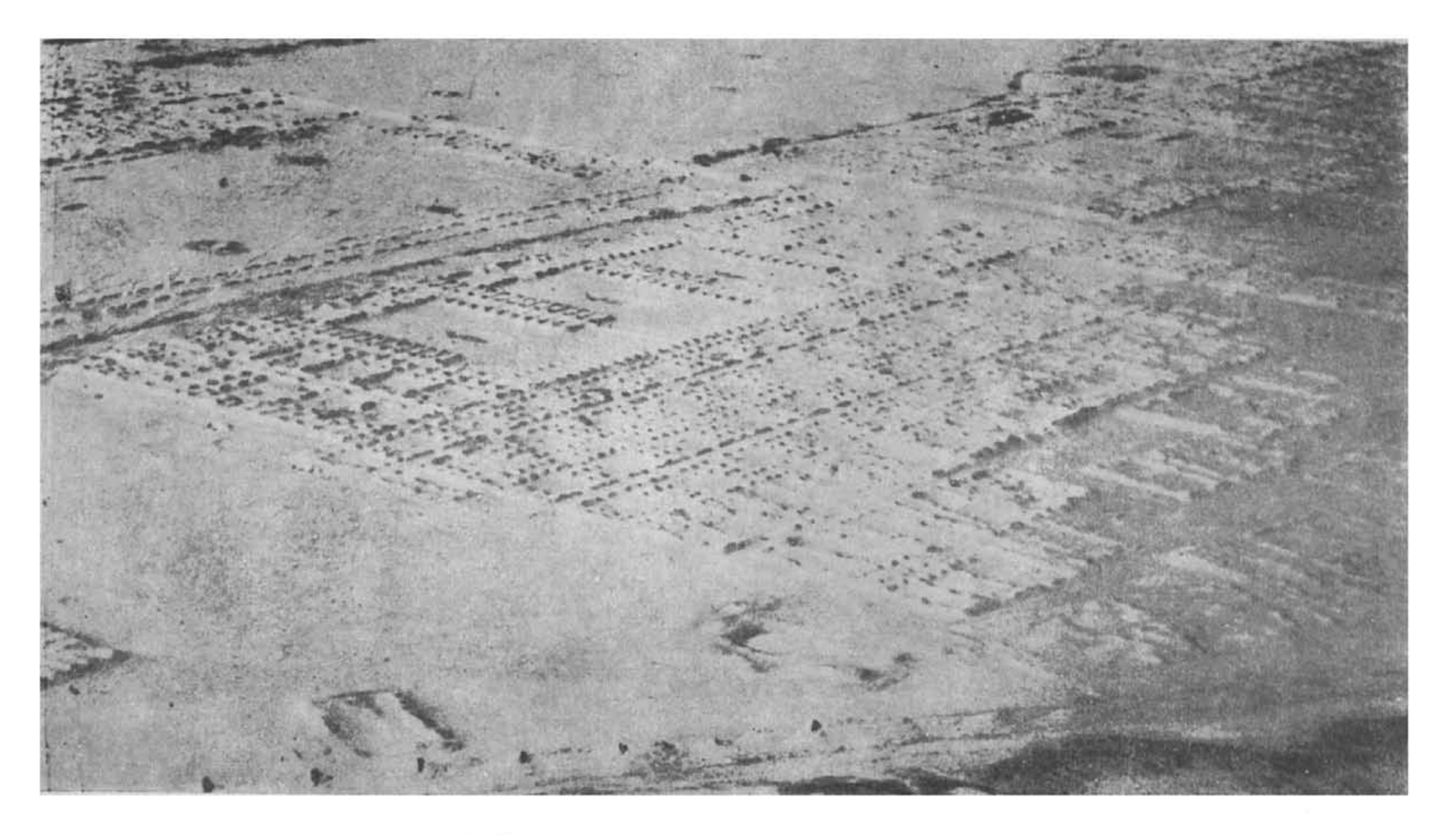
ابراهيم بن رياح وقطيعة محمد بن عبد الملك الزيات وقطيعة الفضل بن مروان وقطيعة ابن أبي دواد وقطيعة بغا الصغير وقطيعة بغا الكبير وقطيعة سيما الدمشقي وقطيعة برغامش وقطيعة وصيف وقطيعة ايتاخ . ولا يزال معظم آثار أسوار القصور التي كان يسكنها هؤلاء القواد ماثلاً للعيان، ويلاحظ عليها ان مجرى دجلة قد جرف القسم الغربي منها نتيجة للتأكل الحاصل في ضفة النهر . ولا تزال تشاهد آثار بعض القصور التي كانت منشأة على ضفة القاطول الكسروي اليمنى ومن جملتها قصر بستان الايتاخية الذي كان يقع في جوار قرية الايتاخية (راجع خارطة المتوكلية) .

وتشاهد في الحد الشمالي من القطائع موضوعة البحث على الجانب الغربي من الشارع الاعظم آثار المسجد الجامع المعروف اليوم باسم جامع أبي دُلَفْ ومئذنته الملوية ، كما يشاهد الشارع الرئيسي الذي يمتد على موازاة الشارع الاعظم من جهة الغرب وينتهي الى الجامع المذكور . ولا شك ان هذا الجامع انشيء في عهد المتوكل ليحل محل جامع سامراء الكبير بعد ان تقرر نقل العاصمة الى المتوكلية . وكان ذلك أمراً طبيعياً تدعو الضرورة الماسة اليه نظراً لبعد المسافة بين جامع سامراء الكبير ومدينة المتوكلية الجديدة البالغة حوالي (٢٥) كيلومتراً إذا ما قيست بين جامع سامراء واقصى الحدود الشمالية لمدينة المتوكلية حيث تقع دار الخلافة وقصور الخليفة[١] .

وتنتهي مدينة المتوكلية في شمال الجامع بقليل وينتهي معها الشارع الاعظم عند السور الذي يحد المدينة من الشمال وهو السور الذي يمتد بين ضفة القاطول الكسروي وضفة نهر دجلة فيؤلف حاجزاً منيعاً بين المدينة وبين دار الخلافة وقصور الخليفة الواقعة الى الشمال من السور المذكور . وكان قد حفر خندق على

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بهذا الجامع في ص ٦٠٢ — ٦٠٦ و ١٣٧ — ١٤٠ .



قصور ودواوين مدينة المتوكلية (من الجو)

محاذاة السور من جهته الشمالية ومليء بالمياه من فرع خاص يستمد المياه من النهر الجعفري ، أي الفرع الذي يمر فوق القاطول الكسروي ويصب مياهه في الخندق ، فتجري هذه المياه فيه ثم تنصب في دجلة . وقد انشيء في السور في نقطة انتهاء الشارع الاعظم ثلاثة أبواب عظيمة يدخل منها الفارس برمحه ، ولا تزال آثار بناء الابواب المذكورة باقية ظاهرة تشاهد في نهاية الشارع الاعظم .

وكانت دار الخلافة وقصور الخليفة الى الشمال من السور المذكور يحدها نهر القاطول الكسروي من الجهتين الشرقية والشمالية ونهر دجلة من الغرب والسور الذي في شمال المدينة من الجنوب ، وبذلك كانت هذه المنطقة منعزلة تماماً عن مشتملات المدينة ولم يكن مجال للدخول اليها من غير الابواب الرئيسية الثلاثة المارة الذكر. وكانت تقع القصور الرئيسية على ضفة نهر دجلة ، وأهم هذه القصور القصر الجعفري الكائن في اقصى الشمال ، وهو القصر الذي سكنه المتوكل حتى آخر أيامه . أما دار الخلافة فكانت محوّطة بسور ضخم يبلغ مجموع طوله حوالي أربعة كيلومترات ونصف الكيلومتر ويضم مساحة تقدر بحوالي ٥٤٠ دونماً عراقياً (مشارة) ، ويبلغ طول هذا القسم الذي يمتد بين السور الشمالي للمدينة والقصر الجعفري الكائن على ضفة نهر دجلة في أقصى الشمال حوالي خمسة كيلومترات . وكانت تتخلل هذه المنطقة ساحات واسعة فيها الحدائق والبساتين، التي كانت تروى من النهر الجعفري ، كما كان شارعان رئيسيان يؤديان الى دار الخلافة وقصور الخليفة (راجع خارطة المتوكلية والمنظر الجوي لخرائب دار الخلافة وقصور الخليفة) .

وكان قد اعتزم المتوكل انشاء حلبة سباق خاصة في مدينته الجديدة فأنشأ في شمال المدينة مصطبة اصطناعية مرتفعة على النهر الجعفري يشرف منها على ساحة السباق التي هيأها شرقي النهر المذكور ، وتعرف بقايا هذه المصطبة اليوم بأسم « تل البنات » . وتل البنات هذا تل كبير يقع في جنوب شرقي مدينة

الدور الحالية ويحوّطه النهر الجعفري من كل اطرافه ، ونشاهد فوقه آثار بناء اقتلع آجره مما يدل على انه انشئت هناك مقصورات لجلوس الخليفة وحاشيته (راجع البحث المتقدم الخاص بتل البنات المذكور في ص ٣٢٠ ـ ٣٢١) .

وتدل الروايات التاريخية على ان مشروع انشاء مدينة المتوكلية الجديدة تم في أقل من عامين ، فقد شرع المتوكل في بنائها سنة ٢٤٥ هـ . فأتمها في نهاية سنة ٢٤٦ هـ . ويؤيد المؤرخون انه انتقل الى المدينة الجديدة في اليوم الاول من المحرم سنة ٢٤٧هـ . وقد تكامل السرور للمتوكل بعد ذلك ، فقال : «الآن علمتُ أني ملك إذ بنيت لنفسي مدينة سكنتها» . ولما كان المتوكل قد قتل في يوم ٣ شوال من سنة ٢٤٧ هـ فيكون قد قضى في عاصمته الجديدة تسعة أشهر وثلاثة أيام فقط . وقد هجرت المدينة وقصورها بعد مقتل المتوكل فوراً وعاد ابنه الخليفة المنتصر والناس جميعاً الى سامراء .

الملحق الثالث

اختطاط مدينة المتوكلية ومدى تقدم الفن الخططي الاسلامي [1]

للمهندس الدكتور السيد محمد صالح مكية
الاختصاصي في فن اختطاط المدن من جامعة كمبريج بانكلترا

إن اختطاط مدينة سامراء العباسية وأرباضها يعبّر بأجلى تعبير عن مدى ما وصل اليه الفن الخططي الأسلامي « اختطاط المدن » وتأثير السلطة الحاكمة في اظهار هذه المعالم الى حيز الوجود .

لقد تقدم فن اختطاط المدن الاسلامية تقدماً سريعاً وفي مدة قصيرة سرعان ما شوهدت المدينة الاسلامية العربية الجديدة تعبرعن مظاهر هذا التقدم السريع وتوضح مقدار تأثير حكم الملوك والأمراء وسيطرتهم عليه . فقد مثّل الملوك الاقدمون دوراً مهماً في انماء هذا الفن وفي تقدمه منذ حكم البابليين والآشوريين والفرس ، وهكذا نرى أن مدينة المتوكلية المشهورة بسعتها وتنظيمها الفني توضح أيضاً سيطرة الخليفة المتوكل على الله ودرجة هيمنته . إن هذا يحملنا على الاعتقاد بالقابلية الكامنة التي تكاد تكون عبقرية خاصة بالعرب في أحوال وأزمان استقرار اهدافهم وتأثير حكم ساستهم

---

(١) ان كاتب هذا المقال الاستاذ الدكتور السيد محمد صالح مكية مهندس عراقي كان قد اكمل اختصاصه في فن اختطاط المدن في معاهد انكلترا ونال شهادة الدكتوراه في هذا الفن ، عرضنا عليه خارطة مدينة المتوكلية بعد انجاز مسح تقسيمات المدينة وشوارعها وقصورها ومنشآتها طالبين اليه دراستها من ناحية الفن الخططي الذي يتمثل في تصميمها وبيان مطالعاته الشخصية حولها للاستفادة من خبرته في هذا الموضوع فتفضل وكتب هذا المقال بعد ان قام بزيارة خاصة الى مدينة المتوكلية بسامراء ، فشكراً له على مطالعاته الفنية القيمة هذه التي توضح لنا مدى تقدم الفن الخططي الاسلامي في العصر العباسي .

وقادتهم ورؤسائهم الروحانيين ولا سيما المستكملين منهم صفة الزعامتين السياسية والروحانية .

يتضح لنا من اختطاط مدينة المتوكلية أهمية وجود الشارع الاعظم ، فهو من حيث القصد الفنّي كشريان رئيسي عام في جسم المدينة . ولقد سبق ايضاح هذا القصد الفني في المدن اليونانية والرومانية ، فقدكان من الاهمية بمكان ايجاد شارع رئيسي يخترق المدينة طولا وتتفرع منه الشوارع الجانبية وتتوسطه رَحبة عامة تحوي مكانة المعبد وأبنية الهيئة الحاكمة ومجلس المدينة الخ ... وتكاد تكون المراي العام .

وقد تطورت الفكرة الخططية الى وجوب أن يخترق المدينة أيضاً شارع عرضي أي عمودي يقاطع الشارع الاعظم فيتكوّن من الشارعين كليهما الهيكل الرئيسي ويكون ملتقاهما في الرَحبة أي المراي العام حيث يكون ميناءُ « محور ارتكاز » لجميع احياء المدينة . إن مثل هذا التطور عرفته اكثر مدن سواحل البحر الابيض الاوسط حيث سيطرت الحضارتان اليونانية والرومانية .

أما في العراق الذي سبق غيره في الحضارة العالمية القديمة فنرى أن أول مدينة يعرف لها التاريخ أسبقيتها في إظهار معالم المدينة هي بابل فقد قام فيها شريانها الرئيسي وهو الشارع الاعظم الذي ينتظم قصر الملك والمعبد . ان الشارع الاعظم كما قلنا آنفاً يكوّن هيكلاً للمدينة له قوام خاص ويجمع شمل ما يشرع اليه من شوارع متفرعة ويحقق ترابطاً شاملاً تكون من دونه معالم المدينة ومظهرها « تضخماً » لا توسعاً مدنيا صحيحاً تعمّه الصفة الكاملة أي وضع « الكمال »، ثم ان مقام الشارع الاعظم له صفة العرض للمواكب والاستعراضات ، لهذا نرى أن مثل هذا الشارع يبدأ وينتهي بمْيناءات « مواقع ارتكازية » مهمة لها مقام روحاني أو ملكي أو عسكري . وان اختطاط المتوكلية المعروف وصفه في فن اختطاط المدن الحديثة اليوم كرقعة الشطرنج يتشابه

مع التطور الحديث لكثير من المدن العالمية اليوم كمدينة نيويورك وغيرها من التي تجمع بين الاحياء المختلفة وتضمن وجود ملتقى الشوارع العمودية وتقسيم الاراضي الى قطع هندسية منتظمة ، فمدينة نيويورك ـ مثلاً ـ قد اتجهت لهذه الصفة أعني « الصفة الشطرنجية » وللشارع أرقام ، وهكذا يتضح الشبه في طابع الاختطاط بين مدينة المتوكلية و نيويورك خصوصاً إذا قايسنا « البارك الاعظم » لمدينة نيويورك « بالقصر الاعظم » وهو قصر الخليفة .

إن تأثير نشؤ المدينة السريع وظهورها الى حيّز الوجود له صفة خاصة في الطابع الذي تكسبه المدينة بلا شك . وان طابع « الرقعة الشطرنجية » والتنظيم الهندسي المكتسب انما هو نتيجة لمثل هذا النشؤ السريع . ولكن من الجدير بالملاحظة في فن الاختطاط ان نرى صفة التناسب والالتئام تظهر جلية في فن الخطط العباسي لمدينة المتوكلية وهذا يعود إلى مقام الشارع الاعظم وأهميته لسعته ورحابته فان عرضه ١١٠ أمتار ، وان مثل هذا العرض بالقياس الى الطول يجعل للشارع مقاماً خاصاً كما أومأنا اليه ويفصح العبقرية في الانسجام السائد وترابط الاجزاء والاحياء المتعددة والمتباعدة بعضها ببعض حتى لتبلغ أن تكون عضوية . إن ما يقصد فنياً باصطلاح « عضوي » هو المدلول الجامع لصفات الانسجام في كل فن لفظاً ومعنىً ، وما الصفة الشعرية والفنية الرائقة في أي عصر أو مكان كان إلا تجسيم لمدلول اللفظ والمعنى وتمجيدهما باسلوب خاص مقتبس بحيويته من عوارضه الطبيعية وطبيعة زمانه ومكانه .

ويلاحظ في مدينة المتوكلية ان معظم القصور الرئيسية والمنشئات الهامة تطل على نهر دجلة ، ولعل هذه الطريقة مستمدة من الفكرة السائدة آنذاك وهي أن يحصر التمتع بالطبيعة بالطبقة الحاكمة والمتنفذة ، على خلاف ماهو الحال اليوم حيث ان النهضة الحديثة تفرض ان يكون هذا التمتع في متناول العامة من الناس .

ان الصفات الهندسية في اختطاط مدينة المتوكلية وتوسعها طولاً جاءت

موافقة لسير واتجاه النهر وأخذ المعالم الطوبوغرافية بنظر الاعتبار . ونرى هنا الأمر جديراً بالمقايسة مع مدينة بغداد المدوّرة التي بناها المنصور .

ان الشبكة الدائرية في اختطاط مدينة المنصور المدوّرة تعبر أيضاً عن مدى قابلية التنظيم وأهمية الميداء «النواة الارتكازية» لمؤسسة المدينة، ويتبيّن لنا ان هذه الشبكة أو هذا الهيكل قد جاء بصورة هندسية بحتة دون ان تؤخذ المعالم الطوبوغرافية وأهمية سير النهر والساحل الطوليّ بنظر الاعتبار، وهو مما يدل على أن المدينة اختطت لتكون حصناً من حصون الدفاع قبل كل شيء . ولذلك لم تحافظ (بعد مدة وجيزة من تأسيسها) على هيكلها المصوغ وسرعان ما امتدّت واتسعت لتنطلق الى وضع طبيعي آخر ، مع انه يلاحظ في مدينة المتوكلية ان الامتداد والاتجاه الطولي جاءا منسجمين مع امتداد النهر . ويتراءى لنا ان رحابة النهر والافق السماوي هما من عوامل التأثر النفسي والباطني بالمحيط فنرى تعبيرهما في تخطيط مدينة المتوكلية وابنيتها ، إذ لم يسبق لمدينة في التاريخ ان يكون شارعها الاعظم مثل هذه الرحابة إذا استثنينا من ذلك العهد الحاضر ففيه اتجه فن الاختطاط بنتيجة حركة المواصلات السريعة نحو الاكثار الشوارع الحديقية الواسعة بغية تجميل المدن وتأمين التنسيق العام . إن « الرحابة الافقية » من المميزات الخاصة بالفن العماري الاسلامي وهي تتضح في الجوامع وأروقة الصحن والقصور وهذا نوعاً ما على خلاف ما نراه في مدن أوربة الشمالية ، ففي الكنائس والمعابد يتجلى الفن العماري القوطي بتمجيد صفاته الشعرية في اتجاهه العمودي . ان اشتقاق هذه الصفات الفنية والأساليب العمارية هو ولا شك من تأثير واحترام عوامل الطبيعة والمناخ بحالتيهما المباشرة وغير المباشرة .

وبانتقالنا الى درس الصفات العمارية ومكوّنات المدينة في أبنيتها العامة والخاصة تتبين لنا مكانة الأروقة في التناسق في وجهات الصحن أي الساحات المكشوفة ونرى على العموم أن الفن العماري الاسلامي يتجه نحو تمجيد ما يحيط

بالساحة المكشوفة ليكوّن مسقفات الأروقة التي تضمن نظام الاتصال في الساحة نفسها أو الابهاء المتعددة المكونة لهيكل البناية . هذا الى ما لهذه الاروقة من نظام واسلوب التكرار من صفة عمارية خاصة تتميز بها لترفيه النفس وهي أيضاً تفي بحل مشكلة المناخ والاحتفاظ بالظل المستمر للسير والتنقل . فان الاروقة تتخذ مكانتها في اختطاط الأبنية من حيث هي واسطة بين الاقسام الداخلية المسقفة والساحات المكشوفة للوقاية من أشعة الشمس القاسية صيفاً ومن المطر شتاء ولحفظ الأثاث والفرش من تأثير حرارة الشمس واشعتها أيضاً .

ان مثل هذه الساحات المكشوفة في الأبنية العامة والخاصة تقوم مقـــام الساحات العامة من اختطاط المدن الحديثة . وقد يبدو أول وهلة عند دراسة التصميم الخطي ، أي الخارطة ، انه ليس من مدلول لوجود ساحات وحدائق عامة متعدّدة ولكن الصفة الحقيقية لدرس شبكة المدينة تظهر واضحة بمشاهدتها من الجو حيث تتجسم الخارطة وتعبّر عن طابعها الحقيقي من حيث مقدار كثافة المسقّفات بالقياس الى الساحات المكشوفة داخل الابنية العامة والخاصة، وهكذا فان مثل هذه الفسح والساحات أدّت إلى أهمية مكانة الابواب في كونها مداخل عامة وخاصة لمثل هذه الفسح وهذه الرحاب . ان تسميتها في مدلول اختطاط المدن ترافقنا حتى الآن فان تسمية الشوارع تجري بمدلول اتجاه أبوابها أو وجهتها الجغرافية .

يكاد يكون الشارع الاعظم لمدينة المتوكلية شبه ساحة عامة طولية للمدينة تحيط به ساحات متعددة للقصور والمباني، ولا شك في ان امتداد التشجير ساعد على وقايته من حر الشمس وتخفيف وطأة الجفاف، الى ما هنالك من معالم التزيين في وضع النافورات التي لها تأثير حسن في تبريد الهواء وعوامل التنسيق المدني التي قد نرجو ان يؤخذ بها بنظر الاعتبار في اختطاط المدن الحديثة .

لا شك في أن عوامل التشجير في مثل هذا المناخ مرتبط بالاستعداد لتنظيم

القنوات وتقسيم المياه ، ومما هو جدير بالذكر ما وصل اليه هذا النظام في تنسيق القُنى ورعاية الاقتصاد في عدم تبذير المياه المنسابة في العهد الاسلامي وخصوصاً في اسبانيا العربية وان تتبع هذا التطور يعود الى وادي الرافدين فقد سبق ماعرفه التاريخ من تنظيم لحدائق بابل المعلقة نظم تقسيم المياه . وان بركة البحتري في جنوب سامراء الحديثة تعيد الى الذاكرة مثل هذه الغايات .

ويظهر في سامراء وفي المتوكلية ماذهب اليه الفن المعماري الاسلامي من استمداد وتحويل ما كان من فن قديم لغايات جديدة ، فتصميم منائر المدينة ونمطها ولا سيما المنارة المعروفة منها بالملوية مستمدان الى حد ما من أبراج بابل ومعابدها التي لا شك في انها أثرت تأثيراً محسوساً في خلق طابع خاص لهذه المنائر ويخيل لنا أيضاً ان منارة جامع ابن طولون مستمدة من ملوية سامراء .

ان للجدران العريضة والوطائد في الفن الاسلامي قوام عماري يتناسب هو « والرحابة الافقية » في اختطاط المدن وتصاميم الساحات والأبنية . وان انطباع الاستقرار والهدوء والسذاجة يتمثل في مثل هـــذه الأبنية وهو يوضح أيضاً عامل المتانة والتناسب اللائق بالنسبة لظروف الطبيعة وحكم المناخ .

ان تأثير المناخ له أهمية أيضاً في جعل السقوف واقية من حرارة اشعة الشمس العمودية صيفاً ولذا نرى تطور الفن المعماري في العراق في هذه الناحية تحت تأثير عوامل المناخ ووجود مادة الطابوق فقط ، وذلك مما أدّى الى التفنن في طرق التسقيف ووجود الريازة الخاصة لتجميل السقوف المعقودة (عقادة) وتعداد القبب .

ان من العناصر المهمة في الفن المعماري في العراق الأقواس المدبّبة التي نشأت وتطوّرت في هذا البلد بمدى واسع وأثرت تأثيراً عظيماً في تطور الفن المعماري في الغرب ، ولا شك في انها جاءت نتيجة لظروف محلية واستعمال حجارة الطابوق مادة رئيسية في بناء الجُدُر والتسقيف .

ان الافتنان في استعمال الطابوق بحجوم مختلفة و بريازات متنوعة كان العامل الكبير في تجميل الجدران وان استعمال الطابوق الملوّن لتكسية الوجهات وعمل الاطارات الخ ... كان بالنسبه لوضعنا المحلي يقوم مقام ما كان عليه نحت الصخور في الأقاليم الاخرى .

يؤمل في نهضتنا الحديثه في الفن العماري واختطاط المدن أن يؤخذ بنظر الاعتبار ما وجد من تراث في تطور الفن العماري والمواد الانشائية والاستمرار على الاستعانة في الخدمات العلمية وما وصلت اليه النهضة الحديثة في تطورنا الحاضر بصيغة توافق نهضتنا الفنية في العالم وتميز هذه النهضة عن طابعها الخاص الذي تستوحيه من زمانه ومكانه .

الملحق الرابع

تقرير عن نتائج تحليل مادة البناء التي وجدت في «قنطرة قوبخرة» على مجرى النهروان[1]

للاستاذ السيد شيت نعمان ـ المدير العام للمباحث الصناعية

لقد ظهر من بحث النموذج في معهد المباحث الصناعية وتحري تركيبه الطبيعي والكيماوي وطريقة صنعه الاولى وخواصه واخذ كافة نتائج البحث بنظر الاعتبار ـ ظهر ان مادة النموذج تتركب من طين حر ممزوج مزجاً متجانساً بالكلس كعامل مساعد على انصهار المادة . وقد صبت المادة على شكل اسطوانة واحرقت حتى درجة الانصهار الابتدائي فانصهر سطحها الخارجي وتحول الى مادة شديدة الصلابة لا تؤثر فيها عوامل التآكل الطبيعي وهي أهم ما تعرض لها سطح تلك الاسطوانة خلال القرون العديدة التي استخدمت فيها كمنفذ للماء يجري فيها بسرعة كبيرة حاملاً من الذرات العالقة ما له فعل شديد في التآكل .

وبعد ان ثبت من التحري ان المادة قد صنعت عن طريق الاحراق بحرارة عالية اختبرت درجة الحرارة التي احرقت فيها المادة وذلك في فرن كهربائي في مختبر معهد المباحث الصناعية فظهر ان تلك الحرارة بلغت درجة (١٠٥٠°م) الف وخمسين مئوية . وفي درجة (١١٠٠°م) الف ومائة مئوية تم انصهار المادة وتحولت الى تركيب آخر .

وقد اكتسبت مادة الاسطوانة برفع حرارتها الى درجة الانصهار الابتدائي قوة ومقاومة للتفتت مما زاد في قيمتها للغرض الذي صنعت لأجله .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بقنطرة اوبخرة في ص ٤٦٤ .

ان مما يدعو الى الاعجاب بطريقة صنع هذه المادة في تلك العصور الغابرة هو ضبط درجة الحرارة في حدود الانصهار الابتدائي الضيقة بصورة ضمنت منع الانصهار التام مما يفسد الصنع من الناحية الواحدة كما ضمنت اكساب المادة قوة الانصهار الابتدائي من الناحية الثانية مع العلم ان ذلك ليس بالامر الهين في درجات حرارة تتعدى الألف مئوية ومن غير اجهزة القياس والضبط الاوتوماتيكي التي نستعين بها في الصنع في العصر الحاضر . كما ان نسبة الكلس في المادة واستخدامها في تلك النسبة كمساعد على الانصهار يدل كذلك على الخبرة والمعرفة في قواعد هذه الصناعة .

الملحق الخامس

في ذكرى ارنست . أي . هرزفلر [1]

أحدثت وفاة الدكتور ارنست هرزفلد ، في مدينة بيل (Bale) (سويسرا) هزة عنيفة في نفوس زملائه ومعارفه سواء أكان ذلك في أوروبا أو أميركا . فبوفاته خسر عالم الآثار القديمة شخصية من المع الشخصيات وعالماً مرناً ممن شملت مؤلفاته الفنية والتاريخية واللغوية للشرقين الأدنى والأوسط أزمنة ما قبل التاريخ حتى أواخر العهد الاسلامي .

فالسفرات التي قام بها في كل من العراق وايران أدت الى اكتشاف آثار على جانب عظيم من الأهمية سدت بها كثيراً من الفراغات التي كانت تسود يومئذ حقلي الفنون والآثار القديمة الشرقية .

وكان من نتيجة اشتراكه مع الدكتور فريدريك ساره وهو من علماء الفن الشرقي ان انجزت رحلات وحفريات عظيمة الاهمية وذلك في مناطق عديدة .

ورغم اختلاف هذين العالمين من حيث المزاج والذوق فقد اثنى الواحد منهما على الآخر ثناء عاطراً . وأول ما نتج من اعمالهما الموحدة هو كتاب (Iranische Felsreliefs) الذي تم نشره في عام ١٩١٠ . والحق ان هذا الكتاب يعتبر من أبرز المؤلفات إذ بمجرد نشره جعل العالم يفتح عيونه نحو

---

(١) ترجمة المقال الذي نشرته مجلة معهد الفنون الجميلة التي تصدرها جامعة نيويورك وتطبع في سويسرا في ترجمـة حياة البروفيسور هرزفلد ـ راجع الجزء العاشر (٤) لسنة ١٩٤٧

Artibus Asiae, Institute of Fine Arts New York University Vol. X/4 1947 . Printed in Ascoua, Switzerland

عظمة آثار نحت التماثيل الايراني خصوصاً ما يتعلق منها بنقش الصخور بالنقوش الساسانية .

لقد أثارت النظريات التي تقدم بها الدكتور هرزفلد مما لها مساس بأصل الفن الاسلامي (راجع كتاب Die Genesis der islamischen kunst und das Mschatta - Problem, Der Islam, 1910) واعتباره تاريخ بناية المشهد (Mschatta _ facade) كما سجله في متحف القيصر فريدريك ـ أثارت مشادة مريرة بينه وبين عالم آخر من مشاهير العلماء هو البروفوسور جوزيف سترزيكوويسكي (Josef Strzygowski) من أهالي فينا . فبينما يدعي هذا بأن قصر المشهد يرجع الى ما قبل الاسلام يتقدم هيرزفلد بأدلة وجيهة تدل على ان تاريخ القصر المذكور يرجع الى العهد الأموي (أي القرن الثامن الميلادي) ، ومع ذلك فنظرياته المختصة بالزخرف الاسلامي باعتبارها من أصل يوناني كانت من النظريات التي تفتقر الى بعض الأدلة للاقتناع بوجاهتها وان طرأ على هذه النظريات على مر السنين تعديل كبير على ضوء المراجع الفنية الاسلامية الشرقية وخاصة الايرانية منها .

وفي ١٩١١ طبع هرزفلد بالاتفاق مع ساره (Sarre) كتابه المعروف باسم (Archaologische Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet) صدر منه الجزءان الثاني والرابع (عام ١٩٢٠) وهو من الكتب التي لا يستغني عنها طلاب الفنون الاسلامية . وفي عام ١٩١١ أخذ هو وساره باجراء حفريات في سامراء الواقعة شمال بغداد وبها توسعت دائرة معلوماتنا عن الفن الاسلامي في العهد العباسي الذي لم يعرف عنه قبل ذلك إلا النزر اليسير . وهذه المدينة التي لم تعمّر اكثر من ٤٧ سنة فقط (٨٣٦ ـ ٨٨٣) أظهرت الى العالم فن تلوين التصاوير والزخارف المرمرية والنقوش الخشبية والفخارية التي تعد من أعظم

الفنون، وكنتيجة لهذه الحفريات كان لا بد من نشر عدة مجلدات إلا انه لم ينشر سوى ٥ مجلدات منها ووافته المنية عندما كان قائماً باعداد مجلده السادس .

وأما مؤلفه الخاص بآثار الساسانيين في منطقة « بيكولي » (Paikuli) ومخطوطاتها فقد نشر عام ١٩٢٤ ، وكان لهذا المؤلف الفضل الاكبر في توسيع آفاق معلوماتنا عن عهد الامبراطورية الساسانية القديم . ولم يلبث تفكير هرزفلد ان اتجه نحو المدن الايرانية القديمة وخصوصاً مدينة (Persepolis) « بيرسيبوليز » حيث اكتشف آثار مستعمرة من مستعمرات العصر الحجري (Neolithic) . واكتشف أثناء قيامه بمهمة المدير الحقلي للهيئة الموفدة الى ايران من جانب المؤسسة الشرقية في شيكاغو (عام ١٩٣١—١٩٣٤) عدة تصاوير ممتازة من التصاوير البارزة مما كانت تستعمل لاغراض الزخرفة في قصور البرصوبوليسيين في عهد داريوس (Darius) وكسركس (Xerxes) .

ولقد اضطر هرزفلد كما اضطر غيره من العلماء الالمان على مغادرة المانيا ابان الحكم الهتلري فوجد في لندن ملجأ موقتاً حيث انصرف الى مزاولة اعماله فيها . وفي عام ١٩٣٥ نشر سلسلة من محاضراته تحت عنوان « تاريخ الآثار القديمة الايرانية » (Archaeological History of Iran) وفي عام ١٩٣٦ التحق بمؤازرة زملائه الاميركيين بمجمع الدراسات العالية في جامعة برنستون التابعة الى ولاية نيوجرسي . ومع انه لم يكن مرتاحاً كما يرام في هذا الاقليم فقد كان قائماً باعماله وبتردده على زيارة المستشرقين وغيرهم من علماء الآثار القديمة الامريكيين . وكان يُرى وهو محاط بالمؤلفات الفنية ونماذج الآثار القديمة التي أتى بها بنتيجة اسفاره ورحلاته في الشرق منصرفاً الى اعداد عدة مجلدات عن الآثار القديمة الايرانية والاسلامية. أما تتبعاته عن «زورستر» (Zoroaster) مؤسس الديانة الايرانية فقد نتج عنها كتاب «زورستر وعالمه» (Zoroaster and his world) الذي ظهر عام ١٩٤٦ .

وفي عام ١٩٤٤ بلغ الدكتور هرزفلد سن الاعتزال من الخدمة ، ومع انه ترك المجمع عندئذ فقد كان يراقب المستقبل وكله آمال في امكان القيام باعمال جبارة مفيدة أخرى في الشرق . فموت هرزفلد يعدّ خسارة من اعظم الخسائر للمستشرقين في كافة انحاء العالم وان الاعمال الجبارة التي قام بها في سبيل الآثار القديمة الشرقية ستبقى على مر الازمنة من أحسن الآثار التي تحيي ذكراه .

موريس . اس . ديماند
Maurice S. Dimand

الملحق السادس

تعليقات وردود

كان من حسن حظ المؤلف ان الجزء الأول من كتابه هذا لاقى من اقطاب العلم واعلام المنقبين اعجاباً وتقديراً وقد تلقى عدداً كبيراً من رسائل الثناء وعبارات التشجيع كما ان الصحف والمجلات الراقية لم تبخل بتقريظ الكتاب تقريظاً جليلاً . وقد رأينا ان الاحاطة بهذه الرسائل وهذه التقاريظ كلها في هذا الكتاب مما يعد تفاخراً واستكباراً. لهذا اقتصرنا على نشر الرسائل التي فيها نقد وتصويب معلقين على بعضها بما لدينا من ردود.

ترجمة رسالة البروفيسور كرينكو (Prof . F . Krenkow)

سالم الكرنكوي

في جامعة كمبرج المؤرخة في ٢٥ آب ١٩٤٨

عزيزي الدكتور سوسه .

أشكركم من الصميم على ارسالكم إليّ آخر مؤلف من مؤلفاتكم عن الري في سامراء وهو من المؤلفات التي أهتم بها بصورة خاصة .

قبل بضع سنوات خلت سألني أحد اصدقائي من الهند بعد عودته من الحج عما اذا كانت لديّ معلومات حول موضوع التجهيزات المائية في المدينة المقدسة، ولما كانت دائرة معارف حيدر آباد قامت بنشر كتاب شامل عن طريقة ايصال المياه بواسطة القنوات التي تجري تحت الارض فقد باشرت بترجمة هذا المجلد الى اللغة الانكليزية بدأتها بافتتاحية عن أقدم المعلومات المختصة بمثل هذه القنوات التي كانت في حيز الوجود أبان حكم الوليد ابن عبد الملك والتي كانت تمتد من عرفات الى اواسط مكة المكرمة، إلا ان تردي

صحتي وشيخوختي[1] من جهة وعدم توقعي الحصول على موافقة مجلة « الثقافة الاسلامية » على طبع المقال الذي اعددته لهذه المناسبة بصورة مطولة من جهة اخرى ـ حال كل هذا دون اتمامي العمل الذي بدأت به .

أرى لزاماً عليّ ان أتقدم اليكم مهنئاً على الاسلوب العلمي البحت الذي يتمثل بمؤلفكم وهو يدل على جسامة العمل والجهد العظيم الذي بذلتموه في سبيل انجازه . فالخرائط التي تضمنها الكتاب هي الأولى من نوعها اشاهدها في المؤلفات العربية وهي تدلني دلالة واضحة على مدى مضمون المؤلف وغزارة مادته . وقد لاحظت بصورة خاصة وصفكم للقنوات التي تمتد تحت الارض والآبار التي تتخلل هذه القنوات التي تستعمل كنوافذ هوائية ، ولا شك انكم قد اطلعتم على كتاب « انباط المياه الخفية » لأبي بكر محمد بن حسن الكرخي الذي ظهر في حوالي سنة ٤٣٠ هـ . وقد اشرتم الى هذا الكتاب في مؤلفكم . ويلاحظ ان هذا الكتاب قد الف بعد انشاء سامراء بحوالي ثلثمائة سنة وهو يشتمل على مخترعات لبعض الآلات الهندسية التي تستعمل في رصد ارتفاعات الاراضي وقياس مستوياتها .

وتتضمن الصفحات ٤٠ ـ ٥٦ من كتاب تاريخ مدينة « قمّ » المطبوع في طهران عام ١٣٥٣ بحثاً عن طريقة توزيع المياه في تلك المنطقة باجمعها وقد اطلق على القناة التي تمتد تحت الارض اسم كاريز ، وقد اعدّ هذا المؤلف في بادىء الامر بناء على طلب صاحب بن عباد عام ٣٧٨ إلا ان الترجمة الفارسية ترجع الى سنة ٨٠٥ . ومن الامور التي لا شك فيها هي أن طريقة انشاء القنوات تحت الارض قد مارسها الفارسيون لاجيال عديدة إذ أن الجبال الشاهقة هناك التي تبقى الثلوج على بعضها بصورة مستمرة تستوجب اللجوء الى هذه الطريقة التي تساعد على اسالة المياه الى البلدان القاحلة الواقعة في المناطق السفلى .

انني اكتب اليكم باللغة الانكليزية لأنني استطيع فيها بيان ما أريد أن

اعبّر عنه واني اتطلع بشوق زائد للحصول على الجزء الثاني من مؤلفكم . وأرى لزاماً عليّ أيضاً ان اعبّر عن بالغ تقديري واعجابي للطريقة المثلى التي تم طبع مؤلفكم بها وهي طريقة تجاوزت حدود ما شاهدته من انتاج مطابع بغداد . لقد حال الحرب بيني وبين اصدقائي في بغداد طوال هذه السنين ويسرني ان اكون الآن على اتصال بشبان الجيل الجديد .

سالم الـكـرنـكوى

حديث الاذاعة العراقية في كتاب ري سامراء

في عهد الخلافة العباسية

اذيع مساء يوم الجمعة ٢٢ / ١٠ / ٩٤٨ في الساعة التاسعة مساءً

جرياً على السنّة الحميدة التي استنتها « دار الاذاعة » في نقد المؤلفات الجديدة وتقريظها وتقديمها الى المستمعين والقراء نتكلم الآن عن كتاب مهم صدر أخيراً ، وهو كتاب الدكتور أحمد سوسه عن « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » .

إن هذا الكتاب كما قال مؤلفه في مقدمته يكشف عن « جغرافية سامراء في عهد الخلافة العباسية » بدراسة مشاريع الري القديمة في تلك المنطقة . فقد قام المؤلف بدور خبير الري ودور المؤرخ الأثري في آن واحد مستعيناً بمعلوماته واختباراته الطويلة في المسح وشؤون الري ومستضيئاً بالكتب القديمة والحديثة المؤلفة في هذا الموضوع .

ولا بد من أن نشير في هذا الصدد إلى أن هذا الكتاب يتألف من نيف ومائتين وثمانين صفحة وخمسة وعشرين رسماً وسبع لوحات وأحد عشر تصويراً فوتوغرافياً ، وقد طبع طبعاً أنيقاً منفرداً في اناقته بالنظر الى امكانيات الطباعة في العراق في الوقت الحاضر .

كما ان هذا المجلد الضخم ماهو إلا الجزء الأول من البحث وسوف تليه تتمته.

* * *

وليست قصة بناء مدينة سامراء بتلك السرعة وانهيارها بعد ذلك الازدهار إلا من قبيل القصص المروية في الكتب فقد بنيت هذه العاصمة في زمن المعتصم بسرعة فائقة وأصبحت عاصمة الخلافة العباسية، ولكنها لم تبق على عزها سوى أربع وخمسين سنة فقط وعادت كما كانت قفراء ... ولم تشهده من عهود الخلافة العباسية إلا مابين عهد المعتصم والمعتمد. وقد أراد المكتفي ان يعيد إلى سامراء عزها ولكن القاسم بن عبيد الله صرفه عن رأيه.

غير أن الجهود العظيمة التي بذلت في انشاء هذه العاصمة الموقتة والمال الذي انفق عليها قد خلّف للمتتبعين شيئاً كثيرة الدراسة والكتابة عن مشاريع الري فيها خاصة، وهو الموضوع الذي تعلّق به مؤلف كتابنا وأجاد في عرضه للقراء اجادة لا تتيسر للكثيرين.

فقد استطاع المؤلف أن يلبس ثوب المتتبع والمستقرئ، والباحث المنقّب في آن واحد. ولم تقل ابحاثه أهمية في بعض الاحيان عن أهمية المكتشف. فان اكتشاف مجرى النهر الجعفري ومنشآته وتفرعاته وتوضيح أسباب فشل هذا المشروع الخطير ليس من الامور الهينة. فقد ذكر اليعقوبي ان المتوكل أنفق على شق هذا النهر ما يقرب من الف الف دينار وقال الطبري ان اثني عشر الف شخص اشتغلوا فيه، ومع ذلك فلم يجر الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً. فقد وضع المؤلف خارطة حقيقية لمجرى النهر وتفرعاته والمواقع الأثرية والمنشآت التي عليه مع مناسيب القعر على طول المجرى، ورسم خارطتين اخريين تبين احداهما حدود المتوكلية وموقع القصر الجعفري وبركته، وقد رسمها على أساس المسح الخاص الذي اجراه بنفسه، وتبين الثانية اتجاه الشارع الاعظم مع مناسيبه على طول المسافة بين السور والمتوكلية. وهذا جهد لا يستطيع أن يقدّره إلا المشتغلون في الابحاث التاريخية الهندسية الذين يعرفون مدى أهمية هذه الكشوف من جهة

ومقدار ماتأخذه من الدارسين والمنقبين من ارهاق .

* * *

ان هـذه المطالعات في كتاب الدكتور سوسه لا تستهدف مناقشة آراء المؤلف بقدر ما تستهدف التعريف بالكتاب وبموضوعه الى المستمعين الكرام . ومع ذلك فلا بد من مناقشة المؤلف في قضية عرض لها في غضون بحثه القيّم مستطرقاً أهمية الموضوع الذي الّـف فيه .

فقد جاء في مقدمة كتابه انه لاحظ ان «دائرة الآثار العراقية» قد انصرفت بكليتها تقريباً الى دراسة الآثار القديمـــة التي يرجع تاريخها الى ما قبل العهد الاسلامي ، أما تاريخ العهد العربي فلم تعره اهتماماً كافياً . ولعلّ السبب في ذلك يرجع في الدرجة الاولى الى انــ الناحية التي وجهت اليها هذه المؤسسة منذ تشكيلها كانت تتصل بهذه الدراسات القبتاريخية (أي ما قبل التاريخ) ، وذلك بناء على اهتمام الغربيين بالآثار التي تتصل بنشوء الحضارات البشرية .

اننا نرى أن وجهة نظر المؤلف في هذه الناحية تحتاج الى شرح وايضاح . فأن مؤسسة الآثار في الحقيقة تعنى بالآثار القديمة لسبب بسيط هو ان البحث في هذه الناحية هو الذي يولد علم الآثار ، وعلى نتائجه يتوقف ازدهار المعرفة البشرية عن تلك الحقبة الطويلة التي يسميها العلم « عهد ما قبل التاريخ » . ولذلك فان أي جهد يبذل في سبيل استخلاص هذه المعرفة وان كان شاقاً إلا انه مفيد ونافع ويقدم المعرفة بالتاريخ القديم مرحلة الى الأمام .

أما الحقب الاسلامية فلا مشاكل فيها . وكل ما ينتظره المنقب هو زيادة المعلومات واستكمال التفاصيل عن مناطق لا بد انــ تكون عنهـــا مصادر كثيرة أو قليلة . ففي موضوع سامراء مثلاً لا توجد مشاكل تاريخية رئيسية لأن مبدأ بناء المدينة معروف ، والزمن الذي قضته كعاصمة للخلافة العباسية

معروف أيضاً . ولا يستفيد الباحث المنقّب في مثل هذه المنطقة إلا الآثار والزخارف المكررة .

وليس معنى هذا ان التنقيب في المناطق والعهود الاسلامية لا ضرورة له أو أن الأفضل الاستغناء عنه بل المقصود أن التفضيل بين منطقتي تنقيب أثريتين احداهما اسلامية والاخرى قبتاريخية لا بد ان يتجه ويميل الى الناحية القديمة كما اسلفنا . لأن البحث التنقيبي ينتج في هذه المنطقة حلقات سلسلة مفقودة ويتمم المعلومات الموجودة . أما التنقيب في المنطقة الاخرى (أي الاسلامية) فلا يضيف حلقة جديدة ولـكنه يزيد المعلومات الموجودة كمية .

وخلاصة ما تقدم ان هذا الـكتاب الذي عرضنا له هو من خيرة ما صدر من الكتب العلمية الدراسية ، وان الجهد الذي انفقه المؤلف الفاضل في تحضيره واعداده وترتيب مواده وخرائطه الـكثيرة كبير جداً يستحق عليه الثناء .

ولا غرو في ذلك فان موضوع الـكتاب يتعلق - كما يقول السر وليم ويلكوكس الخبير العالمي في شؤون الري - بـ « اعظم مشروع ريّ اصطناعي في العالم » ، وهو مشروع النهروان الذي يبدأ من مدينة سامراء ويمتد الى اكثر من ثلثمائة كيلو متر في شرقي نهر دجلة حتى مدينة الـكوت الحالية ، وبالمشاريع الاخرى التي أتى عليها المؤلف بتفصيل ودقة هما تفصيل ودقة الباحث العالم .

ونحن نقدّر جهد الباحث والعالم والمنقّب ، ونرجو للكتاب ما يستحقه من العناية من القراء والباحثين ، ومن الدوائر ذات الاختصاص بالموضوع ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ملاحظات الاستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد
المنشورة في مجلة عالم الغد
(العدد الصادر في ١ تشرين الأول ١٩٤٨ ص ١٨ — ٢٠)

هذا الكتاب جليل وعظيم حقاً ، وليس لي في تتبع مواضيعه وأبوابه كبير ملحوظات سوى ما يلي السطر :

١ — أشار المؤلف الفاضل في ص ١٥ من المقدمة الى أن « قصر المنقور » بسامرا كان يعرف باسم « بلكوار » وكرر ذلك مفصلاً له في ص ٦٠ ثم نقل في ص ١٢٧ و ص ٢٤٣ كلمة من كتاب الديارات للشابشتي خاصـة بهذا القصر ، ودعوى أن بلكوار هو قصر المنقور من دعاوى هرزفلد وقد أثبت المؤلف في الجزء الاول هذا من كتابه أن هرزفلد بعيد كل البعد عن الامور التاريخية ولكنه علامة في تعرف الفنون المعارية القديمة وقد استفاد هرزفلد من بعض (التشابه بين الاسمين) « بلكوار • منقور » إلا أن المسافات المعروفة لا تؤيد قوله ، ويحسن بالمؤلف اعادة النظر في مسألة بلكوار وتعيين موضعه بالنسبة الى القادسية ، فقد بناه المتوكل بالقادسية وبينها وبين سامرا أربعة فراسخ « ص ٢٤٢ — ٣ — » .

٢ — كتاب النهروان المدائني أو الأنبر لهشام الكلبي (ص ٢٠)لا علاقة لها بصفة النهروان من حيث هو نهر وانما ألفا في حرب الامام عليّ للخوارج قرب النهروان ، على مقربة من براز الروز « بلدروز » .

٣ — في ص ٥٨ كلة على الدور وأن أهل سامرا يزعمون ان القبر الذي فيه هو قبر الامام محمد الدوري من أولاد موسى بن جعفر ، والذي عندي انه الشيخ محمد بن دسم الكردي الصوفي من أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلي وعلى الهيتي ، ولقب بجاكر ، ذكره الذهبي في وفيات سنة « ٥٩٠ » ونقل عن

الشيخ شعيب التركاني أن زاويته بقرية راذان (كذا) على بريد من سامرا ، ولما توفي قعد أخوه أحمد في زاويته « تكيته » ثم ابنه غرس الدين ثم ابنه محمد ثم ابنه الثاني أحمد ثم ابنه أحمد وهو حي في أواخر القرن السابع للهجرة متصل بحكام التتر من المغول[1] .

وذكر مؤلف الشذرات ج ١ ص ٣٠٥ عن السخاوي أن له ضريحاً وزاوية براذان وهي على بريد من سامرا ، وفي الشذرات أيضاً انه سكن صحراء من صحاري العراق على يوم من سامرا ومات بها فبنى الى جانبه قرية بنيت للتبرك به . وجاء في ترجمة الشيخ جاكير في « بهجة الاسرار » (ص ١٦٩) ما يلي : « وهو رضي الله عنه من الاكراد ، سكن صحراء من صحراء العراق بالقرب من قنطرة الرصاصي على يوم من سامرا واستوطنها الى أن مات بها مسناً وبها دفن وقبره ثمة ظاهر يزار وعمر الناس عنده قرية يطلبون بركته» . وهي عندي قرية الدور الحالية من الراذان .

٤ ـ في ص ٥٩ كلمة على دور بني أوقر ، وفي ترجمة الوزير عون الدين بن هبيرة من الوفيات « ج ٢ ص ٢٩٢ » انه كان من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني أوقر « بالقاف » من أعمال دجيل وهي دور عرمانيا « كذا » بالعين المهملة والياء المثناة من تحت وتعرف الآن بدور الوزير نسبة اليه » .

٥ — جاء في ص ٧٣ و ٨٤ « سقى الاله سر من رأى القطرا « والصواب » سقى الاله سر من رأ القطرا » ليصح الوزن .

٦ — وورد في ص ٨٠ كلام على النهر الاسحاقي . وقد رأيت له ذكراً في جغرافية علي بن سعيد المغربي قال «وفي جنوب تكريت وشرقيها النهر الاسحاقي حفره في أيام المتوكل اسحق بن ابراهيم صاحب شرطته وهو أول حد سواد

---

(١) اصول التاريخ والأدب « ج ٢٤ ص ٥٠ »

العراق ومنه تبدأ الاشجار وخروج مياه دجلة ، التي نسيح في أرض العراق وعنده ينتهي الجزء الرابع »[١] والمعروف انه في عهد المعتصم استحدث هذا النهر .

٧ — وفي ص ٨٨ جاء ذكر العاشق أي المعشوق العتيق ، ومما اعلمه من اخباره ان أبا الحسن علي بن يحي المنجم المتوفى سنة ٢٧٥ بنى للمعتمد على الله اكثر هذا القصر لان هذا الخليفة كان قد قلده بناءه[٢] وان معز الدولة نقض اكثر هذا القصر في سنة «٣٥٠» وحمل آجره الى بغداد ليبني به داره ومرافقها بالشماسية[٣] وان الامير عماد الدولة أبا العلاء رافع بن عين الدولة مقبل بن بدران العقيلي أمير العرب عبر على هذا القصر فكتب عليه من نظمه :

مررت على المعشوق والدمع سائح	على صحن خدى ما أطيق له ردا
فقلت له أين الذين عهدتهـــم	يقضون عيشاً في زمانهم رغدا ؟
فقال : مضوا واستخلفوني كما ترى	وبادوا فما يخشون حراً ولا عبدا[٤]

وعند هذا القصر كانت الوقعة بين عسكر المسترشد بالله العباسي وعماد الدين زنكي جد الملوك الاتابكية فيسنة ٥٢٦[٥] وكان مأوى لامراء عبادة في القرن السابع والسادس[٦].

٨ — وجاء في ص ١٠٨ ذكر الجامع الكبير المعروفة منارته بالملوية وانه من أبنية المتوكل والذي في التواريخ - كما في ترجمة المعتصم من خلاصة الذهب المسبوك أنه من أبنية المعتصم وقال عبد الرشيد فيتلخيص الآثار «سامرا: مدينة

---

(١) أصول التاريخ والأدب ج ١٧ ص ١٢
(٢) معجم الادباء ج ٥ ص ٤٧٦
(٣) المنتظم ج ٧ ص ٢
(٤) اصول التاريخ والأدب ج ٧ ص ١٠١
(٥) الـكامل ج ١ ص ٢٤١
(٦) الجامع المختصر ص ١٧٦ والـكامل ج ١٢ ص ٩٤

عظيمة كانت على طرف شرقي دجلة بين بغداد وتكريت بناها المعتصم بالله سنة احدى وعشرين ومائتين وانفق على جامعها خمسمائة الف دينار وجعل وجوه حيطانه كلها صيناً (كذا) وبنى المنارة التي كانت من احدى العجائب وحفر الاسحاقي[1].

ويجوز أن يكون المتوكل هو الذي بنى الفوارة بعدما أسس نظام الري وأوصل الماء سيحاً الى المسجد.

وفي ص ١٩١ وصف الفوارة وانها قطعة من الحجر واحدة وعرفت بكأس فرعون. والذي أعلمه « قصعة فرعون » وفي حوادث سنة ٦٥٤ نقلت الى بغداد في الحوادث الجامعة « وفيها حملت القصعة الحجر المعروفة بقصعة فرعون من سر من رأى الى بغداد في كلك وكانت عظيمة جداً فلم تزل الى سنة سبع وخمسين وستمائة ثم كسرت[2]

٩ — حاشية الطارمية في ص ١٧٨ وانها من « الطفارمية » من تأويلات العامة والظاهر انها الدارمية نسبة الى دارم ثم قلبت الدال طاءاً وهو كثير في لغة العامة، ولا سيما عامة عهد الاتراك، فهي كالراشدية والسندية مثلا.

١٠ — ارتئنا ان تل بدران — كما في ص ١٨١ و ١٨٩ هو موضع « البردان » يستند الى تشابه الاسمين قبل كل شيء وليس هذا مما يؤدي الى الصحة في الغالب، والظاهر أن البردان قد زالت وأن بدران اسم من اسماء الاعراب أو العرب، ولا صلة له بالبردان.

١١ — الذي تقلتموه في ص ١٨٣ – ٤ من ازدهار « العلث » بعد تحول مجرى دجلة لا يستند الى استنتاج صحيح فان تحوّل دجلة حدث على تقديري سنة ٦٢٦ هـ — ووفاة أبي الفضل اسحق بن أحمد بن غانم العلثي كانت في سنة « ٦٣٤ » فربما كانت زيارة المستنصر له قبل سنة ٦٢٦ ثم انه على فرض بقائه بالعلث بعد تحوّل

(١) اصول التاريخ والأدب « ج ٧ ص ٩ »

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٠٦

دجلة ولا يدل ذلك على رفاه ولا ازدهار لانه زاهد منقطع يمكن اكتفاؤه
ماء الآبار .

١٢ — الظاهر ان الذين ذكرت المس بل ان قبره على تل وانه « ص ١٩٤ »
أعني قبر الامام محمد علي انما هو محمد بن قائد الأواني ، قال ابن الدبيثي «محمد بن
أبي المعالي بن قائد أبو عبد الله من أهل أوانا احدى نواحي دجيل ، شيخ
صالح له هناك رباط يجتمع به جماعة من الفقراء ... زرته في رباطه وجلست معه
وكان خيراً موصوفاً بالصلاح وحسن الحال ... دخل على محمد بن قائد رجل من
الملاحدة رباطه وهو جالس وحده فقتله فتكا وهو صائم يوم الخميس خامس عشرين
رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة وصلي عليه ودفن في رباطه بأوانا وأدرك
قاتله وقيل احرقت جثته[(١)] .

وقال الذهبي في وفيات سنة ٥٨٤ « محمد بن أبي المعالي به قائد أبو عبدالله
الأواني الصوفي الصالح ، دخل عليه رجل من الملاحدة في الخامس والعشرين من
رمضان فوجده وحده فقتله وهو صائم ودفن في رباطه بأوانا ...[(٢)] فلعل التل
ركام الرباط .

١٣ — ذكر المؤلف بلدة دجيل في ص ١٨٦ مخالف لما ورد في الكتب فان
دجيلاً نهر ومعاملة لا مدينة ، وفي اخبار سنة «١٠٧٩» ه أن والي بغداد
مرتضى باشا عمر دجيلا بعد ما كان دهراً خراباً وأحدث في حربة خاناً وبستاناً
وحماماً وجعلها وقفاً وجعل فيه كما كان سابقاً ثلاث خطب : خطبة في حربة وخطبة
في بلد وخطبة في سميكة[(٣)] .

---

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ١٩ ص ١٦٣ ـ ٤ »
(٢) أصول التاريخ والأدب « م ٢٤ ص ١٧ »
(٣) أصول التاريخ والأدب « مج ٩ ص ٥٥

١٤ — في ص ٢٢٧ كلام على مجرى القورج وغرق بغداد ، والصحيح أن القورج صار اسماً عاماً أي اسم جنس للمواضع الضعيفة التي تنكسر عند فيضان دجلة وكل الحوادث التي نقلها المؤلف في هذه الصفحة وما بعدها وغيرها من الحوادث المتأخرة تؤيد ما ذكرنا[1] ، ألا ترى قول أحد المؤرخين « وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم ... »

١٥ — جاء في الصفحة المذكورة ذكر مدينة طفر ولم تكن طفر مدينة بل كانت أرضاً من الارضين الخالية ، وصحراء من الصحارى الموحشة .

١٦ — في ص ٢٣٧ أن عز الدولة فرغ من بناء داره سنة « ٣٠٥ » هـ والصحيح « ٣٥٠ » هـ . لا شك في ذلك .

١٧ — ورد في ص ٢٥٤ « يتضح مما تقدم ان الوقت الذي استغرقه سفر المتوكل ... » ولعل الاصل « المعتصم » .

١٨ — كان من المأمول أن يذكر الدكتور المحقق كلمة على « القناية » .

ملحوظة : ان تعليقات صديقنا الاستاذ الفاضل الدكتور مصطفى جواد تدل دلالة واضحة على سعة اطلاعه ومدى تتبعه لموضوع الكتاب ، ونود بهذا الصدد ان نعبّر عن مزيد تقديرنا لمطالعاته الثمينة هذه ، إلا اننا لا نتفق واياه على ما ذهب اليه في المادة (٣) حول القبر الذي في الدور ، أي قوله انه قبر الشيخ محمد الملقب بجاكر ، لأن قبر الشيخ محمد جاكر المذكور يقع في شرقي سامراء على بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً منها ، ولا يزال يعرف الى يومنا هذا باسم «الشيخ محمد الجاكيري» (بالكاف الفارسية) وبعضهم يسميه «الشيخ محمد الجاجيري» كما ان موضعه الحالي في جنوب شرقي بحيرة الشارع ينطبق تماماً مع الاوصاف التأريخية التي ذكرها الاستاذ في تعليقاته المتقدمة ، وهي التعليقات التي تؤيد بأن موضع ضريح الشيخ محمد جاكر مع التكية (الزاوية) التي انشأها الشيخ

المذكور براذان على بريد أو يوم من سامراء . ولا يخفى ان مسافة البريد تبلغ حوالي ١٤ ميلاً عربياً ، أي حوالي ٢٥ كيلومتراً ، وهذه هي المسافة بين سامراء وموضع القبر نفسها ، فضلاً عن ان المسافة التي تقطع بيوم واحد تتفق مع المسافة الحالية بين سامراء وموضع الضريح . هذا من حيث موضع الضريح بالنسبة الى سامراء أما من حيث المنطقة التي يقع فيها الضريح وقول المؤرخين انه يقع براذان فان وقوعه اليوم في الأراضي الكائنة في غربي نهر العظيم ، وهي المنطقة التي كانت تعرف باسم « طسوج الراذان الاعلى » ، اوضح دليل على انه قبر الشيخ محمد جاكير الذي أشار اليه الاستاذ الدكتور مصطفى جواد. ويتضح من كل ذلك ان تثبيت الدكتور الفاضل قصبة الدور الحالية بمنطقة راذان القديمة لا يتفق والواقع .

ويوجد اليوم الى جانب قبر الشيخ محمد جاكيري قبران يقال ان احدهما قبر دلي سالم عزاوي والثاني قبر أحد أجداد الشيخ كر (بالكاف الفارسية) وهو من تلاميذ الشيخ محمد جاكيري ، كما يشاهد في جوار موضع هذه القبور الثلاثة آثار انهر قديمة وكرد مدفون يذكر الاهلون ان هذه الانهر كانت تستمد المياه من نهر العظيم فتروي المزارع التابعة الى قرية الشيخ محمد المذكور . وقد بلغني ان أحد أحفاد الشيخ محمد موكل على استثمار الاراضي التابعة للمرقد في الوقت الحاضر .

أما ما ذكره الاستاذ الفاضل حول قصر بلكوارا في المادة (٩) وقوله ان القصر المذكور كان في القادسية كما ثبته الشابشتي وعلى هذا فان تعيين موضعه في المنقور لا يتفق مع وصف الشابشتي المذكور ، فردنا على هذا هو أن تعيين قصر بلكوارا في موضع المنقور لا ينافي كونه في القادسية ، لأن تسمية القادسية كما نوهنا في ص ٢٤٢ من كتابنا هذا كانت تشمل المنطقة الواسعة التي تمتد من قصر بلكوارا الى مسافة حوالي اثني عشر كيلومتراً جنوباً ، وقصر بلكوارا يقع في آخر أبنية سر من رأى من الجنوب على فرسخين منها ، أي على الحدود

الشمالية لمنطقة القادسية، وهذا لا يحول دون اعتبار قصر بلكوار في القادسية .
أما قول الاستاذ الدكتور مصطفى جواد ان هرزفلد استند الى التشابه بين الاسمين « بلكوار » و « منقور » في تعيين موضع قصر بلكوار فذلك غير وارد لان المنقور تسمية أهلية للموضع ولا علاقة له بتسمية بلكوار ، كما ان التشابه المزعوم لم يكن موضوع بحث في تعيين موضع القصر .

هذا ونشكر الاستاذ الفاضل على الفاته نظرنا الى « القناية » فقد اضيفت ملاحظة عن ذلك في حقل «الاستدراكات والتصحيحات» من الجزء الثاني هذا (راجع الصفحة ٦٠٩) .

ملاحظات الاستاذ عبد الحميد الرهيلي المنشورة في مجلة عالم الغد
(العدد الصادر في ١٦ تشرين الأول ١٩٤٨ ص ٢٢ ـ ٢٤)

تفضل الدكتور الفاضل أحمد سوسه فاهدى لي الجزء الاول من كتابه «ري سامراء » فعزمت على أن أكتب كلمة عن الكتاب واهميته ذلك الكتاب الذي يستحق الدرس والمطالعة والتعرف لكل ما جاء به من ابحاث عراقية مهمة ، أبحاث كلها نادرة في بابها . وقد ظهر الجزء الماضي المزدوج من مجلة عالم الغد الغراء وقرأت مقال الدكتور المحقق الدكتور مصطفى جواد فوجدت فيه بعض الملاحظات الثمينة والتعليق المهم وقد أردت بكلمتي هذه ان أتمم كلمة الدكتور وانا على رغم بعض الملاحظات التي سأذكرها سأخصص كلامي في ما جاء في الكتاب من مباحث مهمة لالفت اليها نظر القارىء والى مدى الاتعاب التي عاناها الدكتور سوسه في كتابه الذي هو نتاج بحثه في الكتب والصحارى وبين الانقاض والآثار طوال خمس عشرة سنة كما يقول في أول الكتاب . فقد راجع الدكتور كتب العرب والافرنج عن هذه المناطق وقارن وحقق واستنتج حتى

وصل الى آخر ما يمكن ان يقال عن عمارة هذه البقاع وتنظيم ريها وزراعتها في عهد العباسيين وما قبلهم . فقد بحث عن المدن والقرى التي كانت على ضفاف دجلة قبل تحوّل مجراه سواء التي كانت في الجانب الايسر من النهر أو الجانب الايمن ولم يكتف بمراجعة المعاجم بل ذهب بنفسه وبقى هناك ينقب اشهراً ليتعرف الى تلك الاماكن وليعرف خططها وليضع فيها الخرائط القيمة وليعين مواقع تلك المدن وتلك الانهار وفروعها وما طرأ عليها من تطورات وانقلابات وما يمكن أن يستفاد من ذلك في وقتنا هذا وما يمكن أن يحيا منها حقق عن أوانا وعكبرا والحظيرة ومسكن والملث وحربى وقرية النهروان وكرخ سامراء وعربايا والقادسية والمطيرة ودير عبدون ومدينة المتوكل . وقد تكلم كثيراً عن المنشآت على النهروان من قرى ومدن وقناطر وجسور وسدود وتعرض لجسر بوران وعبرتا واسكاف بني جنيد والمحمدية والايتاخية والمأمونية ونحوها وبحث عن النهروانات وتاريخها وتطورها في مختلف العصور وعلل سر اهتمامه بهذه الابحاث عن النهروان فقال : (.. ولا يخفى ان احياء النهروان يتطلب قبل كل شيء الوقوف على أصل النهر وتاريخه وتطوراته وهذه معلومات غير متيسرة لأمر الذي حملني على مواصلة جهودي في سبيل سد هذا الفراغ لتمهيد السبيل إلى اعادة احياء هذا النهر التاريخي العظيم والاستفادة منه كما استفاد اسلافنا ..) ولم يكتف المؤلف عن بحث النهروان حتى اشفع ذلك بالبحث عن فروعه .

ومما لفت الانظار اليه بحثه عن نهر القورج ذلك الفرع من دجلة الذي سقى أراضي عديدة في الجانب الشرقي من سامراء حتى بغداد وذكر تاريخ هذا الجدول وكيف أصبح أخيراً سبباً لغرق بغداد مرات عديدة وقد استغربت جداً من مناقشة الدكتور مصطفى جواد وشكه في هـذا النهر ومعارضته للدكتور سوسه وجملة من المؤرخين ذكروا هذا النهر ومنهم ياقوت الحموي وغيره . ومما قاله في المراصد (. . القورج نهر بين القاطول وبغداد منه يكون

غرق بغداد وكل وقت تغرق فيجتهدون في سده واحكامه بغاية الجهد واذا زادت دجلة شقة فاغرق ما حول بغداد كله ..» وعليه لا مجال لتأويل الدكتور الذي ذكره في تعليقه على الكتاب .

وقد أجاد الدكتور سوسه في تعليل تحوّل دجلة من الغرب الى الشرق ببحثه عن القورج وانه كان السبب المباشر فكشف ناحية غامضة من تاريخ الري في العراق .

ومن ابحاثه المهمة في الكتاب بحثه عن مشروع نهر الجعفري الذي أسسه المتوكل لاجل مدينته المتوكلية وقد انفق على النهر ما يقارب مليون دينار واشتغل فيه اثنا عشر الف شخص من اتراك وعرب وفرس ولكنه لم يجر الماء فيه إلا جرياً ضعيفاً ومما قاله الدكتور سوسه عن هذا النهر (. . ولا شك ان فشل هذا المشروع قد أدى الى نتائج خطيرة بالنسبة الى مركز الامبراطورية العباسية في ذلك العهد ولعله من أهم الاسباب التي حملت المنتصر على هجران مدينة المتوكلية بعد قتل المتوكل ورجوعه الى سامراء الذي أدى أخيراً الى نقل العاصمة الى بغداد . .) .

والحق ان هذه التفاتة من الدكتور مهمة في علة اندثار المتوكلية ولا شك ان هذه العلة سارية في كل منطقة سامراء التي استمرت العمارة فيها والبقاء مدة نصف قرن ثم عاد الخلفاء الى بغداد عاصمتهم القديمة فقد كان علو الاراضي في سامراء وصعوبة السقي حتى اضطروا الى شرب الماء المر في بعض الاماكن البعيدة عن دجلة نعم لقد كان كل ذلك سبب اهمال سامراء وتركها وان تاريخ ري سامراء وتنظيم طرقها الزراعية يدفعنا قسراً الى اعتناق هذا الرأي في اهمال سامراء التي قال عنها ياقوت (صارت أعظم بلاد الله) والتي لم تبق عاصمة إلا قرابة خمسين سنة فقط .

ومما أجاد الكلام فيه الدكتور سوسه بحثه عن قصور العباسيين فقد حقق

عن قصر العاشق وقصر بني اكوارا وبناء الجوسق والقصر الهاروني ودارالعامة هذه الدار التي كانت تسمى أحياناً بدار الخليفة والتي شهدت احداثاً مهمة فقد صلب الافشين ببابها سنة (٢٢٦ هـ) ونصب رأس يحي بن عمر العلوي أمامها سنة (٢٥٠ هـ) ونحوها من الوقائع التاريخية ذات الشأن في الدولة العباسية .

ومن ابحاثه المفصلة بحثه عن الدور والاماكن التي كانت تسمى في هذا الاسم في منطقة سامراء وقد حقق عن دور العرباني ودور الجامعين ودور بني اوقر ودور تكريت ودور الطواويس وقد ذكر الدكتور مصطفى جواد معلقاً على كلمة دور بني اوقر تعليقاً يفهم منه ومن النص الذي ذكره انه دور عرمانيا (كذا) نفسه والاقرب للصحة ما ارتآه الدكتور سوسه في التفرقة بينهما ويدل على ذلك نص صاحب مراصد الاطلاع حيث قال (. . الدور سبعة مواضع في العراق من نواحي بغداد فدور تكريت مابين سامراء وتكريت يعرف بدور عرباي وفي عمل دجيل قرية تعرف بدور بني اوقر وهي المعروفة بدور الوزير وهو الوزير بن هبيرة لانه كان منها وبنى بها جامعاً ومنارة بينها وبين بغداد خمسة فراسخ ...).

ومن الامور البديعة بحث المؤلف عن سد ديالى فقد كنت قبل ان أقرأ هذا البحث اسأل دائماً في نفسي كيف كان النهروان يسيل من شمال سامراء حتى قرب مدينة الكوت ويعترضه نهران أو أنهر ومنها هذان النهران .

فلما اطلعت على ما قاله الدكتور عن هذين السدين وانهما كانا يحولان ماء العظيم وديالى عن مجرى النهروان وكان النهروان نفسه لولا هذا التحول لما امكنه ان يسير حتى يعبر عبرتا ويصل الى حدود ماذرايا قرب الكوت ثم يغور ويتلاشى بين الاراضي والمزارع والضياع .

ومن الحق ان نقول ان بحثه عن هذين السدين وتاريخهما وزمن اندثارهما الذي عينه يعد من أفيد المباحث التاريخية في الكتاب . ومما قاله الدكتور عن

سدالعظيم والارض التي كانت تستقي منه (. . كانت اكثر بقاع العراق انتاجاً وكانت كثيفة بسكانها ومزارعها وبساتينها ويستدل على ذلك من خرائب المدن والقرى) .

ومن ابحاثه اللذيذة هناك بحثه عن القادسية في سامراء ومستنزهاتها وتاريخ قصرها وقلعتها وتطور هذه القرية حتى زوالها وان كان الدكتور وقع في وهم واضح هو خلطه بين اخبار المناذرة في قادسية النجف واخبار قادسية دجلة فقال (. . ان منطقة القادسية هذه بما فيها القاطول الاسفل كانت منذ عهد الفرس من اجمل المنتزهات في القطر العراقي فكانت في سابق العهد منتزهاً للمناذرة ومجلساً للانس يتردد اليه كبار رجال الدولة المجاورة وفي زمن العرب كانت مجمع انسهم وطربهم . . ص ٢٤٢) .

ولا ادري كيف فات الدكتور وهو يعلم ان المناذرة لم يكونوا في دجلة والقادسية التي كانت منتزهاً لهم هي قادسية النجف التي لا تزال موضع الصيد للنجفيين وموضع التنزه في تلك القصور الموزعة في الصحراء وبين العيون الجارية[١] .

ومن ابحاث الدكتور المهمة عن القناة التي حفرها المتوكل لارواء مدينته واستقاء الخير والبركة وما الى ذلك من مؤسسات المتوكل جنوب سامراء ولكن الغريب أن يقول الدكتور في ص (٢٧٣) في بحث هذه القناة انها كلمة فارسية وهو يعرف انها كلمة عربية واضحة استعملت مجازاً لمجرى الماء تحت الارض والذي يسمى احياناً بالكهريز التي هي كلمة فارسية[٢]

ومما بحث عنه مفصلا قصر (بركوارا) وقد ذكر اختلاف المؤرخين هناك

---

(١) نشكر الاستاذ على التفاته نظرنا الى هذه النقطة وقد استدركنا ذلك في حقل التصحيحات الواردة في آخر هذا الجزء من الكتاب (راجع التصحيحات الواردة في ص ٦٠٨).

(٢) نؤيد الاستاذ بهذا ونشكره على ملاحظاته حول ذلك (راجع حقل التصحيحات الواردة في ص ٦٠٨)

في ضبط هذا الاسم والذي أراه ان الكلمة فارسية وضبطها الصحيح بزدكوارا أي القصر العظيم الكبير جداً والتعابير الفارسية كانت شائعة في عهد بني العباس ومنها محل في سامراء اسمه (زن كور) أي محل النساء ومأواهن .

ومن ابحاث الدكتور المهمة بحثه عن النهر الاسحاقي وتاريخه وتطوره وتأثيره على العمارة في الجانب الغربي من سامراء وقد اطنب في وصف هذا النهر ونقل أقوال المؤرخين وتتبع بنفسه أراضي هذا المجرى وفروعه فجاء بحثه من أفيد الابحاث لرجال الري في وقتنا هذا وكذلك بحثه عن مجرى نهر الدجيل القديم وتطوره حتى وقتنا هذا وفي الكتاب نظير هذه الابحاث ابحاث مهمة ونافعة جداً ومن كلمات الدكتور الخالدة قوله في ص (٣٩) عن منطقة سامراء كلها « ... ولا بد من القول ان هذه المنطقة العريقة في تاريخها المجيد والتي كانت في زمن ما مضرب الامثال في خصبها وخيراتها بفضل ازدهار المشاريع التي مر ذكرها قد أصبحت الآن أرضاً بلقعا لا زرع فيها ولا ضرع ترتادها الذئاب وتغزوها الرمال ... ولو كان للآثار لسان لوصفت لنا العز والرفاه اللذين كانا مخيمين على سكان تلك البقاع . .) ولا شك ان هذه الكلمة لا بد أن تحفزنا للعمل النافع .

وبعد فقد احسن الدكتور سوسه كل الاحسان في نشره هذا الجزء الثمين الذي حقق فيه مالم يحقق غيره في هذه الاماكن ولا سيما في مناقشاته آراء الباحثين الغربيين قبله ونرجو ان يتحفنا بالقريب العاجل بجزئه الثاني والله ولي التوفيق .

عبد الحميد الرميلي

الفهارس

فهرس أول لمواضيع الكتاب

الصفحة

الفصل الثاني

النهروان ـ منشؤه ـ تطوره

الصفحة

الفصل الثالث

القاطول الكسروي ومشروع القورج

الصفحة

الفصل الرابع

النهروان في العهد الاسلامي
[قاطول الرشيد]

الصفحة

الفصل الخامس

قناة المتوكل

الجزء الثاني

الفصل السادس

عبر المتوكل للوحوش ونهر نيزك

الصفحة

الفصل التاسع

النهروان في العهد العربي الزاهر

[القسم الأول]

الصفحة

الفصل العاشر

النهروان في العهد العباسي الزاهر

[القسم الثاني]

الصفحة

الصفحة

الفصل الحادي عشر

النهروان في عهد انحطاط

الفصل الثاني عشر

امكانيات مشروعات الري القديمة في سامراء

الملاحق:

الصفحة

فهرس ثان للرسوم

الصفحة

الصفحة

فهرس ثالث للوحات

الصفحة

فهرس رابع للتصاوير الفوتوغرافية

الصفحة

الفهارس

فهرس أول للاشخاص والاقوام

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ل)

(م)

فهرس ثان للامكنة والبقاع

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	٨	ان اشغال	ان انشغال
١٢	٢٠	أجنيية	أجنبية
٢٠	١٥	كسرو	كسرى
٥٠	حاشية (٣)	سيد الامير على	سيد أمير علي
٦٢	٥	ينتهيا في دجلة	ينتهيا الى دجلة
٦٢	١٣	حتى ينتهي في دجلة	حتى ينتهي الى دجلة
٦٣	٥	وادي رياح بن ابراهيم	وادي ابراهيم بن رياح
٦٦	١	شارع برغامش التركي	شارع الخير الاول
٦٧	٢	سنة ١٩٠٩	سنة ١٩٠٧
٧٥	١	في هذه القصر	في هذا القصر
٧٧	٥	أدخل على المهدي	أدخل على المهتدي
٧٩	٥	وأتسمت أبنيتها	وأتسمت أبنيتها اتساعها السريع
٨٠	١	وقد كان بالاصل نهراً جسيما	وانه كان بالأصل نهراً واسعاً
٨٠	٢	ينتهي في منخفض	ينتهي الى منخفض
٨٤	١٠	سر من رأى	سر من رأ
٨٥	١	نهر المطيرة	المطيرة
١٠٧	٦	هذا الحائط	هذا الحائط المعروف اليوم باسم «سور البطاوي»
١٣٢	١١	المحمدية وقصور الخليفة	المحمدية
١٣٣	٥	السور الداخلي لمدينة المتوكلية	سور دار الخلافة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٥	٦	سور المتوكلية	سور دار الخلافة
١٤١	١٥	انشأه جنوبي	انشأه جنوب
١٥٣	٤	حوالي ٢٥ كيلو متراً	حوالي ١٢٥ كيلومترا
١٥٣	٢٠	والى جانب ذلك	الى جانب ذلك
١٦٦	١٦	وينتهي في العظيم	وينتهي الى العظيم
١٦٦	١٧	بمياه العظيم وتجري الى	بمياه العظيم الى
١٦٧	حاشية(١)	في الفصل العاشر	في الفصل الحادي عشر
١٧٣	٦	في سنة ١٦٢٩	في سنة ٦٢٩
١٧٤	٣	دجلة الرئيسي مكان ما	دجلة الرئيسي في مكان ما
١٨٩	٥	الغرب فتمتد	الغرب فيمتد
١٨٩	٢٣	من تواحي دجيل	من نواحي دجيل
١٩٤	١٧	ينتهي الى جوار مدينة	ينتهي الى قلب مدينة
٢٣٧	١٥	سنة ٣٠٥	سنة ٣٥٠
٢٣٩	٩	حصى وانهار	حصى وافهار
٢٤٤	١	في حرقتيها	في حراقتيها
٢٥١	١٠	السور ارتباط وثيق	السور ارتباطاً وثيقاً
٢٥٤	١٤	سفر المتوكل	سفر المعتصم
٣١٦	حاشية (١)	ابن ابي صيبعة	ابن ابي اصيبعة
٣٢٦	١٥	يعلو عن قمر	يعلو قمر
٣٤٧	حاشية (٣)	ابن أبي صيبعة	ابن ابي اصيبعة
٣٤٨	١٢	في كتاب ابن اصيبعة	في كتاب ابن الداية
٣٥٨	١٧	ابن خرداذبه انه	ابن خرداذبة انها
٣٧٤	١٤	سلمن الفارسي	سلمان الفارسي
٣٨٨	٦	ويمنى بذلك	ويمنيان بذلك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩٠	١١	وصل الى « بعقوبا »	وصل الى جوار بعقوبة
٣٩٠	١٢	مر في سيره هذا بقرية	اجتاز قرية
٣٩٥	١٧ـ١٨	ويصب في النهروان عند باجسرا	وينتهي الى النهروان جنوب باجسرا
٣٩٦	١٨	في هذه المنقطة	في هذه المنطقة
٤٣٧	٩	القطع الحجرية تبلغ	القطع الحجرية يبلغ
٤٤٠	حاشية(٢)سطر ٣	امام العقر	أمام العكار
٤٤٤	١٦	وهو من بقا مدينة	وهو من بقايا مدينة
٤٥٧	٣	مدينة الرفاعي	ضريح السيد أحمد الرفاعي
٤٧٩	حاشية(٢)سطر ١	سد السهيلة	سد السهلية
٤٩٩	٣	غربي الـكاظيمة	غربي الـكاظمية
٥٠٧	١٨	ولو كانت للآثار	ولو كان للآثار
٥٣٨	٩	التي نشاهدهما اليوم	التي نشاهدها اليوم
٦٥٣	٨	ان عز الدولة	ان معز الدولة
٦٥٦	٧	يسفتاد	يستفاد